الأدب العربى

ألوانه وتأريخه

آثرت المفرد على الجمع فعبرت بـ (الأدب العربى) معرضا عن التعبير الشائع « الآداب العربية » ؛ لأن الأدب العربى واحد فى مفهومه ، وفى تكونه ونشأته ، وفى آلاته ومادته ونتاجه • فهو نسيج أمة واحدة وان نبتت مادته فى بقاع مختلفة ، وغرست أشجاره فى بساتين عدة ، وقطفت ثماره من أغصان مؤتلفة • ولا يصدق الجمع الا اذا أريد بالآداب العربية غير ما أذهب اليه : ـ اذا أريد بها علوم العربية ـ فيقال تأريخ الآداب العربية ، أى تأريخ العلوم العربية ، وهو رأى ذهبت اليه أكثرية المؤلفين ، وقول لاكه كثير من الكتاب والمتأدبين ، ومذهب سلكه كثير من الباحثين • أو اذا أريد بالآداب النظم والنثر بأنواعهما • وهو قول يفهمه العامة ، ويجرى على ألسنة أنصاف المتعلمين • ولا يشجعنى الواقع والعمل فى النظر ، على الاستسلام لقبول ذلك الرأى وترديد ذلك القول ، وسلوك هذا المذهب ، على ما سأبحثه قريبا • كما لا يشجعنى الواقع والعمل فى النظر ، على الميل الى ما فهمته العامة ونطق به أنصاف المتعلمين •

ما الأدب العربى ؟

موضوع جدير أن يسأل عنه ، وحقيق بأن يجاب عنه بعد الروية والأناة • وبعد التأمل والبحث ، ألقيت السؤال على نفسى ، وراجعت مظان البحث ، فلم أخرج من مراجعاتى بأكثر من : أن الادب هو الظرف وحسن التناول ، يقال أدب أدبا أى ظرف وحسن تناوله فهو أديب والجمع أدباء ، وتأدب تعلم الأدب وتهذب ، وتأدب على فلان تخلق بخلائقه ، وان الأدب علم يحترز به عن الخطأ فى كلام العرب لفظا وكتابة • وهو العلم الشامل لعلوم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعانى والبيان والبديع والمحاضرات والعروض والقوافى وقرض الشعر والتأريخ • وزاد بعض المتأخرين من المؤلفين فى تعريف الأدب فقال انه علوم اللغة العربية •

وقد راجعت ما تيسر لى من الكتب المؤلفة فى تأريخ الأدب العربى ، فرأيت أن

البعض قد ذهب فى مفهوم الأدب الى أنه المنظوم والمنثور من الكلام ، فقصر كتابه على الشعراء والناثرين ، فأمعن فى تراجمهم على حسب العصور التى اصطلح عليها ، فترجم لمن وقع اختياره عليه من أبناء العصر الجاهلى ثم الأموى وهكذا ، وعرض نماذج من نظمهم ونثرهم • فمن موجز فى الترجمة والعرض ، ومن مطنب فيهما • ـ ويخيل لى أن الناحين هذا المنحى من المؤلفين يذهبون الى أن الأدب هو القدرة على صياغة الكلام منظوما أو منثورا ـ • ورأيت البعض الآخر قد ذهب فى مفهوم الأدب الى أنه علوم اللغة العربية فوضع كتابه على هذا المفهوم ، وبحث تلك العلوم علما علما على حسب العصور التى اصطلح عليها • ومنهم من ذهب الى أنه العلوم التى عرفها العرب وبحثوا فيها باللغة العربية سواء أكانت متعلقة باللغة نفسها كالصرف والنحو ومفردات اللغة وقرض الشعر ونحو ذلك ، أم كان متعلقها غير ذلك كالطب والبيطرة والفلك ونحوها ، فوضع كتابه باحثا فيه تلك العلوم من حيث نشأتها عند العرب وتطورها فى العصور التى اصطلح عليها •

ومنهم من زاد فى مفهوم الأدب العربى فقال : هو علوم اللغة العربية أو ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم • فهذا المفهوم للأدب واسع الدائرة ، لا يحيط به الا علام الغيوب •

واذا ما رجعنا الى تصنيف الآراء والمذاهب فى مفهوم الأدب نجدها ثلاثة صنوف : صنف ضيق الدائرة ، ومن هذا الصنف الرأى الذاهب الى أنه أداء المراد نظما أو نثرا جاريا على قواعد علوم اللغة • فكل ناظم أو ناثر على هذا الوجه أديب • وصنف واسع الدائرة لا يحيط بها الا القليل ، ومن هذا الصنف المذهب القائل انه علوم اللغة العربية وهى اثنا عشر علما : اللغة والنحو والصرف ••• الخ ، فمن أحاط بهذه العلوم فهو أديب وان كان جامد الفكر ، فاسد الذوق ، ومن قصر فيها أو فى بعضها فهو خارج عن معسكر الأدباء ، فضى عنهم وان كان ألمعيا ، لامع الفكر خصب الخيال ، صحيح الذوق سالمه • والصنف الثالث أوسع دائرة يتعذر أن يحيط بها بشر ، أو يقطعها انسان ، ومن هذا الصنف القول الذاهب الى أنه ثمار عقول أبناء اللغة العربية ونتاج قرائحهم ، فلا يوصف بالأديب على هذا القول الا من أحاط بهذه الثمار وهذا النتاج • وهذا أمر متعذر محال ، فلا أديب اذا ولا أريب • وان تسامحنا وقلنا لا تشترط الاحاطة بل يكفى الاشتراك فى تحقيق تلك الثمار وحصول ذلك النتاج ، لزم أن نزعم أن أكثر أبناء الأمة العربية أدباء ، اذ لا تخلو أكثرية الأفراد من هذا الاشتراك ، ولا شك فى بطلان هذا الزعم •

فأنت ترى وتسمع هذه الفوضى فى مفهوم الأدب وما يؤدى اليه كل مذهب من

النتائج المرفوضة والاحتمالات البعيدة من الواقع • ولعل هذا التبلبل فى المفاهيم والنتائج ناشىء عن أن الأدب من الأمور غير القابلة للتعريف ، اما لبداهته ، فان البديهيات لا تعرف ، واما لغموض مفهومه وخفاء ماهيته ، والغامض أو الخفى مما لا يعرف الا بالرسم ، والرسوم لا تكشف عن الحقائق ولا تقرر الماهيات ، وانما تصور لها شكلا غير واضح كل الوضوح ، ولربما تعددت الرسوم لتعريف شيء واحد ، فكل معرف يرسمه برسم غير الرسم الذى عرفه به الآخر ، وباستعراض الرسوم يتحقق الاضطراب وتنشأ الفوضى فى المفاهيم الحقيقية ، شأنه شأن العلم ، فقد وقع البون الشاسع والخلاف الواضح فى تعريفه ، فقيل فى تعريفه انه حصول صورة الشيء فى الذهن ، وقيل هو المسائل الحاصلة فى الذهن ، وقيل هو ملكة يقتدر بها الانسان على معرفة الشيء •وقيل وقيل • فقد وقع هذا الخلاف وهذا البون فى مفهوم العلم ، وهو من أعرق الحقائق الثابتة الراسخة ، لا ينكره على نفسه أحد حتى الجاهل ، ولا يرضى بالخروج عن حزبه حتى الطفل ، ويتمسك بعروته الوثقى جميع الناس ، مع كل هذا ومفهومه مختلف فيه ، وماهيته كالمجهولة يختلف العلماء فى بيانها ، وتتضارب الآراء فى تقريرها وبحثها • وما ذاك الا لأنه من البديهيات التى تدركها العقول وتقصر عن تحديد ما أدركته بتقرير ماهيته والكشف عن حقيقته ، فلا معدى لنا عن التعريف بالرسم دون التطال الى التعريف بالحد • والأدب صنو العلم ، فهما فى الغرض والبيان سواء ، فما وقع لأحدهما فى الماهية والمفهوم وقع للآخر •

والذى تشعر به نفس الأديب وتطمئن اليه ـ على ما أرى ـ أن للأدب الأمة مفهومين : عام ، وخاص •

أما العام فهو جميع ما أنتجته الأمة مما له علاقة بثقافتها من دين وأخلاق وعلوم واجتماع ، وما تسير عليه من ذلك فى حياتها • وهو أعظم ثروة معنوية تبنى عليها الأمة كيانها وثروتها المادية • ولا يحيط بهذا النوع من الأمور بعد الله الا التأريخ ، وهو يختلف قوة وضعفا ، ونشاطا وركودا ، وشهرة وخمولا ، باختلاف العصور • والجدير بهذا النوع أن يتلقاه الباحثون بالبحث من حيث العصور التى مر بها أو مرت به ، وعبر عليها أو عبرت عليه ، تحقيقا للموازنة بين سير أدب الأمة فى عصوره المختلفة ، لتبين مواطن الضعف ، وعوامل القوة أو الوهن ، لتكون على بصيرة من أمرها فى أهم مقومات حياتها وهو الأدب بمعناه الواسع • فان هذه المقايسة والموازنة والحصول على النتيجة المترقبة منها ، لاتؤتى أكلها غنية بالفوائد الا اذا نظر فيها من حيث العصور • أما اذا نظر اليها من حيث البيئة أو من حيثيات أخرى فان الفائدة من بحثها تضعف ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذ النظر فى ذلك يصبح محليا غير شامل ، مع أن الشمول هو الذى يجب أن يكون المبحوث فيه ، وهو الذى يجب أن يكون محض النظر ، فان هذا المعنى العام لا يلائمه النظر فيه من ناحية محلية ، ولا تتجلى الفوائد من بحثه واضحة الا اذا شمل الأمة كافة عامة ، دون تخصيص ببيئة أو تمييز بين بيئة وبيئة .

وأما المعنى الخاص فهو ملكة يقتدر بها المرء على الافصاح عن الأشياء ـ خصوصا ماينطوى عليه المجتمع من محاسن أو معايب ـ افصاحا يجعلها قريبة من المحس الملموس كتابة ، نثرا أو نظما ، أو خطابا ، جاريا على الأسلوب العربى البليغ . وبعبارة أخرى هو ملكة يقتدر بها المرء على تصوير الأشياء ـ خصوصا منها حالات المجتمع ودخائله ـ تصويرا دقيقا من طريق الالفاظ ، كتابة أو خطابا جاريا فى ذلك على الأسلوب العربى البليغ . فهذه الملكة أو القدرة هى الأدب ومالكها أديب . والأدباء تتفاوت منازلهم رفعة أو انخفاضا ، وبسطة أو انقباضا ، بحسب متانة تلك الملكة وضآلتها ، وقوة تلك القدرة وضعفها . ولا تتكون هذه الملكة وتلك القدرة الا بعد دراسة علوم اللغة العربية والارتياض والتمرن ، وحفظ الكثير من القرآن العظيم ، وشعر فحول الشعراء المبرزين ، وطرف من منثور الكتاب المعروفين ، والدأب على التخيل المستقيم ، واستقصاء مميزات الأشياء التى يمر بها المتصدى لأن يكون أديبا ، والتعمق فى مؤثرات بيئاتها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والبحث فى هذا المفهوم من الأدب حرى أن ينظر فيه الى البيئة التى نبت فيها ، والظروف التى ألفته وأحاطت به ، لا من حيث العصور التى قطعها والأيام التى سار فى موكبها أو سارت فى موكبه . فان الفائدة المرجوة من بحثه من حيث مغرسه ومرباه أجدى منها من بحثه من حيث عصوره وعمره ، وشبابه ، وكهولته ، وشيخوخته . فان الأدب لا يوصف فى الواقع والحقيقة بشباب أو كهولة أو شيخوخة ، بل هو اما حى واما ميت .

فاذا تقرر ما أردت تقريره ، وقبل الأدباء وعلماء الأدب ذلك ، فانى أقترح أن تنفر طائفة منهم لأخذ الأدب بمعناه العام وتضع فيه مؤلفا ضخما يجمع ما غبر وما حضر من مواده وقواعده ومسائله ، ثم تصنف ذلك على وضعين : الوضع الأول بحسب العصور التى مرت به ، ناظرة فى ذلك الى المفهوم العام للأدب . والوضع الثانى بحسب بيئاته ومحيطه ، ناظرة فى ذلك الى المفهوم الخاص للأدب .

وأعود فأقول ان المفهوم الخاص للأدب يحسن بحثه من ناحية بيئته ومحيطه

لا من ناحية عصوره ، لما قررته آنفا ، على العكس من الخطة المتبعة فى بحثه الدارج عند كتاب العصر • فانهم عكفوا على بحثه بالمفهوم الخاص من ناحية عصوره ، فجاءت مؤلفاتهم تكاد تكون نسخة طبق أصل واحد : تراجم أدباء معدودين ، واستعراض نماذج ـ تكاد تكون معينة ـ من نظمهم ونثرهم • وربما أراد بعضهم التوسع فحشر بين من يستحقون الترجمة ممن يعدون قدوة فى الأدب أناسا ربما كان أكثرهم من المهازيل الضعاف المقلدين ، ظنا منهم أن التوسع فى الموضوع أو التجدد فيه هو بتكثير السواد فيه • ولم أصادف من نحا فى بحثه المنحى الذى أرمى اليه ، ذلك المنحى الذى ينظر الى بحث الأدب بمعناه الخاص من ناحية بيئاته مع قطع النظر عن الأشخاص الذين أوقدوا شموعه ، أو حملوا مشاعله ، اللهم الا بالتبع وعرض الكلام • وكان يحلو لى أن أجرب نفسى بوضع كتاب فى تاريخ الأدب العربى على الطريقة التى أقترحها ، لكن وجدتنى عاجزا عن القيام بهذه التجربة فى الوقت الراهن • ولعل المستقبل يفسح لى وقتا يسهل لى انجاز رغبتى • ولعل فحول الأدباء من المخضرمين أو الشبان يغنوننى عن ذلك •

انى رسمت لنفسى فى هذا الموضوع ثلاث بيئات كبرى ، تتقارب مؤثرات كل بيئة منها ومفاعيلها فى البيئات الصغيرة المنطوية فى ضمنها :

البيئة الغربية ، وتضم الأندلس والمغرب الأقصى •

والبيئة الشرقية ، وتضم ايران وما جاورها من الأقطار الاسلامية •

والبيئة الوسطى ، وتضم مصر وسورية بمعناها الواسع وجزيرة العرب والعراق •

وهذه البيئات الثلاث واسعات جدا ، كل بيئة منها تضم بيئات خاصة تمايز بعض الشىء فيما بينها من بعض الوجوه • فلكل من هذه البيئات الكبرى طابع خاص فى الأدب ، له ميزاته وخصائصه • وليس فى وسعى أن أبحث فى هذه العجالة بحثا مسهبا عن كل من هذه البيئات الثلاث الواسعة الكبر ، وليس بمقدورى أن أتغلغل الى البيئات الفرعية العديدة التى تضمها كل من تلك البيئات الواسعات الكبر • فان ذلك يتطلب فراغا فى أزمان طويلة وتعاونا فى العمل بين ذوى الاختصاص • وانما أقصر بحثى على هذه البيئات الثلاث بوجه عام ، فألم بكل منها الماما لأوضح الفكرة التى أرمى الى السير على هداها •

وقد عقدت كلامى على وصف الأدب فى كل بيئة من هذه البيئات بوجه عام ، ثم المقارنة بين ألوانه ومراتبه فى كل منها وضرب الأمثلة على ذلك • وليس التوفيق

مضمونا لى فى الخروج من هذا البحر بسلامة وفوز ، فان الموضوع ليس من السهولة بمكان ، ولكن لابد أن يخرج الباحث فيه بشىء له قيمته وله فائدته .

لكل بيئة من البيئات الثلاث التى عقدت الكلام فيها مواقع جغرافية لها عواملها الطبيعية ومؤثراتها الخاصة . ولكل منها حالات اجتماعية وعادات مألوفة وأخلاق معروفة ، تختلف بها عن أختيها فى روابطها الاجتماعية وعاداتها وأخلاقها . فالمواقع الجغرافية والعوامل الطبيعية والدوافع الأخلاقية والعادات ، لها أهم الآثار فى ساحات الأفكار ، وأعظم التأثير فى مجارى التفكير وأساليب التعبير . وهل ينكر ما بين الجبلى والصحراوى ، وبين البحرى والبرى من اختلاف فى الخيال والتصوير ، وتباين فى التمثيل والتشبيه ، والسهولة والوضوح ، أو التعقيد والدقة فى البيان ؟ فهذه المؤثرات والمكونات والدوافع والروابط والمواقع هى العلل الكبرى فى اختلاف ألوان الأدب باختلاف البيئات . فالبيئة الجبلية تميل فى أصلها الى التضخيم والتكبير ، وقد تصل فى ذلك بالتدرج الى المبالغات فالغلو فالاغراق ، ويجرى نثرها ونظمها وتصورها وبيانها وتصويرها هذا المجرى .

والبيئة الصحراوية تأتى أخيلتها واسعة واضحة ، تؤاخى السهولة ، بعيدة عن المبالغات ، فتجرى فى نظمها ونثرها وتصويرها وبيانها مجرى الوضوح والسهولة ، متمشية مع الحقيقة أو المجاز القريب منها ، متجافية الغلو والمبالغات القريبة منه . وربما امتزجت بالحماس متأثرة بما تفيضه الصحراء عليها من وهج ، وما ترسله أشعة شمسها من حرارة ، وما تخزنه فى أعصاب أبنائها من حساسية .

والبيئة البحرية تجىء أخيلتها أصفى من المرآة المجلوة ، متموجة تموج مياه البحر الصافية ، ترتسم فيها صور مختلفة ارتسام عجائب السماء فى وجه البحر ، وشواهق الجبال ، وعوارض السواحل عليها ، هذا مع اتساع عميق المدى . فينصب نظمها ونثرها وتصورها وتصويرها وبيانها على هذا الغرار . وهكذا كل بيئة كبيرة أو صغيرة لها عوارض خاصة وميزات لصيقة بها ومؤثراتها على طبيعة أبنائها ، وما الأدب الا وليد الطبائع .

وشأن الأدب فى الأمة كبير ، وأثره فى حياتها ومقوماتها عظيم ، فانه هو المرشد ، وهو القوة التى تحرك النفوس ، وتبعث فيها النشاط ثم الحركة والعمل ، وهو مفتاح النهضات ، وباب الدخول الى السير بالأمة فى طرق الصلاح والاصلاح . واذا استكملت الأمة أدبها بمعنييه العام والخاص ، فقد بنت مجدها على أسس لا تتصدع ، وصانت كيانها من عوادى الدهر وحوادث الزمان .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والوضع الطبيعى يقضى بأن يسبق الأدب بمعناه الخاص الأدب بمعناه العام . فان المعنى الأول منبه للأمة من رقادها ، مذكرها بأمجادها ، دافعها الى العمل لتحتل مكانها اللائق بها ، خصوصا اذا كانت من الأمم التى اشتركت فى بناء المدنية الانسانية ، وحفظ التاريخ لها ما جاءت به للعالم من خير وهدى ، وما ساهمت به فى بناء كيان العالم المتمدن . أما المعنى الثانى فهو نتيجة منبعثة من تلك الدوافع والمؤثرات ، وهو يتسع ويضيق بحسب نشاط الأمة وميزاتها الطبيعية ، وكفايات أبنائها ومسايرة الحظ لها ، يحفظها من الاصطدام بعقبات الدهر التى ليست فى الحسبان .

ونخرج من هذا الفصل أن الأدب يتنوع من حيثيات مختلفة ، فهو أدب بالمعنى العام (الأدب العام) وأدب بالمعنى الخاص (الأدب الخاص) . وهذا النوع ذو فروع فهو أدب اجتماعى ، وأدب دينى ، وأدب مدنى ، وأدب ريفى ، وهكذا . واذا تسامحنا ولم نشترط فى هذا النوع من الأدب كون التعبير جاريا على الاسلوب البليغ ، فان الأنواع تزداد عددا ، فهناك حينئذ الأدب العامى والأدب البدوى ، وهكذا .

وها انى أقدم صورا من أدب بيئة من تلك البيئات ، من نثرها ونظمها ، تتجلى فيها أفعال البيئة وتأثيرها ، وأعمد فى هذه الصور الى المشهورين من الأدباء ، ناظرا فى ذلك الى المفهوم الخاص للأدب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النظم :

القاضى الأرجانى من أدباء القرن السادس :

أتى لى وقد ساويته فى نحوله ... خيالى لما لم يكن لى راحم
فدلس بى حتى طرقت مكانه ... وأوهمت الفى أنه بى حالم
وبتنا ولم تشعر بنا الناس ليلة ... أنا ساهر فى جفنه وهو حالم

تقول للبدر فى الظلماء طلعته ... بأى وجه اذا أقبلت تلقانى ؟
وجه السما لى مرآة أطالعها ... والبدر وهنا خيالا فيه لاقانى
لم أنسه حين أبكانى وأضحكه ... وقوفنا حيث أرعاه ويرعانى
كل رأى نفسه فى عين صاحبه ... فالحسن أضحكه والحزن أبكانى

فانظر الى ما فيه من اغراق فاق الاغراق الذى عيب به المتنبى فى قوله :

كفى بجسمى نحولا انى رجل ... لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

الثعالبى :

صاحب فقه اللغة ويتيمة الدهر ، وهو من أدباء القرن الخامس :

ياسيدا بالمكرمات ارتدى ... وانتعل العيوق والفرقدا
مالك لا تجرى على مقتضى ... مودة طال عليها المدى

الخازن :

من القرن الرابع ، يعتذر الى الصاحب بن عباد :

لنار الهم فى قلبى لهيب ... فعفوا أيها الملك المهيب
فقد جاز العقاب عقاب ذنبى ... وضج الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرة مهج القوافى ... وغصصها التذلل والنحيب
وقد فصمت عراها واعتراها ... لسخطك بعد نضرتها شحوب
تجاوزت العقوبة منتهاها ... فهب ذنبى لعفوك ياوهوب
صببت على سوطا من عذاب ... يذل لبأسه الدهر الغلوب
وأرهقنى نكيرك لى صعودا ... من الأشجان ليس له صبوب
عليك أنيخ آمالى ، فرحب ... بها ، واليك من ذنبى أتوب

النثر :

الخازن يكتب للصاحب :

كتابى أطال الله بقاء الأستاذ سيدى ومولاى من الحضرة التى نرحل عنها اختيارا ونرجع اليها اضطرارا ، ونسير فى فنائها اذا أبطرتنا النعمة ، ثم نعود الى أرجائها اذا أدبتنا الغربة ، ومن لم تهذبه الاقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن فى هذا ، ولكن الشأن فى عشر سنين فاتت بين علم ينسى ، وغم لايحصى ، وانفاق بلا ارتفاق ، وأسفار لم تسفر عن طائل ولم تغن عنى بريش طائر ، وبعد عن الوطن على غير بلوغ الوطر ، ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر ، أتلو والعصر ان الانسان لفى خسر .

الصاحب بن عباد فى رسالة له :

نحن وحياتك فى مجلس راحه ياقوت ، ونوره در ، ونارنجه ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، يحملهما زبرجد ، وألسنة العيدان تخاطب الظراف بهلم الى الأقداح . لكنا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وعباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون الينا أسرع من الماء فى انحداره ، والقمر فى مداره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى أخرى :

نحن ياسيدى فى مجلس غنى الا عنك ، شاكر الا منك ، قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت خدود البنفسج ، وفاحت مجامر الأترج ، وفتقت فأرات النارنج ، وانطلقت ألسنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، ونفقت سوق الأنس ، وقام منادى الطرب ، وطلعت كواكب الندامى ، وامتدت سماء الند . فبحياتى لما حضرت لنحصل بك فى جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد .

الثعالبى يقول فى الصاحب :

هو صدر المشرق ، وتأريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع الفضل والاحسان ، وكانت حضرته محط رجال الأدباء والشعراء ، وموسم فضلهم ومنزع آمالهم . ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جلب اليه من الآفاق وأقاصى البلاد كل خطاب جزل وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام وبدائع الافهام ، ومجلسه مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم وثمار الخواطر ودرر القرائح .

* * *

فاذا ما قارنا مثل هذه النماذج بأمثالها من رسائل ومقالات وشعر من أمثال الجاحظ ولسان الدين بن الخطيب وابن زيدون وابن نباته وأضرابهم من أدباء البيئتين الصحراوية والبحرية ، يظهر الفرق واضحا كل الوضوح . ولا حاجة الى الرجوع الى العصور البعيدة ، بل ارجع البصر فى عصرنا الحاضر الى أدب العراق ، وأدب مصر ، وأدب لبنان ، وأدب المهجر ، تجد الفروق واضحة بارزة ظاهرة من حيث المواضيع والديباجة والمغازى والأسلوب ، رسمتها بواعث البيئة .

هذا وليس فى وقتى سعة للتبسط والاسهاب فى بحث الموضوع ، وفيما سمح لى الوقت به من هذه الكلمة أكتفى بتوضيح الفكرة التى أرمى اليها ، وعرضها على أنظار الأدباء ، عسى أن تلقى قبولا ثم تحضرا ، ثم عملا ، ثم انتاجا ؛ ومن الله التوفيق .

منير القاضي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرأة والرجل

المرأة والرجل محور الحياة ووحدة المجتمع ، والبحث فيهما من أهم المواضيع الحيوية ، التى تؤدى الى الاستقرار والسعادة فى الحياة وتجعلها نعيما لا جحيما ، وبالرغم من كثرة البحوث فى هذا الموضوع الحيوى فلا يزال معظم الناس متأثرين بالخرافات والتقاليد والشائعات ، يجهلون كثيرا من حقائقه الأساسية • ولا ظرف أنسب من الظرف الحاضر للبحث فى مشكلات المرأة والرجل ، لأن المرأة وعت حقها فى الحياة وشعرت بالغبن الذى أصابها فى الماضى والحاضر ، فوثبت وثوب اللبوءة للدفاع عن حقوقها ، وأخذت تنفض عنها ذل الماضى ، وخرجت عن العرف والتقاليد والاوضاع التى حرمت عليها ما أحلته للرجل •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التنافس بين الرجل والمرأة قديم منذ عهد الخليقة ، وقصة آدم وحواء ، قصة اغواء المرأة للرجل ، رددتها الكتب المقدسة والأخبار ، واتخذها الرجل حجة للحط من كرامة المرأة ونسبة الشر اليها •

كان العالم فى الماضى ولا يزال فى الحاضر عالم رجال ، فلهم الحول والطول والأمر والنهى ، وقد رفع الرجل المرأة الى الأوج حينا ، وانزلها الى الحضيض حينا ، ونعتها بأشنع النعوت ، وجعلها مصدر الشر •

قال كونفشيوس : يختلف النساء عن الرجال اختلاف الأرض عن السماء ، حقا انهن بشر ، ولكنهن من طبقة أحط من طبقة الرجال • ومن الطبيعى أن تكون المرأة عديمة الارادة وتحت سيطرة الرجل • ومن أقوال « هبونكس Hyponax » الشاعر الاغريقى الشهير : تسعد المرأة الرجل يومين فى حياتها ، يوم زفافها ويوم وفاتها • ومنذ زهاء ألفى سنة وصف العالم الرومانى الطبيعى « بلينيوس » المرأة فى وقت الحيض الوصف الآتى :

ان لمسها أو وجودها يحول الخمر خلا ، ويتلف المحاصيل الزراعية ، ويميت البذور

النباتية ، ويخرب الحدائق ، ويسقط الأثمار من اشجارها ، ويذهب حدة المواسى ، ويقتل النحل ، ويبيد الصراصر !

وقال نيتشه : وظيفة المرأة مسرة الرجل وجعل حياته مريحة ومرضية • وقال المصلح البروتستانتى الشهير (لوثر) : اذا تعبت المرأة من الحمل ولو ماتت فلا بأس فى ذلك لأنها خلقت للولادة •

وقد حط الفيلسوف الألمانى شوبنهور من قدر المرأة ، وخطأ الشرائع التى ساوت بينها وبين الرجل •

ويطول بنا الكلام اذا أردنا أن نسرد أقوال الرجال والنساء أيضا ، وآراءهم فى المرأة ، وقد تأثر رجال عصرنا بهذه الروح ، روح التحامل على المرأة ، ووسموها بأشنع الصفات ، فالكاتب الذائع الصيت عباس محمود العقاد ، جرد المرأة من كل صفة حسنة تقريبا فى كتابه « هذه الشجرة » ، ومما قاله فيها : « المرأة مزودة بوسائل الغواية ، موكلة بالمخالفة والخداع • هى تغوى لأنها ينبغى أن تراد ، ولا ينبغى أن تريد ، وهى تشتهى المخالفة لأنها تؤمر وتنهى ، أو لأنها رهينة بارادة الآخرين » •

وقال بصدد البحث عن الجمال : « جسم المرأة جسم تابع ، وليس بالجسم المستقل الذى لا ينظر الى تكوين غيره ، وجسم الرجل جميل التكوين لذاته ، لا لأنه منظور فيه الى مخلوق آخر يتوقف عليه » •

وقال فى بحثه عن الجنس : « الرجل حى النزعة فى مجمل صفاته ، والمرأة نباتية النزعة فى مجمل صفاتها » •

ويستغرب الانسان هذه الآراء الغريبة التى تحتاج الى كتاب خاص لادحاضها ، وقد جعل خواص الرجال وعوامهم المرأة موضع السخرية والتهكم فى احاديثهم ومباذلهم ، والمثل السائر : « فتش عن المرأة » معروف عندنا • وكذلك يعير الرجال بعضهم بعضا بعقل المرأة وتقلبها وعدم محافظتها على الأسرار ، وغير ذلك من ضروب التحامل والتجنى عليها •

فلا غرو أن تثور النساء على الرجال ثوران البراكين ، ويشهرن السلاح لاسلاح العيون والوجوه والقدود ، بل سلاح العلم والعمل والجهود •

ونحن لن نتناول فى بحثنا بواعث الثورة النسوية وأهدافها ونتائجها ؛ لأن هذا موضوع قائم بنفسه ، ولكننا سنبحث عن خصائص المرأة وخصائص الرجل الطبيعية لنتبين ان كان فى طبيعة كل منهما مؤهلات خاصة تميز كل جنس عن الجنس الآخر ، وهل من مصلحة المرأة والرجل والمجتمع أن تهجر المرأة البيت وتغزو الأسواق التجارية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحقول الزراعية وقاعات المحاكم وغرف العمليات ودور الصناعة وساحات القتال ؟ وهل من الممكن تطبيق المساواة التى تنشدها المرأة وتكافح فى سبيلها مكافحة المستبسل ؟ وسنحاول أن نكون فى دراستنا بعيدين عن التحامل كل البعد ، وندرس هذا الموضوع فى ضوء العلم الصحيح لنتوصل الى حل معقول .

وأول سؤال يتبادر الى أذهاننا « أتوجد فروق أساسية بين المرأة والرجل ينتج عنها فروق فى الحياة العملية ، أم هذه الفروق عارضة لادخل لها بوظيفتهما فى الحياة ؟ » .

يحكى أن فتاة كانت تتفرج على معرض التماثيل فى قاعة بلندن ، وقد رافقتها والدتها ، ولما نظرت الى تمثالى آدم وحواء ، التفتت الى والدتها وسألتها « أيهما آدم وأيهما حواء . . . ؟ » ، فأجابتها والدتها « ألا تستطيعين التمييز ! » ، فأجابت الفتاة : « كلا ، انهما عاريان » .

هذا ما يعرفه ويفهمه الناس من الفروق الخارجية بين الذكر والأنثى : الشعر الطويل ، والخصر النحيل ، والوجه المستدير ، والصوت الرقيق ، وغير ذلك من الاوصاف التى تميز الأنثى عن الذكر ظاهرا .

وفى سنة ١٩٢٣ أصدر الألمانيان « Mathilde & Mathias Vaerting » كتابا موضوعه : (الجنس السائد) زعما فيه أن لا فرق بين الذكر والأنثى ، وأن الفروق بينهما نشأت من ارتباط كل جنس بجنسه ، وعزوا هذه الفروق الى سيادة الرجل المرأة ، وادعيا أنها ستزول بزوال الأيام ، فيسود بها الجنس . (ونظرة الى اناث الحيوانات وذكورها ، واناث البشر وذكورها ، تدحض هذه السفسطة) .

فلنبحث بحثا موجزا سهلا عن معنى الجنس أى كيفية تكوين الأنثى ، وتكوين الذكر ، لأنه المفتاح الأول لبحثنا والأساس الذى ترتكز عليه فروق الجنس .

جسم الانسان مركب من ملايين ملايين الخلايا المجهرية ، وفى كل خلية عدا قليل منها نواة فيها جسيمات تسمى (المورثات) « Chromosomes » وهى التى تكسب الانسان صفاته الجسدية والعقلية والنفسية ، فالانسان يخلق طويلا أو قصيرا ، أسود أو أبيض ، ذكيا أو بليدا ، عصبى المزاج أو هادئه ، بتأثير هذه المورثات ، وهى التى تخلق الرياضى والموسيقار وصاحب الفن وغير ذلك من الصفات الوراثية ، التى يتمتع بها البشر . وهذه المورثات نوعية فى النبات والحيوان والانسان ، أى فى كل منها نوع خاص من المورثات ، وعددها فى الانسان ٤٨ مورثا . فلو نظرنا فى المجهر الى خلايا أجسامنا ، لرأينا فى كل منها ٤٨ من هذه الجسيمات الصغيرة التى انطوى فيها العالم الأكبر ، خلا النطف الجنسية التى يكون فيها نصف هذا العدد كما سنوضح ذلك ، وكل مورث مركب من وحدات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

متناهية الصغر تسمى (العوامل الوراثية أو جينس) ، وتكون هذه المورثات أزواجا أزواجا فى جسم الانسان ، أربعة وعشرين زوجا فى الأنثى وأربعة وعشرين فى الذكر ، وهذه المورثات مختلفة الأشكال والحجوم ، وفى عدد العوامل الوراثية الموجودة فيها ، وكل زوج فى الأنثى يحمل نفس العوامل الوراثية التى فى الزوج الذى يقابله فى الذكر ، ومن بين هذه المورثات مورث يمتاز عن اقرانه بكبر حجمه وعدد العوامل الوراثية الموجودة فيه ويسمى المورث (جـ أو ×) [١] ،وهو الذى ينقل صفات مهمة جدا ، ولما كان هو الذى يعين الجنس سواء أكان ذكرا أم أنثى سمى (المورث الجنسى) • ويكون مزدوجا فى خلية الأنثى ومفردا فى خلية الذكر ، ففى خلية كل أنثى ٤٦ مورثا اعتياديا ومورثان جنسيان ، وفى خلية كل ذكر ٤٦ مورثا اعتياديا ومورث جنسى واحد × ورفيق آخر له يسمى (ى أو Y)، وقبل أن تلقح نطفة الذكر نطفة الأنثى تمر كل نطفة بدور يسمى (دور النقصان) تفقد فيه نصف المورثات الموجودة فيها • ولما كانت المورثات الموجودة فى نطفة الذكر ٤٨ منها ٤٦ اعتيادية ومورث جنسى واحد وآخر Y فهى تنشطر شطرين ، شطرا فيه ٢٣ مورثا اعتياديا ومورث جنسى واحد ، وشطرا فيه ٢٣ مورثا اعتياديا ومورث يسمى (ي أو Y) •

وتحدث لنطفة الأنثى العملية نفسها أى تفقد نصف المورثات الموجودة فيها ، فتنشطر أيضا شطرين شطرا فيه ٢٣ مورثا جنسيا اعتياديا ومورث جنسى واحد (ج أو ×) ، والشطر الآخر فيه مافى الأول ، ففى كل شطر من شطرى نطفة الأنثى مورث جنسى حين لايوجد هذا المورث الا فى شطر واحد من شطرى نطفة الذكر ، اذن تكون الحيوانات المنوية على نوعين ، نوع فيه مورث جنسى واحد ، ونوع فيه المورث Y وهو صغير وضئيل الأثر فى أغلب الأحيان •

ونتوصل بهذه الحقائق الى سر الذكور والأنوثة أو تكوين الصبى والبنت • فاذا لقحت الحيوانات المنوية ، التى تحمل المورث الجنسى وفيها نصف عدد المورثات ، البيضة التى تحمل أيضا نصف عدد المورثات ، وبها مورث جنسى ج × يتكون كائن فيه العدد الكامل للنوع وهو ٤٨ مورثا جنسيا ، منها ٤٦ مورثا اعتياديا ومورثان جنسيان × ، ويكون أنثى ، لأن وجود المورثين الجنسيين مختص بالأنثى ، واذا لقحت الحيوانات المنوية التى فيها Y البيضة التى فيها × يتكون كائن فيه ٤٦ مورثا اعتياديا ، ومورث جنسى واحد وآخر Y أى ذكر • وباللحظة التى تلقح فيها نطفة الذكر نطفة الأنثى يتعين نوع الجنس أذكر هو أم أنثى ، وتبدأ الخلية الملقحة بالانقسام المطرد ، فتنقسم هى نفسها الى

(١) اشارة الى الجنس •

خليتين ، والخليتان الى أربع ، والأربع الى ثمان ، حتى يكتمل نماء الجنين ، ويكون فى كل خلية نفس عدد المورثات التى فى الخلية الأولى أى لايحدث نقصان فيها كما حدث فى نطفتى الذكر والأنثى .

فالذكورة والأنوثة تتوقفان على وجود مورث جنسى واحد فى الحالة الأولى ومورثين جنسيين فى الحالة الثانية[١] .

ونتوصل بما مر ذكره الى حقيقتين أساسيتين ، الأولى أن نصف الانسان من الأب ونصفا من الأم ، ففى كل امرأة نصف رجل وفى كل رجل نصف امرأة . والحقيقة الثانية : أن تكوين الجنس يتوقف على نطفة الذكر لا على نطفة الأنثى ؛ لأن فى نطفة الذكر مورثا جنسيا واحدا ، فاذا لقح نطفة الأنثى يتولد كائن فيه مورثان جنسيان ، أى أنثى ، واذا لقح نطفة الأنثى حيوان منوى خال من المورث الجنسى وفيه المورث Y يكون الجنين ذكرا . فالرجال هم الذين يكونون الذكر أو الأنثى ولا لوم على النساء بذلك ، ويجنى الرجال على النساء بنسبة ولادة البنات اليهن فان كان من ولادتهن ملامة فهى على الرجل لا على المرأة .

وفى اللحظة التى يتم فيها التلقيح يتعين مصير الجنين ، فيسلك فى نمائه سلوكا خاصا اذا كان ذكرا وسلوكا آخر اذا كان أنثى . يكون طول الجنين فى الاسبوع الرابع نحوا من سنتمتر واحد وتظهر فيه طلائع الجنس ، ويظهر فى الاسبوع السادس حينما يصبح طول الجنين نحوا من ٣ سم بروز هو بواكير أعضاء التناسل ، ولا يمكن تمييز الأنثى عن الذكر فى هذا الدور . ومن الأمور المهمة فى تكوين الأجنة أن أعضاء تناسل الذكور تظهر قبل أعضاء تناسل الاناث : تكون المنطقة التناسلية قبل الاسبوع السادس منطقة حيادية ، وتبدأ فى الاسبوع السادس أو السابع أعضاء الذكر بوضوح اذا كان الجنين ذكرا ، ويضمر الجزء المختص بالأنوثة ، ويحدث عكس ذلك اذا كان الجنين أنثى فينشط الجزء الأنثوى ويضمر الجزء الذكرى من المنطقة الجنسية ، فأعضاء تناسل الذكر تظهر بين الاسبوع السادس والسابع مع أن أعضاء الأنثى التناسلية يتأخر ظهورها الى الاسبوع الثانى عشر . ونقول بعبارة أخرى ان أعضاء تناسل الذكور تظهر قبل أعضاء تناسل الاناث بما يقرب من ستة أسابيع ، والعامل فى النماء الجنسى هو مفرزات الغدد الجنسية : البيض والخصيتين ، وتنشط مفرزات الأنثى أكثر من مفرزات الذكر فى الجنين الأنثى ، وعكس ذلك فى الجنين الذكر ، وليست المفرزات الجنسية هى التى

(١) لوح ١

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تؤثر وحدها فى تكييف الجنين ، بل هناك مفرزات أخرى تأتى من الغدة الدرقية الموجودة فى مقدمة العنق ، ومن الغدة النخمية الموجودة فى الدماغ ، ومن الغدة الكظرية الموجودة فى قمة الكلية ، ولا يسع المقام تفصيل تأثير هذه الغدد .

قلنا ان أعضاء تناسل الذكور تظهر قبل اعضاء تناسل الاناث ، ويحدث عكس ذلك فى تكوين الجهاز العظمى ، الذى يتكون فى الاناث أبكر من الذكور .

تكون عظام الجنين قبل الشهر الخامس من تكوينه بشكل قالب من غضاريف ، وتبدأ بالتعظم (أى التحول الى عظام) قرب الشهر الخامس فما بعد ، وتتعظم الغضاريف فى الأنثى بين الاسبوع الثامن عشر والعشرين أى بين الشهر الرابع والخامس ، ويتأخر تعظم غضاريف الذكر نحوا من شهر الى شهرين عنه فى الأنثى . ومعنى ذلك أنه يتم تكوين عظام الانثى قبل عظام الذكر بشهر أو شهرين ، وتكتمل كذلك بقية أعضاء جسم الأنثى قبل أعضاء الذكر ، ولكن ليس بنفس السرعة التى يكتمل بها الهيكل العظمى .

فاذا كان تكوين الجنين الأنثوى قبل الجنين الذكرى ، فيجب أن تولد الأنثى قبل الذكر ، وأن تكون مدة حملها أقصر من حمل الذكر ، وهذا هو الواقع . وقد تمكن العلماء فى أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية من تعيين مدة الحمل بالضبط ، وعرفوا ذلك من الجنود الذين يرخص لهم فى العودة الى أوطانهم لمدة قصيرة ، فيجامعون نساءهم مرة واحدة ويرجعون الى ساحات القتال ، وقد وجد الطبيب الالمانى « Sergel » سنة ١٩٢١ أن متوسط مدة حمل الذكور ٢٧٦ر٦ يوما والاناث ٢٦٧ر٦ يوما ، ووجد الطبيب الانكليزى « Ewart » أن البنات يولدن بمعدل ستة أيام قبل الأبناء ، ويصدق الشىء نفسه على اناث الحيوانات والحشرات وذكورها مما لامجال لتفصيله الآن .

والاعتقاد السائد أن الذكور أسبق نماء من الاناث ، لاتؤيده الحقائق العلمية ، فقد ذكر ارسطاطاليس أن الذكر يتكون فى رحم أمه فى اليوم الثالث عشر والأنثى فى اليوم الخامس والأربعين . وقد ذهب الناس مذاهب شتى فى تمييز الذكر عن الأنثى فى أثناء الحمل ، فقالوا ان وجه الأم يكون أكثر بشرا فى الجنين الذكر وتكون الحامل ثقيلة الخطا فى الذكر ، وان حركة الجنين تكون فى الذكر أبكر من الأنثى ، والحقيقة عكس ذلك ، ولا يوجد لحد الآن طريقة تميز الذكر عن الأنثى فى رحم الأم سوى أشعة × أو « بفحص » دم الحامل وبولها .

والثابت باجماع الاحصاآت العالمية أن عدد الذكور والاناث متساو تقريبا بالرغم من أن نسبة ولادات الذكور أكثر من نسبة ولادات الاناث ، فكيف نوفق بين هذه الحقيقة والحقيقة الأولى فى أن العدد متساو فى الفريقين ؟ من الثابت فى كل الاحصاآت

أن نسبة ولادات الاناث ١٠٦ ذكور لكل ١٠٠ أنثى ، وقد ذهب العلماء فى تعليل هذه النسبة مذاهب شتى ، ولا نطيل بسرد النظريات ، بل نسرد نظرية واحدة تغنينا عن سائرها .

قلنا ان فى خلايا الأنثى مورثين جنسيين وفى خلايا الذكر مورثا جنسيا واحدا × وآخر Y، فمن الممكن أن تكون الحيوانات المنوية التى فيها المورث ى Y أسرع من الحيوانات الأخرى فتصل قبلها الى نطفة الأنثى فتلقحها ويكون الجنين ذكرا لأن النطفة تحتاج من ملايين الحيوانات المنوية التى يخرجها الذكر الى حيوان واحد لتلقيحها ، ومتى لقحها يسد الطريق فى وجه ملايين الحيوانات الأخرى التى تلاقى حتفها فى هذه المعركة الدامية ، معركة الموت والحياة . وهذه الصفة وراثية ، فنرى بعض النساء لايلدن الا ذكورا ، وغيرهن لايلدن الا اناثا ، فاذا كان عدد الذكور الذين يولدون يربى على عدد الاناث فلماذا يتساوى الجنسان ؟ والجواب عن ذلك : أن فى خلايا الأنثى مورثين جنسيين ، وفى خلايا الذكور مورثا جنسيا واحدا كما ذكرنا ، وتمتاز المورثات الجنسية عن سائر المورثات بأنها أكبر حجما وفيها عدد من العوامل الوراثية أكثر من غيرها ، ومن جملة العوامل التى تحملها : عامل طول العمر ، ولما كانت فى الاناث ضعف عدد الذكور ، فهى بصورة عامة أطول عمرا وأكثر مناعة ضد قسم من الأمراض فى الذكور ، وتذكر الاحصاآت أن متوسط وفيات الاناث ٢٥ ٠/٠ أقل من الذكور ، ويعد بعض العلماء طول العمر من الصفات الجنسية الثانوية فى الاناث ، وكان متوسط العمر الذى عاشه الذكور سنة ١٩٠٠ « ٤٨ر٢ » والذى عاشه الاناث ٥١ ٠/٠ وبلغ متوسط عمر الذكور فى سنة ١٩٤٢ « ٦٣ر٦٥ » ، والاناث « ٦٨ر٦ » .

ان وفيات الأجنة الذكور فى بطون امهاتهم أكثر من وفيات الأجنة الاناث وتقدر النسبة بـ ١٢٧ وفاة جنين ذكر ، لكل ١٠٠ وفاة جنين أنثى ، واذا اعتلت صحة الأم فى اثناء الحمل يتعرض الذكر للموت اكثر من الأنثى ، واذا تحسنت صحتها ترتفع نسبة ولادة الذكور الأحياء ، لأن مناعة الذكور كما بينا أضعف من مناعة الاناث ، وتؤيد الاحصاآت الحديثة هذه الحقيقة ، فان نسبة الذكور للاناث فى الامهات اللاتى سنهن بين ١٨ ـ ٢٠ بلغت ١٢٠ صبيا لكل ١٠٠ بنت ، واللاتى سنهن بين ٣٨ ـ ٤٠ ، ٩٠ صبيا لكل ١٠٠ بنت ، فلما كانت المرأة أكثر فتوة وصحتها جيدة ، كانت أقرب لولادة الذكور من الاناث .

وهناك ظاهرة تستلفت النظر وهى أن نسبة ولادة الذكور تزداد عادة بعد الحرب ، فقد ازدادت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية ، فازدادت ٢١ ٠/٠ فى الحرب الأولى . بلغت النسبة فى المانيا ١٠٨ر٥ ذكور ـ ١٠٠ أنثى ، وبلغت فى انكلترة بعد

الحرب العالمية الثانية ١٠٧ ذكور ـ ١٠٠ أنثى أى بزيادة ٥ر١ ٠/٠ على الاوقات الاعتيادية.

وقد ذكر العلماء اسبابا كثيرة فى تعليل ذلك : (١) منها كثرة الفتيات الصغار السن اللاتى يتزوجن باكرا فيرتفع متوسط ولادة الذكور لأن صحة الأم الفتية تكون غالبا جيدة .

(٢) ازدياد نسبة الولادات الجديدة « First births » زيادة كبيرة ، فلا تكون الأم قد نهكها الحمل والوضع بعد ، فتكون الظروف أنسب لولادة الذكور .

(٣) يكون أزواج كثيرات من النساء فى ساحات القتال ، فيسترحن من عناء الحمل وتتحسن صحتهن ، ويعيش الذكور فى بطونهن ، وتزداد نسبة ولادتهم . ويميل العلماء الى الأخذ بالنظريتين الأولتين ، ونضرب صفحا عن النظريات الأخرى . وتكون ولادة الذكور وراثية فى بعض الأسر ، وقد مر بنا تعليل ذلك .

يتضح لنا مما تقدم أن الذكور أقل مقاومة من الاناث فى بطون امهاتهم اذا كان محيطهم الداخلى غير ملائم لهم . ويموت عدد منهم أكثر مما يموت من الاناث ، ويتعرض الذكور بعد الولادة لشتى الامراض ، ويخوضون الحروب فينقص عددهم ويتساوى الجنسان .

نعود الآن الى تطور الأنثى والذكر : يكون نماء الأنثى فى الدور الأول من الحياة أسرع من نماء الذكر ، خلا اعضاء التناسل التى مر ذكرها ، وتبلغ البنت أبكر من الصبى ، فهى تبلغ حوالى السنة الثالثة عشرة من العمر ، ويبلغ الصبى حوالى السنة الخامسة عشرة ، ولا ينمى الهيكل العظمى فى الاناث قبل الذكور فقط ، بل الاناث يسبقن الذكور فى نماء كافة اعضائهن ، ولكن عظام الذكور تكون أكبر حجما وأثقل وزنا بحكم الوراثة ، ولهذا يزيد وزن الذكور على وزن الاناث بعد الولادة نحوا من ٤ ٠/٠ ، والذكور أثقل وزنا وأطول قائمة بصورة عامة من الاناث ، ولكن نماء الجسم أسرع فى الاناث منه فى الذكور . ويجب ان نفرق بين العمر الزمنى وهو العمر مقدرا بالسنين ، والعمر الاحيائى (البيولوجى) الذى يقدر بالوزن والحجم ، والنضج العقلى ، فقد يتساوى الذكر والأنثى بالعمر الزمنى ويختلفان فى العمر الاحيائى ، فحينما يكون عمر الصبى والبنت سنتين ، تكون البنت أكبر من الصبى احيائيا بستة اشهر ، وفى سن الخامسة تكون البنت أكبر من الصبى أحيائيا بسنة واحدة ، وحينما تصل الى سن المراهقة فى سن الثلاثة عشر عاما تكون أكبر من الصبى بسنتين . ونأتى بمثال آخر من عالم الحيوانات فان جرو القطة الذى يكون عمره الزمنى يوما واحدا يعادل احيائيا عمر صبى وبنت عمرهما سنة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان عظام الذكور تكون أثقل وأعرض وأطول نسبيا من عظام الاناث ، وعضلات الذكور أكبر وأقوى من عضلات الاناث ، وهذه الحقيقة تدلنا على أن الذكر أقوى من الأنثى جسديا بصورة عامة ، والأنثى لاتستطيع أن تجاريه فى الأعمال التى تحتاج الى قوة جسدية . وسنتطرق الى هذا الموضوع حين بحثنا عن توزيع الأعمال بين الرجل والمرأة . ومما يلفت النظر ، ان نساء أوزان الذكور وطولهم يكونان غير منتظمين فى الذكور ومنتظمين فى الاناث (راجع جدول الطول والوزن) .

« تصير حنجرة الصبى أكبر من حنجرة البنت منذ السنة الثالثة ، وأوتاره الصوتية أسمك وأطول منها فى هذا العمر ، ولهـذا يكون صوته أعلى من صوتها « أخشن » . ويستطيع المتخصصون تمييز عظام المرأة والرجل بعد آلاف السنين ١٠٠/١٠٠ ، وتكون هذه الفروق أبرز فى الانسان البدائى ، وقلما يخطئون فى تمييزها ، واذا ميزوا جزءا منها يستطيعون بسهولة تمييز الأجزاء الباقية ، وتكون أبرز الفروق فى الحوض ، فحوض الأنثى أبرز نسبيا من حوض الذكر ، ولكنه أعمـق من حوضهـا ، وأثقل وأقوى ، وحوض الأنثى أعرض من حوض الذكر ، ومفـارز العضلات أبرز فى الذكر من الأنثى ، وعجز الرجل أعلى وأضيق وأقل ميلانا من عجز الأنثى .

وتختلف جمجمة الذكر عن الأنثى بكبر قبتها ، وكبر عظام الخدين والصدغين والأنف ، وجبهة الذكر أبرز من جبهة الانثى ، وجبهة الأنثى منتصبة أكثر من الذكر ، والمسافة بين الأنف والعينين أبعد فى الأنثى منها فى الذكر .

عظام الذكر	عظام الأنثى
الجمجمة : قبة تحف الرأس أكبر	أملس وأكثر استدارة منها عند الذكور
الحرف أثخن من الأنثى	
الأنف أبرز من الأنثى	
عظم الجذع أعلى	
الأسنان أكبر بصورة عامة وخاصـة الأنياب	
الذقن مربع وأبرز والحنك أثخن	مستدير
الحـوض : أثخن وأثقل وأعرض	أضيق من حوض الذكر
عظام العجز : قد تكون أكثر من خمس قطع	
العظام الطويلة : الأطراف أثقل فى الذكر	
مفارز العضلات أعمق	

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عظام الذكر	عظام الأنثى
العظام أثخن	
الرجل المتوسط	المرأة المتوسطة
أطول من الأنثى بنحو من ٦ بالمائة وأثقل ٢٠ بالمائة	
شعر الرأس : أقصر من الأنثى ويتساقط كلما تقدم سنا .	أطول وأبقى
شعر الوجه : ينمى طول الحياة	ضئيل جدا ولا يرى عادة الا فى الشيخوخة .
تقاطيع الوجه : الجبهة أبرز ، الخنك أكثر تربيعا ، الأنف والأذن والأسنان أكبر من الأنثى ، الوجه أكبر وأطول	أنحف ، الوجه أكثر استدارة وأعرض ، الرأس أكثر استدارة نسبيا ، العينان مفترقتان أكثر من الرجل .
الرقبة : أغلظ . الحنجرة أكبر وأطول نحو الثلث	أكثر استدارة .
الكتفان : أعرض وأكثر تربيعا	أكثر استدارة وأملس وأكثر انحدارا .
الصدر : أكبر وأوسع فى الجهات الأربع	
العضلات : أكبر وأظهر وأبرز على سطح الجسم	تغطيها طبقات الشحم وتخفى شكلها .
الثديان : أثريان فى الذكر	كبيران ، الحلمتان وما يحيط بهما أكبر .
شعر الجسم : أكثر وضوحا فى الذكر وخاصة فى الصدر والذراعين .	ضئيل وخفيف جدا .
شعر العانة : يتجه الى الأعلى ويكون بشكل مثلث	عرضى ويتجه الى أسفل .
الذراعان : أطول وأغلظ فى الذكور .	
زاوية المرفق مستقيمة	زاوية المرفق منحنية
الوركان : أضيق .	أعرض وأكثر استدارة
اليدان والقدمان : أكبر ، والأصابع والأباهم أثقل وأقوى وأقل حدة .	

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

	الرجل المتوسط	المرأة المتوسطة
الأفخاذ :	اسطوانية الشكل أكثر ، والعضلات بارزة فيها •	مخروطية الشكل أكثر وأعرض من قمتها ولكنها أقصر •
الساقان :	أطول من الاناث ، الجزء الخلفى أبرز •	أقصر نسبيا وأكثر استدارة
زاويتا الفخذ والساق :	مستقيمتان •	منحنيتان •

يكمل النماء فى نحو ٢٤ سنة من العمر • يكمل النماء فى نحو ٢٠ سنة من العمر •

ان عضلات الرجل أكبر وأقوى من عضلات المرأة ، وعضلات المرأة أصغر حجما من عضلات الرجل بنحو الثلث ، والشحم فى عضلات المرأة أكثر من شحم عضلات الرجل ، وهو سر استدارة أعضائها ونعومتها وتحملها للبرد ، وهذا الفارق يجعل الرجل أخف حركة وأكثر نشاطا ، وعضلات المرأة أطول بالنسبة الى جسمها من عضلات الرجل •

وجلود النساء أرق بصورة عامة من جلود الرجال ، وأطرى منها بسبب كثرة الشحم تحتها ، وتختلف أسرة الكفين (خطوط الكفين) اختلافا بارزا فى الجنسين ، فان أسرة كف المرأة مستديرة وأسرة كف الرجل منحنية ، ويستعان بهذه الأسرة على اثبات الشخصية فى الأدلة الجنائية وهى ما يعبر عنه ببصمات الأصابع •

وشعر رؤوس الاناث أنعم وأنعم وأكثر منه فى الذكور فى المقطع العرضى ، وشعر الحاجب أكثف فى الذكور منه فى الأناث ، وتكون أحشاء الصدر كالقلب والرئتين أكبر نسبيا فى الذكور من الاناث ، وكذلك أحشاء البطن ، وسعة الرئتين أكبر فى الذكور منها فى الاناث ، ويقال ان معد النساء أكبر من معد الرجال ، وأمعاءهن أطول من أمعاء الرجال ، وأكبادهن أكبر من أكبادهم •

الدماغ :

نقتصر هنا على تركيب الدماغ ، وسنذكر فروق الذكاء بين الاناث والذكور فيما بعد • ان وزن دماغ الذكور أكثر من وزن دماغ الاناث وحجمه أصغر من حجم دماغين ، ولكن أدمغة النساء مساوية لأدمغة الرجال بالنسبة الى أحجام أجسامهن ، وحجم الدماغ مركز الفعاليات العقلية أقل فى النساء منه فى الرجال ، ولكنه يساوى لحاء أدمغة الرجال لأنه متناسب مع حجم أدمغتهن ، ولا توجد فروق مهمة فى أجزاءالدماغ الأخرى ، ويقال ان مركز العاطفة فى النساء أكبر منه فى الرجال •

مفرزات الغدد الصم :

ان مفرزات الغدد الجنسية الداخلية هى التى تولد الفروق الجنسية الثانوية فى

الجنسين ، ويفرز الذكر منهما ضعفين ونصفا لما تفرزه غـــدد الأنثى ، وتبلغ المفرزات الأنثوية ثمانية أضعاف مفرزات الذكر ولكنها تكون غير منتظمة فى الانثى بل تصعـد وتهبط باختلاف الظروف ، فتهبط فى وقت الحيض وفى اثناء الولادة ، وتزداد فى بعض الفصول ؛ ويرى أحد الثقات فى هـذا الموضوع أن مفرزات الغـدد الجنسية تزداد فى الذكر والانثى فى فصل الربيع .

الاستهلاك الغذائى :

أنشط فى الرجال منه فى النساء ، فيستهلك الرجل طاقة أكثر مما تستهلكه المرأة ، فهو أقدر على العمل وأكثر تحملا من المرأة .

الجهـاز الدمـوى :

ان قلوب الرجال أقوى بصورة عامة من قلوب النساء ، ويدفع قلب الرجل دما الى الجسم أكثر مما يدفعه قلب المرأة ، ونبضات قلب المرأة أكثر عـددا من نبضـــات قلب الرجل ، فتبلغ فى الذكور ٧٠ـ٧٥ فى الدقيقة وفى الاناث ٧٥ـ٨٠ فى الدقيقة ، ويختلف عدد النبض باختـلاف العمر والظروف ، ويكون ضغط دم الرجال أعلى من ضغط دم النساء ، وعدد كريات الدم الحمر أكثر فى الذكور منه فى الاناث ، وهذه الكريات هى التى تنقل الأكسجين الى الجسم لحرق فضلاته ، وعددها فى الذكور نحو من خمسة ملايين ومائتى الف كرية فى المليمتر من الـدم ، وفى الاناث نحو من أربعة مـلايين وتسعمائة الف كرية فى المليمتر المكعب ، ونسبة الهيموغلوبين ، المادة التى تلون الدم باللون الاحمر ، ٩٠ ـ ١٠٠ ٪ فى الذكور و ٨٥ ـ ٩٠ ٪ فى الا ناث ؛ والمـاء فى دم المرأة أكثر منه فى دم الرجل .

مقـاومـة الأمراض :

من العقـائـد الشـائعة أن المـرأة أضـعف من الرجـل بصـــورة عـامـة ، وقد بينا أن الرجـل أصلب عظما وأقوى عضـلا من المرأة ، ولكن الرجـال يفوقون النساء بالقوة الجسدية ؛ والنساء أشد مناعة ضد الأمراض والعوارض بصورة عامة من الرجال ، فالذكر أضعف من الوجهة الاحيائية (البيولوجية) من الأنثى . ومما لاشك فيه أن الرجل أكثر تعرضا للأخطار من النســاء بسبب الحروب وبسبب طبيعة أعمالهم اليومية بالاشتغال فى المصانع والمناجم ، والتعرض للتعب الشديد ، وغير ذلك من الأمور التى تقتضيها طبيعة اعمالهم ، ولكن بالرغم من أن عدد المولودين من الذكور أكثر من الاناث فان ضريبة الموت فى الذكور أعلى منها فى الاناث ، وقد ذكرنا الأخطار المحيطية التى تعرض الرجـال أكثر من النســاء للموت ، ولكن فى الأحوال الطبيعيـة أيضـــا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكون الذكور أكثر تعرضا للموت من الاناث ، فعدد الذكور الذين يموتون أجنة (فى بطون أمهاتهم) أكثر من الاناث ؛ وقد وجد الدكتور « Antonio Ciocco » أحد المتخصصين بالصحة العامة فى الولايات المتحدة أن عدد الاولاد الذين يموتون أجنة (فى بطون أمهاتهم) أو يولدون أمواتا يربى فى الذكور على الاناث ، ويعزى ذلك الى أسباب احيائية (بيولوجية) . واذا تذكرنا أن فى مورثات الأنثى مورثين جنسيين وفى مورثات الذكر مورثا جنسيا واحدا ندرك السبب ، والمورثات الجنسية تحمل مضافا الى العوامل الوراثية صفة طول العمر ومقاومة الأمراض ، فالاناث أكثر مناعة ومقاومة للأمراض بسبب وجود مورثين جنسيين فى مورثاتهن ، والأمراض الوراثية المميتة أكثر انتشارا فى الذكور منها فى الا ناث ، كنزف الدم الوراثى (الهيموفيليا) والعمى اللونى ، والغشاوة ، وغيرها من العيوب الوراثية التى تنقلها المورثات الجنسية ، وهى تنتقل بوساطة الاناث الى الذكور ، ولا تصاب بها الاناث .

والاحصاآت المضبوطة مرآة الأمم الصافية فى مختلف مظاهر حياتها ، ولسانها الناطق بأوضاعها الحقيقية ، وليس عندنا مثل هذه الا حصاآت لندرس بوساطتها حقيقة أوضاعنا فلا بد لنا من اللجوء الى غيرنا من الأمم الراقية ممن يعنون بهذه القضايا ، ولا تختلف أحوالهم عن أحوالنا ، لا بل هم أكثر منا اهتماما بكيانهم بسبب رقيهم العلمى وتفوقهم المالى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثبت من احصاآت وفيات الأطفال فى امريكا فى سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ أن وفيات الذكور أزيد من وفيات الاناث ٠/٠ ، وكانت احصاآت انكلترا مقاربة لها . ان وفيات الأمراض السارية فى الأطفال كالحصبة والجدرى والتيفوئيد والملاريا وذات الرئة والخناق وغيرها تكون أكثر فى الذكور بصورة عامة من الاناث ، وكذلك وفيات السفلس، ولا حاجة لازعاجكم بسرد الاحصاآت المتوفرة لدينا. (راجع ص ٦٤ (N & M))

العيوب الوراثية :

ظهر من احصاآت مستشفى Belleunl العظيم للأطفال فى نيويورك أن اصابات الأمراض فى ذكور الأطفال تربى ١٥ ٠/٠ على اناثهم وبلغت أمراض الاحساس فى الذكور (alleigy) كالربو والشرى والصداع وما أشبه ذلك ضعف الاناث . ويصيب بعض العيوب العضلية الوراثية المميتة الذكور أكثر من الا ناث . ومن العيوب البارزة زيادة نسبة العمى الوراثى فى الذكور ، فيزيد عمى الصبيان بنحو الثلث على البنات ، ونسبته فى الولايات المتحدة ١ر٢٠ لكل مائة الف من الصبيان

و ٥ر١٥ لمائة الف فى البنات قبل السنة الخامسة من العمر ، وتكون هذه العيوب فى المورث الجنسى (ج أو ×) .

اللجلجة :

هى التردد فى الكلام . ان عيوب النطق أكثر بين الذكور منها بين الاناث بصورة عامة ، وقد عزاها جماعة من العلماء الى أسباب نفسية ، وعزاها غيرهم الى عيوب وراثية فى مراكز النطق فى الدماغ ، فيتأخر نضج جزء منه ويؤثر فى غدة من الغدد اللعابية .

الاصابة بالأمراض :

قلنا ان الاناث أكثر مناعة ضد الأمراض من الذكور بصورة عامة ، واذا استثنينا الحيض والولادة ولم نجعلهما من الأمراض ، فان اصابات الاناث بالأمراض أزيد منها فى الذكور بنحو ٢٥ ٠/٠ ، ولكن وفيات الذكور أكثر من وفيات الاناث ، وهاك الاحصاء الذى قام به Antonis Ciocco فى امريكا لأسباب وفيات الذكور والاناث فى اجهزة الجسم المختلفة :

الجهاز	نسبة وفيات الذكور والأناث
الدموى	يموت ٢ر٥٠ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
التنفسى	يموت ٢ر٣٤ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
العصبى	يموت ٥ر٣٣ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
الهضمى	يموت ٦ر٢٥ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
البولى	يموت ٩ر٨ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
الجلدى	يموت ٩ر١ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
العضلى	يموت ٥ر٠ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث
الغدد الصم	يموت ١٥ ٠/٠ من الذكور أزيد من الاناث

ولا نسترسل فى سرد الاحصاآت الكثيرة تجنبا للتطويل . وتزيد وفيات الاناث على وفيات الذكور بالأمراض الآتية :

المرض	نسبة زيادة وفيات الاناث على وفيات الذكور
السرطان بأنواعه	١٥ ٠/٠
البول السكرى	٦٤ ٠/٠
الجحوظ	٣٨ ٠/٠
حصى المرارة	٨٩ ٠/٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن مجموع وفيات الذكور بالأمراض المختلفة أزيد من مجموع وفيات الاناث كما ذكرنا . ومن الأمراض العقلية البارزة الجنون ، فان وفيات الاناث فيه أزيد من وفيات الذكور . وتبلغ نسبة الزيادة ٤٠ ٠/٠ ولكن الرجال أبكر اصابة به من النساء ، فيصاب الرجال به بسن ٣٠ من العمر والنساء بسن ٣٤ .

الصرع :

تكون وفيات الذكور فيه أكثر من وفيات الاناث . ان النساء أطول عمرا من الرجال بصورة عامة كما يظهر من الاحصاآت الآتية :

السنة	متوسط العمر	ذكور	اناث
١٩٠٠	»	٤٨ر٢	٥١
١٩٤٢	»	٦٣ر٦٥	٦٨ر٦

وقد بينا أن سبب قوة مناعة المرأة ضد الأمراض متولدة من وجود عاملين جنسيين فى مورثاتها ، وحكمة ذلك أن المرأة معرضة لأخطار لايتعرض لها الرجل وهى الحمل والولادة والسهر الطويل ورعاية الاولاد ، ولهذا ميزها الخالق عز وجل عن الرجل لأن وظيفتها فى الحياة تختلف عن وظيفته ، وسنتطرق الى هذه الحقيقة فى آخر المقال حين نبحث فى مساواة المرأة للرجل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد ذكرنا الفروق الجسدية بين الاناث والذكور ، وسنذكر قسما من مظاهر تلك الفروق التى تستند الى اختلاف تركيبها .

الحركة :

بالرغم من ارتباط الانسان بالمحيط فان الجنسين ينشآن نشأة مختلفة بتأثير مفرزات الغدد الصم والتفاعلات الكيميائية التى تؤثر فى الحجم والطول ومقاومة الأمراض وغيرها من الأمور التى ذكرناها . وقد أيدت تحريات علماء النفس ملاحظات الأمهات والممرضات والمربيات فى أن الصبيان يكونون أكثر حركة وقوة وميلا للاعتداء بعد الشهر ٢ ـ ٣ ، وقد تتبع الأستاذ Arnol Gessel ومشاركوه فى مستوصف (يال) لتربية الأولاد نشأة ١٠٠ صبى منذ ولادتهم حتى السنة الخامسة من أعمارهم ، ودون ملاحظاته عليهم فى كتاب خاص . وقد لخصت الدكتورة Helene Thompson احدى مشاركاته فى هذا البحث ، قسما منها نقتطف منه النبذة الآتية :

كان الصبيان أكثر حركة من الاناث فى الشهر التاسع من أعمارهم فى الحبو وغيره من الحركات التى تتطلب قوة جسدية ، وقد درسنا انتصاب قامتهم فى الزحف والوقوف فوجدنا الذكور أسبق من الاناث ، وكان الاناث أقل حركة ونشاطا من

الذكور وأكثر ميلا الى الأعمال التى يعملها الانسان جالسا ، ووجدنا الاناث أهدأ من الذكور فى أثناء الرضاعة وكن ينمن أكثر منهم •

وتوصل الى النتائج أنفسها الدكتور Ashly Meech فى مستشفى الأطفال فى نيويورك •

ويتبين من دراسات جامعة (يال) فى هذا الموضوع أن ذكور الأطفال يمشون قبل الاناث بشهر تقريبا ، بيد أننا يجب الا ننسى العامل النفسى فى هذه الحالات ، فالاناث لايشجعن على المشى كما يشجع الذكور ، وبالرغم من ذلك لانستطيع أن نغض النظر عن الفوارق الطبيعية بين الجنسين • وقد درس الدكتور Henry Halnerson عددا من الأولاد فى مستوصف الأولاد بجامعة (يال) دراسة دقيقة فوجد الذكور أكثر احكاما من الاناث برمى الكرة فى السنة ٣ر٥ من العمر ؛ وكان الصبيان فى الخامسة من العمر يضربون الكرة لمدى أبعد من الاناث اللاتى فى السادسة من العمر ، وكانت قامات البنات أكثر انتصابا من الذكور ، وكن يجعلن الكرة فوق أكتافهن أكثر من الصبيان ، ويرشقنها أكثر منهم الى أسفل ، ويضعن ثقل الجسم على أرجلهن اليمنى بينما وضع الصبيان أيديهم بجانبهم وجعلوا ثقل اجسامهم على الرجل اليسرى ، ورفعوا أجسامهم ورشقوا الكرة الى الأمام ؛ فالصبيان كانوا أحكم رميا وأبعد مدى وأكثر استقامة من البنات فى رمى الكرة •

وذكر الدكتور Gessel أن البنات استطعن لبس ثيابهن فى سن أبكر من سن الصبيان لأن توازن حركاتهن أحسن من توازن حركات الصبيان ، ويلبس قسم من البنات ثيابهن ويخلعنها فى السنة ٢ ـ ٣ من العمر ، بينما وجد الصبيان صعوبة فى ارتداء ملابسهم وتزريرها فى السنة الخامسة من العمر ؛ وتدلنا هذه الظاهرة على أن توازن الحركات الدقيقة فى الذكور أبرز منه فى الاناث •

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أن صغار البنات أكثر تمييزا للألوان من صغار الصبيان ؛ وظهر من دراسة الدكتور Ruth Staples لهذا الموضوع فى جامعة بزاسكا أن البنات منذ ولادتهن حتى السنة الثانية من العمر أكثر احساسا بالألوان من الذكور ، وخاصة الألوان الصعبة كاللون الأزرق والأخضر ، ومن الممكن أن يكون منشأ ذلك عاملا وراثيا لأن صفة تمييز الألوان فى الاناث أسرع ظهورا منه فى الذكور ، كما أن الذكور معرضون لعيوب العين أكثر من الاناث ومنها العمى اللونى •

النطق :

لما كان البنات أبكر نماء من الذكور بصورة عامة فهن يتكلمن أبكر من الصبيان ، ويكن أسرع تلقنا للغات من الصبيان ، وتصدق هذه الأمور التى ذكرناها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على اناث الحيوانات كالقردة فان صغار اناثها أطوع وألين عريكة فى التدريب ، وأكثر استئناسا من الذكور ، والذكور أعند وأفطن من الاناث •

الدمـاغ :

الفرق فى قوى الدمـاغ العقلية من الأمـور التى تثـير حماسـة الجنسـين ، وهى عامل من عوامل ثوران المرأة لأن الرجـل لا يقر لها بالمسـاواة ويدعى الفواق عليها ، وسندرس هذا الموضوع فى ضوء العلم الصحيح مجردين من تأثير العاطفة العمياء •

بين العلماء الآن نزاع يتعمدون فيه ازالة فروق الذكاء بين الجنسين وعمل مقياس ذكاء يسوى بين الفريقين ، وقـد وجـد المعنيون بهذا الموضوع منـذ استنباط طريقة Semon Binet التى نقحها فيما بعد ستانفورد و أوتس لامتحان الذكاء ، أن البنات كن على الدوام أحسن من الصبيان فى قسم من الاسئلة والصبيان فى قسم آخر منها ، واستنتجوا أن متوسط الذكاء متساو فى الفريقين ، ولا تفوق لأحدهما على الآخر ، وقد جاء فى تقرير الاستاذ Quinn Menenan عن مقياس ستانفورد بنت المنقح The reversion of the Stanford Binet seale ما يأتى :

على من يتصـدى للتفريق بين مواهب الجنسين العقلية والطبيعـة أن يتبع أحـد أمرين ، اما أن يدعى أن نتائج امتحانات الذكاء مختلفة تقريبا فى الجنسين فيضع لكل منهما مقيسا خاصا ، واما أن يفرض أن الفروق الكبيرة بين الجنسين غير صحيحة بحسب مقيـاس بنت Binet ، لأنها تنبىء عن الفروق فى الاختبار والتـدريب لا عن المواهب الطبيعية ، فيستطيع فى هذه الحالة الاستغناء عن وضع مقياسين مختلفين لهما ، وقد اتبع الاستاذ مكنمار هذه الطريقة ، وهاك أهم النتائج التى توصل اليها :

كن البنات أحسن من الصبيان فى الأمور التى تتعلق بالجمل كالمفاضلة بين الألوان ، وتمييز الصور ، وفى مواد اللغـة كاللفظ واختيـار الكلمات والمفردات ، وفى المهـارة اليدوية كتزرير الازرار وعقد العقد ، وفى الأمور الاجتماعية كتقدير الأعمار وتمييز انواع المظهر ، وكان الصبيان أحسن من البنات فى الأمور الحيلية (الميكانيك) وتركيب الاشياء ، والتعليـل الرياضى ، وتفوق الصبيان فى نقـد الصور الهزليـة ، وفى تحديد الالفاظ المجردة كالعلاقة والمقابلة ، والتغلب والطاعة والانتقام ، وتفوق البنات فى تحديد الشفقة والاستطلاع والحزن والتعجب • ونسرد جدولا فى أهم المواد التى تفوق بها كل جنس بحسب الاعمار :

العمر	البنات أحسن من الصبيان
٢ ـ ٣	بتذكر الصور

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العمر	البنات احسن من الصبيان
٢ر٥ ـ ٤	**بعدالاعداد وعمل المربعات**
٣ ـ ٤	بتزرير الازرار
٣ ـ ٥	بتمييز الاشياء الجميلة
٣ر٥ ـ ٥	بالمفاضلة بين الاشياء
٤ ـ ٥	**بعمل مثلثات من ورق**
٥ر٥ ـ ٨	بتقدير الاعمار
٧ ـ ١٧	بتنضيد عقد اعتمادا على الذاكرة

العمر	الصبيان أحسن من البنات
٤ ـ ٩	بتقدير الصور الهزلية
٦ ـ ٩	بالتوجيه
٧ ـ ١٠	بالادراك
٧ ـ ١٢	بمعرفة الاضداد
٩ ١٧	بتسمية وسائط النقل
١٠ ـ ١٥	بالكلمات المجردة
١١ ـ ١٧	بالابتكار
١١ ـ ١٨	بالتفكير الرياضى والاستنتاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نلاحظ من هذا الجدول أن الامور التى يتفوق فيها الاناث على الذكور تظهر فى الدور الاول من حياتهن ، والصبيان فى الدور الثانى ؛ ولاحظ الباحثون فى هذا الموضوع أن التفوق يكون أسرع فى البنات منه فى الصبيان قبل سن المراهقة ، ويظهر فى الصبيان بعد العمر الذى يظهر فى البنات ، فهل يدل ذلك على أن نماء العقل يتمشى مع نماء الجسم ؟ لم يقل العلم كلمته الاخيرة فى هذا الموضوع ، ولكننا نرى البنات أكثر تقدما فى دروسهن وامتحانات ذكائهن من الصبيان فى الدور الاول من حياتهن ، ويرى وولتر ديربرن Walter F. Dearborn مدير مستوصف التعليم النفسى فى جامعة هارفرد أن الاناث لسن ذكيات ذكاء فطريا كالصبيان ويعوض عن هذا الذكاء سبقهن الصبيان بالنضج العقلى فى بواكير اعمارهن فيتساوى الجنسان .

الخلاصة : يظهر من بحوث العلماء المتخصصين أن الصبيان يختلفون عن البنات ببعض النواحى العقلية ، والبنات بنواح أخرى ، فلا نستطيع أن نحكم أن فريقا اذكى من الآخر كما لانستطيع أن نحكم بأن الرياضى اذكى من الشاعر مثلا أو الموسيقار

لأن فى الاثنين موهبتين مختلفتين ، كما أننا لا نستطيع أن نقول ان درجة ذكاء أناتول فرانس مساو لذكاء أنشتاين ؛ لأن الاثنين نالا جائزة نوبل فى سنة ١٩٢١ وأن الأول نالها فى الآداب والثانى فى الرياضيات .

ان الصبيان أكثر ميلا للأمور الحيلية (الميكانيكية) من البنات ، ونستطيع أن نقول ان هذا الميل اكتسابى لافطرى ، ويتفوق البنات على الصبيان بقوة ذاكرتهن فى الشطر الأول من أعمارهن ويسبقهن الصبيان فيما بعد بهذه الصفة .

ومن الفروق البارزة بين الجنسين فى السنة الخامسة من العمر قضية الرسم ، فالصبيان يميلون الى رسم القوارب والطيور والأعلام والفيلة وغيرها من الحيوانات ، بينما يميل البنات الى رسم بيت أو سيدة أو دمية أو قطة وغيرها من الأشياء التى يشاهدنها فى بيوتهن ، والصبيان يميلون الى رسم الأشياء التى يشاهدونها خارج بيوتهم .

وحب الاستطلاع أقوى فى الصبيان منه فى البنات منذ دخولهم رياض الاطفال الى حين دخولهم الكليات ، ويظهر الفرق فى ميل الجنسين فى المذياع (الراديو) فان البنات يملن الى سماع الروايات التى تتعلق بالمنزل ، والصبيان يميلون الى الروايات الفاجعية ، ويظهر هذا الميل فى الروايات السينمية والكتب التى تتعلق بهذه المواضيع ، ويقرأ البنات أكثر من الصبيان كتب الشعر والقصص ، ويهتم الصبيان بجمع الاشياء العلمية ، بينما يهتم البنات بجمع أدوات الزينة والاشياء المثيرة للعاطفة ، ويظهر الفرق بين ميل الجنسين فى الالعاب ، فالبنات يفضلن «الختيلة» أو «الختيبة» أو لعبة «الغميضة» فى المدارس الأولية ، والنط على الحبل ، والصبيان يفضلون كرة القدم وكرة الشبكة Base ball أو الدعابيل وغيرها من الالعاب التى تتطلب حركة وقوة ، وهذا الميل يدل على اختلاف الجنسين ، والأمور الاكتسابية تصبح كالفطرية اذا مارسها الانسان زمنا طويلا ، سواء أكان الميل فطريا أم اكتسابيا .

شخصية الجنسين :

يقول علم النفس الحديث ، ان الفروق بين شخصية الذكر والأنثى اكتسابية تولدت من العلاقات الاجتماعية ، ويرى العالم النفسانى الشهير Gordon W. Allport من جامعة هافرد أن المولود الجديد يولد فاقد الشخصية ثم يكتسبها من المحيط بتفاعله معه ، وهذا رأى غيره من المتخصصين بالموضوع ، بيد أننا نستطيع أن نقول ان الأولاد يولدون وفيهم قابليات شخصية خاصة يتطبعون عليها ، ففى الانثى قابليات خاصة بها ، وفى الذكر قابليات خاصة به ، ومتى اختلطا بالمحيط ظهرت فى كل منهما

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قابلياته الخاصة به ، وهاك بعض القابليات الخاصة بكل جنس :

الميل الى التعدى Agressiveness :

ان الصبيان أكثر شجاعة وأقل جبنا من البنات من السنة الثانية فما فوقها ، وهم أكثر ميلا للتعدى والمخاصمة من البنات ، ويلاحظ الشيء نفسه فى اناث القرود وذكورها •

السلبية Naughtiness :

أبرز فى البنات من الصبيان ، وتتجلى بالخجل والخوف من الغرباء ، ونستطيع أن نعلل ذلك بأن الامهات يقدمن الصبيان أكثر من البنات لمقابلة الزوار •

الاضطرابات النفسية :

من الأمور المسلمة أن البنات أكثر تعرضا للاضطرابات العصبية النفسية من الصبيان كقضم الاظافر ، ومص الاصابع ومد اللسان استهزاء بمن لا يرضين عنهم ، وهذه الحالات رموز الى التعبير عن السخط والسخرية وغيرها ، واستعاضة عن الشتم والرفس والخصام وغيرها من الحالات الشبيهة بها التى يتصف بها الصبيان أكثر من البنات •

تختلف أيضا فى صغار الاناث عنها فى صغار الذكور فتظهر فى البنات بين ٧ ـ ١٠ من العمر بصورة قلقهن على آبائهن ، وخفقان القلب ، أو أرق يصيبهن ، ويشعرن بوخزات كوخزات الابر فى أصابعهن ، وغيرها من الأعراض المنبعثة عن الخوف ، وقد تحدث هذه الأعراض فى الذكور ولكنها تكون فى الاناث ٤ ـ ٥ أضعاف ما هى عليه فى الذكور ، ويخاف الصبيان من الاذى الجسمى كالضرب وما أشبه ذلك بينما يخاف البنات من الظلام والغرباء عنهن •

الشكاسة Naughtiness **(الشيطنة) :**

الصبيان أكثر شكاسة وأذى من البنات بصورة عامة ، وتبدو الشكاسة فى البنين بصورة عنف ، فالذكور تحت تأثير اجتماعى يفرض فيهم أن يكونوا أقوى وأشجع وأشطر وأكفأ من الاناث ، فعبرون عن اخفاقهم فى هذه الأمور بالعنف والثوران على الأوضاع وسوء السلوك وما أشبه ذلك • ويظهر هذا التعبير مظهرا نفسيا فى البنات كالاضطرابات العصبية •

الحسد :

أكثر وجودا فى البنات منه فى الصبيان ، والصبيان أجرأ من البنات فى ابداء رغباتهم ، وأقوى منهن فى الحصول عليها •

واننا مهما بالغنا فى تأثير المحيط وارتباط الشخصية به ، فلا نستطيع أن ننكر وجود

عوامل طبيعية ، تجعل اختلافا بين شخصية الصبى وشخصية البنت • يقول المتخصصون بهذه المواضيع ان منشأ اختلاف الشخصية مفرزات الغدد الصم ، الا أن الغدد الصم أنفسها متولدة من وراثة الانسان الطبيعية ، فالعوامل الوراثية هى المسيطرة ، والشخصية وليدة الوراثة ومفرزات الغدد الصم والمحيط ، وتأثير هذه العوامل الثلاثة يولد اختلافا فى شخصية الذكر والأنثى •

ومن تقرير الدكتور Hugh H. Darly:

أن الاولاد الذكور يفرزون فى سن ٣ ـ ١٠ مفرزات ذكرية ضعف ما تفرزه البنات ، والفرق الرئيس أن البنات يفرزن مفرزات جنسية أنثوية ٤٠ ـ ٥٠ ضعفا لما يفرزه الصبيان ، فهل لهذه المفرزات تأثير فى تكييف الشخصية ؟ لقد أجرى العلماء اختبارات على الديوك ، فوجدوا أن الديوك التى تخصى (الخصاء يزيل المفرزات الجنسية فيها) أو غيرها من الذكور تصير أهدأ وأقل نزوعا للمهاجمة وأقرب الى المسالمة مما كانت عليه قبلا ، وقد اقترح بعض الظرفاء خصاء الحاكمين بأمرهم والمستبدين والذين يعيثون فى الأرض فسادا ، توصلا للطمأنينة والاستقرار ونشر السلام فى العالم •

الاعتداد بالجنس :

ان الذكور أكثر اعتدادا بجنسهم من الاناث ، وقد ظهر من الاستفتاء الذى قام به Allport أن الاناث اللاتى تمنين أن يكن ذكورا ، أكثر عددا بكثير من الذكور الذين تمنوا ان يكونوا اناثا ، وبالطبع يعزى ذلك الى سيادة الرجل وتحديد سلطة المرأة •

أنهينا الآن الفروق الجنسية فى سن الحداثة أو الصبا ، ونتنقل الى مرحلة ثانية من مراحل الحياة ، وأخطر مرحلة من حياة البنات والصبيان وهى سن المراهقة •

المراهقة :

هى تطور الفتى والفتاة الفجائى من سن الصبا الى سن الرجولية ، ولها تأثير عظيم فى حياتهما الجسدية والعقلية والنفسية ، والمراهقة نوعان : المراهقة الاحيائية (البيولوجية) ، ونسميها البلوغ ، ينمى فيها الجسم والعقل ، وتظهر فى كل جنس صفات خاصة نسميها الصفات الجنسية الثانوية وقد مرينا ذكرها • والمراهقة الاجتماعية ، وتسمى الرشد ، وتظهر فيها صفات نفسية تميز كل جنس من الآخر ، فالنوع الاحيائى (البيولوجى) عام لكل جنس فى كل العالم • تبلغ البنت أبكر من الصبى بنحو من ٣ ـ ٤ سنوات ، وسن البلوغ فى الاناث من السنة ١٢ ـ ١٣ ، ويبلغ الذكور فى السنة ١٤ ـ ١٦ ؛ ويختلف سن البلوغ باختلاف الاقليم والمحيط والعرق والثقافة وغيرها من العوامل الأخرى ، فتكون فى الاقاليم الحارة أبكر منها فى الباردة ، وبين المتمدن أبكر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

منها فى غير المتمدنين . وتقسم الفروق الجنسية الى قسمين ، الفروق الجنسية الأولية وهى أعضاء التناسل فى الفريقين ، والفروق الجنسية الثانوية وهى الفروق التى مر ذكرها فى العظام والشعر والصوت .

ويعزى ظهور الصفات الجنسية الى مفرزات الغدد الجنسية ، الخصيتين فى الذكور والمبيض فى الاناث ، ولكل منها افراز خارجى وهو المنى فى الذكور والبيوض فى الاناث ، وداخلى يذهب فى الدم ويحفز ظهور الصفات الجنسية ، وعلامة البلوغ الرئيسة فى الذكور ظهور المنى وفى الاناث ظهور الحيض (ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) . فاذا استأصلنا المبيض من الاناث والخصيتين من الذكور قبل البلوغ فلا تظهر الصفات الجنسية فى الفريقين ، ويتأخر نماؤهما الجسدى والعقلى فلا يظهر المنى فى الذكور ولا البيض فى الاناث .

لقد لخصنا التطور الاحيائى فى الجنسين ، ونأتى الآن الى شرح المرحلة الثانية من المراهقة وهى سن الرشد التى تبتدىء من البلوغ حتى ما يقرب من السنة الخامسة والعشرين من العمر ، وهو التطور الاجتماعى الذى يمر بالفتى والفتاة ، ومن الامور البارزة فيه أن النضج الجسمى لا يتمشى مع النضج الاجتماعى ، ويخرج فيه الشبان والشابات الى المجتمع بخطا مترجرجة غير مزودين بالمعرفة والتجارب الكافية لملاقاة مشكلات المجتمع المعقدة ، فيخرجون من محيط ضيق سهل الى محيط واسع معقد ، ومن اختبارات محدودة الى اختبارات متنوعة لاعهد لهم بها ، وتتجدد بمرور الزمن وتزيد مشكلاتهم تعقيدا فلا يستطيعون تكييف أنفسهم لعالمهم الجديد ، وبما أن الفتيات يبلغن قبل الفتيان ، فانهن يقتحمن الجبهة قبلهم غير مزودات بالسلاح اللازم لخوض المعركة الجنسية ، سلاح الارشاد والتجارب والروية وتمييز العواقب وتجنب الانحراف بتيار العاطفة ، ويزيد الطين بلة أن نماءهن الجسمى غير متناسب مع نمائهن العقلى ، والحس الجنسى يتكون فيهن قبل الذكور ، وتبدأ علاقاتهن الجنسية مع الجنس الآخر قبل الذكور ، وبما أن نضجهن الجسمى يكتمل قبلهم (بسن العشرين) ، كما بينا ، فيكن مستعدات للزواج بحكم العامل الاحيائى والاجتماعى والعرفى قبل الذكور ، ولهذا تكون البنت معرضة فى سن الرشد للحب الخيالى Romantic love وقد فرضت عليها طبيعتها والمجتمع والعرف كبت عواطفها فلا تتجرأ أن تبوح بحبها الجنسى ولا أن تصرفه بالسهولة التى يصرفه بها الصبى ، فتعمد من دون وعى الى الاغواء بحركاتها ولبسها ، وتستعيض عن حب ذاتها فى الصغر بحب الأطفال ، وتصير ودودا جدا ، ويعرضها كتمان عواطفها للأمراض العصبية النفسية كالهستريا والخور العصبى ولاغراء الجنس الآخر لها ، أضف

الى ذلك العوامل الخارجية كالسينما والروايات والصور الخليعة وغيرها من الأمور التى تصور الحياة حياة جنسية صرفة وتجعلها مبنية على الخداع والكذب والخيانة وتهديم الحياة العائلية ، فاذا زلت قدمها تعرضت للأضرار الصحية والاجتماعية ، فيحتقرها المجتمع وتعيش تعسة منبوذة فاقدة السعادة والأمل ، واذا تزوجت لاتستطيع القيام بالأعباء الزوجية كما يجب متصورة أن الزواج حب ودلال وطعام وشراب ولبس وأنس غير حاسبة للمعارك الزوجية حسابا .

ومما لاشك فيه أن اختلافها عن الذكر جنسا ، وتعرضها لمخاطر الحمل غير الشرعى وما ينتج عنه من المخاطر الاجتماعية ، وعدم نضجها العقلى الكافى فى ابان بلوغها ، كانت من العوامل القوية التى حددت حرية البنت ، وأدت الى الضغط عليها وعدم مساواتها بالصبى ، وسنتطرق الى العوامل الأخرى فيما بعد .

أما الصبى المراهق ، فتكون حالته النفسية أشد توترا من حالة البنت ؟ لأنها بلغت قبله ، وأصبح لها مركز اجتماعى اكبر من مركزه ؟ لأن البنت تصبح مطمح الأنظار أكثر من الصبى ، وخاصة اذا أوتيت حظا من الجمال . وهى تحلم بزواج سعيد ومستقبل باسم ، فتشب غير معتمدة فى شؤون الحياة على نفسها بقدر اعتماد الصبى على نفسه ؟ لأن هدف المرأة الزواج على ما سنزيده توضيحا . وبينا تحلم البنت بالزواج وتفكر فى نصيب صالح ، يكون الصبى قلقا : يفكر فى مصيره ، وفى الحرفة التى يحترفها ، وفى التبعة التى تنتظره ؟ لأنه يشعر أنه سيكون رب البيت المسؤول عنه ، وتأبى شخصيته أن يكون غير ذلك ، ولسنا ندعى أن البنت لاتشعر بهذه التبعة ، ولكن الفروق الطبيعية بينها وبين الصبى والعرف وتقاليد المجتمع فرضت هذه التبعة على الرجل أكثر مما فرضتها على المرأة ، فيشعر المراهق بضغط نفسى ، ويساوره القلق من جراء تفكيره فى نجاحه أو اخفاقه ، ومتى يتزوج ، ومن يختار من الفتيات شريكة لحياته ، أضف الى ذلك الشعور بالحس الجنسى ، والحوافز التى تغذى هذا الحس : كدور السينما ، والقصص ، والروايات ، وأحاديث الناس ، فيصير ينظر الى الشق الثانى غير نظرته الأولى التى كانت نظرة بريئة هى نظرة الرفيق الى الرفيق ، والصديق الى الصديق ، ويتعرض لاغراء العيون الناجل ، والوجوه الفتانة ، والقدود الهيف ، فيلجأ الى الاستمناء وارتياد دور البغاء تصريفا للحس الجنسى ، ويتعرض للمساوىء الصحية والاخلاقية والاجتماعية التى تنجم عنها ، ويعرضه انتقاله فجأة من دور الصبا الى دور الرجولية للأمراض العصبية ، كالنيراستينيا والجنون ، وللأمراض الجسدية كالسل الرئوى وأمراض القلب وما أشبه ذلك . وبعد أن كان ولدا يؤمر وينهى ، أصبح قد دبت فيه روح الاستقلال ، فيسير نحو الرجولية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بخطا مترجرجة ، ويزيد الطين بلة أن يرى شيئا من روح التحيز من والديه والمجتمع نحو أخته ؛ فانهما يغدقان عليها من الثياب وأدوات الزينة ، ويجعلانها معرضا للأصدقاء والزوار ، ويصدرانها فى المجالس طمعا فى زوج ، فيؤلمه من غير شعور أن يرى أخته محترمة أكثر منه فى المجتمعات ، فى داخل البيت وخارجه ، ويقع كالبنت فى الحب الخيالى ، ولكن المجتمع يبيح له ما لا يبيح للبنت ، ويغامر أنواع المغامرات : ينجح فيها أو يخفق ، ويسعد أو يشقى ، الى أن يكتمل نضجه العقلى ، والصواب والخطأ يكسبانه خبرة ومعرفة فى الأمور أكثر مما يكسبان البنت ، والمجتمع يغتفر له زلاته ، بل يشجعه عليها كما سنبينه .

ويشعر الجنسان فى هذا الدور غير شعورهما الأول ، فيميل بعضهما الى الآخر ، ويلتقيان فى دور العلم وفى المجتمعات والحفلات ودور السينما وحلقات الرقص والمتنزهات ، ويتدربان على أن يكونا زوجا زوجا ، ولكنهما يجدان تحديدا لحريتهما من المسؤولين عنهما ، فيلجآن الى الكذب والخداع ، ويضربان المواعيد ، ويلتقيان خفية بعيدين عن عيون أهلهما ، وهذه الحالات تدعو الأهل والمربين الى ارشاد المراهقين ارشادا صحيحا ، بشرح أخطار الشباب ومزالقه ، ومن أولى بالارشاد من الآباء والأمهات ؟ وكيف يتمكنون من ذلك وهم أجهل من أبنائهم ؟ لايجرؤون أن يتفوهوا ببنت شفة فى هذا الموضوع ، بل يعدون البحث فيه عبا ومفسدة للأخلاق ، ويعرضون أبناءهم لمزالق الحياة .

وقد درس علماء النفس علاقة البنات والصبيان بعضهم ببعض فى مراحل حياتهم بحسب أعمارهم ، وتوصلوا الى هذه النتائج :

الصبيان والبنات لايفضلون جنسا على آخر فى السنة السابعة والثامنة من العمر الا اذا دربوا على غير ذلك ، ثم تعقب ذلك فترة يميل فيها الصبيان الى الصبيان ، والبنات الى البنات ، فيلعبون ويسمرون : كل جنس على حدة ، وكل فريق يلعب ألعابا تختلف عن ألعاب الفريق الآخر ، فالصبيان يميلون فى السنة الثامنة من العمر الى كرة القدم والأعمال الكشفية وغيرها من الأعمال التى تنطوى على القوة ، ويعير البنون بعضهم بعضا اذا لعبوا مع البنات أكثر مما تعير البنات من تلعب من بنات جنسهن مع الصبيان ، ويهتم الآباء فى هذه السن بالصبيان أكثر من اهتمامهم بالبنات ، فتتولد روح الغيرة والمنافسة ، ويعقب هذه الفترة فترة اللامبالاة بين السنة العاشرة والثانية عشرة ، فيتظاهر الجنسان بالنفور بعضهما من بعض ، ولكن كلما تظاهر أحدهما بالصدود عن الآخر أصبح ميله اليه أشد . وهذه الظاهرة يسميها علماء النفس « بالانعكاس Inversion »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى سن الثالثة عشرة والرابعة عشرة تتغير الحالة ، ويشتد ميل الجنسين بعضهما الى بعض ، وتبدأ البنت قبل الصبى باظهار هذا الميل ، ويتظاهر الصبيان بالصدود والكبرياء ، والبنات هن اللاتى يجذبن الصبيان جذبا خفيا بأنواع الاغراء ؛ لأنهن أنضج جنسا من الصبيان ، فينظمن الحفلات والاجتماعات ، وضروب التسلية لبلوغ أهدافهن ، ونرى تغيرا محسا بعد هذه الفترة فى السنة الخامسة عشرة من العمر ، فالبنت التى تستقر على رفيق واحد تسمو بنظر رفيقاتها • وأما الصبى الذى يميل الى فتاة واحدة ، فقد يعيره رفقاؤه ، وأحيانا أبواه ، وتبدأ العاطفة تمثل دورها فى الجنسين بعد هذه السن ، ويسيطر عليهما الحب الخيالى ، فيندفعان فى مزالق الغواية ، ويعرضان أنفسهما لضروب المخاطر الاجتماعية ، ويكون تأثير هذه الفترة فى البنت أكثر من تأثيرها فى الصبى كما بينا ، لأنها أنضج منه جنسا ، والزواج على قاب قوسين منها أو أدنى • فاذا زلقت فالويل لها ، واذا أخفقت فى مغامراتها قضت على مستقبلها وعاشت شقية بائسة • وأما الفتى فلا تؤثر فيه هذه المغامرات تأثيرها فى الفتاة ؛ لأن لديه الوقت الكافى للاختبارات والاستفادة من الصواب والخطأ ، ولا يفضح أمره فى مغامراته كالبنت ،فيسيم سرح اللهو كيف يشاء ، ويدلى دلوه مع الدلاء ، فالبنات يحتجن الى رعاية وارشاد وتحذير من العواقب أكثر من حاجة الصبيان الى ذلك ، والمجتمع غفار للفتى ، ولكنه يحاسب الفتاة حسابا عسيرا • وتعد هذه المغامرات من الذكور ضربا من الرجولية والحيوية ، ويفاخر بها الفتى معتدا بنفسه ، ويبالغ فى مغامراته أشد المبالغة ، ويكذب أحيانا ، ويجعل الجبة قبة ليبرهن على رجوليته ، ويغض الآباء والأمهات النظر عن الصبيان فى هذه الأمور تاركين لهم الحبل على الغارب ، لا بل يشجعونهم عليها ، بينما يحاسبون البنت حسابا عسيرا ، وهل يجوز للآباء أن يتسامحوا مع الأبناء فى علاقاتهم ببنات الناس وهم يستنكرونها من بناتهم ؟ ولو عقلوا لما فعلوا ، فميزان الأخلاق واحد •

خلق المرأة وخلق الرجل :

اختلفت آراء الرجال فى المرأة ، فجعلها قسم منهم ملكا رحيما ، وجعلها غيرهم شيطانا رجيما ، وشبهوها بالشموس والأقمار وبالورد والزهر ، ووصفوها بقلة العقل والثرثرة والجبن والتقلب وافشاء الأسرار وغير ذلك من النعوت المتناقضة ، وجعلوا اصلاحها وفسادها منوطا بالرجل •

ومما لاشك فيه أن الرجال الذين نظروا الى المرأة هذه النظرة السطحية كانوا متحاملين أو جاهلين ، وهى نظرة الضعيف الى القوى والسيد الى المسود ، يراه جميلا فى ساعة الرضا ، وقبيحا فى ساعة الغضب • فهل للمرأة والرجل خلق طبيعى خاص

بكل منهما ؟ مثال ذلك الأمومة ، أهى غريزية فى المرأة أم اكتسابية ؟ وحب السيطرة أهو غريزى فى الرجل أم اكتسابى ؟

الصفات بحسب قوانين الوراثة نوعان : وراثية ، واكتسابية ، فالصفة الوراثية هى التى تكون متأصلة فى الانسان ، أى موجودة فى مورثاته ، فالانسان يخلق طويلا أو قصيرا ، ذكيا أو بليدا ، يرث قابلية النطق ، لكنه لاينطق اذا لم يتعلم النطق ، والحيوانات لا تنطق اذا علمتها ؟ لأن قابلية النطق غير موجودة فى مورثاتها . وأما الصفات المكتسبة فهى التى يكتسبها الانسان من المحيط ولا تكون موجودة فى المورثات ، فالانسان يكون شجاعا أو جبانا ، كريما أو بخيلا ، لطيفا أو فظا ، متكبرا أو متواضعا ، بعامل التربية . فالأخلاق تكون اكتسابية اجمالا ، ولكن الغريزة وراثية ، وفى النساء غرائز متكونة من طبيعة بنيتهن . فالمرأة أضعف من الرجل بهيكلها العظمى ، وعضلاتها ، وسائر تراكيبها الطبيعية ، كما ذكرنا آنفا ، فهذه الأمور غريزية لاغبار عليها .

ولكن هل الأمومة غريزة كالفروق الطبيعية التى ذكرناها . . ؟ وهنا ندخل فى موضوع عويص ، وهو تعريف الغريزة من الناحية الاحيائية ، ولا نريد أن نخرج عن موضوعنا الأساسى لنعالج موضوعا فرعيا ؛ والعلماء مختلفون فى تعريف الغريزة فمنهم من يقول ان الغرائز آخذة فى الاضمحلال فى النوع البشرى ، وصائرة الى الزوال كلما تدرجنا فى سلم الحيوانية ، فالغرائز محدودة فى الانسان ، ومعظم أعماله متولدة عن التعلم ، وان الأمومة ليست غريزية فى المرأة بل اكتسابية ، والأم تحمل الولد وتلده وترضعه وتحضنه وتربيه ، فيتولد فيها روح الحنو والعطف عليه ، ولو ولدت امرأة ولدا من دون أن تدرى أنه ولدها فلا تشعر بروح العطف عليه ، أو اذا فصل عنها ورأته بعد زمن فانها تنظر اليه كما تنظر الى ولد آخر ليست لها صلة به . ولكن المرأة مارست الأمومة نحو خمس مئة ألف سنة ، وهو الزمن الذى يقدره العلماء لظهور الانسان على وجه هذا الكوكب ، وهو زمن كاف فى جعل الأمومة كالغريزة فى جنس النساء سواء أكانت هذه الغريزة مخلوقة أم مكتسبة ، فالمرأة منذ فجر التأريخ اختصت بالأمومة ، واختص الرجل بالسعى ، وهذه الحقيقة هى التى سيرت الرجل سيرا خاصا ، والمرأة سيرا خاصا ، فنرى الاختلاف ظاهرا بين الجنسين منذ الطفولة الى آخر الحياة ، فيسلك الصبيان سلوكا خاصا فى ألبستهم وألعابهم وحياتهم الاجتماعية ، وتسلك البنات سلوكا خاصا بهن ، فالبنات يملن الى الألعاب المنزلية كالبيوت والأثاث والدمى ، والصبيان يميلون الى الجنود والمدافع والطائرات ، فأصبح الميل الى هذه الأشياء كالميل الموروث ، وطبعت كلا منهما بطابع خاص به ، وتؤثر افرازات الغدد الجنسية فى كل منهما تأثيرا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاصـ، ولا صحة للقول الذى يقول : « ان الذكر ميال بطبعه الى الاعتـداء والقسوة والخشونة ، والأنثى ميالة بطبعها الى السلام والدعة والحنو » ؛ لأن الذكر يرث نصف صفاته من أمه ونصفا من أبيه ، وكذلك الأنثى ، فاذا كانت صفة الأمومة غريزية ، وجب أن تظهر فى الجنسين ، ولكن تأثير العوامل الاحيائية وافرازات الغدد الصم توجه كلا منهما توجيها خاصا •

وعلماء النفس وعلماء الاجتماع المحدثون متفقون على أن الغرائز أصبحت ضئيلة الأثر فى النوع البشرى ، وقد تغلبت عليها التيارات الاجتماعية والحضارة البشرية ، وسواء أكان الطبع أم التطبع هما اللذان يسيران الشخصية ، فقد اتصف كل من الذكر والأنثى بصفات جعلته يسلك سـلوكا يختلف عن سلوك الجنس الآخر ، وسنـذكر قسـما منهـا •

العواطف :

من الأمور المسلمة علميا والمعروفة عند الناس أن عاطفة المرأة أقوى من عاطفة الرجل ، وليس معنى ذلك أنها أكثر رقة ، وانما معناه أنها أقوى فى ساعة الرضا وفى ساعة الغضب ، فتكون المرأة أكثر حنوا ورقة ، وأشد قسوة وفظاظة ، ويؤيد ذلك أن الشعوب البدائية توكل تعذيب الأسرى الى النساء ، وكان أكثر الموكلين بتعذيب المجرمين عند اليونانيين من النساء أيضا ، وتقسو الأم على أولادها حين تثور طباعها أكثر من الأب •

ويستنتج من دراسـة Dr. Winifred B. Johnson و Prof.Lewis M. Terman فى جمعة ستانفورد للفروق النفسيـة بين الذكور والاناث « أن عاطفة الذكور أكثر اتزانا من عاطفة الاناث » وقال الدكتور جونسن « بالرغم من أن من المحتمل أن تكون عوامل الفروق العاطفية بين الرجل والمرأة اكتسابية بسبب القيود المفروضة على المرأة ، فمما لاشك فيه احتمال وجود عامل طبيعى للفرق بين الجنسين » •

ومما يجب الالتفات اليه مرض وهمى يصيب النساء يسمى الهستريا ، والمعروف عن هـذا المرض أنه يصيب النسـاء على الأغلب ، ولكن الدكتور D. Gellespie ذكر فى دراسته تأثير الحرب العـالمية الثانية فى الحالات العقلية فى أثناء الغـارات الجوية على لندن أن الاضطرابات العصبية الوهمية كانت بين الرجال أكثر منها بين النساء فى الأحياء التى أصابها أكبر نصيب من القنابل •

وجاء فى البيـان الرسمى الذى أصدرته الحكومة البريطـانية فى أيلول من سنة ١٩٤١ م عن الغارات الجوية على لندن ما يأتى :

حقيقة ، ان النساء أكثر عاطفة من الرجال فى القصص الخيالية ، ولكنهن كن دونهم

تأثرا بالعاطفة أثناء الغارات الجوية ، وسبب ذلك قوة جبهن لذويهن التى وقتهن من صدمة التأثير ببروق الحرب ورعودها ، فكن يشتغلن بهدوء أكثر من الرجال ، وكان الرجال يقومون بأعمالهم كما ينبغى ولكنهم كانوا قلقين فأثر ذلك فى أعمالهم ، واستفاق النساء من تأثير الصدمات النفسية أسرع من الرجال • ومن المعالجات التى كانت متبعة للخروج من تأثير الصدمة ، قص ماحدث على المتأثرين بها ، فيزول روع الصدمة ، وقد زال عن النساء قبل الرجال •

ولكننا نستطيع أن نعلل هذا الفارق تعليلا معقولا ، لادفاعا عن الرجل بل عن الحقيقة ، فإن الشجعان والأشداء كانوا من الرجال فى ساحات القتال ، ولم يبق الا الشيوخ والعجزة والمرضى • فمن البديهى أن يكونوا أكثر تعرضا للتأثيرات العاطفية من النساء ، مضافا الى ذلك عامل الشعور بالتبعة • فالرجال أكثر تحسسا بها من النساء ، فتساورهم المخاوف والقلق على ذويهم أكثر من النساء • ولقد استشهد قسم من العلماء على قوة العاطفة فى النساء بتأثير البنج فيهن • ولكننا اذا تذكرنا أن النساء أصغر حجما من الرجال ، لاستغرب سرعة تأثرهن بالبنج ، ولكننا لانستطيع أن نجردهن من تأثير العامل النفسى ، وقدر الاختصاصيون العامل الفسيولوجى بـ ٦٥ ٠/٠ ، والنفسى بـ ٣٥ ٠/٠ •

الانتحار :

من الأدلة المهمة على تأثير العاطفة ، وقد ثبت من الاحصاءات العامة فى أميركا أن الانتحارات فى الرجال أكثر منها فى النساء ، وأن النساء أقل عاطفة من الرجال فى هذه الناحية •

يحدث فى الولايات المتحدة ثمانية عشر ألف انتحار سنويا ، ثلثاها من الذكور ، والثلث الباقى اناث • ولما طغت موجة الانتحار فى المانيا النازية فى أثناء الحرب العامة الثانية ، كان أكثر حوادث الانتحار بين الرجال • ويمكننا تعليل ذلك بأن الرجال أكثر تبعة وتعرضا للضغط الجسدى والنفسى من النساء ، ولهذا كانوا ينتحرون لا عن جبن فى مكافحة النائبات ، بل كانوا يضحون بأنفسهم فى سبيل كراماتهم ، مضافا الى ذلك أن الرجال أكثر تعرضا للأمراض والعوارض وغير ذلك من الأمور التى تجعل الحياة لاتطاق •

الفضيلة والرذيلة :

المفروض أن تكون المرأة أكثر خضوعا للقوانين والأنظمة من الرجل ، وعزا قسم من العلماء هذه السجية الى خلق فطرى خاص بالمرأة ، ولكننا اذا بحثناها من الوجهة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاحيائية نجد تعليلا لها ، وهو أن المرأة أضعف جسدا من الرجل ، فهي مضطرة الى معونته في أثناء الحمل والولادة ، وبعدهما ، فلا تستطيع الاعتماد على نفسها في القيام بأودها ، فتكون بطبيعتها أقل مقاومة للقوة من الرجل • وقال قسم من الثقات ان المرأة أكثر حشمة من الرجل بفطرتها ، ولكن لاننس أن الحشمة تكون على الأكثر منبعثة من الخوف ، والتقيد بالسلوك الحسن • وعدم مخالفة القوانين والأنظمة منشؤه التربية ، والخوف التأثير الشديد في ردع الانسان عن مخالفة القواعد الاجتماعية والنواهي الدينية وما أشبه ذلك •

الحسد :

من الصفات العاطفية التي يفوق بها النساء الرجال • وقد رأينا من دراسة الأحداث أن البنات أكثر حسدا من الصبيان ، وتنمي هذه الصفات في البنات وتستمر فيهن الى الكبر • ويمكننا أن نعلل زيادة صفة الحسد في النساء على الرجال بأن النساء أقل تمتعا بالحرية من الرجال ، والقيود المفروضة عليهن أثقل من القيود المفروضة على الرجال ، فلا عجب أن يكن أكثر ميلا الى الحسد ، وقاية لأنفسهن من قيود المجتمع ، ولا يعني ذلك أن الرجال خالون من الحسد ، بل معناه أن صفة الحسد في النساء أبرز منها في الرجال •

المظاهر :

المعروف أن النساء أكثر ميلا الى المظاهر الخارجية من الرجال ، فهن أكثر اهتماما باللباس والزينة والعطور وما أشبه ذلك من أنواع حب الظهور • ولكن لاننسى أننا في عصر يفرض فيه على المرأة تقريبا هذا الضرب من الظهور •

ويظهر الرجال في مظاهر أخرى كاقتناء السيارات والأسلحة والتحف الثمينة وما أشبه ذلك ، فالمرأة تستجيب الى رغبة الرجل في مظاهرها ، وأما الرجل فيتمسك بالمظاهر حبا بها •

الثرثرة (كثرة الكلام في تردد وتخليط) Gossep :

من الأمور المتفق عليها عند الرجال أن الثرثرة طابع من طابع النساء ، ولا غرابة في ذلك ، لأن ضيق مجال أعمال المرأة بالقياس الى الرجل ، وحرمانها من الحياة العامة ، واضطرارها الى صرف معظم أوقاتها وهي حلس دارها ، تضطرها الى الاهتمام بالأمور الشخصية والأحاديث التي تروح عن النفس ، وتصرف العطفة • ويرى بعض الثقات أن المرأة هي التي اخترعت اللغة في الدور الصيدى ، اذ كان الرجال ينصرفون الى الصيد ، ويبقى النساء في بيوتهن بغير عمل ، فاخترعن الكلام للتفاهم ولتسلية أنفسهن •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخرافـــات :

من الأمور المسلمة أن النساء أكثر انقيادا الى الخرافات من الرجال ، فهن أكثر تطبيقا للخيرة ، وكشف الحظ بفنجان القهوة ، وقراءة الكف والافكار ، وضروب الطلاسم والسحر والرقى والتعاويذ وما اشبه ذلك • ولكن المجتمع هو المسؤول عن ذلك ، فاكراههن على الزواج ، وطلاقهن بمحض ارادة الرجل ، واباحة الرجال لأنفسهم ما حرموه على المرأة ، وغير ذلك من الأمور ، دفع المرأة الى الاستسلام للأمور الخرافية اكثر من الرجل •

الدين :

قال هافلوك اس الثقة الشهير بالأمور الجنسية : الدين من الصفات الجنسية الثانوية فى النساء ، واذا صح أن منشأ الدين الخوف ، والنساء أضعف من الرجال بصورة عامة ،فلا غرو أن يكن أميل الى الدين من الرجال • ثم عجزهن فى أيام الطمث والحمل والولادة ، والخيلولة دون اعتمادهن على انفسهن فى الحياة الاقتصادية ، يجعلهن أكثر ميلا الى الدين من الرجال حين المرض والخوف ، والكوارث وما أشبه ذلك • ولكن اذا نظرنا الى الحقيقة نرى أن الرجال هم الذين يقومون بالشعائر الدينية عند الشعوب البدائية والمتمدنة ، فالنساء ما زلن ، بحكم العرف ، بعيدات عن القيادة الدينية فى المجتمعات النسوية ، ويجب أن لا نتخذ حضورهن الاجتماعات الدينية فى الكنائس وغيرها أكثر من الرجال دليلا على شدة تدينهن ؛ لأن الناحية الاجتماعية كالتسلية والتحدث ومبادلة الآراء وغيرها ، هى التى تجذبهن الى ارتياد هذه الأمكنة • ان اتجاه النساء الدينى حدث جديد فى تاريخ حضارة البشرية ، فالزعامة الدينية كانت ولا تزال للرجال •

الخـداع :

من الأمور المسلمة عند الرجال أن الخداع بين النساء أكثر شيوعا منه بين الرجال ، وقد وضع قواعد هذه التهمة الايطاليان المتخصصان بعلم الجرائم Lambroso و Ferrero واستندا فى حكمهما أن المرأة أكثر خداعا من الرجل الى الأمور الآتية :

(١) ضعف المرأة الجسدى الذى يجبرها على اللجوء الى الخداع والحيل والالتواء فى التوصل الى غاياتها •

(٢) الطمث ؛ لأن كتمانها اياه يولد فيها روح عدم الصراحة فى أمورها الأخرى فيصير الكتمان خليقة عندها •

(٣) الأدب (الحشمة) : ان خجل المرأة من الصراحة في الأمور الجنسية يحملها

على الكتمان .

(٤) اجتذاب الرجل ، فان المرأة تتصنع بلبسها وزينتها وسائر مظاهرها الأخرى لاجتذاب الرجل .

ولا حاجة بنا لتفنيد هذه النظريات ، فانها مستوحاة من روح العصر الذى عاش فيه هذان العالمان ، ولا نستطيع مهما انتحلنا من الأسباب أن نلصق تهمة الخداع بالمرأة وحدها ، بل هى سجية عامة فى الجنس البشرى . فاذا كانت المرأة تخدع لماما ، فالرجل يخدع دواما ، وأخلاق الرجل وعدم انصافه المرأة فى أمور كثيرة تلجئها الى الخداع والكذب ، ولا حاجة بنا الى التوسع فى هذا الموضوع ، فكل رجل أعلم بدخيلته ، فالرجل يفرض صدقه بالقوة على المرأة .

البديهة وسرعة الخاطر :

ويعدها الرجال حاسة سادسة فى النساء ، والنساء أقدر من الرجال على حل الألغاز والأحاجى وما أشبه ذلك ؛ لأن المرأة منذ حداثتها تتدرب على الدقة فى النظر الى الأشياء بسبب تأثيرها فى علاقاتها بالناس ، وهى تهتم بالأشخاص المتصلين بها أكثر من الرجل ؛ لأن الرجل يميل الى الأمور المجردة أكثر من المرأة ، والمرأة أقدر من الرجل فى تقدير شخصية الناس بسبب تمرنها على تربية الأولاد وتكرار ملاحظتها لهم فى طعامهم وشرابهم ولباسهم ، فتصبح دقة ملاحظة الأشياء سجية فيها ، ويصدق الشىء نفسه على اناث الحيوانات اللاتى هن أكثر تيقظا وانتباها من الذكور ؛ لأنهن أضعف منهم ، والذكور يعتمدون على قوتهم ، والقوى لا يتحذر بقدر الضعيف ، والبديهة ضرورية للمرأة لوقايتها فى حياتها الاجتماعية .

الحياة الجنسية :

لانعنى بالحياة الجنسية الأمور الجنسية الصرفة التى يتمتع بها الانسان ، بل السلوك الخاص أو مجموع الصفات التى يتصف بها كل جنس ، وهى النشأة ، السلوك ، المراهقة ، الدوافع الجنسية ، وغير ذلك من الأمور .

لقد ذكرنا ، فيما سلف ، الفروق الطبيعية بين الذكر والأنثى وما تولده من الفروق فى وظيفة كل منهما فى الحياة ، ونذكر الآن سلوكهما الاجتماعى . من الحقائق الاحيائية أن نطفة الذكر هى التى تسعى الى نطفة الأنثى قبل عملية التلقيح ؛ لأن نطفة الأنثى لا تتحرك ، بل تجتذبها قناة الرحم من البطن . وللمرأة مبيضان : واحد من كل جانب من جانبى البطن ، وهما متصلان بالرحم برباط خاص ، وفيهما نحو من خمس مئة بيضة ، فتضع المرأة فى الأحوال الطبيعية بالتناوب من كل مبيض

بيضة فى الشهر ، شاءت أم أبت ، وهى لا تتحرك ، بل تجتذبها قناة الرحم الى داخلها كما بينا ، حيث تنتظر نطفة الذكر • وأما الرجل فيخرج ملايين الحيوانات المنوية فى الدفعة الواحدة ، تسبح فى المنى بواسطة ذنبها ، متلمسة طريقها نحو البيضة ، وهى تسير بسرعة ٧٠ مليمترا فى الساعة • ويختلف الرجل عن المرأة فى أنه يستطيع اخراج الحيوانات المنوية متى شاء ومنع خروجها حين لا يشاء • والحيوان المنوى الذى يصل قبل أقرانه ، يدخل البيضة ، ويسد الطريق بوجه ملايين الحيوانات الأخرى التى تقضى نحبها ، وتبقى هذه الخلية الملحقة فى قناة الرحم نحوا من ثلاثة أيام • والطريف فى هذا الحديث أن البيضة هى التى تغذى الجنين فى هذه الأيام العجاف من الغذاء الذى ادخرته لهذه المجاعة ، وبعد مضى ثلاثة أيام تنتقل البيضة الملقحة الى الرحم حيث تنغرس فيه ، وتستمد غذاءها منه •

تظهر فلسفة التلقيح حقيقتين أساسيتين فى تكوين الانسان ، وهما : أن نطفة الذكر هى المنوط بها الحركة والسعى ، والأنثى لاعداد الغذاء والحضانة ، والحياة لا تتم فى الانسان من دون تعاون هاتين النطفتين •

والظاهرة الثانية فى النساء هى أن حياتهن التناسلية أقصر منها فى الرجال ، اذ ينقطع الحيض فى المرأة بين سن الـ ٤٥ ـ ٥٠ حين تبلغ سن اليأس ، بينما يبقى الرجل مستعدا للتلقيح الى سن الستين فما فوق ، ومن الرجال من لقحوا فى الـ ٩٤ من العمر • ان العزة الالهية شاءت تقصير تناسل المرأة لحفظ حياتها من كثرة الحمل ، والتعرض لمخاطره ، والا مات كثير من النساء اذا استمررن على الولادة الى ما بعد الخمسين •

ذكر العلماء صفات خاصة للمرأة والرجل فى حياتهما الاجتماعية تؤيد الحقائق الاحيائية ، ومن أبرزهم لويس تيرمان الشهير مستنبط امتحان الذكاء ، وقد وضع بالاشتراك مع السيدة كاترين كوكس ميلز من جامعة كاليفورنيا امتحانا للذكورة والأنوثة ، فوضعا سلسلة من الرسوم طلب من الرجال والنساء أن يعرفوا أى شىء تشبه هذه الرسوم ، فرسما رسوما خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء ، وتوصلا بوساطة هذا الامتحان الى النتائج الآتية :

يكون الفرد أميل الى الذكورة اذا كان محبا للمخاطرة ، ميالا الى العمل فى خارج البيت ، محبا للأعمال الفنية ، ميالا للآلات والأشياء الحيلية ، مشغوفا بالعلم والأمور الطبيعية والاختراعات ، ميالا الى الأشغال التجارية ، ويكون ميالا لحد ما الى المدافعة عن النفس والمهاجمة والخشونة والجسارة وعدم التأنق فى اللباس ، والتقيد بالآداب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإجتماعية وتنسيق الكلام • ويكون الفرد أميل الى الأنوثة اذا كان محبا للأمور المنزلية والفن والأدب والموسيقى والبقاء فى داخل المنزل ومواساة العجزة والمنكوبين والأعمال الأدبية ، ويكون الى حد ما شفيقا خجولا حنونا •

الجرائم والجنس :

من الأمور التى يختلف فيها سلوك الجنسين قضية الجرائم ، فالثابت من الاحصاءات المختلفة أن الرجال أكثر ارتكابا للجرائم من النساء ، فالقتل والسرقات والسلب والنهب والسطو والتعدى على الأعراض والسكر ومخالفة القوانين وغيرها من الجرائم، تكاد تكون من محتكرات الرجال ، وهى فى الرجال بصورة عامة أكثر منها فى النساء ، ولا حاجة بنا الى سرد الاحصاءات التى قد تزعج القراء • ومن الجرائم الأخلاقية البارزة فى النساء البغاء ، فان معظمه بين النساء ، ويوجد بغاء فى الرجال فى بعض الأقطار الأوربية وغيرها ، ولكنه قليل جدا بالنسبة الى وجوده بين النساء • وموضوع البغاء مستقل بنفسه لا يسمح لنا الوقت بالدخول فيه •

اللباس :

القصد الأساسى من اللباس وقاية الجسم من الحر والبرد والطوارىء الخارجية ، ومنع الأذى عنه ، وراحته ، وهو مظهر من مظاهر الزينة والاغواء ، كاللباس القصير ، والمزركش والضيق ، ورمز الى مهنة الانسان كالعمامة والقلنسوة ، والأكمام الطويلة ، والمعوزة للطبيب ، والطيلسان (الروب) للمحامين وغيرهم من أصحاب الألقاب العلمية • يرمز قسم من الألبسة الى مهنة الشخص ومركزه الاجتماعى ، واللباس رمز من رموز الفوارق الجنسية الخارجية ، وليست أزياء الرجال التى ترتديها النساء الآن ، كالبنطلون ، وربطة الرقبة ، سوى اعتراف بتقليد المرأة للرجل ، وأن مظهره خير من مظهرها ، وهو اعتراف من النساء بسيادة الرجال ، وبعدهن عن ابتكار أزياء خاصة بهن • واذا درسنا لباس النساء ولباس الرجال ، رأينا أن لباس كل منهما ملائم لتركيبه الجسدى ، وتشبه جنس بالآخر يدل على تفوق الجنس المتشبه به • وقد حرمت بعض الشرائع تزيى النساء بزى الرجال ، وجاء فى الاصحاح الثانى والعشرين ، العدد الخامس من سفر التثنية فى العهد القديم : « لا يكن متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس ثوب امرأة ؛ لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب الآهى » •

وهناك أمور تقليدية فى لباس الرجل والمرأة ، لا تعرف لها أسباب حقيقية ، منها أن الرجل يضع أزرار ثيابه فى اليمنى من سترته ، والعرى فى الجهة اليسرى ، وتعمل المرأة عكس ذلك ، أى تضع الأزرار فى الجهة اليسرى والعرى فى الجهة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليمنى ، وقد منع النازيون فى ألمانيا وايطاليا النساء من التزيى بزى الرجال فى أثناء الحرب العالمية الثانية .

والمعروف أن النساء أكثر اهتماما باللباس والزينة من الرجال ، وهذا هو الواقع فى عصرنا الحديث . ولكن اذا رجعنا الى الحقيقة نرى أن الرجال كانوا أكثر من النساء اهتماما باللباس حتى القرن التاسع عشر ، وفى زمن البابليين والآشوريين والمصريين واليونان والرومان وفى القرون الوسطى بأوربة الى القرن التاسع عشر ، كانت الأزياء محصورة بالرجال ، ولا تزال الألبسة التقليدية للرجال ظاهرة حتى الآن فى انكلترة ومصر وتركية . واهتمام النساء بالألبسة مبعثه استجابة النساء الى رغبة الرجال ، وقد غالين أشد المغالاة وخرجن عن حدود الحاجة الى الزينة والاغواء والاسراف ، فالمرأة تصرف معظم أوقاتها بدرس الأزياء والخياطة والتجول فى الأسواق ، لاختيار الأقمشة الصالحة لها أكثر مما تصرفه فى شؤونها المنزلية .

توزيع الأعمال :

ذكرنا آنفا الفروق الطبيعية بين المرأة والرجل ، وسنبحث الآن فيما اذا كانت هذه الفروق تؤهل كلا منهما لأعمال خاصة ، ونبدأ بأبينا آدم وأمنا حواء . لنفرض أن آدم وحواء كانا متساويين بأعمالهما فى بدء حياتهما ، فلما حملت حواء وجدت نفسها أضعف مما كانت قبلا ، وصارت بالتدريج عاجزة عن الأعمال الشاقة ، ومضطرة الى الراحة والسكينة ، فاضطر آدم أن يقوم وحده بالصيد والقنص ، وحمل الأثقال ، ومكافحة الأعداء من الحيوان ومقاومة العوامل الطبيعية . ولما وضعت حواء ولدا اضطرت الى ارضاع طفلها ورعايته ، وأصبحت قابليتها للأعمال الأخرى محدودة ، ثم حملت ثانية قبل فطام ولدها ، فأفقدها الحمل عن العمل . واستمر آدم يسعى فى مناكب الأرض ليأكل هو وامرأته من رزقها ، فيصطاد الحيوانات ، ويحارب الأعداء من الحيوان وغيره ، ويقوم بغير ذلك من الأمور التى تتطلب قوة جسدية ، فاعتاد هذا الضرب من الأعمال . أما حواء فكانت مضطرة الى البقاء فى الكهف ، والاكتفاء بالأعمال الهينة التى لا تتطلب جهدا جسديا ، كالتقاط الحبوب الموجودة بالقرب منها ، وجمع الأعشاب والبقول وتهيئتها للطعام ، واعداد البيت والثياب ، فصارت متخصصة بها أكثر من آدم ، كما صار آدم متخصصا بالأعمال التى تحتاج الى قوة جسدية ، وقد مضت آلاف السنين ، ويقدر العلماء تاريخ وجود الانسان فى هذا الكوكب بنحو ٥٠٠ر٠٠٠ سنة ، وحواء وآدم يعيشان هذه العيشة ، ويسلك كل منهما سلوكا خاصا فى أعماله ، تدرب عليها آلاف السنين حتى صار متخصصا بها ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالولادة والرضاعة عاملان أساسيان فى توزيع الأعمال بين الجنسين ، وهناك عوامل طبيعية أخرى ذكرناها سابقا ، وهى فواق الرجل المرأة قوة ووزنا وحجما ، وسنتطرق الى مستنبطات المدنية الحديثة التى جعلت المرأة تستغنى عن الارضاع والطبخ وادارة البيت حينما نبحث فى المساواة بين الرجل والمرأة ، وقد حذرت دائرة تشغيل النساء فى أمريكا تشغيل المرأة بالأعمال الشاقة كصناعة الأسلحة والتعدين وصناعة المكائن الثقيلة وما أشبه ذلك ، وجاء فى تقرير الدائرة نفسها ما يأتى :

ان قوة المرأة أكثر بقليل من نصف قوة الرجل ، والأعمال الثقيلة تؤثر فى بنية المرأة الطبيعية ، ومن المحتمل أن تحدث عيوبا فيها تؤثر فى ولادتها • وقد يؤدى الوقوف الطويل المستمر الى اضطراب الحيض ، ويعرض المرأة الى ظهور الدوالى ، أو تجمد العروق الدموية فى الساق ، وتتعرض النساء الحبليات اللاتى تحملن أحمالا ثقيلة الى عيوب العمود الفقرى وغيره من أجهزة الجسم ، ويضرب الكثيرون منا المثل بقوة النساء القرويات اللاتى يلدن فى الطريق ويقطعن المشيمة بأيديهن بدون أن يصبن بأذى ، ولكننا نجهل الأخطار التى يتعرضن لها ومقدار العيوب الجسدية والوفيات التى تحدث فيهن •

قال الأستاذ George Murdoch المتخصص بعلم الانسان فى جامعة ييل : تعفى المرأة فى الجماعات البدائية من الأعمال تقريبا حين الولادة ، ولا يوجد فى أية قبيلة امرأة تعود الى أعمالها بعد الولادة حالا •

وبالرغم من مساواة المرأة بالرجل عند السوفييت ، فقد منعوها عن الاشتغال بالأشغال الشاقة ، وقالوا ان الأعمال الشاقة مضرة للمرأة ، ووجد أن ثلاثة أرباع النساء اللاتى يشتغلن بصناعة الفحم والتعدين أصبن باضطراب الحيض •

وقد وجد المتخصصون فى المعامل الانكليزية أن النساء اللاتى اشتغلن فى تجهيز الذخيرة فى هذه المعامل كن يساوين الرجال لحد ما ، ولما زيدت ساعات العمل أصبن بأضرار أكثر من الرجال ، ولما زيدت ساعات العمل من عشر الى اثنتى عشرة ساعة ، زادت اصابات النساء ضعفين ونصفا على الرجال ، فأغمى على كثير منهن ، بينما كانت اصابات الرجال قليلة •

الرياضة البدنية :

من الأمور المسلم بها أن الرجال أقوى من النساء بصورة عامة فى ضروب الألعاب الرياضية وخاصة العنيفة منها ، والاحصاءات كلها تؤيد هذه الحقيقة ، ولم

يسجل للمرأة أى تفوق فى الألعاب الرياضية ، فالفواق فى الركض ، والقفز العالى والعريض ، ورمى الأثقال والجريد وغيرها من الألعاب الرياضية ، كان الرجل المجلى فيها ، وتشذ السباحة عن الألعاب الاخرى ، فان فواق الرجال قليل فيها ، ويعزى ذلك الى أن السباحة تحتاج الى توازن حركات الجسم ، ونصيب المرأة كبير منه ، وقد اشتهرت Even Helene Moody بلعبة (التنس) فأحرزت البطولة فيها ، ولكنها لم تلعب منفردة ، وليس لدينا ما يثبت فواقها على رجل وحدها ، قال William T. Tider أحد كبار اللاعبين : بالرغم من أن النساء ماهرات جدا فى لعبة التنس كالرجال فان عوائقهن الطبيعية ، كتحديد الطول والوزن ، وسرعة نقل القدم ، وبنية أجسامهن ، تحول دون فواقهن على الرجال ، فهل فواق الذكور من هذه الناحية طبيعى أم اكتسابى متولد من التدريب ؟ لقد مر بنا أن بنية الرجل الطبيعية تجعله أقوى وأكثر تحملا للتعب وأسرع من المرأة فى الحركات الطبيعية • قامت لجنة متخصصة فى لندن بدراسة أنواع التعليم الرياضى للبنات Physical Education ، فقررت عدم اعطائهن رياضة عنيفة ، ولم تسمح لهن بالرياضة العنيفة الا لمدة قصيرة ؛ لأنها تضر صحتهن ، وتؤثر فى أجهزتهن التناسلية ، ولكن الحضارة الانسانية جعلت البشر يتخطون الحواجز الطبيعية •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحرمات :

للحرمات تأثير كبير فى حياة الانسان ، وتكاد تتساوى الأمور الوراثية ، والوراثة الاجتماعية تبارى الوراثة الطبيعية فيرث الناس التقاليد الاجتماعية جيلا عن جيل ، وقد تأثر البشر بالتعاليم الدينية ، وأصبحت عقائدهم راسخة فى نفوسهم ، وقد جاء فى الاصحاح الخامس من سفر التكوين من العهد القديم فى مخاطبة البارى عز وجل لحواء وآدم « بالوجع تلدين أولادا ، والى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك » •

وقال لآدم : « لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت الشجرة التى أوصيتك قائلا : لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها » •

وفى القرآن الكريم : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » •

وقد أثرت حرمات الطمث تأثيرا كبيرا فى حياة المرأة والاستفادة من الفرص التى تهيأت لها لمساواة الرجل فى الأعمال الشاقة ، فالمرأة لاتجوز لها الصلاة ولا الصيام فى أثناء الطمث ، وحرمت كل الأديان السماوية على المرأة ممارسة الشعائر الدينية فى أثناء الحيض ، وجاء فى الأصحاح الثانى عشر من سفر اللاويين : « اذا احبلت امرأة وولدت

ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام ، كما فى طمث علتها تكون نجسة ، وان ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها » .

فنرى من هذه الأقوال وغيرها أن الحرمات الدينية والاجتماعية نحت المرأة عن أعمال الرجل ، ولا نرغب فى أن نخوض فى فلسفة هذه الحرمات ، فمن الممكن أنها استهدفت خير المرأة ، فالطمث والحمل والولادة تؤثر تأثيرا بارزا فى قواها الجسدية . وهناك حرمات اجتماعية مضافة الى الحرمات الدينية حددت أعمالا للرجل وأعمالا للمرأة ، فالرجل الذى يحوك أو يطرز أو يغسل ثيابا أو طفلا يهزأ به الناس ، ويعيب الناس الرجل الذى يعمل أعمال المرأة ، ولا يعيبون المرأة التى تعمل أعمال الرجل . وقد أثرت الحرمات الدينية والاجتماعية فى الجنس البشرى تأثيرا كبيرا ، وجعلت المرأة تختص بأعمال غير أعمال الرجل ، وقد درست لجنة من جامعة « ييل » بارشاد أستاذ علم الانسان فى هذه الجامعة حياة ٢٢٢ قبيلة تمثل قبائل العالم المختلفة ، وتوصلت فى بحثها عن أعمال الرجل والمرأة الى النتائج التى تراها مشروحة فى الرسم .

شريف عمران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجغرافيا عند المسلمين

والشريف الادريسى (*)

السلام عليكم • أحييكم ، وأشكركم على اجابة دعوة المجمع لسماع محاضرتى فى هذا المساء عن (الجغرافيا عند المسلمين ومقام الشريف الادريسى بين الجغرافيين الاسلاميين) : هذه المحاضرة التى اخال أن ما سأورده فيها هو غير بعيد عنكم علمه ، ولعله لايستحق ماكلفكم من جهد الطريق • غير أن ذلك هو جهدى ومبلغ علمى ، لم أظفر بأكثر منه ، وبحسب المقل جهده ، ولن يستطيع امرؤ أن يعطى أكثر مما يملك •

على أننى ـ ان لم أوفق أن أضمن محاضرتى أشياء غير غريبة عنكم ـ أرجو أن لا أحرم التوفيق فى شىء واحد ، ذلك هو اثارة (الشعور بالعزة القومية) فى أنفسكم ، بما أوجب البحث العلمى أن أعرض له : من صنيع الأجداد العظماء فى بناء الحضارة الانسانية ، والمجد الباذخ الذى شادوه لأنفسهم وللعالم فى ميادين الحياة ، بما كانوا يتحلون به : من علو الهمم ، وطموح العزائم ، وتعشق المغامرات ، والدؤوب على تذليل الصعاب والعقاب التى تعترضهم فى سبيلهم الى امتلاك أعنة السيادة المطلقة وحيازة الشرف الرفيع •

والرجاء فى عرض هذه الذكريات العذبة أن تنفع فى باب اعتبار الحفدة والأبناء بمحاسن صنيع الأجداد ، وأن تؤدى اثارتها واسماعها للجيل الناشىء الى الانبعاث فى سبيل تلك العظمات والخلائق المسلمة من كل عار ومأثم

ولست أدكر الماضين مفتخرا لكن أقيم بهم ذكرى لمدكر

وبعد ، فانى قد صاحبت (الشريف الادريسى) أكثر من عام فى نقل (خارطته)(١) التى نسقها (المستشرق الألمانى كونراد ملر) ، وفى تحقيقها برجوعى الى أصول كتابه (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) والى كتب أئمة الجغرافيين الاسلاميين • فلما أردت

(*) محاضرة ألقاها الأستاذ محمد بهجة الأثرى مساء ٢٧/٥/١٩٥٠ بدار المجمع العلمى العراقى •

(١) وشاركنى فى نقلها الدكتور جواد على أمين سر المجمع •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن أهيىء بحثى عنه ، لم أجد بدا من تحديد مقامه العلمى بين الجغرافيين الاسلاميين ، فاقتضى ذلك البحث فى الجغرافيا عند المسلمين وأصالتهم فى مقامهم العالى فيها فى الفترة الطويلة بين عهود اليونان وعهود هذه الحضارة الأوربية ، فمضيت فيه ، فاذا نفس الكلام يمتد ويطول ، وأنا أرده الى الاختصار والايجاز مراعاة لوقت المحاضرة ، حتى استطعت أن أركزه ، وأسوى منه هذا الكلام الذى ستسمعونه .

أما بحثى فى الشريف الادريسى و « خارطته » ، فلا مندوحة لى من ارجائه الى وقت آخر يتسع له ان شاء الله .

*
**

قضت طبيعة الجزيرة العربية تلك الطبيعة الضنينة القاحلة على سكانها البداة بضنك العيش وشدة العوز والفاقة ، فاستفزهم ماهم فيه من ذلك الى الرحلة والتجوال فى مواسم السنة كلها ، ملحين فى تتبع الغيث ، وانتجاع مواطن الكلأ والماء ؛ فأوغلوا فى بطون الأودية ، وجابوا السباسب والقفار الى منابت الشجر ، مشرقين ومغربين ، متهمين ومنجدين ، سدا لفم حاجاتهم ، وارتيادا لما يقوم بمؤنهم ومراعى ابلهم وسوائمهم .

فاكسبهم ذلك علما واسعا عجيبا بكل بقعة من بقاع وطنهم المتسع الأرجاء ، الممتد من ريف العراق الى أقاصى اليمن وبحر الهند ، ومن البلقاء وبحر القلزم الى بحر عمان ، كما دلت على ذلك أخبارهم ، وزخرت به أشعارهم من أسماء الأماكن والأودية والجبال والبقاع مما لانظير له فى أشعار أمة أخرى .

وقد بلغوا من الاهتداء فى البر والقفر أنهم كانوا يتعرفون أحوال الأمكنة ، من غير دلالة عليها بالأمارات المحسوسة دلالة ظاهرة أو خفية ، بقوة الشامة فقط ، فيستدلون على البقاع ، وهم فى بطون الفلوات ، بسوف ترابها ، أى شمه ؛ ليعلموا أعلى قصد هم أم على غير قصد ، أو يستدلون عليها برائحة بعض النباتات فيها ، أو بحركة حيوان مخصوص ، كما يستدلون بمثل ذلك على وجود الماء فى بطن الأرض . وما برحت هذه الظاهرة مشهودة عند العرب الرحل فى أيامنا على نحو ما تأدى الينا من بينات التأريخ وشواهد الشعر .

ذلك هو شأن سكان الصحراء من العلم بالأمكنة والبقاع .

أما سكان الحواضر والقرى ، كأهل مكة والطائف ويثرب ، فقد تجاوز علمهم بالبلدان الى ماوراء البوادى العربية ، الى الحبشة واليمن والشام والعراق وغيرها مما بلغوا برحلاتهم ، فقد صح أن العرب كانوا على اتصال سياسى بمن حولهم من الأمم

كالفرس والروم ، وأن منهم أناسا أصحاب تجارة كانوا على اتصال اقتصادى بمجاوريهم ، يرحلون اليهم فى تجارتهم ، ويلابسونهم فى شؤون المعاش ، « ويقتنون الأملاك والضياع ، وينزلون البلاد المجاورة كأن تلك البلاد أجزاء متممة لبلادهم على اختلاف بينهم وبين ساكنيها فى الطباع والألسن » ، « واستولت قريش على التجارة فى الجاهلية ترحل فيها رحلتين : رحلة الشتاء نحو العباهلة من ملوك اليمن ونحو اليكسوم فى أرض الحبشة ، وأخرى نحو الشام وبلاد الروم فى الصيف » ، على نحو ما جاء فى السورة المعروفة : (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) . « والايلاف شىء كان يحمله هاشم لرؤساء القبائل من الربح ، ويجعل لهم متاعا مع متاعه ، ويسوق اليهم ابلا مع ابله ، ليكفيهم مؤونة الأسفار ، ويكفى قريشا مؤونة الأعداء ، فكان المقيم رابحا ، والمسافر محفوظا » .

ولا أشك فى أن من العرب قبل الاسلام تجارا وملاحين تمرسوا بركوب البحار الى البلاد النائية ، فركبوا البحر الأحمر الى مصر وبلاد الحبشة ، وركبوا بحر عمان والبحر الهندى الى شواطىء فارس وحواشى بلاد الهند ، يصدرون اليها ، ويستوردون منها ، حتى صح لبعض شعرائهم أن يفتخر بكثرة سفن قومه فى البحر فيقول :

ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا !

ولولا صلتهم هذه بالبحر ، واصطناعهم له فى مرافقهم ، لما سهل على شاعر آخر ، وهو طرفة بن العبد ، أن يصف السفينة فيبدع فى الوصف والتشبيه ، ولا ينسى الى ذلك أن يسمى مكان بنائها وبناءها ، فيقول :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من (دد)
عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد

والخلايا : هى السفن العظام ، واحدتها خلية . وعدولية : منسوبة الى عدولى ، وهى قرية بالبحرين . وابن يامن : كان ملاحا من أهل البحرين .

ومن أجل هذا اكتسب هؤلاء معرفة بالأقطار المجاورة ، وعلما بالمسالك والممالك لاغبار عليه ، على قدر ما انتهت اليه عزائمهم ، ووقفت عنده مصالحهم ؛ وهو ميراث ورثه الخلف من السلف ، وظهرت آثاره فى عهود التدوين كما سيأتى الكلام عليه .

*
**

ولما نجم الاسلام فى العرب ، وكان هدفه أن ينتظم هذه الأرض من مشرقها الى

مغربها ، وكان تحقيق هذا الهدف لايتم الا بأن يحبب اليهم الضرب فى الأرض ، والابعاد فى الرحلة عن الأهل والوطن برا وبحرا ، جهادا فى سبيل الله ، واعلاء لكلمته . . أذكى القرآن العزائم فى معارض مختلفة ، ليحملها على اقتحام أجواز القفار ، وأواذى البحار ؛ ذلك لأن النفوس لاتزكو بالقعود فى الرحال ، والمطالب الجسام لاتنال بالركود على حال من الأحوال ، وانما تزكو النفوس وتصلح بالتنقل والارتحال ، للاطلاع على الغرائب ، والاستطلاع للعجائب ، وكشف الجديد من المشاهد والملامح والصفات ، كما تنال الآراب ، باستسهال الهمم للصعاب والعقاب ، وانبعاث العزائم الى تجشم خطيرات الأمور ، والسعى فى تذليل كل شاق عسير

ألم تعلمى أن الثواء هو الثوى ... وأن بيوت العاجزين قبور ؟
وأن خطيرات المهالك ضمن ... لراكبها أن الجزاء خطير ؟

وآيات القرآن التى أذكت العزائم فى معارضها المختلفة للضرب فى البر وركوب البحر ، ليست بعيدة ممن يستصبحون بأنوار كتاب الله ، ويقبسون أزوادهم الروحية من مثله العليا !

من من المسلمين لايستذكر آيات الدعوة الى السير فى جوانب الأرض ، ذات الطول والعرض « أو لم يسيروا فى الأرض ؟ » (٣٠ – ٩) . « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه ، واليه النشور » (٦٧ – ١٥) . « قل : سيروا فى الأرض ، ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (٦ – ١٢) . « أفلم يسيروا فى الأرض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لاتعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (٢٢ – ٤٦) .

ومن من المسلمين لايتذكر آيات الدعوة الى ركوب الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام ، للانتفاع مما فى البحر من لحم طرى يؤكل ، وحلية تلبس ، وخير يفاد ؛ ومما يؤدى اليه ركوبه من الاتصال بالعالم ، ومعرفة البلاد والعباد ، وعليها يكون قيام العمران ؟

« الله الذى سخر لكم البحر ، لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٤٥ – ١١) . « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون » (١٤ – ١٥) . « ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر ، لتبتغوا من فضله ، انه كان بكم رحيما » (١٧ – ٦٧) . « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥٥ ـ ٢٤) .

ان هذه الدعوة القرآنية الى الانتشار فى العالم المعمور ، بتحبيب الضرب فى الأرض ، وركوب البحار ، قد وافقت من العرب طبيعة مواتية ، واستعدادا موروثا كسبوه من هذا التطواف الدائم فى مواطنهم ، والرحلة الى البلاد المجاورة وغيرها ، على نحو ما وصفت قريبا .

فما ان استجابوا الى الاسلام ، وأنشأوا دولته ، وحركتهم حوافز نشره الى الفتح ، حتى انبعثوا الى أكناف الأرض جهادا فى سبيل الله ، ونشرا لدينه ، فأوغلوا فيها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وركزت جيوشهم الغازية أعلامها الخفاقة شرقا على نهر الجنجس فى الهند وتخوم الصين ، وغربا على نهر اللوار ومعابر الألب . جابوا اليها بطون القفار ، وتوقلوا فى الجبال ، وركبوا متون البحار ، فى تأريخ حافل بالعجائب والمدهشات . واستتبع هذا الفتح الواسع امتزاجا عاما بين الشعوب ، ونشاطا عظيما فى الحياة شمل العالم المعمور كله ، ولم يسبق له مثيل فى التأريخ .

كان العالم نائما فأيقظه العرب بترنيمة التوحيد ، ونوروا بصيرته بالاسلام ، وبصره بنور الحياة . هدوه ، وآخوه ، وهذبوه ، وعلموه الحق والعدل والمساواة ، وما رأينا قبلهم ولا بعدهم أمة فاتحة جعلت أمرها وأمر الشعوب المفتوحة شيئا واحدا .

لقد لابس العرب ، بعد الفتح الاسلامى ، أمم الأرض بالمصاهرة والمتاجرة والحكم وجميع ضروب التعاون المطلق فى كل جانب من جوانب الحياة ، وما كان هذا نصيب أمة أخرى من قبلهم ولا من بعدهم الى يوم الناس هذا .

فلا عجب ان رأينا الأمن فى عهودهم الراقية الزاهية قد عم ، حتى شاهد البر والبحر فى كل جهة من جهات العالم قوافل التجار ذاهبة آئبة بين الشرق والغرب ، وهى تحمل حاصلات الأمم ومصنوعاتها من قطر الى قطر طوال مواسم السنين ... وجموع الحجاج من أقاصى الأندلس الى حواشى الصين ، وهى تجيش بالحركة والنقلة فى طول البلاد وعرضها ، لتلتقى فى عراص البلد الحرام حول الكعبة على وحدة العقيدة ووحدة الهدف ، فى ظلال الأخوة الاسلامية العامة ... ورواد العلم ، وهم كالجيوش عدا ، يرحلون من بلادهم فى كل ناحية من الامبراطورية الاسلامية الى مراكز النشاط العلمى فيها كمكة والقاهرة وقرطبة ودمشق وبغداد وكبريات حواضر ماوراء النهر ، للتأدب والتعلم والتفقه والأخذ من أفواه العلماء ... والبرد السلمية والبرد الحربية ، وهى تربط أجزاء الامبراطورية العظمى بحمل الرسائل والأخبار من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق برا وبحرا ، فى أوقات معينة ، وأنظمة دقيقة ، وسرعة عجيبة يسروها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بما أوجدوا من محطات للبريد تسمى السكك وهى مزودة بالخيل والراكبين على مسافات معينة ، كل ثلاثة أميال أو فرسخين ، بل كان بين المغرب والمشرق شبه تبادل دولى فى البريد ، فكان بريد الترك يصل الى برسجان الأعلى وهو حد الصين ، وكان بريد آسية الصغرى يواصل الرحلة الى القسطنطينية .

وهذا ونحوه مما لم نذكر من أسباب النشاط والحركة والاتصال ، قد أدى الى اتساع معارف المسلمين بالممالك والمسالك اتساعا لم يتيسر مثله لليونان ولا للرومان ولا للفينيقيين ، وكانت هذه الأمم قبل العرب والاسلام أقدم تجار العالم ، وأكثرهم أسفارا ، وأغزرهم علما بالبلاد والمسالك ، ولكنها لم يتح لها ما أتيح للمسلمين : من امتداد النفوذ والانتشار فى أقطار المسكونة ، ووسائل الاختلاط التى أزالت الفوارق العنصرية أو كادت ، وأقامت مقامها وحدة العقيدة والاخاء الروحى أدت الى امتزاج الدماء .

على أن امتداد المسلمين هذا الامتداد الواسع فى العالم ، قد أثار فى علمائهم ورواد هم ورحاليهم الرغبة الشديدة فى الازدياد من التوسع فى المعرفة ، والطموح الى كشف المجهول والتفكير فيه والمغامرات من أجله .

* * *

ولنعرض الآن بضرب من الايجاز لهذه النواحى الخطيرة يكشف بعض الشىء عن مبلغ أصالة هذا العلم عند المسلمين ، وقيام ماكتبوه فيه على تأملاتهم واختباراتهم ورحلاتهم ودراساتهم العملية فى تتبع أحوال الأقاليم والأمصار ، وهى الينبوع العظيم الذى استفاض معينه على أقلامهم فى التصوير الدقيق ، والوصف التشخيصى الممتاز للبلدان والمسالك ، وطبائع الشعوب ، وأحوال العالم على عهدهم الميمون :

كان اتساع حدود الانبراطورية الاسلامية العظمى ، وانتشار الدين الاسلامى والثقافة العربية الخالصة فيها ، من أكبر الدواعى الى نشاط هذه الرحلات والأسفار ، والدراسات العملية ، وامتلاء نفوس المسلمين على اختلاف طبقاتهم بحب الأسفار الى الأمصار ، وامتداد مطارح أنظارهم الى الآفاق البعيدة . وقد شمل هذا النشاط الخلفاء والملوك والأمراء ، فسما بهم عن أن يكونوا أحلاس القصور وقرناء الدعة فى ظلال الترف ونضرة النعيم ، وحملهم على قيادة الجيوش والسير فى البلاد وركوب الحزون والوهاد ، كالذى رأيناه من سيرة الرشيد والمأمون والمعتصم وغيرهم من الخلفاء العباسيين ومن سير كثير من الأمراء الأمويين من قبلهم ، حتى صار الشعراء يحلولهم أن يمدحوهم بذلك كما قال بعضهم يمدح المعتصم بالله العباسى :

تناولت أطراف البلاد بقدرة كأنك فيها تبتغى أثر الخضر !

وبهذه النزعة المغامرة الجبارة تعشق رجال الاسلام ، فى مختلف العهود ، الرحلة الى أطراف الدنيا ، وسارت جيوشهم الجرارة الى البلاد ، واخترقت قوافلهم التجارية أنحاء المعمورة برا وبحرا الى الصين شرقا ، والى بلاد الصقالبة أى الروسية حتى شواطىء البلطيق شمالا ، والى ساحل افريقية الشرقى الى مدغشقر جنوبا ، والى أرضى السودان الشاسعة حتى شواطىء الأقيانوس الأتلنتيكى غربا . ونفذت بعوثهم ورحالوهم الى أبعد ما تسمو اليه الهمم من مجاهل الأرض ، لكشفها والاطلاع على أحوالها ، وهو أمر لم يتهيأ لغيرهم من الشعوب الفاتحة من قبل .

توغلوا فى افريقية ، ونفذوا الى مجاهلها ، وشققوا قلب الصحراء فعبروها الى السودان وغيرها ، ولم يجتز الرومان حد الصحراء الشمالى . وكانت رحلتهم الأولى الى هذه القارة العظيمة فى القرن الأول للهجرة رحلة الفتح ، فاستولوا على مصر وبرقة وليبية وطرابلس وتونس والقيروان ، وتوسعوا من بعد فى الفتوحات حتى امتلكوا كل شواطئها الشمالية والشرقية والغربية ، وتوغلوا فى مجاهلها حوالى النيل والنيجر والكونغو والزولو وكفروريا (الكفرة) . وكان عرب عمان وحضرموت والشحر والبحرين أول من عرف طريق الهند من عهد سحيق ؛ وفى بدء الفتوحات الاسلامية اجتازت مراكبهم سواحل افريقية كلها ، وملكوا بلاد الصومال وجوبو وممبسة وزنجبار وموزنبيق وجزائر الكومور ، ولم تزل بقايا العرب فى جزائر مدغشقر وفيليبين ، وأسسوا فيها الممالك ، وأقاموا الحصون والقلاع . وكانت بلاد ملينده وممبسة ومقدشو وثبة وسفالة وكلوا وبمبا وزنجبار وغيرها ، ممالك مستقلة زاهية عامرة ؛ وكان سلاطينها ، ذوى جاه وسطوة وصولة . ووسعوا تجارتهم فى تلك البلاد ، فاتجروا بالذهب وريش النعام والعاج والبهارات والطيوب . وحقيقة الأمر أنه كان للعرب تجارة واسعة فى العصور الخالية فى افريقية كلها ، كما كان لهم فيها الملك والسلطان . وقد تيسر لهم من ذلك فيها ما لم يتيسر لغيرهم من الأمم . وانما ظل الأوربيون حتى القرن الثامن عشر عند سواحلها ، لاتطال أعناقهم الى ما وراءها ، حتى قدر لهم أن يقتحموها ، وليس من موضوعنا أن نعرض لتأريخ ما سى ضياع هذا الملك العظيم من يد العرب ، وكيفية استيلاء البرتغاليين عليه ، فلنضرب صفحا عنه .

وتوغل المسلمون فى القارة الآسيوية الى الصين ، فوطئوا أرضها ، وكانت فيها تجارات واسعة وجوال عربية عظيمة ، وكان الرومان قبلهم يتخيلون وجودها تخيلا ، ولا يعرفون من أمرها شيئا .

ويؤخذ من أقوال المؤرخ الصينى « جين يون » (Chén Yüan) الأستاذ فى جامعة بكينغ (Peiking) أن أول وفد من الدولة الاسلامية الى الدولة الصينية أوفد سنة ٦٥١ م ، وكان ذلك فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأن تجار المسلمين ـ كما يقول المؤرخ الصينى الآخر « فواين جانغ » (Fu yéen Chang) ـ كانوا يقبضون على ناصية التجارة الدولية فى الشرق والغرب من أوائل القرن الثامن الى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، يتجرون بمتاجرهم من بحر عمان ، ويعبرون المحيط الهندى حتى يبلغوا مرافىء الصين التجارية « كانتون » حاضرة ولاية « كونغ تونغ » (Kwangtung) و « تسون جو » (Tsuan Chao) ميناء ولاية « فوكين » (Fukien) و « يانغ جو » (Yang Chao) ميناء ولاية « كيانغ سو » (Kiangsu) و « هانغ جو » (Hang Chao) و « منغ جو » (Ming Chao) ميناءى « جيكيانغ » (Chekiang) .

وقد وصل الاسلام الى الصين من البر ومن البحر ، والآثار الاسلامية فى « كانتون » و « تسون جو » و « هانغ جو » تدل دلالة واضحة على أنه وصل اليها بحرا من طريق الهند . وتدل كثرة المسلمين فى الصين الشمالية الغربية أيضا دلالة قاطعة على أنه وصل اليها برا من طريق ما وراء النهر ، والوصول الأول أقدم عهدا على ما يرى الكتاب الصينيون .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان تجار المسلمين وأصحاب الرحلات يسيرون الى الصين فى البحر ، فى رحل محفوفة بالأخطار ، فيتجهون بحذاء ساحل الهند ، أو يتجهون من مسقط الى ميناء كولام « كيلون الحالية » رأسا ، وذلك فى نحو شهر ، ثم يواصلون سيرهم جاعلين سرنديب الى شمالهم ، ويقصدون جزائر نيكوبار ، ومن ثم الى مدينة ركدا فى ملقا ، وهى على مسيرة شهرين من كيلون ، ومن هناك يقصدون جاوة وجزيرة ماهيت فى جزائر سندا ، ثم يسيرون خمسة عشر يوما حتى يصلوا الى كمبوديا ، ومنها الى كوشين شين والى الصين . وكان المسافر اذا وصل الى الصين عد ذلك عجيبا . أما رجوعه الى بلاده ، فكان يعد كالمستحيل . فلا عجب أن تسمع أن الرجل كان يرتقى الى أعلى السارية ، فاذا رأى أول علامات أرض الوطن ، هتف : « رحم الله كل من قال : الله أكبر » ، فعند ذلك يجيبه جميع من فى المركب هاتفين « الله أكبر ! » ويهنىء بعضهم بعضا ، ويكون لما يكون قد هجم عليهم من السرور . ولكن العرب مع هذا الذى يرون ويسمعون من المخاطر ، كانوا لاينثنون عن اقتحام لجج البحار الى الصين ، فكانت رحلاتهم التجارية ذاهبة اليها آتية منها ، وكان كثير من تجار المسلمين زاروا قصر انبراطور الصين فى القرن العاشر للميلاد ، واستقبلوا هناك استقبالا مملوءا بالمودة .

ومن هذه الصلات التى وجدت بين العرب والصينيين ، عرف العرب من الصينيين استخدام الحك ، وهو الابرة المغنطيسية أو البوصلة (Bussola) ، وخاصيتها أن يتجه طرفاها الى الشمال والى الجنوب . والمرجح الآن أن العرب قد أتحفوا العالم الأوربى بهذه الآلة النافعة ، فأخذها الافرنج عنهم فى عهد الحملة الصليبية الثانية .

وكان أهم رحلات الرحالين المسلمين الى الصين بعثة الخليفة العباسى الواثق بالله الى سد الاسكندر المشهور فى الثلث الأول من القرن الثالث الهجرى ، وكانت تتألف من خمسين رجلا ، ويرأسها سلام الترجمان . وقد سارت من « سر من رأى » متجهة نحو ارمينية فبلاد السرير والخزر والأرض المنتنة ، فاستغرقت رحلتها من خروجها الى رجوعها ثمانيـة عشر شهرا .

ورحلة ابن وهب القرشى فى سنة ٢٥٦ ، وهو من ولد هبار بن الأسود ، وكان من أرباب الثراء والجـاه فى العراق .

ورحلة سليمان السيرافى ، وتعد من أهم الآثار العربية عن الرحلات البحرية فى المحيط الهندى وبحر الصنـين فى القرن التاسع الميـلادى ، وربما كانت الأثر العربى الوحيد الذى يتحدث عن سواحل البحر الشرقى الكبير والطريق الملاحى اليها استنادا الى الخبرة الشخصية . وقد دون أخبار رحلته أبو زيد البلخى ، وزاد عليها ما نقله عن غيره وحدثه به السياح الذين احتلوا سواحل الصين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورحلة أبى دلف مسعر بن مهلهل الخزرجى ، وكان شاعرا أديبا رحالة ، اتصل بالأمير نصر بن أحمد السامانى ، وأوفـده هذا الأمير الى الصين حول سنة ٣٣١ هـ (٩٤٣ م) مع بعثة كان أحـد الأمراء الصينيين أوفدها الى البلاط السامانى ، ليخطب ابنة أمير بخارى . وقـد زار أبو دلف الهند وآخر مرفأ كانت تصل اليه السفن الاسلامية فى الصـين .

وأهم هذه الرحلات ، ولعلها خاتمتها أيضا ، رحلة القاضى محمد بن ابراهيم المشهور بابن بطوطة الطنجى فى أوائل القرن الثامن الهجرى ، وهو أعظم الرحالين المسلمين قاطبة ، وأكثرهم طوافا فى الآفاق ، وأوفرهم نشاطا واستيعابا لأحوال الأمصار ، وما كتبه فى رحلته (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) عن الصين والهند والروسية والسودان ومصر وفلسطين والعراق والحجاز ونجد وفارس وغيرها ، يعـد غاية فى النفاسة والفائدة والامتاع . وقد قدرت المسافات التى قطعها فى أسفاره ، فى ثلاثين عاما ، بخمسة وسبعين ألف ميل . وهى مسافة لا يظن أن رحالة غيره قطعها قبل استخدام البخار فى وسائل السفر .

أما أوربة ، فقد عرف العرب معظم أصقاعها معرفة تامة ، وأقاموا لهم فيها ملكا امتد بقاء بعضه ثمان مئة عام . اقتحموها فى أواخر القرن الأول للهجرة من جنوبها الغربى ، فاستولوا على بلاد الأندلس ، ثم اخترقوا جبال البرانس (البيرانة) فنفذوا الى فرنسة ، واستصفوا مدن ساحلها الغربى ؛ ثم أوغلوا فى الداخل فبلغوا نهر اللوار ، واحتلوا تور وبواتييه ومقاطعة فرانش كونتى فى شرق فرنسة ، وبقى جانب كبير منها ميدانا لجيوشهم زمنا طويلا ؛ ثم تجاوزوا منها الى سافواى وبييمونت ومونتفرات وسويسرة ، واحتلوا أمنع الحصون من قلب أوربة ، وذلك من خليج سان تروبيس الى بحيرة كونستانزه ، ومن نهر الرون وجبل جورا الى سهول جبل فرات ولمباردية . وأبعدوا المغار فى جبال الألب ، وخضعت لهم معابرها على بيرانجة ، وفتحوا مرسيلية وجميع الساحل الى جنوة ، وغزوا رومة وصعدوا فى نهر الطير ، واستولوا على جزر البحر المتوسط : اقريطش وقبرس ورودس وصقلية ومالطة وغيرها ، وطرقوا أبواب القسطنطينية ، فى تأريخ حافل لا تفى به الأجلاد .

وهكذا عرف العرب هذه القارة العظيمة معرفة تجربة واختبار ، وقد استقرت أقدامهم فى أقاليمها مدة تختلف طولا وقصرا ، واطمأنوا الى العيش فى قلبها وأطرافها الغربية والجنوبية ، وتزوجوا من أجمل الفتيات فيها ، وحرثوا وزرعوا ، وصارت لهم فيها علاقات سياسية وعلاقات أخرى اقتصادية وتجارية خطيرة بالروسية والمجر وألمانية وفنلندة والسويد والنرويج وأيسلندة والجزر البريطانية ، وسارت سفائنهم التجارية الى سواحل بحر البلطيق وشواطىء المحيط الأطلسى . وتشير كتب الرحلات الى تردد التجار المسلمين الى جنوبى الروسية ، والى وصولهم الى أوربة الوسطى : يحملون السلع بين الأسواق المختلفة ، ويقومون بالرحلات الطويلة فى هذا الشأن . وبحسبنا أن نشير الى الكنوز الوافرة من النقود الاسلامية التى عثر عليها فى الروسية وفنلندة والسويد والنرويج وسويسرة وأيسلندة والجزر البريطانية ، وهى ترجع الى الفترة الواقعة بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الخامس للهجرة .

وقد دعا ايفاد بعض أمراء المسلمين الرسل والسفراء ، الى رحلات طريفة الى الأصقاع الأوربية التى لم تطأها جيوش المسلمين . ومن ذلك ، البعثة البغدادية الى الفولجا فى الروسية ، فى مطلع القرن الرابع الهجرى ، وهى بعثة المقتدر بالله العباسى الى ألمس بن شلكى بلطوار ملك الصقالبة ، وقد سأله هذا الملك أن يبعث اليه من يفقهه فى الدين ، ويعرفه شعائر الاسلام ، ويبنى له مسجدا ، وينصب له منبرا ، ليقيم عليه الدعوة فى جميع بلده وأقطار مملكته ، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له . فأنفذ

اليه بعثة كان فيها أحمد بن فضلان ، وانفصلت البعثة من بغداد لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٠٩ هـ (٩٦١ م) متجهة الى بخارى فخوارزم فبلاد البلغار حيث وصلت لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣١٠ هـ . والبلغار تطلق عند العرب على بلاد الصقالبة ، وهم الروس ، وعلى الشعب نفسه ، وعلى عاصمتهم التى كانت تقع شرقى نهر الفولجا المسمى عند الجغرافيين الاسلاميين بـ (اتل) . وقد ضمن ابن فضلان رحلته هذه صورة رائعة لهذا الشعب وحضارته وعاداته وتجاراته ، وعرض للظواهر الطبيعية فى بلاده ، كقصر مابين مغيب الشمس ومطلعها هناك ، وتعذر تحديد أوقات الصلاة ، فكتب يقول ، وقد صلى مغرب أول ليلة باتها فى العاصمة : « ودخلت أنا وخياط كان للملك من أهل بغداد قبتى لنتحدث ، فتحدثنا بمقدار نصف ساعة ونحن ننتظر أذان العشاء ، فاذا بالأذان ، فخرجنا من القبة وقد طلع الفجر . فقلت للمؤذن : أى شىء أذنت ؟ قال : الفجر . قلت : فعشاء الأخيرة ؟ قال : نصليها مع المغرب . قلت : فالليل ؟ قال : كما ترى ، وقد كان أقصر من هذا ، وقد أخذ الآن فى الطول . وذكر أنه منذ شهر مانام الليل ، خوفا من أن تفوته صلاة الصبح . . . . . »

وقد زار بلاد البلغار ، بعد ابن فضلان ، رحالون وعلماء من المسلمين ، منهم عبدالله أبو حامد الأندلسى الغرناطى صاحب « تحفة الألباب ونخبة الاعجاب » ، وقد زار بلاد البلغار سنة ٥٣٠ هـ وصحبه قاضيها يعقوب بن النعمان ، وذكر أن هذا القاضى ألف كتابا فى تاريخها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأهم الرحالين المسلمين الذين ساحوا فى بلاد الروسية ، ابن بطوطة ، فقد أبحر من ثغر صنوب شمالى آسية الصغرى الى شبه جزيرة القرم ، وغادرها الى أزاق ، ومنها الى القوقاز حيث اتصل بالسلطان محمد أوزبك خان ، فأعانه بدليل أوفده معه ليوصله الى مدينة بلغار ، فلما بلغها أراد أن يجاوزها الى الشمال لزيارة أرض الظلمة (أى سيبيريا وشمالى الروسية) ، وبينها وبين مدينة بلغار أربعون يوما ، ولكنه أضرب عن ذلك ، وعلل عدوله بعظم المؤونة وقلة الجدوى ، وقال : « ان السفر اليها لايكون الا فى عجلات صغار تجرها كلاب كبار ، فان تلك المفازة فيها الجليد ، فلا تثبت قدم الآدمى ولا حافر الدابة فيها . . . » ثم عاد الى أوزبك خان فى القوقاز ، وأتيح له أن يغادره الى القسطنطينية فى رفقة الخاتون بيلون زوجة هذا السلطان .

ومن رحلات المسلمين الى شمالى أوربة ، السفارة الأندلسية نحو سنة ٣٦٢ هـ الى أوتو الأكبر امبراطور الجرمان ، التى يرى بعض الباحثين أن من المحتمل أن بعض أعضائها كانوا مصدر ماكتبه زكريا بن محمد القزوينى فى كتابه « آثار البلاد وأخبار

العباد ، عن بعض البلاد الألمانية .

وقد ذكر القزوينى فى هذا الكتاب بعض البلاد الفرنسية والألمانية والهولندية ، مثل ايطرخت Utrecht وأبولدة Fulda ومغانجة Mainiz وشلشويق Schleswig ، والمعروف عنه أنه اتصل بكثير من الرحالين ، وقرأ كتبهم ، وأفاد من مشاهداتهم ، كالملطانى والطرطوشى اللذين أتيح لهما رؤية بعض المدن فى فرنسة وأوربة الوسطى .

ويعد (الادريسى) أهم من عرف أوربة الغربية والشمالية من الجغرافيين الاسلاميين ، وقد عنى الأخوان الفنلنديان تل غرين ـ توليو ، و آ . م . تال غرين بتعيين كل ما أتى به فى « خارطته » من أسماء وطنهما وبيان أهميتها ، ورسماها فى « خارطة » فنلندة العصرية بغاية الاتقان ، وألفا من ذلك رسالة فى ١٥٤ صفحة نشراها باسم : Studia Orientalita III. Idrisi: La Finlande et les autres Pays Baltiques orientaux (١)

ولم تقف همم رواد المسلمين عند هذا الحد من ارتياد المعمورة حسب ، بل تجاوزوه الى البحث عن عوالم جديدة ، وفكروا فيما عسى أن يكون فى المحيط الأتلنتيكى أو وراءه من مجاهل الأرض . وكان العرب قد اتخذوا الأساطيل فيه للدفاع عن ملكهم فى الأندلس والمغرب ، ومارس فتيانهم ورجالهم البحار ، وألفوا أهوالها ، ثم خرجوا من حيز هذا التفكير الى حيز التنفيذ ، وحاولوا التوغل فى الأتلنتيك . ومما يشهد بذلك هذا الحديث الرائع الذى رواه (الادريسى) (٢) عن الفتية الثمانية المغرورين أو المغربين ، من مدينة لشبونة عاصمة البرتغال ، كلهم أبناء عم ، اتفقوا حوالى القرن الرابع الهجرى على القيام فى الأتلنتيك بمغامرة جريئة « ليعرفوا ما فيه ، والى أين انتهاؤه ، فأنشأوا مركبا حمالا ، وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر . ثم دخلوا البحر فى أول طاروس (٣) الريح الشرقية ، فجروا بها نحوا من أحد عشر يوما ، فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروش (٤) قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم فى اليد الأخرى ، وجروا مع البحر فى ناحية الجنوب اثنى عشر يوما ، فخرجوا الى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل ، وهى سارحة لا راعى لها ولا ناظر اليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها ، فوجدوا بها عين ماء

(١) يوحنا آهتيتن كارسيكو .

(٢) « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ورقة ١٩٢ و ١٩٣ من نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة عن نسخة « باريس » .

(٣) طاروس الريح : هبوبها .

(٤) التروش : الصخور التى لايكاد يسترها الماء .

جارية وشجرة تين برى عليها ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لايقدر أحد على أكلها ، فأخذوا من جلودها ، وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوما ، الى أن لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها الى عمارة وحرث ، فقصدوا اليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا فى مركبهم الى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها فى دار ، فرأوا فيها رجالا شقرا زعرا ، شعور رؤوسهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب . فاعتقلوا فيها فى بيت ثلاثة أيام . ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ، ثم سألهم عن حالهم ، وفيم جاؤوا ، وأين بلدهم ؟ فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيرا ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك . فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك اليوم أحضروا بين يدى الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ؛ ليروا ما به من الأخبار والعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ، ضحك ، وقال للترجمان : « أخبر القوم أن أبى أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا فى عرضه شهرا ، الى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجدى . » ثم أمر الملك الترجمان أن يعد القوم خيرا ، وأن يحسن ظنهم بالملك . ففعل . ثم انصرفوا الى موضع حبسهم الى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فعمر بهم زورق ، وعصبت أعينهم ، وجرى بهم فى البحر براهة من الدهر . قال القوم : « قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جيء بنا الى البر . فأخرجنا وكتفنا الى خلف ، وتركنا بالساحل الى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن فى ضنك وسوء حال من شدة الكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس ، فصحنا بجملتنا ، فأقبل القوم الينا ، فوجدونا بتلك الحال السيئة ، فحلونا من وثاقنا ، وسألونا فأخبرناهم بخبرنا ، وكانوا بربرا ، فقال لنا أحدهم : كم بينكم وبين بلدكم ؟ قلنا : لا نعلم . فقال : ان بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم : واأسفى ! فسمى المكان الى اليوم « أسفى » . وهو « المرسى الذى فى أقصى المغرب » على قول الادريسى .

وواضح من سياق الحديث أن هؤلاء قد استطاعوا العودة الى لشبونة ، وحدثوا الناس بأخبار مغامرتهم . وقد شهر خبرهم واستفاض على الألسنة ، وكانت رحلتهم من أجل كشف العوالم المجهولة فى الأطلنتيك مثار الاعجاب ، فما لبث أهل وطنهم أن نعتوهم بالمغرورين أو المغربين ، وأطلقوا هذا النعت على الشارع الذى كانوا يسكنونه ، اعترافا بفضلهم ، وتمجيدا لذكراهم . قال الادريسى : « ولهم بمدينة لشبونة بموضع

بمقربة الحمة درب منسوب اليهم يعرف بدرب المغربين الى آخر الأبد » .

وقد ظلت فكرة كشف ما وراء الأتلنتيك تساور أذهان علماء المسلمين بعد ذلك ، فتخيلوا فى بحوثهم العلمية وجود أمريكا قبل كشف كرستوف كولمب لها بقرن ونصف قرن ، وقال أبو الثناء محمود بن أبى القاسم الأصفهانى[١] : « لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا ، منكشفا من الجهة الأخرى . واذا لم أمنع أن يكون منكشفا من تلك الجهة ، لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى » .

فـ « للاصفهانى وهو بمصر ـ كما قال بعض الباحثين[٢] تعليقا على هذا الاستدلال العقلى الناضج ـ فضل السبق على كرستوف كولمب وهو بالأندلس ؛ لأنه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن . وللأصفهانى فضل أكبر على مكتشف أمريكا : لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال . وأما كولمب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفى أبو الثناء فى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) ، ولما كولمب فقد اجتهد فى اقناع فرديناند وايزابلا صاحبى الأندلس بصدق نظريته فى سنة ١٤٩٢ م (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) . »

على أن من علماء أوربة من رجع فضل كشف كولمب لأمريكا الى عاملين عربيين : ارتقاء علم الجغرافيا عند العرب ، وعقول العرب وموادهم ورجالهم . فقال جوتيه[٣] : « من دار حول افريقية ؟ فاسكودى غاما . ومن كشف أمريكا ؟ كرستوف كولمب . ومن السهل أن يدرك أن هذين الكشفين اللذين فاقا جميع ما تقدمهما ، قد تما على أيدى بحارة من العرب ، وكان تحقيقهما متعذرا بدون ارتقاء علم الجغرافيا عند العرب . وتم هذان الكشفان العظيمان بعقول العرب وموادهم ورجالهم تحت امرة النصارى » .

وبعد ، فان الاسترسال فى تفاصيل الدراسات العملية التى قام بها رواد المسلمين وجغرافيوهم يخرج بى ، اذا أرته ، الى مؤلف ضخم . وأنا انما أردت توضيح ملامح الأصالة فى معارفهم الجغرافية بما اكتسبوه بالاضطرار ، وأن ماكتبوه فى جغرافيا بلادهم أو جغرافيا العالم ـ منذ البداية بالتدوين ـ كان كله من دراستهم العملية ، ومن مشاهداتهم رأى العين فى أسفارهم البرية والبحرية فى آماد طوال ، لم يسبقهم أحد الى وصفها ، وقلما نقلوا من غيرهم أو أفادوا فى عهد الترجمة شيئا ذا غناء فى هذا الباب كما سأزيده توضيحا وتدليلا .

---

(١) نقله العمرى فى مسالك الأبصار (ج ١) . (٢) أحمد زكى باشا .
(٣) نقله صاحب الاسلام والحضارة العربية (٢/٢١١) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال ملطبرون : « ان المسلمين جازوا حدود الأرض المعروفة ، وتوغلوا فى آسية وافريقية ، وان الخلفاء فى صدر الاسلام أمروا جيوشهم وعمالهم أن يرسموا خطط البلاد التى افتتحوها واستولوا عليها » .

*
**

كان اتساع المسلمين فى تدوين جغرافيا العالم يضارع اتساعهم فى الفتوحات ، ويربى عليه كما سمعتم قريبا . فكأن عظمة التأليف فى هذا العلم ، التى انفردوا بها بين أمم الحضارات الغابرة ، هى من لوازم عظمة الفتوحات وعظمة الأمة فى السلطان واستبحارها فى العمران .

فلما زايلتهم تلك العظمة بالانقسامات والحروب والفتن وانتشار الجهل والخراب ، وأضاعوا ملكهم ، وشمل الخراب أوطانهم وديارهم ، وعادوا الى الصحراء وحواشى الجزيرة ، وقبعوا فى زوايا الحواضر والقرى : يسومهم الاستبداد سوء العذاب .... تضاءل عندهم هذا العلم كما تضاءل شأن غيره من العلوم والفنون والآداب ، ولم تبق الداعية اليه متوافرة كما كانت أزمان عزهم وسلطانهم وعظمتهم ، الا ما كان يسلكه أفراد من علمائهم فى التأليف من طرق اجمع والنقل عن السابقين ، وقلما أتوا بشىء جديد ، خلا ما جد فى كتب الرحلات من أوصاف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا عظم شأن هذا العلم حينا ، وصغر حينا آخر ، وذلك بمقدار ما كان يساوره من الهمم قوة واقتدارا ، أو قوة وفتورا ، وقديما قال شاعر العرب : « على قدر أهل العزم تأتى العزائم ! » .

بدأ العرب بوضع تقويم البلدان قبل أن يبدأوا بترجمة كتب اليونان ، اذ كانت الداعية اليها متوافرة ، وعلمهم بالممالك والمسالك كانوا قد حذقوه بالأسفار ، وأنفدوا أعمارهم فى تحصيله بالدرس والاختبار . فوضع أئمة الأدب واللغة ورواد الأخبار والأشعار تصانيف فيه ضمنوها ذكر البوادى والقفار والمنازل والمناهل والجبال والأماكن العربية الواردة فى أشعار العرب وأخبارهم . ولا شك فى أن هذا الضرب من كتب تقويم البلدان عربى خالص ، تفردوا بوضعه ، وتنزه من شوائب الاحتذاء والاقتباس ؛ لأنهم انما وصفوا فيها مواطن هم أهلها ، وعينوا مواضع هم روادها ، و « أهل مكة أدرى بشعابها ! » .

ومن أقدم من انتصبوا للتأليف فى تقويم البلدان العربية من علماء العرب ، النضر بن شميل من أئمة اللغة والنحو والأدب ، أقام فى البادية ، وأخذ عن فصحاء

العرب كأبى خيرة الأعرابى وأبى الدقيش وغيرهما • ألف كتاب الصفات فى خمسة أجزاء ضمنها أشياء مختلفة ، وقصر جزءا منها على « الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب » ، وهو فيما يلوح لى باللغة أشبه ، ولكن عده بعض الباحثين من كتب تقويم البلدان ، وقال : « انه موجود فى بعض المكتبات العربية » ، فلعله رآه وقرأه فقال فى وصفه ما قال •

ومنهم هشام بن محمد الكلبى (المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ) • ألف كتاب البلدان الكبير ، وكتاب البلدان الصغير ، وكتاب الأقاليم ، وكتاب الأنهار •

وعبدالملك بن قريب الأصمعى (المتوفى سنة ٢١٤ هـ) • ألف كتاب جزيرة العرب ، وذكر ياقوت فى مقدمة معجم البلدان[1] : أنه « ظفر بكتابه رواية لابن دريد عن عبدالرحمان عن عمه » ، ولم يسمه ، ولكنه سلكه فى الكتب التى قصد فيها ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية • وكان الأصمعى من حفاظ اللغة والأدب • عاصر الرشيد ، وقدم بغداد فى أيامه مع أبى عبيدة ، ثم عاد الى البصرة • ولما تولى المأمون ، استقدمه اليه ، فاعتذر بضعفه وشيخوخته ، فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه ، فيجيب عنها •

وجاء بعد هؤلاء كثيرون سلكوا مسلكهم فى التأليف كأبى عبيدة السكونى ، والحسن بن أحمد الهمدانى فى كتاب جزيرة العرب ، وأبى الأشعث الكندى فى جبال تهامة ، وأبى سعيد السيرافى ، وله كتاب فى جزيرة العرب ، وأبى محمد الأسود الغندجانى وله كتاب مياه العرب ، وأبى زياد الكلابى ، ومحمد بن ادريس بن أبى حفصة وله كتاب مناهل العرب ، وأبى على الحسن بن عبدالله المعروف بلغدة وله كتاب فى ديار الجزيرة العربية ومناهلها ومعادنها ، وهو فى غاية الافادة والامتاع ، ومنه نسخة مخطوطة فى خزانة كتب المجمع العلمى العراقى • وهؤلاء وغيرهم ممن لم نذكر ، كلهم أو أكثرهم عولوا فى كتبهم على المشاهدة لا الرواية أو النقل •

ونستطيع أن نسمى ماكتبوه فى هذا الباب بالجغرافيا الخاصة ، لأنه اختص ببقاع معينة ، هى بقاع الجزيرة العربية : باديتها وحاضرتها •

ثم خطا التأليف الجغرافى عند المسلمين خطوته العالمية ، فطفق الجغرافيون فى القرن الثالث الهجرى وما بعده يؤلفون فى تقويم البلدان ، ويصفون أجزاء امبراطوريتهم وما يجاورها من الأقاليم وصفا علميا منظما قائما على المشاهدة والدراسة العملية ،

(١) معجم البلدان (١/٨) •

فعينوا حدود الأرض وتقاسيم الممالك ، ووصفوا البلدان وملامحها الخاصة والمسالك والجبال والبحار والأنهار والمعادن والآثار ، وضبطوا المسافات بين الأمصار بحساب الأميال ضبطا دقيقا كل الدقة ، وأحصوا مقادير الجبايات ومبالغ الخراج ، ودونوا الى جانب ذلك أخبار الفتح ، وشرحوا أحوال الشعوب والأجناس وأكلهم وشربهم ولباسهم وتجاراتهم وصادراتهم وواردااتهم وما يمتاز به كل شعب من الخصائص النفسية والبدنية والاجتماعية والعلمية والأدبية ، الى غير ذلك مما أوفوا به على الغاية من الاستقصاء والاستيعاب والتحقيق والتدقيق ، واشتملت مؤلفاتهم على وثائق عظيمة الشأن فى تأريخ الانسانية وحقائق بليغة الأثر فى نماء ضروب المعرفة لا مندوحة لكل باحث ـ فى التأريخ التجارى أو التأريخ الاقتصادى أو نظام السياسة والحكم فى الشعوب الاسلامية والأمم التى اتصلت بها ـ من الوقوف عليها والاستنارة بها ؛ والا كانت بحوثهم خالية الوفاض ، بادية الانقاض ، تعوزها المادة والحيوية والقوة .

كان عمل هؤلاء المؤلفين فى الجغرافيا العامة امتدادا لعمل المؤلفين فى الجغرافيا الخاصة الذين مهدوا السبيل فى التأليف الجغرافى عند المسلمين ابتداء وابتداعا ،لا نقلا ولا محاكاة لأمة من الأمم .

وقد قضى بهذا الامتداد اتساع رقعة الامبراطورية الاسلامية ، ووجوب حمايتها ، وما يتعين على الدولة من احصاء جبايتها وخراجها ، وتيسير طرق البريد ، وتحديد المسالك وأبعادها وجهاتها للسفارة والتجارة والجيوش . فلم يكن بد لعلماء الملة من التأليف فى هذا الباب ، والتوسع فيه مسايرة للحاجة ، وهو عمل لا يتيسر امتلاك ناصيته الا بالرحلات والكشف والدراسات العملية ؛ لذلك كان الجغرافيون الذين نبغوا فى القرنين الثالث والرابع للهجرة وفى قرون أخرى أيضا ، كلهم ممن تمرسوا بالأسفار ، وركبوا البحار وجابوا الأقطار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، أمثال أبى القاسم بن أحمد بن خرداذبه مؤلف كتاب الممالك والمسالك ، وأحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى مؤلف كتاب البلدان ، وأبى اسحاق الاصطخرى الكرخى مؤلف كتاب الأقاليم ، وأبى القاسم محمد بن حوقل البغدادى مؤلف كتاب صورة الأرض أو المسالك والممالك ، وأبى عبدالله محمد بن البشارى المقدسى مؤلف أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، وعلى بن الحسين بن على المسعودى من ذرية عبدالله بن مسعود الصحابى الجليل مؤلف أخبار الزمان ومروج الذهب والأوسط والتنبيه والاشراف ، وغيرهم .

ثم من جاء بعدهم فى القرون التالية واعتمدوا فى تآليفهم الجغرافية على منهلين : كتب من سبقهم ممن ذكرنا ولم نذكر ، وأسفارهم ودراساتهم العملية ، وهم كالشريف

محمد بن محمد الادريسى مؤلف « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى فزع اليه روجر الثانى النورمندى ملك صقلية وجنوبى ايطالية لرسم « الخارطة » العالمية وتدوين شروحها ، وسنخصه ببحث مستفيض ، وعلى بن أبى بكر بن على الهروى الموصلى الذى قال عنه ابن خلكان : « لم يترك برا وبحرا ولا سهلا ولا جبلا من الأماكن التى يمكن قصدها ورؤيتها الا رآه ، ولم يصل الى موضع الا كتب خطه فى حائطه ، وقد سار ذكره بذلك حتى عرف باسم الهروى السائح » ، وهو مؤلف كتاب « منازل الأرض ذات الطول والعرض » ؛ وياقوت الحموى البغدادى المؤلف الجغرافى العظيم الذى يأتى فى مقدمة كتبه كتابه الرائع معجم البلدان ، الممتاز بترتيبه على حروف الهجاء وبدقته واتساعه وجمعه بين الجغرافيا والتأريخ والعلم والأدب ، وقد حاز هذا الكتاب اعجاب كبار المستشرقين حتى قال فيه المستشر الفرنسى المشهور « كارا دى فو » (Carra de Vaue) فى كتابه[1] (Le Penseurs L'Islam) : « انه من المؤلفات التى يحق للاسلام أن يفخر بها كل الفخر » . وضع ياقوت معجمه الجغرافى العظيم هذا ، ولم يكن للجغرافيين الأوربيين معجم جغرافى على نمطه ، انما كان أول مصنف لهم من نوعه فى منتصف المئة السادسة عشرة ، وضعه أورتليوس البلجى ، وطبعه فى أنورس سنة ١٥٧٨ م ، وكان ياقوت فرغ من معجمه فى سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) .

الى غير هؤلاء العظماء الذين ألفوا فى الجغرافيا العامة ، وتوافر النص على أن ما كتبوه فى هذا الباب هو من مشاهداتهم ، أو من مشاهداتهم ومن النقل عمن سبقوهم معا .

*
* *

بعد هذه الافاضة فيما قدمت لكم من مجهود الجغرافيين الاسلاميين الضخم العظيم فى الدراسات الجغرافية العملية فى عصور عدة ، أستطيع أن أقرر جازما فى غير تردد أن الجغرافيا عند المسلمين انما هى من صنع أنفسهم ، ووليدة بحوثهم ، ونتاج نهضتهم السياسية الاجتماعية العمرانية العالمية ، وأنهم لم يكونوا فيها حميلة على الرومان أو اليونان أو السريان كما أقرته التعاليم المريضة فى أذهان من لا سبيل لهم الى التعمق والتأمل فى تراث العرب ومدنية الاسلام : من نشأ هذه الأزمان ، الذين حيل بينهم وبين ما يجب أن يفقهوه من عبقريات قومهم فى مختلف الشؤون ، ثم ملئت أذهانهم عنهم ، ملأهـ « موتورو الشعوب وتجار العقائد ووراث الأحقاد » ، بكل زور من القول ، وبهتان من

(١) (١٩/٢) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التلفيق ، وضلال من الأحكام .

نعم ، لقد ترجم المسلمون فى عصر المأمون من اليونانية كتب أفلاطن وفيثاغورس وبطلميوس فى الجغرافيا والعمران ، واطلع علماؤهم على هذه الكتب ، واتصلوا بآرائهم فيها وفى المجسطى وغيرهما ، ولكن ما انتهى اليهم من هذه الكتب اليونانية كان لا يطابق أكثر ما فيها ما كانت عليه الدنيا فى أيامهم ، اذ كانت معالم البلدان وأحوال الناس خاضعة للتغير والتبدل كلما تطاولت عليها العهود ، فلم يعتمدوها لانبهام أمرها عليهم ، وقد قال ياقوت ، وهو أعظم جغرافى اسلامى اعتمد على رحلاته ودراساته : « ... وقد وقفت لهم منها على تصانيف عدة جهلت أكثر الأماكن التى ذكرت فيها ، وأبهم علينا أمرها ، وعدمت (فائدتها) لتطاول الزمان فلا تعرف . » وقال يوحنا آهتيتن كارسيكو الفنلندى ، وهو يوازن بين خارطة بطلميوس وخارطة الادريسى ، وبينهما ألف عام : « وقعت قبل هذه الخارطة بألف سنة محاولة وضع خارطة عامة باللغة اليونانية للأرضين المعروفة فى تلك العصور ، وقد رسمها بطلميوس بمصر ، الا أن خارطة هذا العالم الكبير لم تكن وافية ؛ لأنه ذكر فى خارطته نحو ثمانية آلاف من أسامى الأمكنة ، والى الآن لم يتمكن أهل العلم الا من تعيين أقل قليل مما ذكر فى خارطته . أما هذه « الخارطة » (خارطة الادريسى) ، فكل ما ذكر فيها من الأسماء والأمكنة ترد اليوم فى خوارطنا العصرية ، وهى معلومة لنا بأعيانها من غير التباس ، فحق لنا أن نعد هذه الخارطة خارطة عالمية بالمعنى الذى نعرفه اليوم من هذا اللفظ ! » .

ومعنى هذا أن الجغرافيين الاسلاميين قد بدأوا عهدا جديدا لتدوين علم الجغرافيا العامة بما كتبوه فى هذا الشأن وحققوه ، ولا يزال ما تركوه من التراث الضخم فى مكان الاحترام والتقدير والاستفادة . وبحسبهم ذلك فخرا ، تعلو به الجباه ، ويدعو هذه الأجيال الناشئة الى استئناف سيرتهم العلمية العملية وتجديدها .

وقد قال أدورد ستيفنصن الأميركى : « بينما كانت المسيحية قانعة باستقاء معلوماتها الجغرافية من موارد منحطة ، كانت الشعوب العربية تنمى معارفها وتنشر معلوماتها الجغرافية الفلكية ، وكان العرب يعملون الى درجة ما طبقا للقواعد اليونانية ، ولكنهم شيدوا على هذه القواعد صرح أبحاثهم المستقل الخاص بهم » .

وأقول : ما أشار اليه أدورد ستيفنصن « من عمل العرب الى درجة ما طبقا للقواعد اليونانية » ، لم يكن فى غير الشكل الذى أخذه بعض الجغرافيين الاسلاميين فى القرن الثالث ، اذ سلكوا فى تأليفهم قريبا من طريقة بطلميوس فى تقسيم العالم الى سبعة أقاليم تتضمن ذكر البلاد ، وتعيين مسافة الطرق والمسالك ، كما فعل ابن خرداذبه ومن حذا

حذوه . أما الجوهر الذى احتوته كتبهم ، فكان عربيا اسلاميا محضا كما قدمت البراهين عليه ، وأثبت أن كل ما كتبوه كان من مشاهداتهم واختباراتهم وتحقيقاتهم فى الرحلات العظيمة التى اضطلعوا بأعبائها جيلا بعد جيل ، فأربوا على ما عرفه غيرهم من قبل ، وأتوا بالجديد الطريف ، وصححوا مغالط اليونان ، حتى استوى لهم من ذلك كله علم مستقل خاص بهم منفرد بأصوله وخصائصه وملامحه المنسجمة مع الحياة التى عاصروها والآفاق الواسعه التى انبسطت لهم من العالم وارتادوها وكشفوها فى كل ناحية وكل زمان .

على أن البـاحثة ستيفنصن الأميركى يرى أن « اليونان وضعوا علما نوصـف الكون مبنيا على التخيل مثل الشعوب التى سبقتهم . » وقد سما الجغرافيون الاسلاميون على ذلك ، وأمعنوا فى الحقائق وفى المغامرات من أجل كشف المجهول .

وقـد أجمع البـاحثون والمحققون على أن بطلميوس الذى وصـل كتابه الى يد العرب ، انما اتحـل فى كتابه ـ كما اعترف هو نفسه ـ جغرافيا مارينوس الصورى من أهل القرن الثانى قبل المسيح ، وأن غاية ما فعله مارينوس أنه نقل من كتب السلف فى علم الجغرافيا ، وجمع أخبارا نقلها عن البحارة وأهل الرحلات ، فألف منها كتابا فى الجغرافيا أضاف اليـه خوارط رسم فيها خطوط الطول والعرض ، ويقـال : ان غاية ما فعله بطلميوس تنقيح هذا الكتاب ، وقد أخطأ فى التنقيح قدر ما أصاب .

وقد سمعتم ما قدمت من رأى آهتيتن كارسيكو الفنلندى فى انعدام الفائدة من خارطة بطلميوس لعجز أهل العلم عن تعيين أقل قليل مما ذكر فيها ، بخلاف خارطة الجغرافى الاسلامى الادريسى التى اعتدها خارطة عالمية بالمعنى الذى نعرفه اليوم من هذا اللفظ .

*
**

ذلكم تراث الجغرافيين اليونان ، وهـذا تراث الجغرافيين الاسلاميين . وبحسب المنصف أن يصدر فى ضـوء ما قدمت حكمه ، كما أصـدره كارسيكو فى موازنته بين بطلميوس والادريسى ، وهما يمثلان طرفين أو أمتين عنيتا بهذا الشأن ، فقضى على تراث اليونان بالعقم ، وعلى تراث المسلمين بالخلود . واذا شاء أصحاب التعاليم المريضـة أن يتغافلوا عن هذه البينات والدلائل ليتهمونى بالتحيز والعصبية ، فلن يستطيعوا أن يتهموا بهما « جوتيه » و « ستيفنصن » و « كارسيكو » وغيرهم من المستشرقين المحققين .

محمد بهجة الأثري

معركة أجنادين

متى وقعت ؟

وأين وقعت ؟(*)

كنا أشرنا فى مقالنا فى « المجلة العسكرية » عن قيادة خالد بن الوليد فى حروب الردة ، الى ما يعانيه الباحث من مشقة وصعوبة فى تمحيص الوقائع التى حدثت فى فتوحات صدر الاسلام ، وذكرنا باختصار الغموض الوارد فى كتب التأريخ الباحثة عن تلك الفتوحات سواء أكان فى تثبيت تأريخ الوقائع أم فى تعيين مكان وقوعها أم فى كيفية وقوعها . ومما يدل على هذا الغموض ما كتبه المؤرخون القدماء عن (معركة أجنادين) . ويتضح لمن يقرأ كتب التأريخ أن المؤرخين القدماء لم يتفقوا على تأريخ وقوع معركة أجنادين ؟ فالبلاذرى واليعقوبى مثلا ذكرا أنها وقعت سنة ١٣ هـ ، على حين ذكرها الطبرى فى حوادث سنة ١٥ هـ . واستند ابن الأثير الى ما ذكره الطبرى ، فجعلها من وقائع السنة المذكورة . أما ابن خلدون فقد ذكر أنها وقعت فى سنة خمس عشرة الهجرية . وأما ابن عساكر الدمشقى فيستند الى رواية شيخه أبى القاسم ابن السمرقندى التى تنتهى الى أبى حذيفة اسحاق بن بشر القرشى ، ويجعل معركة أجنادين من وقائع سنة ١٣ هـ .

والغريب فى الأمر أن الطبرى وابن الأثير أشارا الى وقوع الحادثة ضمن وقائع السنة الثالثة عشرة الهجرية والسنة الخامسة عشرة الهجرية .

وللتثبت فى تأريخ وقوع معركة أجنادين خطورة من حيث تفنيدها للروايات الزاعمة أن أول عمل قام به « عمر » بعد استخلافه عزله خالد بن الوليد ، ونصبه

---

(١) لقد اعتمدنا فى كتابة مقالنا هذا على البحوث القيمة التى نشرها المستشرق الطليانى « لئونه كيتانى Leone Caetani فى كتابه « حوليات الاسلام Annali Dell, Islam » (الجزء الأول من المجلد الثالث ، من الصفحة ١٣ الى الصفحة ٧٣) .

أورد كيتانى فى بحوثه تلك جميع الروايات الاسلامية والأجنبية الباحثة عن « معركة أجنادين » ، ومحصها ووازن بينها ، واستنبط منها نتائج رائعة دلت على براعته فى تمحيص وقائع التأريخ الاسلامى فى منتصف القرن الهجرى الأول .

أبا عبيدة بن الجراح محله قائدا عاما على الجيوش العربية فى بلاد الشام • والواقع أنه ان ثبت أن المعركة وقعت سنة ١٣ الهجرية ، وهى السنة التى تولى فيها عمر الخلافة ، فتصبح الروايات الذاكرة لعزل عمر لخالد حين استخلافه لأبى بكر غير صحيحة ؛ لأن الروايات كادت تجمع على أن عمر عزل خالدا قبيل معركة اليرموك التى ان ثبت أن معركة أجنادين جرت فى سنة ١٣ هـ ، فينبغى أن تكون وقعت (معركة اليرموك) فى سنة ١٥ هـ ؛ لأنه لايصح أن تقع المعركتان فى وقت واحد ، وهما على ما يظهر وقعتان حاسمتان •

ان للتثبت فى تاريخ وقوع معركة أجنادين كما ذكرنا سابقا أهمية خاصة تتعلق بعزل خالد بن الوليد • فان وقع العزل قبل معركة اليرموك فانه يكون عمر قد أجل عزل خالد الى سنة ١٥ هـ ، على الرغم من أنه كان ينتقد أعماله فى خلافة أبى بكر ، وحاول كثيرا أن يحمله على عزله • وهو مما يدل على كياسة عمر وبعد نظره كما فصلنا خبره فى كتابنا (حكومة عمر)[١] •

متى وقعت معركة أجنادين ؟

ولأجل أن نعرف اليوم الذى وقعت فيه معركة أجنادين ينبغى لنا أن نمحص الروايات الذاكرة لها ، ونوازن بين الروايات التى زعمت أن المعركة جرت سنة ١٥ هـ ، والروايات الأخرى التى ذكرت أنها نشبت فى سنة ١٣ هـ • ومن الطبيعى أننا سنفضل روايات الاخباريين القدماء على الروايات المتأخرة •

ومن الحقيقة أن أصحاب الروايات القديمة ، منهم من عاشوا فى نهاية القرن الهجرى الأول ، ومنهم من عاشوا فى القرن الهجرى الثانى ، ومعنى ذلك أنهم ذكروا رواياتهم بعد وقوع المعركة بأكثر من نصف قرن ، فى أقل تقدير ، فانهم لم يشهدوا الوقائع ، وانما رووها عمن تقدمهم من الرواة اسنادا ، حتى تنتهى الرواية بمن شهد الوقعة ، أو سمعها ممن شهدها • فالغموض الذى نشاهده فى حوادث فتوحات صدر الاسلام ، والاختلاف فى تاريخ وقوعها ، وكيفية وقوعها ، ناشىء من أن الأخباريين الذين سجلوا أخبار الفتوح ، لم يشهدوا الوقائع ؛ وانما ثبتوها بعد حدوثها بمدة غير قليلة • وفى الأمر غموض آخر ناشىء من الأخطاء التى ارتكبها النساخ ، كاهمالهم لنقطة ، أو وضعهم نقطة فى غير محلها • ولا يخفى ما لهذا الاهمال من تأثير سيء فى صحة الأعلام • أما الروايات التى شرحت معركة أجنادين ، فقد ورد ذكرها

(١) قررت لجنة الترجمة والتاليف والنشر المصرية طبعه بتفقتها ، ولما يتم طبعه •

في أقدم كتب الفتوح ، وهي : كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، وتأريخ ابن واضح اليعقوبي ، وتأريخ الطبري . أما الكتب التأريخية الأخرى التي نشرت من بعد ، فهي اما كررت ما جاء في الكتب المتقدمة بلا اسناد ، واما استندت الى روايات أخرى بالاسناد روى أكثرها الأخباريون الذين جاء ذكرهم في الكتب المتقدمة المذكورة .

ولا بد من تفضيل رواية على رواية أخرى ، فالروايات المدنية مثلا تفضل على الروايات العراقية حين البحث في وقائع فتوح الشام ؛ لأن أهل الحجاز شاركوا فيها ؛ ولهذا كان من الطبيعي أن تفضل روايات ابن اسحق والواقدي على روايات سيف بن عمر مثلا .

والآن فلنبدأ بذكر الروايات العربية مقدمين الأخباريين على حسب تأريخ وفياتهم :

(١) روايات محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ . جاءت هذه الروايات في كتاب الطبري في وقائع السنة ١٣ الهجرية عند ذكره سفر خالد بن الوليد الى الشام مددا لمن فيها من المسلمين ، ونذكرها كما يلي : « ثم سار (خالد) حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، فاجتمعوا عليها ، فرابطوها حتى صالحت بصرى على الجزية ، وفتحها الله على المسلمين . فكانت أول مدينة من مدائن الشام ... » الى أن يقول : « ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص ، وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسمعت الروم بهم ، فانكشفوا عن جلق أجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل ... » .

وبعد أن ذكر ابن اسحاق وقوع المعركة ، قال : « قالوا : وكانت أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ... »[1] .

(٢) رواية سيف بن عمر . توفي سيف بن عمر سنة ١٨٠ هـ ، وهو من قبيلة بني أسد ، وأسد لم تشارك في فتوح الشام . وتميزت رواياته بالاسهاب والمبالغة . وقد اعتمد الطبري على كثير من رواياته بالرغم من أنه لم يكن له رأي حسن فيه . وتعد رواياته أقل وثاقة من روايات أهل المدينة فيما يتعلق بفتوح الشام . والرواية التي وردت في تأريخ الطبري في حوادث سنة ١٥ هـ بعنوان فتح بيسان ووقعة أجنادين ، تختلف كثيرا عن الروايات التي ذكرها رواة المدينة لتلك المعركة . وقد يظن القارىء أنها معركة أخرى جرت في أجنادين ، وهذا غير واقع . تذكر الرواية كما يأتي : « ولما توجه علقمة الى غزة ، وتوجه معاوية بن أبي سفيان الى قيسارية ، صمد عمرو بن العاص الى الأردبون ، ومر

(١) تأريخ الطبري (٢/٦١٠ و ٦١١) . طبع القاهرة . سنة ١٩٣٩ م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بازائه ، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته .... فخرج عمرو بن العاص حتى نزل على الروم بأجنادين ، والروم فى حصونهم وخنادقهم ، وعليهم الأرطبون .. »[١] .

ومن الغريب أن سيف بن عمر أسهب فى ذكر المعركة ، وزعم أن عمرو بن العاص جمع بقائد الروم أرطبون ، وجرى بينهما حديث خدع به عمرو أرطبون ، ولكنه لم يذكر تأريخ وقوع المعركة ، مع أن الرواة الآخرين ـ على اختصارهم للحوادث ـ ذكروا تأريخ المعركة بيومها ووقتها .

(٣) رواية الواقدى ، وهو من رواة المدينة الثقات ، توفى سنة ٢٠٧ هـ . وردت هذه الرواية فى تأريخ ابن عساكر كما يأتى : « وقال الواقدى : واليقين عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وبشر بها أبو بكر بآخر رمق »[٢] .

وذكر ابن سعد كاتب الواقدى فى طبقاته فى ترجمة عمرو بن سعيد أن عمرا قتل فى يوم أجنادين فى خلافة أبى بكر فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وكان على الناس يومئذ عمرو بن العاص .

(٤) رواية على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ هـ . ذكر الطبرى روايته فى وقائع سنة ١٣ هـ ، ونذكرها كما يأتى :

« قال المدائنى : وأتى خالد دمشق ، فجمع له صاحب بصرى ... » الى أن قال : « فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ... »[١] .

(٥) ما ذكره البلاذرى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ فى كتابه فتوح البلدان . ذكر البلاذرى أن معركة أجنادين وقعت فى سنة ١٣ هـ ، وكتب خبرها فى كتابه بعنوان يوم أجنادين ، وقال : « ويقال أجنادين الأولى بكسر الدال والثانية بفتحها ... » الى أن قال : « ثم كانت وقعة أجنادين ، وشهدها من الروم زهاء مئة ألف ، سرب هرقل أكثرهم ، وتجمع باقوهم من النواحى ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص ... » .

وبعد أن ذكر خبر المعركة ومن استشهد فيها من الصحابة ، قال : « وكانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، ويقال لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، ويقال لليلتين بقيتا منه .. »[٤] .

---

(١) تأريخ الطبرى (٣/١٠) .
(٢) مختصر تأريخ ابن عساكر (١/١٤٤) .
(٣) تأريخ الطبرى (٢/٦١١) .
(٤) فتوح البلدان (١٢٠ و ١٢١) ، طبع القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦) ما ذكره ابن واضح اليعقوبى المتوفى سنة ٢٩٢ هـ فى كتابه تأريخ اليعقوبى ، قال : « وروى بعضهم أن خالد بن الوليد ، بعد وصوله من الشام الى العراق ، صار الى غوطة دمشق ... وصار الى حوران ، فقصد مدينة بصرى ، فحاربهم ، فسألوه الصلح ، فصالحهم . ثم صار الى أجنادين ، وبها جمع الروم ، فحاربهم محاربة شديدة ، وتفرق جمع الكفرة . وكانت وقعة أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة »[١] .

يظهر من هذه الروايات القديمة التى ذكرناها عن معركة أجنادين أن جميع الرواة اتفقوا على أن المعركة وقعت سنة ١٣ هـ ، ما عدا سيف بن عمر ، فقد ذكر أنها وقعت سنة ١٥ هـ .

(٧) جاء فى كتاب الغزوات لأبى القاسم عبدالرحمان بن محمد الأنصارى المرسى الملقب بابن حبيش ، المتوفى سنة ٥٨٤ هـ : أن أبا بكر توفى لثمانى ليال بقين من جمادى الآخرة ، ليلة الثلاثاء ، أى بعد أجنادين بأربعة وعشرين يوما ... » . والخبر هذا يؤيد أن المعركة وقعت فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ[٢] .

(٨) تراجم ابن عبدالبر النمرى القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتاب الاستيعاب . جاء فى ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص ما يأتى :

« وقتل عمرو بن سعيد مع أخيه بأجنادين سنة ١٣ الهجرية ، هكذا قال الواقدى وأكثر أهل السيرة ... » .

وقال فى ترجمة أبان بن سعيد بن العاص : « وكانت اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة ١٥ هـ فى خلافة عمر . وكانت وقعة أجنادين فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ قبل وفاة أبى بكر بدون شهر »[٣] .

(٩) تأريخ ابن عساكر : وردت رواية فى هذا الكتاب لأبى القاسم ابن السمرقندى باسناده الى أبى حذيفة اسحاق بن بشر القرشى مؤداها أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية وقت صلاة الظهر .

وفى رواية للزهرى أن أجنادين وفحلا وقعتا سنة ١٣ الهجرية . وأما أجنادين ، فكانت فى جمادى الأولى . وأما فحل ، ففى ذى القعدة .

---

(١) تأريخ اليعقوبى (ص ١١٢) طبع النجف .

(٢) لم نطلع على هذا الكتاب ، وذكرنا الرواية نقلا عن كتاب كيتانى ، والكتاب يبحث فى أخبار الفتوح من سنة ١١ الى سنة ٣٥ هـ وهو مخطوط فى خزانة كتب برلين الملكية .

(٣) الاستيعاب (١/٣٧) و (٢/٤٢٩) .

ومع هذا الوضوح فى الروايتين اعتمد ابن عساكر فى شرح حوادث المعركة على رواية سيف بن عمر ، فقدم اليرموك على أجنادين[١] .

(١٠) جاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى أن أبا بكر بعث عمرو بن العاص والجنود الى الشام ، فكانت وقعة أجنادين فى جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، ونصر المسلمون ، وبشر بها أبو بكر بآخر رمق . وفيها كانت وقعة مرج الصفر »[٢] .

(١١) ذكر ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان فى مادة أجنادين : أن أبا اسحاق ابن بشر المتوفى سنة ٢٠٦ هـ روى أن وقعة أجنادين كانت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، قبل وفاة أبى بكر بنحو شهر .

(١٢) أما ابن خلدون ، فيظهر أنه تأثر بروايات سيف بن عمر ، ووصف المعركة كما جاء فى تاريخ الطبرى برواية سيف فقال : « تقدم لنا ذكر هذه الوقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها ، وهذا على قول من جعلها بعدها »[٣] . ولكنه حينما وصف وقائع اليرموك فى الصفحة (٨٥) قال : « وكانت وقعة اليرموك فى رجب بعد أجنادين » .

(١٣) ذكر الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى كتابه تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، وقعة أجنادين فى حوادث سنة ١٣ الهجرية . قال : « وقال ابن اسحاق : ثم ساروا جميعا قبل فلسطين ، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبين جرش ، والأمراء كل على جنده . وقيل : ان عمرا كان عليهم جميعا ، وعلى الروم القيقلان ، فقتل ، وانهزم المشركون يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة . وقال الواقدى : ان الثبت عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى ، وبشر بها أبو بكر »[٤] .

(١٤) قال ابن كثير ، بعد أن ذكر أن وقعة اليرموك فى سنة ١٣ قبل فتح دمشق استنادا الى رواية سيف بن عمر وبتأييد الطبرى : « وأما الحافظ ابن عساكر ، فانه نقل عن يزيد بن أبى عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبى معشر ، أنها كانت فى سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . ثم قال : « وقال محمد بن اسحاق : كانت فى رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط : قال ابن الكلبى : كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر : وهذا هو المحفوظ ، وأما ما قاله سيف من أنه قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة ، فلم يتابع عليه[٥] » .

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر .
(٢) تاريخ الخلفاء (٥٢) .
(٣) تاريخ ابن خلدون (٢/١٠٦) .
(٤) تاريخ الذهبى (١/٣٧٥) طبع القاهرة .
(٥) تاريخ ابن كثير (م ٧ ص ٤) .

(١٥) جاء فى تاريخ الخميس لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، وهو من المتأخرين : « ان الناس تزاحفوا يوم أجنادين غداة السبت » . ثم روى عن سهل بن سعد أنه قال : « وكانت وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة بالشام ، وكانت سنة ١٣ هـ فى جمادى الأولى لليلتين بقيتا منه »[١] .

المصادر الرومية واللاتينية والسريانية[٢]

وردت أخبار الفتوح الأولى فى المصادر الرومية واللاتينية والسريانية غامضة ، فهى فيها عبارة عن اشارات وتلميحات قد يصعب استنباط الحقيقة منها ، وفيها تنف وردت هنا وهناك ، من غير ذكر لأسماء المواقع . ومع ذلك يستطيع الباحث المنقب أن يستخرج منها معلومات تساعده على استقصاء أخبار الفتوح الأولى .

ومن المصادر الرومية كتب تئوفانس المتوفى سنة ٨١٩ م ، أى فى حدود سنة ٢٠٠ هـ . وقد ذكر هذا المؤرخ أن أبا بكر بعث سنة ٦٣٤ م (سنة ١٣ هـ) أربعة قادة (وكان معهم العرب الذين سخطوا على هرقليوس ؛ لأنه قطع عنهم الاتاوة) يدلونهم ، ففتح أولئك القادة (La Héra) وجميع بلاد غزة ، فتقدم نحوهم على عجل سرجيوس حاكم قيسارية على رأس قوة صغيرة ، ولكن قوته هذه المؤلفة من ثلاث مئة رجل كسرت شر كسرة ، وقتل سرجيوس فى أول المعركة ، فرجع العرب بالغنائم والأسرى بعد هذا الانتصار الباهر .

ويشير تئوفانس الى وقعة سماها « دثيمس » أو « دثيما » ، وينبغى أن تكون وقعة الدثينة أو داثن التى ذكرها الرواة المسلمون ، ووقعت بين الروم وأبى أمامة القضاعى الذى بعثه يزيد بن أبى سفيان . ذكر دى غويه الذى اقتبسنا هذا الخبر من كتابه (مذكرة عن فتح سورية)[٣] ، أن سرجيوس لم يقتل فى هذه المعركة ، كما يظهر من كتاب صفرنيوس بطريرك القدس المرسل الى سرجيوس . وقد سمى صفرنيوس بطريركا سنة ٦٣٤ م . ويضيف دى غويه أنه لا يستطيع أن يتبين موقع (Héra) التى أشار اليها تئوفانس ، ويلوح له أن المؤرخ المذكور خلط وقائع العراق بوقائع جنوبى فلسطين ـ وهو مؤرخ بيزنطى ربما لاتهمه وقائع العراق . وعلى كل حال ينبغى

---

(١) تاريخ الخميس (٢/٢٣٤) .

(٢) أشار كيتانى فى بحثه عن معركة أجنادين الى هذه المصادر ، وذكرها المستشرق الهولندى دى غويه فى مذكرته عن فتح سورية .

(٣) (ص ٣٤) De Goje: MéMoire sur la Conepuéte De La Syrie

أن تكون (هيره) الواردة فى كتابه هى (الحيرة) التى افتتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ .

أما المؤرخ الأرمنى سيبؤس ، فقد ذكر « أن العرب عسكروا فى رهابوث موآب فى بلاد سبط روبن ، على حين عسكر جيش الروم فى (العربية) . هاجم العرب الروم بغتة ، فكسروهم وقتلوا منهم عددا كبيرا بعد ما هزموا ثيودوس أخا الانبراطور ، ثم رجعوا الى العربية » . يشير دى غويه الى أن العربية الأولى التى عسكر فيها الروم هى العربة ، أو وادى العربة . أما العربية الثانية التى تسحب اليها العرب ، فينبغى أن تكون البلاد العربية . ويظهر مما ذكره المؤرخ الأرمنى أنه خلط بين قتال وادى العربة أو الدثينة وبين معركة أجنادين (١) .

ثم يأتى نيسوفورس بطريرك القسطنطينية (وهو معاصر لتؤفانس . مات سنة ٨٢٩ م) ، فقد ذكر هذا المؤلف « أن العرب استولوا على بلاد انطاكية ؟ بعد الاحتفال الذى جرى لهرقل ببضع سنوات بمناسبة عودته اليها من حرب الفرس فاتحا . ثم أشار نيوسفورس ، فى الصدد هذه الحوادث ، الى قتل سرجيوس قائد غزة بعد أن ذهب على رأس قوته ليحول دون توغل العرب فى جنوبى فلسطين . وهو الذى ذكر بعض مؤرخى العرب أنه قتل فى معركة الداثن ... » ثم ذكر أن هرقل غضب على أخيه تئودور وجعل بدله قائدا آخر يدعى تئودور وجعله (تريثوريوس Trithurius) وناط به قيادة الشرق ، وأوصاه بألا ينشب المعركة مع الشرقيين (العرب) . ولكن العرب رتبوا كمينا ، وأفرزوا قوة صغيرة لمناوشة الروم ، وحملوهم على التقدم شيئا فشيئا حتى أوقعوهم فى الكمين ، فهجموا عليهم من جهتين ، وقتلوا عددا كبيرا من جنود الروم وقادتهم ... » (٢) .

يصعب الحصول على فكرة واضحة مما كتبه نيسوفورس ، ولعل القتال الذى يشير اليه وقتل فيه خلق كثير من الروم هو القتال الذى وقع فى يوم اليرموك ؟ لأن هرقل سخط على أخيه وأبعده عن سورية بعد حادثة (أجنادين) كما يتضح مما جاء فى كتب التأريخ .

أما المؤرخ السريانى ميخائيل ، فذكر أن عمر تولى الخلافة بعد أبى بكر ، وأرسل جيشا الى العربية (أى المقاطعة الرومانية التى تدعى العربية ، وهى شرقى الأردن) ففتح العرب مدينة بصرى ، وخربوا عدة مدن . وقد وقع ذلك فى

(١) دى غويه : مذكرته عن فتح سورية (ص ٣٥) .
(٢) كيتانى : (م ٣ ج ١/ ٢٦٥) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

السنة الرابعة والعشرين من حكم هرقل والسنة الثالثة عشرة لدى الطائيين العرب[١] .

وكتب كيتاني : أن ميخائيل هذا أشار الى معركة وقعت بين العرب والروم ، ولم يذكر محل وقوعها ، ولكنه قال : ان تئوذريك كان يقود الروم . ولابد أن يكون هذا أخا هرقل الذى سماه العرب تذارق . وذكر أن المعركة المذكورة وقعت بعد انهزام الروم فى عربة الدبينة وقبل اليرموك ، فلابد أن تكون هذه المعركة معركة أجنادين التى وصف ميخائيل كيفية وقوعها ، وأشار الى فرح بنى اسماعيل العرب بالانتصار ، وفى ذلك ارادة الله التى أنقذت سورية من البيزنطيين القائلين بالطبيعتين . وكان المؤرخ هذا كمعظم السوريين من القائلين بالطبيعة الواحدة ، وكانوا يكرهون البيزنطيين ؛ لأنهم يقولون بأن للمسيح طبيعتين . ويرى المؤرخون الغربيون أن من الأسباب التى ساعدت العرب على فتح سورية عدم اخلاص أهل سورية لبيزنطية بسبب الاختلافات المذهبية .

وأخيرا نريد أن نشير الى الموعظة التى وعظها صفرنيوس بطريرك القدس فى عيد ميلاد المسيح فى (٢٥ كانون الأول سنة ٦٣٤ م = ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣ هـ) ، وهى :

« أما نحن ، فلعدم جدارتنا بالنظر فى هذه الأمور بسبب خطايانا الكثيرة وآثامنا الكبيرة ، فقد حظر علينا الذهاب الى هناك (بيت لحم) والحضور والبقاء فيها ، بل نحن مضطرون وبرغم ارادتنا أن نلازم البيت . اننا ، والحق يقال ، نسنا مقيدين بأغلال مادية ، انما نحن مقيدون ومربوطون بالخوف من البدو . وبرغم قربنا الكثير من بيت لحم التى قبلت الرب الآله ، لا يؤذن لنا البتة أن ندخلها ، ولكن لا لرؤيتنا سيف الفردوس الدائر حول رؤوسنا ، بل خوفنا من سيف البدو ... » .

وفى موعظة أخرى :

« فاذا كملنا اذن ارادة الله الأبوية ، وحافظنا بثبات على الايمان القديم ، فسنقصى عنا بسهولة سيف الاسماعيليين ، ونصرف عنا حسام البدو ، ونحطم قوس أبناء هاجر . وفى وقت قصير سنشاهد بيت لحم الالهية ، وسنتأمل العجائب التى تحتويها .. » .

وفى محل آخر :

« من الحقيقة أن حامية بنى هاجر الأشرار هى الآن شاغلة ومسيطرة كما قلنا سابقا ، مثلما كانت حامية الفلسطينيين فى عهد داود مسيطرة عليها ، ولا تسمح لأحد البتة بالذهاب اليها . وان القتل والموت يتهددان كل من يخرج من بيته للذهاب الى هذه

(١) كيتانى : (م ٣ ج ١/٦٧) .

المدينة المقدسة ... »[١] .

يتضح من هذه المواعظ أن المسلمين كانوا قد استولوا على جنوبى فلسطين فى ذى القعدة سنة ١٣ هـ ، وهذا يصادف شهر كانون الأول سنة ٦٣٤ م ؛ لأن المواعظ تشير الى اضطرار أهل مدينة القدس الى البقاء فى مدينتهم وعدم الخروج منها للذهاب الى بيت لحم للاحتفال بعيد ميلاد المسيح فيها ... مما يدل على أن معركة أجنادين وقعت قبل هذا التاريخ ، اذ لم يتسن للعرب منع أهل القدس من الخروج الا بعد طردهم الروم من جنوبى فلسطين ، وقد تم لهم ذلك فى أجنادين .

هكذا يتأكد لنا ، من المصادر العربية والاشارات التى وردت فى قسم من المصادر الرومية واللاتينية والسريانية ، أن معركة أجنادين وقعت سنة ١٣ هـ قبل معركة اليرموك بسنتين ، وقد أيد هذا أكثر الأخباريين كابن اسحاق والواقدى والمدائنى ، والمؤرخين كالبلاذرى واليعقوبى وغيرهما من المتقدمين ، فضلا عن روايات وردت فى كتب من أرخ بعدهم كابن عساكر ، وما جاء فى تراجم الذين استشهدوا فى أجنادين وفى كتب أخرى أدبية وغيرها . ومما يلفت النظر أن الطبرى اعتمد كثيرا على روايات سيف بن عمر ، فذكر خبر اليرموك فى حوادث سنة ١٣ هـ ، وأثبت خبر أجنادين فى حوادث سنة ١٥ هـ بالرغم من أنه أشار الى روايات ابن اسحاق والمدائنى التى تجعل معركة أجنادين فى سنة ١٣ هـ . ومما يلفت النظر أن ابن عساكر أيضا ذكر وقعة أجنادين فى وقائع سنة ١٥ هـ ، واستند فى وصفها الى ما رواه سيف بن عمر نقلا من تاريخ الطبرى ، مع أنه لم يجعل من تاريخه نسخة أخرى لتاريخ الطبرى كما فعل ابن الأثير ، بل حاول أن يجعله مستقلا الى حد ما . وقد ذكر رواية الواقدى التى قال فيها : « واليقين عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، وبشر بها أبو بكر وهو بآخر رمق »[٢] . كما أنه أورد رواية الزهرى التى جاء فيها أن وقعة أجنادين وفحل فى سنة ١٣ هـ . فأما أجنادين ، فكانت فى جمادى الأولى ، وفحل فى ذى القعدة .

ومن الغريب أن أبا الفداء لم يشر فى تاريخه الى وقعة أجنادين ، وذكر وقعة اليرموك فى حوادث سنة ١٥ هـ .

---

(١) جاءت هذه المواعظ فى La Maxima Bibliotheca Veterum Patrum (١٢/٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩) والنص اللاتينى ورد فى كتاب دى غوية (مذكرة عن فتح سورية) (ص ١٧٤ ، ١٧٥) . وقد تفضل القس بطرس سابا فترجمها لنا من اللاتينية الى العربية .

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (١/١٤٤)

أما ابن خلدون ، فذكر معركة أجنادين بعد معركة اليرموك كما شرحها الطبري ، ثم قال : « وقد تقدم لنا ذكر الواقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها ، وهذا على قول من جعلها بعدها »[١] . وذكر في مكان آخر كيف وقعت المعركة على قول من جعلها قبل اليرموك فقال : « ويقال : ان خالدا لما جاء من العراق الى الشام لقي أمراء المسلمين ببصرى ، فحاصروها جميعا حتى فتحوها على الجزية ، ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص ، وعمرو بالغور ، والروم بجلق مع تذارق أخي هرقل ، وكشفوا عن جلق الى أجنادين وراء الرملة ، وذلك في منتصف جمادى الأولى من السنة ، وقتل فيها تذارق ، ثم رجع هرقل ولقي المسلمين بالفاقوصة [٢] عند اليرموك . وكانت واقعة اليرموك في رجب بعد أجنادين »[٣] .

الأسباب العسكرية والضرورات السوقية

راجع الخارطة (١)

الحقيقة أن مجرى الحركات العسكرية وضرورات سوق الجيش تحمل الباحث على أن يقدم معركة أجنادين على معركة اليرموك بعد أن يعلم أن معركة أجنادين نشبت في جنوبي فلسطين ، وأن وقعة اليرموك جرت جنوبي دمشق عند اليرموك . ويحسن بنا أن نذكر باختصار كيف تقدمت القوات العربية في زحفها نحو الشام .

ذكر البلاذري أن عقد الألوية لأمراء الجيوش الذين بعثهم أبو بكر كان يوم الخميس مستهل صفر سنة ثلاث عشرة ، وذلك بعد مقام المعسكرين بالجرف المحرم كله[٤] .

يؤيد هذا الخبر ما رواه المدائني : أن أبا بكر وجه الجيوش أول سنة ثلاث عشرة ، وفي رواية ابن اسحاق في الطبري أن أبا بكر جهز الجيوش الى الشام لما قفل من الحج سنة ١٢ هـ . وهذا التأريخ لا يبعد كثيرا عن التأريخ الذي ذكره المدائني والبلاذري . وكان من الطبيعي ألا يفكر أبو بكر في ارسال الجيوش الى الشام قبل أن يتم الظفر في اليمامة ويدحر المرتدين ... وذكر البلاذري أن فتح اليمامة تم سنة ١٢ هـ . وفي التواريخ روايات تؤيد وقوع معركة عقربا في شهر ربيع الأول سنة ١٢ هـ ، والروايات

(١) تأريخ ابن خلدون (٢/١٠٦) .

(٢) هكذا جاءت ، والصواب (الياقوصة) ، وهي قرية شمال نهر اليرموك واقعة الى جنوب شرقي قصبة (فيق) على حافة السفوح المنحدرة الى النهر . ما تزال قائمة .

(٣) تأريخ ابن خلدون (٢/٨٥) . (٤) فتوح البلدان (١١٦) .

تتفق على أن أبا بكر عقد ثلاثة ألوية ، وتكاد تجمع على أسماء الأمراء ، ولكنها تختلف فيمن سبق فى المسير • أما الروايات التى تزعم أن الجيوش تحركت فى وقت واحد ، فلا يؤبه لهـا ، وكذلك الروايات التى تجعل أبا عبيـدة بن الجراح الأمير الرابع ، هى على ما ظهر لنا ضعيفة • أما أن يزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة كانوا أول الأمراء الذين عقد أبو بكر لهم الألوية ، فمن الثبت • وجاء فى أكثر الروايات أن خالد بن سعيد هو أول من عقد له لواء ، ولكنها تذكر أن أبا بكر عزله بعد ذلك ، وأمر بتسليم اللواء الى يزيد بن أبى سفيان • وبين الروايات رواية تزعم أن أبا بكر عقد لخالد بن سعيد حينما وجه الجيوش لمحاربة المرتدين ، وجعله ردءا فى تيماء ، أى عقد له قبل تجهيز الجيوش تمهيدا لارسالها الى الشام • وذكر ابن الأثير فى تاريخه أنه قيل : ان أبا بكر سير خالد بن العاص لما سير خالد بن الوليد الى العراق (١) •

يلوح لنا أن هذه الروايات تنطبق الى حد ما على الواقع ؛ لأن خالد بن سعيد هو الأمير الوحيد الذى كان بغير عمل حينما عاد جيش أسامة من غزوته من بلاد الشام ، وكان عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان مكلفين جمع الصدقات • ولعل أبا بكر أرسله الى تيماء حينما ذهب خالد لمقاتلة المرتدين ليراقب العرب المتنصرة عملاء البيزنطيين ، اذ قد ينتهز الروم الحرب الداخلية فى بلاد العرب ، ويحرضونهم على الهجوم على أرض المسلمين متفقين مع القبائل الشمالية المرتدة فى الانتصار للمرتدين •

وليس من شك فى أن أبا بكر فكر فى ارسال الجيش الى الشام عقب انتهاء حركات الردة • وعزمه على ارسال جيش أسامة معلوم ، وقد خالف رأى الصحابة لما طلبوا اليه أن يكف عن ارسال ذلك الجيش ، بعد أن تأزم الموقف فى المدينة بتأهب القبائل للهجوم عليها ؛ فهذا يجوز أن يكون أبو بكر قـدم خالد بن سعيد وأمره على أول جيش لمقاتلة الروم فى الشام • ويظهر أنه استمع بعد ذلك الى رأى عمر ، فعزله ، وعين يزيد بن أبى سفيان فى محله •

وفى رأينا أن أول من تقدم من الجيوش التى عقد لها هو جيش يزيد بن أبى سفيان ، وكان هدفه البلقـاء ، وطريقه طريق تبوك • ولعل عمرو بن العـاص كان على رأس الجيش الثانى الذى سلك طريق الساحل من الوجه الى أيلة ، وهدفه جنوبى فلسطين • أما الجيش الثالث ، فهو جيش شرحبيل بن حسنة الذى يلوح أنه أرسل مددا ليزيد بن أبى سفيان ، فسلك طريق تبوك كما ذكرته الروايات • وفى التواريخ روايات تروى

(١) تاريخ ابن الأثير (٢/١٥٤) •

ارسال وليد بن عقبة ومعاوية بن أبى سفيان مددا • ويتراءى لنا أن أبا عبيدة كان آخر من بعث الى الشـام : اما على رأس قوة قليلة ، واما وحده ليتولى امرة الشـام • ولعله ترك المدينة الى الشام بعد حركة الجيوش بمدة غير قصيرة • وذكر البلاذرى أن أبا بكر أراد أن يعقد لأبى عبيدة ، فاستعفاه من ذلك ، وأضاف قائلا : « وقد روى قوم أنه عقد له » ، وليس ذلك بثبت • ولكن عمر ولاه الشام حين استخلف »[1] • ومما يؤيد ذلك أن الروايات أجمعت على وجود أبى عبيـدة فى معركة اليرموك ، ولم تشـر الى وجوده فى معركة أجنادين الا روايات قليلة •

اذن يتضح لنـا مما سبق أن الجيوش الثلاثة تحركت نحو الشام ، الواحـد بعد الآخر ، وأن جيش يزيد بن أبى سفيان سبق الجميع ، وكانت وجهته البلقاء • وسار بعده جيش عمرو بن العاص ، ثم سار جيش شرحبيل بن حسنة مددا لجيش يزيد بن أبى سفيان •

لانظن أن الجيوش هذه تحركت على وفق خطة مرسومة كما يجرى الآن فى الجيوش التى تباشر الحروب ، ولكننا نجزم بأنه كان لكل جيش هدف خاص • ومع أنها كانت تتحرك على انفراد فى مناطق خاصة بها ، ففى الأخبار روايات تدل على أن أبا بكر كان يتوقع أنها قد تضطر الى الاجتماع فى منطقة واحدة لتتعاون على دحر العدو ، لهذا طلب الى الأمراء فى هذه الحالة أن يكون أمير الجيش الأمير الذى تجرى الحركات فى كورته •

والآن ، فلنبحث فى الطريقـة المثلى التى ينبغى أن تسلكها هـذه الجيوش حين توغلها فى بلاد الشام •فالمبادىء الحربية تتطلب منها أن تتقدم من الجنوب وجهتها الشمال ، وأن تسعى فى زحفها الى المحافظة على خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب ؛ لأن المدد يأتى اليها منها ، ولأنها سوف تلتجىء اليها حين الشدة ، ولا سبيل للعدو أن يتوغل فيها • ويلوح لنا أن الروايات التى ذكرت أن هدف يزيد بن أبى سفيان دمشق ، غير صحيحة ؛ لهـذا نجزم بأن البلقاء كانت هـدف يزيد بن أبى سفيان ، وكانت فلسطين هدف عمرو بن العاص • ويظهر أن شرحبيل بن حسنة استهدف الأردن ، فسار على طريق تبوك وراء جيش يزيد ، ثم انعطف نحو نهر الأردن ، فأصبح بمثابة جيش ارتباط بين جيش يزيد وجيش عمرو ، ينحاز الى أحدهما عند الضرورة •

لا نعلم شيئا عما صادفته هذه الجيوش فى طريقها ، فالروايات سكتت ، وقد نستنتج

(١) فتوح البلدان (١١٦) •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من ذلك أنها لم تصادف فى طريقها مقاومة من جانب العدو • ولقد أسهب سيف بن عمر على عادته فى وصف حركات جيش خالد بن سعيد ، فزعم أنه تقدم من تيماء ، ووصل الى الزيزاء والقسطل ، وهما محلان على جادة دمشق جنوبى عمان ، ثم اصطدم هو وباهان بطريق الروم ، وخالف أمر أبى بكر فتقدم نحو دمشق طالبا الحظوة ومعربا ظهره للعدو ، فنزل بمرج الصفر ، فأخذت قوات باهان عليه الطريق ، وباغتت المسلمين حين كانوا يسقون ركوبهم ، فتغلبت عليهم ، وانهزم خالد •

يتراءى لنا أن سيف بن عمر خلط الروايات ، فقدم وأخر • ولعل فى خبره هذا أثر ذكريات قتال وقع قرب مرج الصفر ، هزم فيه خالد ، وذلك بعد عزله عن القيادة ومشاركته فى الفتوح محتسبا فى جيش يزيد بن أبى سفيان • وهناك بين الأخبار خبر يزعم أن أول صلح بالشام صلح مأب ، وهى ناحية من نواحى البلقاء • ولكن رواية أخرى تنفى خبر هذا الصلح ، وتجعله بعد فتح بصرى • وهذا كل ما نعلمه عن جيش يزيد فى مسيره نحو البلقاء • ويجوز أنه استمر فى مسيره حتى قارت مدينة بصرى المحصنة ، وظل يرقبها من جهة ويترقب أخبار شرحبيل وعمرو بن العاص من جهة أخرى •

وكان من الطبيعى أن عمرو بن العاص أول من اصطدم هو والروم ؛ لأن هدفه كان أقرب الأهداف ، ولأن الروم كانوا يرابطون فى مدن فلسطين ، ومركز جندهم فى قيسارية وفيها مدن القدس وطبرية وغزة وغيرها من المدن الأخرى التى كانت تحميها الحاميات الرومية ؛ لهذا كان لابد من أن يصطدم جيش عمرو وقوات الروم • والروايات تدل على أن عمرو بن العاص نزل بغمر العربات ، وهذا المحل فى جنوبى البحر الميت فى وادى عربة ، ثم تقدم نحو غزة فصادف قوات جورجيوس حاكم قيسارية أو غزة ، فى قرية ثادن من قرى كورة غزة ، وانتصر عليها • وهناك خبر عن ارسال يزيد بن أبى سفيان قوة بقيادة أبى أمامة الباهلى ، ونشوب قتال بينه وبين الروم فى الدائنة بالعربة ظفر فيه العرب • هل جرى هذا القتال فى مسير يزيد بن أبى سفيان نحو البلقاء ؟ وهل أوفد شرحبيل بعد وصوله الى نهر الأردن أبا أمامة ؟ هذا ما نجهله • ويظهر من بعض الروايات أن عمرو بن العاص لقى مقاومة عنيفة فى جنوبى فلسطين ، فاضطر الى التراجع والوقوف فى غمر العربات انتظارا لورود المدد من المدينة • ومنها روايات تؤيد أن عمرو بن العاص أخبر أبا بكر بتجمع الروم ، وطلب منه النجدة فحدا ذلك أبا بكر أن يكتب الى خالد بن الوليد فى أن يترك العراق ، ويذهب لنجدة المسلمين فى الشام •

وليس من شك فى أن هرقل امبراطور الروم كان على علم من سير الحوادث فى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جنوبى الشام ، وكانت له عيون من العرب المتنصرة فى الجنوب تخبر قادته فى الشام بتقدم العرب وتغلغلهم فى البلقاء وجنوبى فلسطين • وقد ذكرت المصادر الرومية أنه عاد الى سورية بعد مدة قصيرة من رجوعه الى القسطنطينية فاتحا ومنتصرا على الفرس • وكان لابد من تجهيز الجيوش للدفاع عن بلاد الشام ، فبعث جيشا بقيادة أخيه تئودور (تذارق العرب) من أنطاكية وحمص ، فتقدم هذا الجيش الى الجنوب ، فاصطدم هو وقوات المسلمين ووقعت أول معركة حاسمة بين المسلمين والروم •

أجمعت الروايات على أن المعركة وقعت سنة ثلاث عشرة الهجرية • والروايات التى تذكر وقوعها فى جنوبى فلسطين فى أجنادين تجعل تأريخ وقوعها شهر جمادى الأولى ، مع أن الروايات التى تشير الى وقوعها عند اليرموك تجعل تأريخ نشوبها شهر رجب • وهذه الروايات الأخيرة تقدم قتال فحل ومرج الصفر ومحاصرة دمشق وفتح حمص على معركة أجنادين ، على حين تجعل الروايات الأولى تلك الحوادث بعد معركة أجنادين ، أى بينها وبين يوم اليرموك •

والآن فلنناقش الموقف من الوجهة « الستراتيجية » • فان كانت الجيوش العربية تقدمت على ثلاثة طرق متوازية الى حد ما ووجهة حركاتها خط (بصرى ـ غزة) ، فكان ينبغى لها أن تتقدم فى حذر وحيطة كلما توغلت فى الشمال ، وتسعى الى أن تبقى خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب آمنة لضمان وصول النجدات اليها وللاحتماء بها عند الحاجة • وفى هذه الحالة ينبغى أن يقع أول اصطدام فى الجنوب بين القدس والرملة ، لا فى الشمال على ضفاف اليرموك • والروايات التى تزعم أن معركة أجنادين وقعت سنة خمس عشرة تشير الى أن المسلمين حاصروا دمشق وفتحوها صلحا ، ثم وصلوا الى حمص ففتحوها • ولما بلغ العرب خبر تجهيز هرقل للجيوش وارسالها نحو الجنوب ، تركوا حمص الى أهلها ، وتسحبوا من دمشق وتوجهوا الى الجابية ، ثم اجتمعوا فى جنوبى فلسطين ، وتغلبوا فى أجنادين على الروم • ويعنى هذا أنهم جعلوا خطوط مواصلاتهم على جانبهم الأيسر ، وعرضوها للخطر ؛ لأنه ما دامت فلسطين بيد الروم ، وما دامت جيوش هرقل تستطيع أن تتحشد فيها متى شاءت ، ففى استطاعتها أن تتوجه صوب الشرق ، وتقف بين جيوش المسلمين وبلاد العرب ، وبذلك تمنع عنها وصول المدد من جهة ، وتسد الطرق بوجه المسلمين اذا أرادوا الافلات والاحتماء بالصحراء •

لقد أسهبت الروايات فى وصف معركة اليرموك ، وعدتها أعظم معركة وقعت فى بلاد الشام ، وقد خصص بها مؤلف كتاب فتوح الشام الواقدى المزعوم فصلا طويلا

اعتمد عليه جماعة من المؤرخين الغربيين ، على حين لم تسهب هذه الروايات فى وصف معركة أجنادين والتى حاولت أن تجعل هذه المعركة حاسمة ، خلطت وقائعها بوقائع اليرموك .

ان نشوب معركة أجنادين قبل نشوب معركة اليرموك ، يجعل سير الحركات العربية فى بلاد الشام أدعى للقواعد الحربية . ولما كانت فلسطين الهدف الأقصر ، لم يكن بد من أن تقع أولى المعارك فيها . وفيها القدس وبيت لحم اللتان يقدسهما الروم . وأسسوا فيها قيادة عسكرية مقرها قيسارية ؛ لهذا نشاهد أن أول قتال جرى فيها جعل عمرو ابن العاص يتريث فى المسير ، ويطلب المعونة من شرحبيل بن حسنة أو يزيد بن أبى سفيان ، ويستنجد بأبى بكر . تقدمت قواته فى بعض أنحاء فلسطين الجنوبية ، وشنت الغارة على القرى والأرياف ، وألقت الرعب فى نفوس الأهلين ، ثم اضطرت الى التراجع ، وأقامت فى غمر العربات ؛ لتكون على مقربة من القوات العربية الأخرى وعلى اتصال ببلاد العرب . وفى هذه الفترة وصل خالد بن الوليد من العراق بقوته الى شرقى دمشق ، فأغار على الغسانيين فى عيد فصحهم فى مرج راهط عند قرية عذراء ، وسار بعد ذلك نحو الجنوب الى مدينة بصرى .

ولعل القوات الرومية بقيادة تيودور كانت قد وصلت وقتئذ الى جلق ، فانتظرت فيها ، ثم تقدمت الى نهر الأردن فعبرته ، ودخلت فلسطين بعد أن تأكدت أن خالد بن الوليد توجه الى بلاد البلقاء . واذا أردنا أن نصدق الروايات التى جعلت فتح بصرى على يد أبى عبيدة بن الجراح ، جاز لنا أن نجعل فتح مدينة بصرى بعد معركة أجنادين ، أما اذا اعتمدنا على الروايات التى جعلت فتح بصرى على يدخالد ، فلا بد أن نعتقد أن قوته اجتمعت مع قوة يزيد بن أبى سفيان فى جوارها ، ثم تقدمت جميعا بعد الفتح نحو الجنوب ، وانضمت الى قوات شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص استعدادا لمواجهة الروم . وتمت هذه المواجهة فى أجنادين ، فكسر الروم فى المعركة ، وتفرقت فلولهم ، واحتمى فريق منها وراء أسوار القدس ، على حين تسحب الباقون الى الشمال ، واجتمعوا فى بيسان أولا ، وفى فحل ثانية ، فجرى القتال فيهما بين العرب والروم ، وكان النصر فيه للعرب فى هذه المرة أيضا ، فتمهد لهم فتح فلسطين ما عدا المدن الحقيقية ؛ اذ لم يكن لدى العرب حينئذ وسائل كافية فى منازلة القلاع المستحكمة . ثم عبر العرب نهر الأردن ، ووصلوا الى الجابية ، وتقدموا نحو دمشق ، واصطدموا للمرة الأخيرة هم وفلول الروم التى أنجدتها حامية دمشق ، فى مرج الصفر . وأخيرا نزلوا على أسوار دمشق ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فحاصروها . ولعل هـذا الحصار هو الحصار الأول لمدينة دمشق . أما الثـاني ، فهو الحصار الذي وقع بعد معركة اليرموك .

هكذا يتضح لنا من مجرى الحركات على هذه الصورة أن الجيوش العربية في قتالها للروم كانت تحرص دائما على أن تكون خطوط اتصالاتهـا وراء ظهرها ، ولم تتقـدم من فلسطين الى دمشق الا بعد أن طردت الروم منها . ولم تلاق كبير عناء في حصارها الأول لدمشق . وبعد أن تم لها فتح هذه المدينة ، توجهت نحو حمص من غير مقاومة تذكر . والروايات التي تشير الى وقوع قتال بين دمشق وحمص في أثناء حصار دمشق ، لعلها تشير الى محاولات رومية مخفقة استهدفت فك الحصار عن دمشق . ولم يك في استطاعة هرقل تجهيز جيش آخر بسرعة ، وقد نهكت حروب الفرس قواته ، وربكت خزانة الدولة ، وكان هذا الارتباك من الأسباب التي سهلت فتح العرب لبلاد الشام ، كما أشـار اليه المؤرخ البيزنطي تيوفانس مبينا أن عدم أعطيات المرتزقـة العرب جعل هؤلاء ينفرون من الروم ، وحملهم على مساعدة المسلمين . لهذا لم يستطع هرقل تجهيز جيش آخر الا سنة خمس عشرة الهجرية ، وذلك بجلب قوات من ارمينية ، والاستفادة من العرب المتنصرة بعد أن أكثر الأعطيات .

ومما يؤيد وقوع معركة أجنـادين قبل اليرموك أن الروايات العربيـة لم تذكر استرداد الجيوش الرومانية للمدن التي افتتحها العرب في زحفها من حمص الى دمشق ، ففلسطين ، لمقابلة العرب في أجنادين ، كمدن بصرى وبيسان وفحل وغيرها ، مما يدل على أن معركة سنة خمس عشرة الهجرية وقعت عند اليرموك ، لا في أجنادين .

يوم المعركة

تكاد الروايات تتفق على أن معركة أجنـادين وقعت في شـهر جمادى الأولى ، ولكنهـا اختلفت في يوم المعركة ، فذكر ابن اسحاق أن المعركة كانت لليلتين بقيتـا من جمادى الأولى ، وقال الواقدي : واليقين عندنا أن أجنادين كانت في جمادى الأولى ، وأيد ابن سعد في طبقاته هذه الرواية ؛ اذ ذكر أن عمرو بن سعيد قتل في يوم أجنادين في جمادى الأولى . أما المدائني ، فذكر أن المعركة وقعت يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى . وقال البلاذري : ان المعركة وقعت يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ويقال : لليلتين خلتا من جمادى الأخرى ، ويقال : لليلتين بقيتا منه . ويؤكد اليعقوبي رواية ابن اسحاق والمدائني بقوله : « وقعة أجنادين كانت يوم السبت لليلتين بقيتـا من جمادي الأولى » . وأورد ابن حبيش أن أبا بكر توفي بعـد أجنادين

بأربعة وعشرين يوما . وهذا يؤيد روايتى ابن اسحاق والمدائنى . أما ابن عبدالبر ، فكرر ما ذكره اليعقوبى بقوله : ان أجنادين كانت فى جمادى الأولى قبل وفاة أبى بكر بدون شهر . وذكر الزهرى أنها وقعت فى جمادى الأولى . وروى أبو حذيفة اسحاق بن بشر أنها وقعت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى . وقال السيوطى : ان الوقعة كانت فى جمادى الأولى . وجاء فى تاريخ الخميس أن الناس تزاحفوا يوم أجنادين غداة السبت ، ثم يشير الى رواية تذكر أن المعركة وقعت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى . وذكر ابن خلدون أن معركة أجنادين وقعت فى منتصف جمادى الأولى .

يظهر من هذه الروايات أن ابن اسحاق والمدائنى واليعقوبى وابن حبيش متفقون على تاريخ وقوع المعركة ، ويقول المدائنى واليعقوبى : انها وقعت يوم السبت . وفى الحقيقة أن تاريخ ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية يصادف يوم السبت . أما البلاذرى ، فذكر ثلاثة تواريخ ، وجعل يوم الاثنين يصادف ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، مع أن يوم الأربعاء يصادف هذا التاريخ ، وتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الأربعاء كذلك . أما تاريخ ٢٨ جمادى الآخرة فيصادف يوم الاثنين . ولعل البلاذرى غير أسماء الشهور ؛ لأن تاريخ ١٨ جمادى الآخرة وتاريخ ٢ جمادى الأولى وتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة من سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الاثنين . ولعل التاريخ الصحيح فيما كتبه البلاذرى ٢٨ جمادى الأولى ، لا ٢٨ جمادى الآخرة ، وهو يتفق مع رواية ابن اسحاق واليعقوبى والمدائنى .

فيتضح من كل ذلك أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية ، أى فى ٣٠ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية .

أين وقعت المعركة ؟

راجع الخارطة (٢)

واذا كان فى معرفة التاريخ الذى وقعت فيه المعركة بعض المشقة ، فان معرفة المحل الذى جرت فيه المعركة أشق . لقد جرت أكثر معارك الفتوح الأولى فى أماكن معلومة لم يطرأ عليها تبدل ما ، أو أنها ظلت مدة غير قصيرة من الزمن كذلك . وقد حدث بعض التحريف فى الأسماء سببه الخطأ فى النسخ ، كالياقوصة والفاقوصة والواقوصة ، من السهل تمييز الصحيح منها بمعرفة اسم المحل كما يذكره أهله . والغريب أن بعض المؤرخين لم ينتبهوا الى خطأ النسخ ؛ لهذا راحوا يفسرون معنى الاسم المكتوب خطأ ، ويحاولون أن يجدوا صلة بين ذلك الاسم المغلوط فيه وما وقع في الحادثة ، فقالوا : سميت بالواقوصة ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لأن الروم وقصت أعناقهم حين سقوطهم فى الهاوية ، على حين أن اسم القرية التى جرت فيها آخر صفحة من صفحات معركة اليرموك هى الياقوصة ، وما تزال موجودة ، لا الواقوصة كما كتبها المستنسخون خطأ . وكتب البلدان العربية مشحونة بتعليل تسمية الأعلام الجغرافية ورجع التسمية الى أصل عربى ، مع أن الأعلام المذكورة أسماء أجنبية ارامية أو فارسية لا صلة لها بالعربية .

جرت معركة اليرموك قرب نهر اليرموك ، واسم الجابية ما يزال يطلق على الرابية قرب قرية نوى ، كما أن مرج راهط الذى جرى فيه قتال بين خالد بن الوليد والغسانيين أطلق عليه بعد ذلك اسم عذراء ، ولعله مرج عذراء ، كما أشار الى ذلك ابن عساكر . وقرية عذراء أو عدرا ، ما تزال موجودة ، واقعة شرقى دمشق على طريق ضمير . واسم الغمر ما يزال فى خارطة فلسطين فى وادى العربة قريبا فى ملتقاه بالبحر الميت . أما المدن الأخرى التى حوصرت وفتحت كبصرى وقيسارية ، والتى وقع فيها القتال كبيسان وفحل ، فأعلام واضحة . ولكن أجنادين ومرج الصفر ليسا من الأسماء التى لها أماكن معلومة . ولا شك فى أن مكانهما كان معلوما لدى من شهد وقائعهما أو من ذكر خبرهما من الأخباريين الأولين . لهذا اكتفى المؤرخون بذكر اسمهما كما ورد فى الروايات من دون أن يتثبتوا من محلهما .

وقد اختلف أصحاب المعجمات فى اسم أجنادين ، فذكرها بعضهم بكسر الدال ، وآخرون بفتح الدال على صيغة التثنية . وكان محل أجنادين معلوما فى القرن الثانى الهجرى ، فان المسعودى ذكر أن ناتل بن قيس قتل فى أجنادين فى فلسطين فى عهد عبدالملك (١) .

وندكر الآن تعريف الرواة والمؤرخين لموقع أجنادين ، وسنرى أنهم لم يتفقوا على المحل ، فقال بعضهم : انه فى جنوب دمشق ، وقال آخرون : انه فى الأردن . والذين قالوا انه فى فلسطين اختلفوا فى تعريفه . والروايات هى :

١ ـ قال ابن اسحاق : ان أجنادين بين اللد والرملة وبين جبرين (٢) .

٢ ـ وقال أبو حذيفة اسحاق بن بشر : ان أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين (٣) .

٣ ـ ذكر عبدالله البكرى فى كتابه معجم ما استعجم أن أجنادين على لفظ التثنية

---

(١) مروج الذهب ، طبع القاهرة سنة ١٩٣٨ . (٣/٤٢) .

(٢) الطبرى (٢/٦١٠) . (٣) معجم البلدان : مادة (أجنادين) .

كأنه تثنية أجنـاد : موضـع من بلاد الأردن بالشام ، وقيل : بل بأرض فلسطين بين الرملة وجبرون .

٤ ـ وقال النويرى : ان أجنادين من فلسطين بين بيت جبرين واليرموك .

٥ ـ جاء فى تاج العروس شرح القاموس : أن أجنادين موضع مشهور بالقرب من دمشق الشام كانت فيه الوقعة العظيمة بين الروم والمسلمين .

٦ ـ جاء فى كتاب المؤتلف والمختلف لأبى زكريا يحيى النووى : قال بعضهم : أجنادين محل مشهور فى الشام بالقرب من دمشق .

٧ ـ جاء فى تأريخ الاسلام للذهبى استنادا الى رواية ابن اسحاق أن أجنادين بين الرملة وجرش[١] .

٨ ـ ذكر ابن خلدون أن أجنادين وراء الرملة شرقا[٢] .

٩ ـ جاء فى الاستيعاب عن الحسين بن عثمان الزيادى أن أجنادين فى فلسطين بين أبيال جبرين أو جبرون والرملة[٣] .

١٠ ـ فى لسان العرب لابن منظور : ويوم أجنادين معروف كان بالشام أيام عمر ، وهو موضع مشهور من نواحى دمشق ، وكانت فيه الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم .

هذا ملخص المعلومات عن موقع أجنادين ، ويتضح منه أن المؤرخين المسلمين لم يتحملوا عناء البحث فى تثبيت موقع أجنادين . واذا كان للمؤرخين القدماء ، كالبلاذرى والطبرى واليعقوبى ، عذر فى ذلك ؟ لأنهم كانوا مقتنعين بأن المحل معروف لدى القراء ، ليس من حاجة الى تعريفه ، فليس لمن بعدهم هذا العذر ، ولاسيما أن الروايات التى استندوا اليها اختلفت كثيرا فى تعريف المحل ، وكان ينبغى لهم أن يقارنوا بين هذه الروايات ، ويتحققوا من محل أجنادين ، ويذكروا الرأى الذى توصلوا اليه ، بينما نراهم يكررون قول من سبقهم . والأغرب أنهم ذكروا الاختلاف كقولهم : « وقيل ان أجنادين فى فلسطين ، أو الأردن ، أو الشام » .

وسلك أكثر مؤرخى الغرب أيضا الطريقة نفسها ، فكوسن دى برسفال ذكر فى كتابه تأريخ العرب أن أجنـادين واقعـة غربى القدس مسافة ١٥ ـ ٢٠ ميلا[٤] .

---

(١) المجلد الأول (٣٧٥) .

(٢) المجلد الثـانى (٨٥) .

(٣) الاستيعاب (٥١٩) .

(٤) انظر الى هامش (ص /٤٤٨) من المجلد الثالث :

Histoire Des Arabes: Coussin De Percival

وذكر فى (م ٣/٤٩٩) ، بعد أن قدم معركة اليرموك على معركة أجنادين ، أن أجنادين قرية فى غربى القدس بين الرملة وبيت جبرين .

أما المستشرق الانجليزى موير Muir، فقال فى كتابه « الخلافة : قيامها وأفولها وسقوطها »[١] « ان الخصمين (العرب والروم) تقاتلا فى ميدان أجنادين المشؤوم بين الرملة وبيت جبرين يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية (٣١ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية) . يجوز اعتبار هذا التاريخ صحيحا . أما موقع أجنادين فقد اختلفت فيه الآراء ، فقيل انه فى شرقى الأردن ، وقيل : انه اسم لحون (مجدو) محرفا من كلمة (لجيونوم Legionum) اللاتينية ؛ لأن أجنادين مشتقة من كلمة جند (الجيش) العربية . والفرضية الأخيرة هذه تدل على أن جنوبى فلسطين كان قد فتح قبلا ، وأن المتحاربين كانوا يتقاتلون وقتئذ فى فلسطين الوسطى التى سميت فيما بعد جند الأردن . والاعتراض الرئيس الذى يوجه ضد الفرضية الأولى ترك الروم لأعدائهم أرضا واسعة ودفاعهم عن مناطق بعيدة سكن أغلبها البدو ، بينما كان ينبغى أنْ يحموا أخطر ناحية من نواحى الامبراطورية (أى فلسطين) » .

وقال دى غويه فى كتابه « مذكرة عن فتح سورية » : « ان عدم وجود اسم أجنادين فى خارطة فلسطين ، ووروده على شكل تثنية جمع جند (أجناد ـ أجنادين) ، جعل (هانبرج ـ Haneberg) يشك أن تكون أجنادين الترجمة العربية لكلمة (لجيو ـ Legio) أى (مجدو) القديمة . لقد ذكر جغرافيو العرب هذا المحل باسم (لجون ـ لجيونوم ـ Legionum) ، ولا ينكر أهمية هذا المحل فى مدخل مرج بنى عامر (سهل أزدريون) الذى كان له شأن فى تاريخ فلسطين العسكرى »[٢] .

وقال كيتانى : « ان هانبرج أخطأ فى اعتماده على مصدره الوحيد كتاب فتوح الشام المنسوب الى أبى اسماعيل الأزدى بجعل معركة أجنادين بعد معركة اليرموك ، ولم يشأ أن يلتفت الى مصادر أخرى ، ولم يرغب فى ذلك . لقد فتش عن أجنادين فى أطراف دمشق ، ولهذا ظن أن معركة أجنادين وقعت فى أثناء حصار دمشق ، وافترض أن أجنادين تثنية جمع جند أى (جيش ، معسكر) ، ولاح له أنها تذكرة لاسم (Legio) الحصن الرومانى الشهير الذى ذكره أوسيبوس ، ويسمى الآن لجون . ويحتمل أن تكون مجدو القديمة قرب سهل مرج بنى عامر فى فلسطين الشمالية ولكنه استند فيما بعد الى

---

(١) The Caliphate : Rire. decline and fall. الطبعة الأخيرة ، (ص ٧٠) .

(٢) Mémoire sur La Conquete De Syrie (ص ٥٤) .

أسباب أخرى ، واستنتج منها أن موقع أجنادين يجب أن يكون فى شرقى الأردن ، ملاحظا أنه يشبه كثيرا كلمة (مخنايم) الواردة فى الكتاب المقدس التى تعنى جند ـ جندين ، أى معسكرين . ولما لم يتمكن من تثبيت المحل ظن أن موقع أجنادين يجب أن يكون بين حمص وبصرى ، خلافا للمصدر الذى اعتمد عليه[١] .

وذكر كيتانى فى هامش الصفحة الـ (٣٣) أن برنيتسه Pernice) يرى أن معركة أجنادين هى المعركة التى سماها المؤرخ الأرمنى سبؤس معركة (ربوث موآب)[٢] . فأجنادين هى ربوث موآب . وبذلك تجنب جميع الدلائل الواردة فى المصادر العربية ، واعتمد على سبؤس وحده برغم انتقاده للغلطات والارتباكات الكثيرة فى كتابه . ويستند برنيتسه فى رأيه هذا الى ما زعمه هانبرج من أن أجنادين واقعة فى شرقى الأردن ، بينما لايوجد مصدر عربى وضع أجنادين فى شرقى الأردن . والذى أوقع برنيتسه فى هذا الخطأ الفاحش قول سبؤس : ان المعركة وقعت فى بلاد العرب ، بينما كلمة Arabia الواردة فى نصه لاتعنى بلاد العرب ، انما تعنى (العربة) التى ذكرها مؤرخو العرب حيث جرى فيها قتال بين الروم والعرب . لقد خلط سبؤس بين معركة العربة ومعركة أجنادين » .

ثم أشار كيتانى الى استنتاجات (فون سيتزن Von Seetzen)[٣] الذى ارتأى أن أجنادين شمال شرقى دمشق ، لوجود محل يشبه أجنادين لفظا يسمى جادين ، أو جيادين . ولكنه بعد أن علم أن الاسم الحقيقى هو (جب عدين) أخذ يفتش عنه شرقى جبل حوران ، أى على حدود البادية .

أما (وايل ـ Weil) ، فانه ـ بالرغم من استناده الى المصادر العربية المختلفة ـ أشار فى كتابه تاريخ الخلفاء الى أن موقع أجنادين ينبغى أن يكون شمال شرقى الرملة فى اتجاه الأردن .

وكذلك اكتفى مولر بما ذكره المؤرخون العرب .

ولنعد الآن الى ماجاء فى المصادر العربية ونوازن بينها ، لنتوصل الى الحقيقة فى تثبت موقع أجنادين . واذا أهملنا الروايات التى تجعل أجنادين فى الشام والأردن ، وقد رواها البكرى والنووى والزبيدى صاحب تاج العروس ، نرى أن الروايات الأخرى

(١) الجزء الأول : Annali Dell, Islam س (٢٧/٣) .

(٢) Angelo Pernce مؤلف كتاب الانبراطور هرقليوس ، طبع فلورنسة سنة ١٩٠٥ . Raboth Moab قرية ربه الواقعة شمال الكرك شرقى البحر الميت .

(٣) حوليات الاسلام ، الجزء نفسه (ص ٢٧) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتفق على أن أجنادين فى فلسطين قريبة من الرملة ، كما جاء فى رواية ابن اسحاق وابن حذيفة ورواية البكرى الثانية وابن خلدون • أما رواية النويرى ، فقد جعلت أجنادين بين بيت جبرين واليرموك ، وبذلك قاربت الروايات الأخرى • وأما رواية الزيادى فى الاستيعاب فتجعلها بين أبيال جبرين وحبرون • واذ ليس هنالك موضع باسم أبيال جبرين فى فلسطين، ولا سيما فى جوار حبرون ، فلابد أن تكون كلمة أبيال قد حرفت بالنسخ من أبيات أو بيت ، فيكون الصحيح بين بيت جبرين وحبرون ، أى مدينة الخليل التى كانت تسمى قديما باسم حبرون ، وجاء ذكرها فى معجم البلدان لياقوت • ولعل كلمة جبرون الواردة فى رواية البكرى الثانية ، محرفة من اسم حبرون •

هكذا يتضح لنا أن الروايات كادت تتفق على أن أجنادين موقع بين الرملة وبيت جبرين ، أضف الى ذلك روايتين جعلتاه بين الرملة وحبرون ، فينبغى لنا اذن أن نفتش عن هذا الموقع فى مثلث رؤوسه الرملة وبيت جبرين وحبرون • على أن رواية ابن اسحاق التى ذكرها الذهبى تلقى بعض الضوء على كشف الموقع ، وقد جاء فى هذه الرواية أن أجنادين بين الرملة وجرش • ومن الطبيعى ألا تكون جرش هذه قصبة جرش الواقعة شرقى الأردن ، لأنه لايعقل أن تكون القصبة المذكورة أداة تعريف ، أولا لأنها بعيدة كثيرا عن الرملة ، ثانيا لوجود مواقع أخرى مشهورة كالقدس ونهر الأردن •• فلا بد أن تكون جرش الواردة فى الرواية موقعا آخر قريبا من الرملة • واذا نظرنا الى خوارط فلسطين القديمة ، ولاسيما الخوارط الحديثة أخص منها بالذكر (خارطة فلسطين مقياس واحد على مئة ألف المطبوعة فى دائرة مساحة حكومة فلسطين السابقة) نجد قرية تسمى « جرش » بين لطرون وبيت نتيف ، أى جنوبى شرقى الرملة على بعد خمسة وعشرين كيلومترا • ولا يستبعد أن الرواية تشير الى هذه القرية بحيث يصح أن تكون واسطة تعريف لموقع أجنادين • وجاء فى رواية النويرى أن أجنادين بين بيت جبريل واليرموك • أما كلمة جبريل فمحرفة من جبرين • وأما اليرموك ، فلا يمكن أن يكون نهر اليرموك ؟ لأنه بعيد جدا عن بيت جبرين ، ولأنه توجد مواقع شهيرة كنابلس وجنين وبيسان بل حتى طبرية ، بين نهر اليرموك وبيت جبرين • لهذا يجوز أن يكون اليرموك هذا اسما لموضع يسمى « يرموك » قريبا من الرملة • وفى هذا التحديد أيضا تساعدنا فى البحث خوارط فلسطين القديمة والحديثة ، لأنه توجد خربة فى شمال بيت نتيف تدعى يرموك أو يرموث ، وهى واقعة الى جنوب غربى جرش على مسافة خمسة كيلومترات ، والى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

شمال غربى بيت جبرين على مسافة خمسة عشر كيلومترا • وسنرى فيما توصل اليه دى جويه ، والمستشرق الروسى مدنيكوف ، أن وجود هذا الموضع بالقرب من أجنادين أدى الى ارتباك المؤرخين القدماءفى خلط معركة أجنادين بمعركة اليرموك • « ويرموك » هذا ، موقع قديم ، ورد ذكره فى سفر يشوع فى العهد القديم باسم يرموث كما جاء فى الاصحاح العاشر ، الآية الرابعة : « فأرسل ادوين • صادق ملك أورشليم الى هوهام ملك حبرون وفيرام ملك يرموث » • والاصحاح الخامس عشر ، الآية (٣٥) ؛ « وزانوح وعين جنيم وتفوح وعينام ويرموث » ، والاصحاح الواحد والعشرين ، الآية (٢٩) : « ويرموث ومسرحها » • ومن السهل قلب يرموث الى يرموك فى الاستنساخ • ويجوز أن اسم يرموث انقلب الى يرموك مع الزمن ، فكانت القرية فى زمن الفتح تسمى اليرموك •

وذكر كيتانى فى الهامش من الصفحة (٢٩) من الجزء الأول من المجلد الثالث لكتابه الآنف الذكر أن الأستاذ (نلينو) لفت نظره الى أن فى بعض الخوارط الحديثة جاء اسم خربة يرموق بالقاف بدلا من يرموك بالكاف •

واذا صح هذا الاستنتاج ، أى أن جرش الواردة فى رواية ابن اسحاق هى قرية جرش الواقعة الى جنوبى الطيرون ، وأن يرموك الواردة فى رواية النويرى هى خربة يرموث الواقعة الى شمالى بيت سيف ، وجب أن نبحث عن موقع أجنادين فى المثلث الواقع بين الرملة وجرش وبيت جبرين •

والآن نذكر ما توصل اليه دى جويه من بحث مستفيض فى كتابه « مذكرة عن فتح سورية » • والحق انه أول من بحث بتدقيق وانعم نظر فى موقع أجنادين ، فقد الروايات ووازن بينها ، واستند الى مجرى الحوادث ، معتمدا على أصح الروايات وأوثقها سواء أكانت اسلامية أم أجنبية ، وانتهى من بحثه الى تثبيت المنطقة التى ينبغى أن يقع فيها موقع أجنادين •

قال دى جويه : « ان هناك ثلاثة افتراضات يجب أن نختار أحداها[١] •

الفرضية الأولى : تفترض أن أجنادين فى ضفة الأردن الشرقية • ومن المدافعين اليها هانبرج • وقد حاول أن يجعل أجنادين فى شرقى حوران ، واستند فى محاولته الى كتاب فتوح الشام الذى طبعه Leos فى كلكتة المنسوب خطأ الى الواقدى • واذا صح زعم هانبرج وجب أن تنشب المعركة على حدود سورية الشرقية ، وفى هذه

---

[١] مذكرة عن فتح سورية ص (٥٢ و ٥٣) •

الحالة تصبح خطة العرب الحربية ، وكذلك خطة الروم غير مفهومة ؟ لأن الحدود المذكورة كانت دائما معرضة للغارات البدوية . وقد ناط الروم أمر الدفاع عنها بالعرب القاطنين فيها ؟ فضلا عن أن أهلها ، وهم سكان حوران والبلقاء ، كانوا يميلون الى العرب ؛ لهذا كيف يفترض أن الروم يرسلون خيرة جنودهم للدفاع عنها ، ويتركون فلسطين مفتوحة بوجه العرب وهم يعلمون أن العرب في حربهم هذه يستهدفون فتح البلاد وامتلاكها لا غزوها ؟ والعرب يفضلون ارسال قواتهم اليها ، بدلا من أن يحشدوها في حوران والبلقاء ؛ لأنهم يعلمون أن فتح فلسطين يجعل تلك البلاد في قبضة يدهم بلا قتال .

أما الفرضية الثانية ، فتفترض أن أجنادين في عمالة الأردن ، وهي شمال فلسطين . وكان سبب ذلك أن خوارط فلسطين لا تذكر اسم أجنادين . ومن المتحمسين لهذه الفرضية هانبرج أيضا ، وافترض ، كما قلنا من قبل ، أن أجنادين تثنية أجناد ، جمع جند ، وهي ترجمة Legio اللاتينية التي تعني الجند ، أي مجدو القديمة .

وقال دي جويه : ان رواية البلاذري قد تؤيد هذه الفرضية ، اذ ذكر البلاذري : « أن أول الناس الذي حاصر قيسارية عمرو بن العاص . نزل في جمادى الأولى سنة ٦٣ هـ ، فكان يقيم عليها ما أقام ، فاذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم ، سار اليهم ، فشهد أجنادين »(١) .

يظهر من ذلك أن عمرو بن العاص ذهب من قيسارية الى أجنادين ، فتكون أجنادين وقتئذ من عمالة الأردن ، أي في شمال فلسطين . واذا صحت هذه الفرضية ، فينبغي التفتيش عن غمر العربة في شمالي فلسطين بدلا من جنوبها ؛ لأن أكثر الروايات تؤيد انتصار عمرو بن العاص في غمر العربات قبل مجيء خالد وذهابه منها الى أجنادين ، بينما يقع غمر العربة في غور فلسطين قريبا من ملتقى البحر الميت بوادي العربة . أضف الى ذلك أن فتح أجنادين مهد لسقوط غزة ، لا سقوط قيسارية .

وأما الفرضية الثالثة : فهي التي توافق رواية ابن اسحاق التي جعلت أجنادين بين الرملة وبيت جبرين . وهي تتفق تمام الاتفاق مع سير الحركات في جنوبي فلسطين قبل نشوب معركة أجنادين . وقد أشرنا من قبل الى مجرى الحركات فيها وكيف أنها انتهت الى اجتماع الجيوش العربية في أجنادين . وذكر دي جويه اجتماع الروم في ثنية جلق كما جاء في رواية سيف بن عمر في تاريخ الطبري جعل مسيره نحو

(١) فتوح البلدان (١٤٦) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أجنادين . وقال سيف بن عمر : « وأرسل هرقل الى عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه ، فخرج نحوهم فى تسعين ألفا ، وبعث من يسوقهم ، حتى نزل صاحب الساقة فى ثنية جلق بأعلى فلسطين » . وقد حاول دى جويه أن يفتش عن موقع جلق فى شمالى فلسطين شمال الخط الذى يصل بيسان بقيسارية ، وقال : انه من المشكوك فيه أن يكون فى هذه المنطقة ، ثم ذكر الرواية التى تجعل جلق فى قرب دمشق كما جاء فى شعر حسان ابن ثابت :

لله در عصـــابـة نادمتهـم يوما بجلق فى الزمـان الأول

وأراد أن يجعل جنين محرفة من كلمة جلق ، وجنين واقعة ـ كما نعلم ـ شمالى نابلس ، فى المنطقة الجبلية التى تسيطر على مرج بنى عامر . وقال : ينبغى أن تكون ثنية جلق هنا . وذكر ان هذا التحريف أمر طبيعى لدى النساخ[1] .

وقال دى جويه : ومما يؤيد أن أجنادين فى جنوبى فلسطين شعر زياد بن حنظلة :

ونحن تركنـــا أرطبـون مطـيرا الى المسجد الاقصى ، وفيه حسور
عشيـة أجنـادين لمـا تتـابعـوا وقـــامت عليهم بالعـراء نســور

وأرطبون هذا : قائد الروم فى أجنادين . ولأجل أن تنسحب فلول الروم بعد المعركة الى القدس « المسجد الأقصى » ، ينبغى أن يكون ميدان القتال واقعا غربى المدينة ، أو الى جنوبى غربيها ، أى فى جنوب فلسطين لا فى شمالها . والبيت هذا يؤيد ما ذكره أوطيخيوس أن عمرو بن العاص دخل كورة غزة بعد مجيئه من المدينة . ولما رأى أن قواته لاتكفى لفتح المدينة ، كتب الى أبى بكر ، وطلب اليه ارسال النجدة ، فأمر أبو بكر خالدا بالذهاب الى الشام . ولما انضم هذا القائد الى عمرو ، حاصر مدينة غزة ، وبعد مفاوضات مخفقة جابه فى أثنائها خطرا كبيرا لم يتخلص منه الا بفراسة

(١) لم ينتبه دى جويه الى أن جلق قد تكون محرفة من جاين ، وهى قرية واقعة جنوبى تل الجابية على بعد عشرين كيلومترا يمر بها طريق (دمشق ـ أذرعات) ، ويهبط منها الى أعالى وادى اليرموك مجتازا عقبة أوثنية . ولابد ان جيش تذارق قد نزل بالجابية مترقبا أخبار جيوش المسلمين . وقـدم صاحب الساقة الى قرية جلين أو جلق . ولما تأكد أن المسلمين يحتشدون فى الجنوب بغية الدخول فى فلسطين ، ترك الجابية واجتـاز نهر الأردن . ودخل شمالى فلسطين ، فانضمت اليـه قوات من قيسارية . ثم تقدم نحو أجنادين . ويظهر من رواية سيف بن عمر أن صاحب ساقة تذارق نزل بجلين ، أو جلق . لمراقبة قوات المسلمين فى البلقاء . وحماية القسم الأكبر من جيش الروم حين اعتزامه المسير نحو فلسطين . وبنظرنا أن هـذا الاستنتاج يوافق مجرى الحركات العسكرية . ولما كان الاسم ورد فى بيت حسان بن ثابت « جلق » لا « جلين » فلا يستبعد أن يكون بمرور الايام تغير الى جلين .

مولاه وردان ، وقعت معركة فى أجنادين منى الروم فيها بهزيمة نكراء ، والتجأت فلولهم الى القدس وقيسارية .

ويشير دى جويه بعد ذلك الى رواية سعيد بن عبدالعزيز التنوخى نقلا عن البلاذرى [١] جاء فيها : أن المسلمين اجتمعوا عند قدوم خالد على بصرى ، ففتحوها صلحا ، وانبثوا فى أرض حوران جميعا ، ثم مضوا الى فلسطين والأردن . ثم قال دى جويه : « اذا كان هدف المسلمين غزة وفلسطين ، فيتوقع أن تنشب المعركة أيضا فى فلسطين . ويؤيد ذلك شعر زياد بن حنظلة من جهة ، وما ذكره أوطيخيوس من جهة أخرى » . ثم أشار الى الارتباك الذى أوقع مؤرخى المسلمين فى الخلط بين معركة اليرموك ومعركة أجنادين ، وتقديمهم الواحدة على الأخرى ، الى أن قال : « ان سيفا (سيف بن عمر) جعل معركة (اليرموك ـ الياقوصة) المعركة العظيمة الأولى التى وقعت فى سورية ، بدلا من معركة أجنادين ، استنادا الى روايات قديمة مازلنا نرى آثارها لدى البلاذرى والمدائنى ، بالرغم من أنهما قدما معركة أجنادين على معركة اليرموك سنتين ؛ لأنهما يتحدثان عن مناوشة جرت فى الياقوصة بعد معركة أجنادين بمدة قصيرة » .

نذكر رواية البلاذرى التى ذكرها دى جويه آنفا : قال البلاذرى : « قالوا ثم جمعت الروم جمعا بالياقوصة ، والياقوصة واد فمه الغوارة ، فلقيهم المسلمون هناك »[٢] .

ثم يقول دى جويه : « وقعت معركة الياقوصة فى المكان الذى ينصب فيه وادى الياقوصة فى وادى اليرموك . وكان من أمر ذلك أن المعركة سميت تارة باسم النهر ، وتارة أخرى باسم الوادى . لقد وجد هذان الاخباريان فى بعض الروايات التى استندا اليها خبر معركة الياقوصة . ولأجل أن يحافظا على تأريخ وقائعهما من جهة ، وبظلا متمسكين الى حد ما بتلك الروايات من جهة أخرى ، سوغا لأنفسهما ـ بتمحيص غريب بعض الغرابة ـ أن يجعلا من معركة واحدة معركتين ، وأن يسميا كلا منهما بأحد الاسمين الواردين فى الروايات المذكورة . وفضلا عن أنه يستبعد جدا أن ينشب قتال مرتين فى محل واحد ، فانه يستحيل جغرافيا وقوع المعركة فى الياقوصة بين معركة أجنادين ومعركة فحل . أضف الى ذلك انه ليس هنالك سبب ما يؤيد افتراض وجود نهرين أو واديين بالاسم نفسه .

ويظهر من ذلك أن الرواية التى تشير الى أن معركة اليرموك وقعت هنا ، هى

(١) فتوح البلدان (١٣٢) .
(٢) فتوح البلدان (١٢١) .

رواية قديمة جدا ، فلا يصح أن تعد محض تلفيق ابتدعه سيف • ولكى ترى كيف نشأت تلك الرواية ، أذكر ما تراءى لى فى هذا الصدد فأقول : جعل ابن اسحاق موقع أجنادين بين الرملة وبيت جبرين • أما البكرى ، فقد جعله بين الرملة وحبرون (جبرون) • ويوجد موقع يرموث القديم قرب هذين الموقعين ، وهو موقع كان يسمى فى عهد أوسيوس وجيروم (يرموقا) حيث عده (روبنصن) الموقع الذى نشبت فيه معركة اليرموك (١) •

ثم قال دى جويه : « اذا قبلنا أن أجنادين واقع قرب يرموث ، أمطنا اللثام فورا عن الغموض الذى أحاط بالأمر • هكذا يتضح لنا كيف أن معركة أجنادين اختلطت ، أو كادت تختلط بمعركة اليرموك • فيتجلى لنا لماذا ذكر أحد المؤرخين أن البطل الفلانى استشهد فى معركة اليرموك ، بينما قال مؤرخ آخر ان ذلك البطل استشهد فى أجنادين » •

وبعد أن أشار دى جويه الى ما أورده البلاذرى من أسماء بعض الصحابة المعروفين الذين قتلوا فى أجنادين ، أورد قول البلاذرى : « ويقال انهم قتلوا فى اليرموك » • وينظر دى جويه ان استبدال يرموك بيرموث ، كان من أهم الأسباب التى أدت الى الارتباك الغريب فى تاريخ وقائع فتوح الشام (٢) •

ويستدل مما سبق على أن الساحة التى جرت فيها معركة أجنادين ينبغى أن تكون فى المثلث الذى يؤلف رؤوسه كل من موقع الرملة وجرش وبيت جبرين ، وألا تكون بعيدة عن خربة يرموك • ومما يلفت النظر أن الخوارط القديمة والحديثة التى ذكرت قرية جرش وخربة يرموث ـ ويرجع عهد هذا المكان الى قبل عهد يشوع ـ لم تشر الى أجنادين •

ترى أأطلق العرب كلمة أجنادين على يوم من أيامهم جرى فيه القتال بينهم وبين الروم ، جريا على عادتهم فى الجاهلية فى تسمية الأيام أم هى كلمة محرفة من عمل النساخ ؟ • وقد تراءى لدى جويه هذا الظن فى كتابه ، فقال : « كنت أرى قبلا أنه من الجائز أن أجنادين اسم جنس صيغ من تثنية جمع جند ، مضاف الى وقعة أو يوم اطلاقا على قاعدة جمع الجموع فى اللغة العبرية كخمتيم (الجدار المضاعف) وكما هو شائع فى اللغة العربية • فيوم أجنادين قد يعنى وقتئذ المعركة التى جرت بالجيشين المجتمعين ، جيش الشام وجيش العراق ، الا أن هذا الظن خطأ ؛ لأن أجنادين فى

(١) مذكرة عن فتح سورية (٥٨ و ٥٩) •
(٢) مذكرة عن فتح سورية (٦٠) •

هذه الحالة لايمكن أن تستغنى عن حرف التعريف (يريد أن يقول يوم الأجنادين) ، أضف الى ذلك أن كلمة أجنادين أو أجنيادين لم ترد بشكل اسم خاص فى شعر زياد ابن حنظلة وفى شعر كثير ـ كما ذكره ياقوت والبكرى[١] فحسب . ولكن ذكرها المسعودى فى كتابه مروج الذهب حينما يقول : ان نائل بن قيس قتل فى وقعة أجنادين فى فلسطين فى عهد عبدالملك »[٢] .

يعتقد كيتانى أن المستشرق الروسى ميدنيكوف هو أول من كشف السبب الذى وضع اسم أجنادين ، وخلاصة ما ذكره كيتانى من كشف ميدنيكوف هى : أن ميدنيكوف استند فى بحثه الى ما توصل اليه دى جويه من أن المعركة ينبغى أن تجرى قرب خربة يرموث أو يرموك ، واستشهد بخارطة دليل فلسطين لبيديكر ، وقال ان الخربة تقع فى جوار ملتقى الطرق الممتدة بين غزة وبيت جبرين وبين بيت جبرين والقدس وبين بيت جبرين واللطرون والرملة . ويمتد وادى السمط فى جنوبى الخربة ، وهو يؤلف خط دفاع بين المعسكر العربى والمعسكر الرومى ؛ لأن الروم بواسطة هذا الخط الدفاعى يحتفظون بخطوط مواصلاتهم سواء بالقدس أو باللد أو بقيسارية التى كانت من أهم المراكز العسكرية فى فلسطين .

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم وعسكر الروم فى شمال الوادى قرب خربة يرموك ، وفى جنوب الوادى موقعان وهما الجنابة الغربية والجنابة الشرقية ، والطريق يمر بين بينهما ، وارتفاع الأولى (٩٥٠) قدما ، وارتفاع الثانية (١٢٤٥) قدما . أما ارتفاع خربة يرموك فهو (١٤٦٥) قدما . وقد عسكر الروم فى هذا الموقع المسيطر المشرف على وادى السمط ، فجعلوا خط الاتصال بالقدس وبقيسارية على جانبيهم .

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم سموا المعركة بمعركة الجنابتين ، كما استعملوا كلمة الأبانين فى تسمية الجبلين الواقعين فى نجد ، وكما سموا الأشمونين فى مصر للدلالة على تثنية أشمون . ويضيف كيتانى قائلا : « لهذا توصل ميدنيكوف إلى افتراض موفق عبقرى بافتراضه أن اسم أجنادين يمكن أن يكون من خطأ النساخ الذين وجدوا كلمة الجنابتين بغير علامات . ولما كانوا يجهلون محل هذين الموقعين ، قلبوا الكلمة الى أجنادين . وهذا ارتباك تسهل معرفته

(١) شعر كثير المذكور فى كتاب معجم ما استعجم للبكرى هو :
فالا تكن بالشام دارى مقيمة فان بأجنادين كنى ومسيكنى

(٢) مذكرة عن فتح سورية : (ص ٥٩ و ٦٠) .

اذا ما كتبت الكلمات بحروف من غير علامات »[١] .

ثم قال كيتانى ما يلى : « اذا صح أن أجنادين تحريف الجنابتين ، لزمنا ـ خلافا لبدي جويه ـ أن نفضل كتابة أجنادين (بفتح الدال) على أجنادين (بكسر الدال)[٢] .

وأخيرا يلخص كيتانى بحثه المسهب عن موقع أجنادين ، فيقول : « انه قد جمع كل المواد المتعلقة بالقضية ، وقد يتجلى للدارس الأمور الآتية التى لا يسعه أن يبدى فى شأنها انتقادا ما :

(١) أن اسم أجنادين غير قياسى ، ولا بد أن يكون محرفا ، كما حرف النساخ كلمة ياقوصة الى واقوصة .

(٢) أن معلومات المصادر كلها ، باتفاق أكثرية المطلعين الموثوق بهم ، تجعل معركة أجنادين فى جوار خربة يرموك وبيت جبرين .

(٣) يوجد فى طرف ميدان المعركة موقعان يسميان بالجنابة ، تثنى بالجنابتين ، واذا ما كتبت هذه التثنية بغير علامات أشبهت كثيرا كلمة أجنادين .

ثم يقول : لكل امرىء أن يختار النتائج التى يفضلها . واذا كان افتراض ميدنيكوف خاطئا ، فان ذلك لن يضعف قيمة النتيجتين الأخريين » .

وصف طبغرافى للأرض التى نظن أن المعركة وقعت فيها

(راجع الخارطة ٣)

ولما أنهى دى جويه بحثه التاريخى والجغرافى الثمين عن معركة أجنادين ، قال : ان درس حالة الأرض فى جوار خربة يرموك يميط اللثام عن الموضع الذى جرت المعركة فيه ، ويكشف عن كلمة أجنادين أهى استنساخ عربى للاسم الرومى القديم (اجنابتون) أم هى ترجمة[٢] .

وذكر كيتانى أن مشاهدة الأرض وتدقيقها توصلان الباحث الى التأكد منها هل كانت صالحة لنشوب معركة فيها ؟ وقال : انه فكر مرات أن يذهب لمشاهدة الأرض ، ثم حاول ذلك ولكنه لم يوفق ، لهذا رجا من المستشرق جوزيف هورويج الذى زار الشرق سنة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ م ، أن يدرس حالة الأرض ، فشاهد هذا المستشرق الأرض سنة ١٩٠٦ م ، ودرسها ، وأخذ تصويرها ، ثم كتب الى كيتانى يقول : ان نظرة يلقيها

(١) هامش (ص ٣٣) .

(٢) حوليات الاسلام . الجزء الأول من المجلد الثالث (ص ٣٣) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرء على الأرض تجعله يقتنع كل الاقتناع أنها صالحة جدا من الوجهة الطبغرافية والعسكرية لنشوب معركة فيها ، وبذلك أيد ما وصل اليه دى جويه وما استنتجه ميدنيكوف . فأبدى كيتانى بعض الملحوظات العسكرية ، وتساءل : هل حالة الأرض مساعدة لنشوب معركة كبيرة فيها ؟ ويجيب أن ما وصفه هورويج وما جاء فى الصور وما رسم فى الخارطة يؤيد ذلك . فحالة الأرض تصلح لحركة قوات كبيرة فيها ، وهى متموجة غير وعرة ، تتحرك الخيالة فيها بسهولة . ويمر وادى السمط من المثلث الذى تؤلف رؤوسه خربة يرموك والجنابة الشرقية والجنابة الغربية ، ويجرى موازيا لها . وهو عريض تسيطر عليه خربة يرموك ، رأس المثلث ، فى محل مركزى فى وسط الطرق . والأرض بين الخربة والوادى متموجة ومسورة بأدغال ، والآثار الباقية تدل أنها كانت مبكونة فيما مضى . وخربة يرموك واقعة فوق رابية على جانب المرتفع . وتمتد هضبة متموجة الى الجنوب نحو الوادى ، وتتخللها تلول صغيرة . ويمكن الجزم أن الروم احتلوا هذه الهضبة المسيطرة على وادى السمط الممتد من الشرق الى الغرب . والموضع قوى ، يستر خطى المواصلات فى جانبيه .

وفى الضفة الجنوبية للوادى يمتد خط مؤلف من رواب تقوم أنقاض الجنابتين فى جانبيه . والجنابة الغربية أقل ارتفاعا من الجنابة الشرقية ، وهى واقعة على هضبة واسعة ، الحد الغربى لوادى السمط . واذ أن الروم أتوا من الشمال ، والعرب تقدموا من الجنوب ، فيقتضى أن يكون خط الروابى المرتفع بين الجنابتين الموضع الذى احتله العرب قبيل المعركة ؛ لأنه يسهل الدفاع عنه ضد الروم من جهة ، ويصلح من جهة أخرى للهجوم على موضع الروم .

ثم يقول كيتانى : اذا كانت هذه الاستنتاجات صحيحة ، يستنبط منها أن انتصار العرب طور الحركات الحربية من الجنابتين نحو الشمال الى وسط الوادى ، ثم امتدت حتى موقع يرموك (١) .

النتيجة

أثبتنا فيما سبق كل ما قيل عن أجنادين ، ووازنا بين الروايات ، وانتهينا من بحثنا الى أن معركة أجنادين وقعت بين الرملة وبيت جبرين قرب خربة يرموك ، ورأينا أن دى جويه وكيتانى بحثا الموضوع بعناية ودراية ، وأن المستشرق الروسى ميدنيكوف أيد رأى دى جويه ، وزعم أنه كشف سبب تسمية العرب للمعركة بأجنادين . وقد أيده

(١) حوليات الاسلام : الجزء الأول من المجلد الثالث (٣٤ ، ٣٨) .

كيتانى فى زعمه هذا الى حد ما .

أما أن المعركة وقعت فى فلسطين ، فلا شك فى ذلك ، ونقصد بفلسطين هذه القسم الجنوبى من فلسطين ، أى القسم الواقع جنوبى خط يوصل القدس بقيسارية ؛ لأن العرب سموا البلاد الواقعة شمالى هذا الخط بالأردن . فطبرية وبيسان ونابلس وقيسارية وعكا من الأردن ، وغزة وعسقلان وبيت جبرين وحبرون واللد والرملة من فلسطين . والذى يفهم من الروايات العربية المتضاربة والأخبار الرومية والسريانية ، ولاسيما ما كتبه أوطيخيوس ، أن عمرو بن العاص دخل فلسطين من الجنوب ، وتقدم فى كورة غزة ، ونشب قتال بينه وبين بطريق غزة . ولما تأكد أن الروم أقوياء تسحب الى الشمر فى غور العربة ، وطلب النجدة من أبى بكر . أما الروم ، فلما بلغهم أن العرب توغلوا فى جنوبى فلسطين ، وأنهم يستهدفون الفتح لا الغارة ، اهتموا للأمر . ولابد أن بطريرك القدس استنجد بهرقل ، فبعث هذا أخاه تيودور على رأس قوة على أن تنضم اليه بعض الحاميات المرابطة فى أنحاء فلسطين . فسار هذا بجيشه من حمص حيث كان هرقل ، وأرسل من يسوق قوته حتى نزل صاحب الساقة بثنية جلق . وهذا الموقع هو ـ كما ذكرنا آنفا ـ فى جنوبى الجابية على طريق (دمشق ـ اذرعات) . ولعل صاحب الساقة كلف مراقبة قوات يزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة فى شرقى الأردن . ثم أتى خالد بن الوليد بجنده من العراق ، واجتمع بتلك القوات ، وبعد فتحة بصرى تقدم نحو الجنوب على رأس القوات المذكورة ، والتقى بجند عمرو بن العاص فى الشمر .

ولا يستبعد أن جيش الروم مكث مدة من الزمن قرب الجابية يراقب حركة جيش خالد . ولما علم أن خالدا سار نحو الجنوب ، ترك الجيش الرومى الجابية هدفه فلسطين ، فاجتاز الأردن ، وتقدم الى وسط فلسطين . وكان هدفه الأول حماية القدس وبيت لحم ، فوصل الى الخط الذى يوصل القدس بالرملة ، وارتأى قائده الوقوف فى أطراف خربة يرموك شمال وادى السمط ، وبذلك يكون قد اختار موضعا مركزيا لسد الطرق بوجه المسلمين اذا أرادوا التقدم نحو القدس أو نحو قيسارية قاعدة البلاد . وفى هذا الموضع تلتقى الطرق الرومانية القديمة . ولما رأى قائد الجيش الرومى صلاح هذا الموضع للدفاع والهجوم ، عسكر فى الهضبة الممتدة جنوبا نحو وادى السمط جاعلا طريق القدس على جانبه الأيسر ، وطريق (الرملة ـ قيسارية) على يمينه . وبذلك يكون قد اختار « موضعا جنبيا » كما يعبر عنه فى المصطلحات العسكرية ؛ لأنه يسد جميع الطرق القادمة من الجنوب ، ويضطر العدو الى مهاجمته ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يمكن للقوات العربية أن تترك الجيش الرومى على جانبها ، وتتقدم نحو القدس أو فبسارية .

ويلوح لنا أن الجيش الرومى سبق القوات العربية فى احتلاله هذا الموضع ؛ لأن الطريق بين الجابية وخربة يرموك أقصر كثيرا من الطريق التى قطعها خالد ، مجتازا شرق الأردن من الشمال الى الجنوب ، حتى وصل الى الغور فى جنوبى البحر الميت ، واجتمع بجنـد عمرو بن العـاص فى وادى العربة . ثم سـارت القوات جميعها نحو الشمال الشرقى ، فتجنبت المـدن الحصينة كحبرون وغزة وغـيرها ؛ لأن الروايات لم تسهب فى فتح مدن فلسطين قبل معركة أجنادين . أما ما ورد من أخبار فتوح بعض المدن قبل أجنادين ، فلا بد أنها تخص فتوحات وقعت بعد الانتصـار . وأخيرا تقدمت القوات العربيـة شـمالا ، ولمـا وصلت جنوب وادى الصمت ، عسـكرت فى الهضبـة الجنوبية ، وجعلت الوادى ستارا لها . ولعل القادة العرب قد استخبروا من أهل البلاد عن حركة الجيش الرومى ، وعلموا أنه يعسكر فى الشمال ، وتؤيد ذلك رواية الطبرى ، اذ قال : « فخرج (عمرو بن العـاص) حتى نزل على الروم بأجنـادين ، والروم فى حصونهم وخنادقهم »[1] .

ان من ينظر الى خارطة فلسطين (مقياس $\frac{1}{200000}$) ، وكذلك الخارطة المفصلة (مقياس $\frac{1}{20000}$) ، ويدرس حالة الأرض وأوصافها الطبغرافيـة على طرفى وادى الصمت ، يتبين له صلاح تلك الأرض للقتال فى الدفاع وفى الهجوم على حد سواء .

الى هنا يستمر البحث منسجما أقرب ما يكون الى الواقع ، ومنطبقا على المقتضيات العسكرية . انما الذى لايدعو الى الاطمئنان زعم ميدنيكوف أن أجنـادين محرفة من الجابيتين ، وذلك للأسباب الآتية :

(١) اذا صح هذا التعريف ، يكون قد وقع فى زمن متقدم جدا ؛ لأن كلمة أجنادين وردت فى جميع المصادر العربية القديمة بلا استثناء ، ولاسيما رواية اليعقوبى الباحثة عن مقتل ناتل فى زمن عبدالملك ، فانها تشير الى أجنادين نفسها .

(٢) ينبغى أن تكون قريتا الجابة الشرقية والجابة الغربية موجودتين فى زمن الفتوح ، والواقع أن كلمة جابة عربيـة ولا يوجد فى المعجمات الجغرافية القديمـة موقع جابـة فى فلسطين ما عدا الجابة الواقعـة فى بلاد فارس كما ذكرها ياقوت فى معجمه قائلا : بلدة صغيرة من سواحل فارس .

(٣) لا نظن أن القرى العربيـة قـد انتشرت كثيرا في فلسطين في زمن الفتوح .

(١) تاريخ الطبرى (٣/١٠١) .

ويلوح لنا أن القريتين المذكورتين أقيمتا بعد الفتح حينما استوطن العرب فلسطين .

لهذا لا نتفق مع ميدنيكوف وكيتانى على أن كلمة أجنادين محرفة من الجنابتين ، ويتراءى لنا أن الاستدلال الأقرب الى الواقع ما ارتآه دى جويه من أن أجنادين اسم جنس مضاف الى يوم أو وقعة ، بالرغم من أنه عدل عن رأيه هذا مستندا الى أنه كان ينبغى أن يسبق الاسم حرف تعريف ، كقولك يوم الأجنادين ، أو وقعة الأجنادين ؛ ولأن اليعقوبى أشار الى مقتل ناتل فى أجنادين فى فلسطين فى عهد عبدالملك ، مما يدل على أن هذا الموقع كان موجودا فى فلسطين فى ذلك العهد .

وبالرغم من صدوف دى جويه عن هذا الرأى يلوح لنا أن أجنادين اسم جنس مضاف الى يوم أو وقعة ، وسببه أن المعركة وقعت لأول مرة بين العرب والروم ، واشترك فيها من جانب العرب أربعة أجناد : أى جند خالد ، وجند عمرو بن العاص ، وجند يزيد بن أبى سفيان ، وجند شرحبيل بن حسنة . واذا كانت العرب اشتركت بأجنادها ، فقد ظهر للعرب أن الروم أيضا اشتركت بأجنادها : أى جند قيسارية ، وجند غزة ، والجند الذى جهزه هرقل بقيادة أخيه تئودور . ولا شك فى أن المعركة كانت أول اصطدام بين العرب والروم بقوات كبيرة لم يسبق لها مثيل . والروايات العربية مجمعة على أن الجيش العربى كانت عدته أربعة وعشرين ألفا ، وقيل : سبعة وعشرين ألفا . واشتركت الروم بخيلها ورجلها وبطارقتها وقسيسيها .

وقد سبق أن سمى العرب بعض أيام حروبهم بأسماء لا تدل على محل ، انما تدل على سبب القتال أو وصف القتال ، أو ما وقع فيه من حالات ، كيوم داحس والغبراء ويوم الفجار ويوم الزويرين ويوم الشقيقة ويوم الصفقة وحرب حاطب . وكذلك فعلوا فى عهد الفتوح ، ففى القادسية مثلا سموا معاركها بيوم أرماث ويوم أغواث ويوم عماس ويوم الهرير ، وسموا المعركة التى وقعت بأطراف البصرة بين على والزبير وطلحة بوقعة الجمل . وهناك معركة بحرية سميت بذات الصوارى . وأطلقوا على اسم المعركة التى وقعت بين عبدالرحمان الغافقى والافرنج معركة بلاط الشهداء .

والسبب الذى ساق دى جويه الى العدول عن رأيه لايؤيه له ؟ لأنه متى أصبحت كلمة أجنادين علما لمعركة فيجوز أن تذكر بلا حرف تعريف ، ويجوز أن النساخ أهملوا كتابة حرف التعريف . وكذلك وجود موضع يدعى بأجنادين فى فلسطين فى زمن عبدالملك ، لا يكون نافيا للاستدلال على كلمة أجنادين . وما دامت المعركة سميت بمعركة الأجنادين ، فلا مانع من أن يحتفظ ميدان المعركة بالاسم نفسه .

طه الهاشمى

تواريخ مصرية أغفال وتصريف بمؤلفيها

١ ـ شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب

فى المتحفة البريطانية بلندن نسخة من تأريخ موسوم بشفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب رقمها « ٧٣١١ » فى الفهرست العتيق ، ومخرمة مقدار ورقة واحدة كان اسم مؤلف التأريخ مكتوبا فيها فذهب معها ، وقد صورت الجامعة المصرية نسخة من هذا الكتاب ، لتحفظ فى خزائنها ، ولبعض أدباء مصر نقل منها فى ترجمة شرف الدين ابن عنين الشاعر ، قال هذا الدكتور المؤرخ فى أول استشهاده بهذا الكتاب : « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ... وهو مخطوط مجهول المؤلف ، منه صور شمسية فى مكتبة جامعة فؤاد الأول »[١] .

ونسخة الأصل التى أشرنا اليها مكتوب عليها بخط أحدث من خطها الأصلى « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » مرتين ، وعدة ورقها « ١٣١ » ورقة ، ولعلها نسخة المؤلف عينها بالنظر الى تأريخ الخط ، والمقدمة تدل على أن المؤلف أهدى كتابه الى أحد الملوك ، وابتدأ الكتابة بمدحه ، والثناء الحسن عليه وعلى أهله ، والباقى من ذلك كما جاء فى أول الورقة الثانية :

« سلفه الطاهر وأبنائه ، ويجمع له منهم الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والبادى والحاضر ، وذلك جهد المقل ، ومن بذل جهده فقد أوجب حمده ، وجاء فى الصحيح : صدقة درهم سبقت مئة ألف درهم . وما ذلك الا لهذا المعنى ، فجمعت لحضرته العلية المقام ، ورتبته المولية الانعام على الدوام ، كتابا يزداد به ذكره على مرور الأيام جدة ، ويذكر بمحاسن الأهل عند الوحدة ، (كما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لهرم بن سنان[٢] : ما أعطى أبوك زهير على قصيدته اللامية ؟

---

(١) جمال الدين الشيال فى مجلة الثقافة (ج ٢٥٤/ص ١٩ ، سنة ١٩٤٣) .

(٢) هذا وهم ، والصحيح أنه قال لبعض ولد هرم بن سنان ، وفى الأغانى (١٠/٣٠٤) من طبعة دار الكتب : أن عمر قال لبعض ولد هرم : أنشدنى بعض مدح زهير أباك . فأنشده ، فقال عمر : ان كان ليحسن فيكم القول . قال : ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء . فقال : ذهب ما أعطيتموه ، وبقى ما أعطاكم . وهذا أشبه بأسلوب ذلك العصر مما نقله هذا المؤرخ .

قل : نيلا وأثلا وأشياء أفناها الدهر . قال عمر : لكن ما أعطاكموه لا يفنيه الدهر ، وفى رواية : أعطاه كذا وكذا وأشياء أنسيتها . فقال : ما أعطاكموه لا ينسى) فى مآثر بيته الذى رفع على أحسن عماد ، ومناقب أهله الأجواد الأمجاد ، سلاطين الاسلام ، وأعيان الأعلام ، وزين الزمان ، وفخر الأوان ، الذين هم ـ كما قال بعضهم :

عاشوا كراما وماتوا كراما وعاش فى فضلهم الكرام
خلت الأسرة والمنابر منهم فعليهم حتى الممات سلام

وختمته بذكر مناقبه التى هى واسطة[1] هذا النظام ، ومحاسنه الشريفة التى هى مسك الختام . وقد أردفه المملوك ، بذكر السادة الملوك ، أولاد المقام الأشرف الذين هم عين الأعيان ، ونخبة الزمان ، والنجوم الزواهر ، والبحور الزواخر

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى

اللهم ! شد عضده وساعده ، وكن فى الحوادث معاضده ومساعده . وسميته « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » ، على أننى لا ألتزم استيعاب الأخبار ، ولا ذكر جميع الآثار ، لكن نبهنا بما ذكر على ما لم يذكر ؛ فان عجائب البحر لا تحصى ولا تحصر ، فان وقع من خاطره الكريم فى حيز القبول ، فهو غاية المقصود ومنتهى السول ، والا

ففى غايتى أن ألوم حظى وحظى الحائط القصير

والمسؤول من احسان الواقف عليه ، والواصل اليه ، أن يغفر الزلل ويسمح ، الخطأ ويصفح ؛ فانى معترف بالتقصير ، معتذر الى حضرة من اليه هذا الكتاب يصير ، متمثل بقول العالم الكبير :

وان تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

وبالله أعتضد فيما أعتمد ، وأعتصم عما يصم ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ومن هنا نشرع فيما نحن بصدده ، والله الموفق والمعين والمسهل للاتمام » .

وقد صرح باسم والد الملك المذكور فى الورقة « ١٢٦ » قال : « ومنهم الملك العادل ، السلطان الأعظم ، الملك الاكرم ، العالم العامل ، المجاهد المرابط ، السيد الأجل ، مجمع الفضائل ، معدن الفواضل ، محط رحال الأفاضل ، الملك السعيد الشهيد العادل ، أبو المفاخر سليمان فخر الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ...

(١) بين واسطة وهذا كلمة مضروب عليها بالقلم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن الملك العادل شهاب الدين غازى ابن الملك العادل مجيرالدين محمد بن الملك الكامل سيف الدين أبى بكر بن شادى ، وقيل : محمد بن الموحد تقى الدين عبدالله ابن المعظم غياث الدين » ١٢٧[١] . استدللنا على ذلك بقوله فى الورقة « ٩ » : « وأحسن من ذلك كله قول المقام العادلى ـ تغمده الله برحمته ـ والد الملك الأشرف ، من جمع باسمه هذا الكتاب ـ خلد الله ملكه » .

وقد توفى الملك العادل سنة ٨٢٧ هـ ، قال ابن العماد الحنبلى فى وفيات هذه السنة : « وفيها الملك العادل فخر الدين أبو المفاخر سليمان بن الملك الكامل غازى ابن محمد أبى بكر بن شادى صاحب حصن كيفا وابن صاحبه ، تسلطن فى الحصن بعد موت أبيه ، وحسنت أيامه . وكان مشكور السيرة ، محببا للرعية ، مع الفضيلة التامة ، والذكاء ، والمشاركة الحسنة . وله نثر وديوان شعر لطيف ... واستمر فى مملكة الحصن الى أن توفى ، وأقيم بعده ولده الملك الأشرف أحمد المقتول بيد أعوان قرا ايلك فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة »[٢] .

وذكره قبله الحافظ شهاب الدين ابن حجر ، قال فى وفيات سنة ٨٢٧ هـ : « سليمان ابن الملك العادل ... ابن أيوب ، أقعد ملوك أهل الأرض فى مملكة حصن كيفا ... واستقر بعده فى مملكة الحصن ولده الملك الأشرف أحمد بن سليمان ، ثم قتل أحمد فى سنة ست وثلاثين واستقر فى مملكته ولده عز الدين الفضل ... »[٣] .

وجاء فى وفيات سنة ٨٣٦ هـ من الشذرات : « وفيها الملك الأشرف أحمد بن العادل سليمان الأيوبى صاحب حصن كيفا ، قال ابن حجر : كان دينا فاضلا ، له شعر حسن ، وقفت على ديوانه وهو يشتمل على نوائح فى أبيه وغزل وزهديات وغير ذلك . وكان جوادا ، محبا فى العلماء (كذا) . خرج فى عسكره لملاقاة السلطان[٤] على حصار آمد ، فاتفق أنه نزل لصلاة الصبح ، فوقع به فريق من التركمان ، فأوقعوا به على غرة فقتل ، ووصل بقية أصحابه وولده خليل ، فقرر ولده فى مملكة أبيه ولقب بالصالح »[٥] .

(١) هنا نقصان .

(٢) شذرات الذهب (١٧٨/٧)

(٣) أصول التأريخ والأدب (٩٦/١٢) نقلا من الجزء الثانى من « أنباء الغمر بانباء العمر » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ١٦٠٢ » و « ١٣٩ » .

(٤) هو أبو النصر برسباى بن عبدالله الدقماقى الملقب بالملك الأشرف المتوفى سنة ٨٤١ هـ .

(٥) الشذرات (٢١٦/٧) .

فهذا الكتاب أهداه مؤلفه الى الملك الأشرف أحمد بن الملك العادل غازى الأيوبى المذكور ، ولم نجد فى الكتاب تأريخا يتجاوز عهد هـذا الملك فى النزول ، وآخر سنة ذكرها فى الكتاب هى سنة ٨٢٤ هـ ، وقال فى الورقة « ١٠٦ » يذكر تشابه حادثتين : « قال جامعه الفقير : وكذا جرى فى مصر سنـة أربع وعشـرين وثمانمائة ، استهلت والسلطنة للمؤيد شيخ ، ثم توفى رابع ذى الحجة ، وولى ابنه الصالح » . وجـاء فى آخر النسخة فى « و ١٣١ » : « هذا كتاب ملكه أفقر العبـاد مـلا مصطفى بن ياسين أفندى نائب بغداد » .

مؤلف الكتاب وأسلوبه

ان نقصان الكتاب ورقة واحدة من أوله ، منع مفهرس كتب المتحفة البريطانية من معرفة المؤلف ، ولولا بقاء تصريح المؤلف باسم كتابه فى المقدمة لضاع اسم الكتاب أيضا ، واعتراه الابهـام من جهة التأليف والمؤلف ، الا أن الذى يسر لنا معرفة الكتاب هو ثبوت اسمه كما أشرنا اليه ، واشارة شمس الدين السـخاوى اليـه فى ذيل تأريخ قضاة مصر الذى لابن حجر العسقلانى الموسوم ـ أعنى الذيل ـ ببغية العلماء والرواة فى الذيل على كتاب شيخى فى القضاة ، فقد ذكر فى ترجمة « عزالدين أبى البركات أحمد بن ابراهيم بن نصرالله الكنانى العسقلانى الأصل القـاهرى الصـالحى القاضى الحنبلى القادرى » أن من تآليفـه « شفـاء القلوب فى مناقب بنى أيوب »[١] .

ومختصر ترجمة القاضى عزالدين الكنانى أنه ولد فى سادس عشر ذى العقدة من سنة ثمانمائة بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، ونشأ بها فى كفالة أمه لموت والده فى مـدة رضـاعه ، وحفظ القرآن وجـود قراءته على أحـد الشيوخ ، وحفظ مختصر المزنى[٢] حفظا تاما ، وتفقه ودرس العربية ، وقرأ القرآن بالقراءات والتفسير والمعانى والبيان ، فضلا عن سماعه الحديث وتعلمه الفرائض والأصلين والحكمة والمنطق . ومن أعلام الشيـوخ الذين درس عليهم شهاب الدين ابن حجر ، وعز الدين عبـدالسلام البغدادى . ولبس خرقة التصوف مع تلقين الذكر ، وناب عن قاضى الحنـابلة وهو ابن سبع عشرة سنة ، واستنابه أحد شيوخه فى التدريس بالمدرسة الجمالية والحسينية ومدرسة أم السلطان ، وباشر تداريس أخرى والخطـابة فى جـامع الملك بالحسينية والتحـديث

(١) أصول التأريخ والأدب (١٧/٢١٥) نقلا من الكتاب المذكور ، « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٥٠ ورقة ٧ » .

(٢) مختصر المزنى فى فروع المـذهب الشـافعى للامام اسماعيل بن يحيى المزنى المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .

بأحد الجوامع . وكان لا يتردد الى أحد من بنى الدنيا الا لافادة علم ، ولا زاحم أحدا على سعى فى وظيفة أو راتب . وسافر الى عدة بلاد : زار بيت القدس والخليل ، ودخل الرملة والشام ، وحج غير مرة ، وأكثر من الجمع والتصنيف والانتقاء والتأليف حتى لقد صنف فى أكثر الفنون نثرا أو نظما ، وبعد صيته ، وصارت داره مجمعا لكثير من الفضلاء ، ثم ولى قضاء الحنابلة مع التداريس المضافة الى القضاء . وكان متواضعا ، مستأنسا بأصحابه وسائر من يتردد اليه ، عفيفا شهما كثير المحاسن ، أنشأ مدرسة ومسجدا وسبيلا « سقاية » وصهريجا وغير ذلك من القربات . وكانت داره أيضا مألفا لطائفة من الأراذل ونحوهن . قال السخاوى : « ولا أعلم الآن من يوازيه فى ذلك » يعنى احاطته بالعلوم . ثم قال : « وما علمت من أستأنس به بعده »[١] . وذكر أن له فى التاريخ « طبقات الحنابلة الكبرى »[٢] فى أربعة عشر مجلدا ، والوسطى فى ثلاثة ، والصغرى فى مجلد . وهى على أسلوبين : على الحروف ، وعلى السنين . وذكر له « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » وقال : « أهداه لصاحب الحصن » يعنى الملك الأشرف بن الملك العادل كما أسلفناه من الكلام ، و « النشر فى التأريخ » فى واحد وأربعين جزءا ، جرد فيه كثيرا من التراجم التى أودعها السخاوى تأريخه الحافل ـ هكذا قال ـ وعمل كل مئة من التأريخ فى تصنيفين : على الحروف والسنين . أما (المئة) الثامنة فاختصر فيها « الدرر الكامنة » لابن حجر مع زيادات يسيرة جدا ، وأما التاسعة فاستمد فيها من انباء الغمر لابن حجر أيضا ومن معجمه وتعاليقه ، وما عداهما فقد استمد فيه من تأريخ الاسلام للذهبى ولم يخرج عنه الا فى النادر ، ولم يعن بالحوادث ولا بالوفيات على طريقة المؤرخين مع اشتهاره بالتأريخ عند كل أحد ، قال السخاوى : « بل أكثر ما يوجد بخطه عن المتأخرين فمما طالعه منى . وله فى فن الأدب كتاب فى المنامات المنظومة ، مرتب على حروف المعجم فى مجلد سماه تنبيه الأخيار فيما قيل فى المنام من الأشعار »[٣] . وقال نور الدين على بن داود الخطيب الجوهرى الحنفى : « ولازم شيخنا شيخ الاسلام ابن حجر ـ رحمه الله ـ فى بداية أمره كثيرا ، وانتفع به فى أشياء منها كتابه الذى صنفه فى الأشعار التى سمعت فى المنامات . وقد

(١) انظر اللامع (١/٢٠٥) وما يليها .

(٢) لم يذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون .

(٣) أصول التأريخ والأدب (١٧/٢١٥) نقلا من بغية العلماء والرواة فى الذيل على كتاب شيخى فى القضاء المذكور سابقا .

شهد له شيخنا شيخ الاسلام ابن حجر بعد موت المحب [١] أنه عالم الحنابلة ، وعظمه فى عدة مواضع من مصنفاته منهم (كذا) « رفع الاصر عن قضاة مصر » . وكذا عظمه الشيخ شمس الدين السخاوى الحافظ المحدث فى الذيل الذى صنعه على رفع الاصر بترجمة عظيمة تبلغ كراسة فى كامل الشامى ... فمن أراد الوقوف عليها يراها »[٢] وجاء فى الشذرات أنه « له من التصانيف مختصر المحرر فى الفقه وتصحيحه ونظمه ، ومنظومات متعددة فى علوم عديدة فقها ونحوا وأصولا وتصريفا وبيانا وبديعا وحسابا وغير ذلك . وله من غير النظم « توضيح الأنفية » وشروحها وشروح غالب هذه المنظومات وتوضيحاتها الى غير ذلك من التواريخ والمجاميع ، واختصر تصحيح الخلاف المطلق فى المقنع للشيخ شمس الدين بن عبدالقادر النابلسى ، وكان ينظم الشعر الحسن »[٣] .

وقال نور الدين الجوهرى : « وكان رحمه الله يودنى ويميل الى ، ووقف على جزء من تأريخى الكبير فى فضائل أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ وكتب لى عليه كتابة جيدة . والتأريخ الذى وقف عليه « نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الأزمان » ابتدأت فيه من آدم ـ عليه السلام ـ الى الآن [٤] » . وقال السخاوى : « ولما مات المحب [٥] البغدادى تكلم غالب الأعيان معه فى الاستقرار فى وظيفته فى القضاء ، فامتنع أشد امتناع »[٦] .

وذكر هو فى شفاء القلوب أن له أيضا « تسلية المصاب بفقد الأحباب » قال فى تشابه الحوادث : « ومثله ما جرى لى ، وهو أنى صنفت كتابا سميته تسلية المصاب بفقد الأحباب ، فما تم حتى جاء الطاعون فرق لنا شملا » . وذكر مقطعات من شعره قال فى الورقة « ١٢٩ » يمدح الأشرف : « وجامعه الفقير يقول ، ويسأل القبول :

لـه قلم يزجى نداه ويتقى ... فيوصل أرزاقا ويقطع أوصالا
ويفعل فعل البحر فى حالة الرضا ... ويفعل فعل السيف ان غيظ أوصالا

(١) أراد محب الدين أبا الفضل أحمد بن نصرالله البغدادى قاضى قضاة الحنابلة المشهور (٧٦٥ ـ ٨٤٤ هـ) له ترجمة فى رفع الاصر عن قضاة مصر وأنباء الغمر بأنباء العمر والضوء اللامع والشذرات وغيرها كالنجوم الزاهرة .

(٢) أصول التأريخ والأدب (٣/١٢٣) نقلا من انباء الهصر بأنباء العمر لنور الدين على بن داود الخطيب الجوهرى الحنفى ، نسخة باريس « ١٧٩١ ورقة ١٣٤ » .

(٣) الشذرات (٧/٣٢١ ـ ٢) .

(٤) المرجع المذكور فى الرقم ٣ .

(٥) المرجع المذكور فى الرقم ١ .

(٦) انظر الحاشية رقم (١) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن أشعاره التى ذكرها :

يلقـــاك منفـــردا من فـــرط هيبتـــه كأنـــه واحـــد فى عســـكر لجب

ومن نظمه أيضا قوله :

مـا بـــال قلبـــك لا يـــرق فيعطف يـــومـــا على وأنت غصن أهيـف ؟
لـما سننت الهجـر فى سنن الهـوى حرمت نـومى جهـد مـا أتـكلف
كيف السـلو ورمح قـــدك عـــادل يبـدى صـــوارم ناظـر لا ينصف ؟
أم كيـف أتركه وفـوق أســـهما من قوس حاجبـه الذى هو مشـرف
مالى وحقك فى هواه منصفا (كذا) الا الذى يدعى المليك الأشرف[1] (كذا)

الى آخر الأبيات الباردة النفس الملحون فيها ، مما لا طائل فيه .

ذكر المؤرخون المقدم ذكرهم أنه توفى ليلة السبت حادى عشر جمادى الأولى من سنة « ٨٧٦ » هـ ، وصلى عليه السلطان قايتباى والقضاة وأركان الدولة ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن فى الصحراء من القاهرة .

وكتابه « شفاء القلوب » من التواريخ المختصرة ، اعتمد فيه على الوفيات والمرآة وغيرهما ، وقد جعله على الطبقات أى البطون ، قال تحت « قاعدة الكتاب » : « أذكر أولا أصل البيت الأيوبى ، وهم منتسبون الى أيوب بن شادى بن مروان ـ كما نذكره فى محله ـ ثم نتبعه بذكر التراجم على الطبقات . والطبقة الأولى أولاد شادى ، والثانية أولاد أولاده ، والثالثة أولاد أولاد أولاده ، وكذا الى آخر الكتاب ؛ وأقدم من الأخوة وأسبقهم (كذا) موتا ، ثم أتبعهم بمن لم أعلم وفاته ، ثم أتبعهم بأخواتهم النساء كذلك ، ثم أذكر أولادهم فى الطبقة التى تلى طبقتهم على حسب ترتيب أصولهم ، وكذا الى آخر الطبقات » .

قال فى الورقة « ٣ » : « ويقال : ان مروان من أولاد الخلفاء الأموية ، وادعى ذلك اسماعيل بن طغتكين بن أيوب ، وأنكره عمه العادل أبو بكر . وذكر ابن القادسى[2] أن شادى كان مملوكا لبهروز الخادم ، وهو غلط ، ما كان مملوكا قط ، وانما هو من

(١) شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب .

(٢) هو الشيخ الأديب المؤرخ الكبير أبو عبدالله محمد بن أبى العباس القادسى ـ قادسية سامراء ـ الكتبى ، سمع الحديث واعتنى بالتواريخ وغيرها ، وألف الذيل على المنتظم لابن الجوزى وتاريخ الوزراء . وله تآليف أخرى . وهو مرجع جماعة من المؤرخين كسبط ابن الجوزى وأبى شامة وغيرهما ، توفى فى جمادى الآخرة سنة « ٦٣٢ » ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب ـ على ما ذكره المنذرى فى « التكملة لوفيات النقلة » ـ وقد ذكره ابن خلكان فى ترجمة ابن هبيرة وياقوت فى المشترك .

الأكراد الروادية ، وهى بطن من الهذبانية ، من دوين فى آخر أذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج » .

والكتاب مختصر ، جمع فيه مؤلفه كثيرا مما تفرق فى الكتب . وكان تأليفه فى أيام شبيبته ، وترك فيه بياضا لما لم يصل اليه علمه ، أو لما يجوز أن يضاف اليه .

٢ ـ تأريخ الأمير يشبك الظاهرى

سماه جرجى زيدان « رحلة الأمير يشبك الظاهرى فى آسيا الصغرى وما وراءها من سنة ٨٧٥ ـ ٨٧٧ » . قال : « ليس عليها اسم مؤلفها ، ولكن يؤخذ من مطالعتها أن المؤلف كان قاضيا للعسكر ، وانتدبه الأمير يشبك فى مهمات سياسية ، وأنه كان رفيقا للأمير فى رحلته : تبدأ الرحلة من القاهرة الى العريش فالحرمين فالشام فحلب فقنسرين الى آسيا الصغرى فتبريز وغيرها . ثم عاد الى مصر ، وقد دون ما لاقاه هذا الأمير من الحفاوة أو المقاومة والمحاربة هو وحاشيته الكبيرة ، ويتخلل ذلك فوائد تأريخية وسياسية وذكر بعض الأدوات الحربية كالمكحلة [١] لرمى الحجارة وكيفية استخدامها ، ومخابرات سياسية مع سلاطين آل عثمان . منها نسخة فى المكتبة الخديوية من جملة كتب زكى باشا فى ١٣٩ ص »اهـ [٢] .

وسماها شمس الدين السخاوى ـ كما يأتى ـ « سفرة سوار » ، لأن يشبك حاصر الأمير سوارا .

وجاء فى الجزء الخامس من فهرست دار الكتب المصرية (ص ٧٦) وملحقه (ص ٤٧) : أن الكتاب هو « تأريخ الأمير يشبك الظاهرى ورحلته من القاهرة الى آسيا الصغرى . وهو المقر السيفى الأمير يشبك بن مهدى الظاهرى ثم الأشرف أحد مماليك الأتراك بالديار المصرية [٣] وفى لوحة (٧٧) ما يفيد أن مؤلفه أحد تلامذة الحافظ ابن حجر العسقلانى .

أوله : الحمد لله الذى نصر عباده المؤمنين الخ . وهو يتضمن تأريخ الأمير ورحلته التى تبتدئ من القاهرة فى يوم الاثنين العاشر من شهر شوال سنة ٨٧٥ هـ الى آسيا الصغرى وغيرها ، وترجمته وسيرته وأعماله ، نسخة فى مجلد مأخوذة بالتصوير الشمسى

(١) يعنى « المدفع » فى طوره الأول .

(٢) تأريخ آداب اللغة العربية (٣/٢٢١) طبعة سنة ١٩١٣ م .

(٣) كذا ورد فى تعريف المفهرس ، وليس بصواب ، فانه كان أميرا كبيرا ولم يكن ملكا ولو صغيرا . وسيأتى النقل من الكتاب بأنه كان أميرا فى قول المؤلف : « ولم يخرج أحد ممن تقدم من الأمراء مثله » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عن النسخة الأصلية فى شهر رمضان سنة ١٣٢٧ عنى بنسخها أحمد زكى باشا سكرتير مجلس النظار سابقا ، والمحفوظة بالمكتبة السلطانية بالقسطنطينية ، وبها خرم من لوحة (١١٦) . ونسخة أخرى مأخوذة بالتصوير الشمسى بمطبعة دار الكتب المصرية عن النسخة الفتوغرافية المحفوظة بالدار برقم (٢٥٩٢ تأريخ) ، فى « ١٣٩ » لوحة ، ومسطرتها ١٣ سطرا فى حجم الربع » آ هـ .

قلت : وقد رأيت نسخة منها محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس رقمها « ٦٠٢٦ عربيات » ، وفى الورقة الأولى منها : « هذا كتاب فى تأريخ الأمير يشبك الظاهرى » ، ثم يرى القائى : « لقد نصركم الله ... بسم الله الرحمن الرحيم ... أما بعد ، فلما كان نهار الاثنين العاشر من شوال توجه المقر الأشرف الكريم العالى الأميرى الكبيرى المشيرى النظامى المخدومى السيفى يشبك الظاهرى ثم الأشرفى أعز الله أنصاره وملكه أمصاره ـ من القاهرة المحروسة فى أبهة عظيمة لم يخرج أحد ممن تقدم من الأمراء مثله ، وسنذكر وصف الهيئة التى خرج فيها ، ونزل بالريدانية ، وفوض اليه أمر المملكة الشامية » الورقة ٢ » من العريش الى الفرات ... وأقام بها ، وأرباب الدولة والأمراء يترددون الى خدمته ، ونزل اليه السلطان الملك الأشرف قايتباى ـ خلد الله ملكه مرتين »(١) . وهذه النسخة فى « ٧٤ » ورقة .

أما الأمير يشبك الذى نسبت الرحلة اليه فقد ذكر ابن أياس أنه كان « أميرا عظيما مهيبا عسوفا ، وكان له بمصر حرمة وافرة . وقد اجتمع فيه من الوظائف ما لا اجتمع (كذا) فى غيره من الأمراء . وكان أشقر اللون ، مستدير الوجه ، أشهل العينين ، طويل القامة ، غليظ الجسد ، عارفا بأحوال المملكة ، صلبا فى محاكماته ، لا يراد فى الكلام . وهو الذى أنشأ القبة فى المطرية ، والقبة التى فى الحسينية . وله غير ذلك آثار كثيرة على جهات البر والصدقة . وكان له محاسن ومساوىء . قتل فى سنة « ٨٨٦ » هـ فى وقعة بينه وبين الآق قوينلية على عهد السلطان يعقوب بن حسن الطويل « أوزن حسن » ، وذلك أنه لما قرب من الرها بالجزيرة الفراتية ورأى كثرة العساكر معه طمع فى بلاد الدولة الآق قوينلية ، وكانت تلك البلاد للأمير بيان در من أمراء آق قوينلو ، فقوى عزم الأمير يشبك على قتاله ، واستعد الأمير بيان در للقائه ، وجرت بينهم وقعة عظيمة هائلة قرب الرها ، دحر فيها الأمير يشبك وجيشه ، وأسر هو مع جماعة من الأمراء ، ثم قتل صبرا ، وطيف برأسه على رمح فى بلاد الدولة الآق قوينلية ،

(١) أصول التأريخ والأدب (٣/٧٧) نقلا من نسخة باريس .

ثم اعتذر السلطان يعقوب بن حسن الطويل الى سلطان مصر ، وقامت والدته فى الصلح مقامه محمودا ، وخمدت الفتنة (١) .

مؤلف الكتاب ونبذ منه

كل ما استطاع واصفو الكتاب وخزانه أن يعلموه من خبره أنه كان تلميذا لابن حجر العسقلانى ، وأنه كان قاضيا للعسكر ، مستدلين بما ورد فى الرحلة من تصريحه بذلك ، ولكن المؤلف بقى مجهولا أمره ، وبقى الكتاب غفلا من اسمه . وقد حرصنا على أن نبحث عن حقيقته ، حتى اهتدينا الى معرفته ، بالمقابلات التأريخية والتصور التأريخى العام ، والاستدلال الضمنى ، وهو : « القاضى شمس الدين محمد بن محمود المعروف بابن آجا ، فقد ذكر فى رحلته أنه حمل رسالة الى الأمير سوار الخارج على السلطان قايتباى ببلاد سيس ، قال « و ٢٥ » : « وفى عشرين من تأريخه وصل قاصد من عند سوار المخذول ، فجهزونى اليه » ، ثم قال : « فما لبثت غير ساعة رملية حتى طلبنى ، فلما قربت منه قام ولاقانى خطوات وأجلسنى بجانبه ... والظاهر أن قاصده أخبره بذلك ؛ لأن المقر الأشرف أميردوادار ـ أيده الله بملائكته ـ قال للقاصد المذكور : قد جهزت اليكم قاضى العسكر ، وهو والدنا كلنا ، واعتمادنا على كلامه ، ورضاه رضانا ، ومهما اتفق معكم كان ذلك ، وما ثم (٢) خلاف . فتناولت داوادار الكتاب الذى صحبنى ... » . وقد ذكر هذه الحادثة ابن اياس فى حوادث سنة « ٨٧٦ هـ » ، قال : « فيه أرسل السلطان الى سوار تجريدة ، وهى التجريدة الثالثة ، وكان (٢) باش العسكرية المقر السيفى يشبك بن المهدى أمير آخور وجماعة من الأمراء المقدمين ... فخرج الأمير يشبك فى طلب عظيم ... وتوجهوا جميعا الى « زمنطو » التى هى محط رحال سوار ، فأقاموا هناك يحاصرو « كذا » قلعتها مدة وسوار بها . فلما أراد الله ـ تعالى ـ خذلان سوار ، غلت يده ، وزال سعده . فأرسل يسأل فى الصلح ، ويطلب الأمان من الأمير يشبك ، فأجابه الى ذلك . ثم ان سوار أرسل يطلب الأمير تمراز قريب المقام الشريف ، فأشار الأمير يشبك على الأمير تمراز بالتوجه الى سوار ، وأخذ صحبته القاضى شمس الدين آجا قاضى العسكر ، فطلعوا الى سوار الى قلعة « زمنطو » ،

(٢) المرجع المذكور (ص ٤٣ ـ ٧) ومن شاء فليرجع الى النسخة المطبوعة من « بدائع الزهور » والضوء اللامع (١/٢٧٢) .

(١) قصد « وما بقى خلاف » ، وهو من التعابير العامية ، ولا يزال العامة عندنا بالعراق بل كثير من الخاصة يستعملون هذه العبارة .

(٢) يعنى مقدم العسكر ، وهى كلمة « باش » التركية المعروفة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واجتمعوا بسوار ، وأكل معهم » . وآل الأمر الى أنهم غدروا به واعتقلوه ، ثم نقلوه الى القاهرة ، وصلبوه مسمرا على باب زويلة حتى مات فى العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ[١] .

ومما قدمنا ، علم أن مؤلف « رحلة يشبك » وتأريخه هو القاضى المذكور ، أعنى شمس الدين ابن آجا . قال السخاوى فى ترجمة الأمير يشبك المذكور فى المقال : « كان هو باش العسكر المتوجه لدفع سوار ، واحتال حتى أحضره فى طائفة ، وكان أمرا مهولا ، أفرده امامه الشمس ابن آجا بالجمع ، فبالغ ، وأضيف اليه الوزر فقطع ووصل ورفع وخفض »[٢] .

وخلاصة ترجمته أنه : « محمد بن محمود بن خليل الحلبى الحنفى التركى الأصل ، وكان والده يلقب بآجا ، فعرف بابن آجا . ولد فى سنة عشرين وثمانمائة بحلب ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن وكتاب القدورى فى فروع المذهب الحنفى ومنار الأنوار فى أصول الفقه للامام أبى البركات عبدالله بن أحمد النسفى المتوفى سنة « ٧١٠ » هـ ، ودرس فى النحو « الضوء » أعنى ضوء الدرر فى شرح ألفية ابن معط ، لزين الدين عمر بن مظفر ابن الوردى المتوفى سنة « ٧٤٩ » هـ ، واشتغل بالفقه ، وسمع الحديث ، ولقى العلامة ابن حجر فى سنة ٧٣٦ هـ فأخذ عنه ، ثم لقيه بالقاهرة حين دخلها ابن آجا صحبة خاله شهاب الدين أحمد بن أبى بكر صالح المرعشى ، ودرس على غيره . ثم كثر تردده الى القاهرة ، ولازم خطيب مكة المعروف بأبى الفضل ، واختص بالأمير أزبك الظاهرى ، وأم به وقتا ، ثم ارتقى الى صحبة الدوادار الكبير يشبك[٣] ابن مهدى ، ونفق عليه ، وبعث رسولا من السلطان ومنه الى عدة ممالك كبلاد العجم وبلاد الروم ، وحج مرتين ، وزار بيت المقدس والخليل مرارا ، ثم استقر فى قضاء العسكر ، وحدث بالشفا فى تعريف حقوق المصطفى لأبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى القاضى المتوفى سنة « ٥٤٤ » هـ ، وترجم فتوح الشام للواقدى بالتركى نظما فى اثنى عشر ألف بيت ،[٤] قاله السخاوى ، وذكر أيضا أنه « عمل سفرة سوار »[٥]

(١) أصول التأريخ والأدب (٣/٤٠) نقلا من تأريخ ابن اياس . نسخة دار الكتب الباريسية المذكورة .

(٢) الضوء اللامع (١٠/٢٤) .

(٣) تذكر أكثر الكتب « يشبك من مهدى » بدلا من « ابن مهدى » وكان ذلك اشارة الى كون أمه أم ولد « أمة » .

(٤) اطلع حاجى خليفة على قول السخاوى وقال فى كشف الظنون : « فتوح الشام ... نظمها محمد بن محمود بن آجا التركى فى اثنى عشر ألف بيت » .

(٥) يعنى تأريخ يشبك المذكور ، كما أومأنا اليه آنفا .

وفيها منكر كبير ،[١] وجمع طبقات الحنفية فى ثلاث مجلدات ـ كما فى كشف الظنون ـ وخالق الناس بالجميل ، وقصد بالشفاعات خصوصا أواخر عمره ، وحسد الناس أمره فيها • وكان عاقلا عارفا ذكيا متوددا متواضعا • مات فى جمادى الآخرة سنة « ٨٨١ » هـ بحلب ، وكان قد توجه اليها عقب توعك طالت علته به ثم قضى عليه[٢] •

ودونك شيئا من رحلته فى أثناء سنة « ٨٧٦ » هـ قال ـ يعنى الأمير يشبك ـ « وكان عيننى قاصدا للأمير حسن باك[٣] صاحب العراقين وما مع ذلك ، وجهز معى أرمغانا[٤] يليق به ، فقبلت يده وودعته ، وحملنى مشافهة أبديها للأمير حسن باك فى أمور تتعلق به للمملكة الاسلامية ، وتوجه فى حرز الأمن والسلامة مغربا والقلوب معه ، وتوجهت الى جهة تبريز مصحوبا بالأمن والسلامة ان شاء الله ••• ووصلنا الى مدينة أرجيش ، ونزلنا بزاوية السلطان المرحوم قره يوسف بن محمد باك صاحب تبريز وبغداد والعراقين ـ كان ـ وبها قبره ، وهى فى غاية الاتقان ••• دخلنا مدينة تبريز ، وهى مدينة عظيمة كثيرة الأشجار والمياه ، وبها من العمائر ما يضرب بها الأمثال خصوصا تربة محمود قازان من ذرية هلاكو ، وهو مشهور بين أهل التأريخ • وأما تربته الآن بتبريز والجامع بجانب التربة ، فما رأيت فيما شاهدت مثلها وحسن ترتيبها • وهذا يدل على عظم الملك وسعة مملكته • وأما الجامع والعمارة التى أنشأنهما زوجة جهان شاه بن قره يوسف بالمدينة ، ففى غاية الاتقان والحسن ؛ وحقيقتهما لا تعلم الا بمشاهدتهما ••• طلبنى السلطان حسن للحضور بين يديه فاعتذرت لسخونة عرضت لى ••• ولما كان يوم الخميس ، جاءنى المهمندار ، وقال لى : ان البادشاه يرسم لك بالحضور بعد الظهر الى محل خلوته ، فصليت الظهر ، وتوجهت معه • فلما وصلنا الى قصره ، أدخلنا مكانا وجلسنا فيه الى العصر ، ثم طلبنا فدخلت عليه وعنده جماعة من أهل العلم والتجار الواردين عليه من سائر الأقاليم • فلما قربت منه ، قام من مكانه وأجلسنى بجانبه ، فأول ما بدأ أن سألنى عن مولانا السلطان الأشرف قايتباى ـ خلد الله ملكه ـ ثم عن النقر الأشرف الأمير يشبك الدوادار نظام الملك وباش العساكر الاسلامية ـ أعز الله أنصاره ـ فقلت : بخير ، ويسلمان على البادشاه • فأثنى بكل خير ،

(١) الضوء اللامع (١٠/٤٣) •

(٢) الضوء اللامع فى الموضع المذكور آنفا •

(٣) يعنى حسن ـ بيك الطويل ملك آق قوينلو وسلطانهم ولا يزال أهل الموصل يلفظون « بيك » بك ، وهى مولدة من باك •

(٤) الظاهر أن الأرمغان هو التقدمة والهدية ، وقد كرره فى رحلته هذه •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال : والله أنا أحبهما ، ولا أعلم الا مملكتي ومملكتهما واحدة ، وهذه عساكري حاضرة ، مهما اخترت منهم ، وقد سألت السلطان بذلك مرارا فلم يرد على جواب ، وما علمت المراد [١] . فقلت : بسعادة مولانا السلطان ـ خلد الله ملكه ـ وعسكر البادشاه ، الأمر ما يحتاج الى هذا ، وسوار أقل وأخس من أن يجتمع عليه عسكر مولانا السلطان ... وعسكر البادشاه ، وهذا من بعض تركمان المملكة الحلبية . وما سبق من الأمور ، فسببه ظاهر لايحتاج الى التفصيل ؟ لأن مجلس البادشاه لا يحتمل بسط ذلك ... ثم سألني عن أمر العساكر الاسلامية [٢] وما هم فيه ، فأخبرته بكثرتهم وقوتهم واتفاقهم وانقيادهم لنظام الملك ـ أعز الله أنصاره ـ وأن كلا من الكفلاء والأمراء يطلب رضاه ، وأخبرته بما هم فيه من الاهتمام وكثرة آلات الحصار والزردخاناه والصناع وغير ذلك . فظهر لي من وجهه الكراهة لما سمع قوة العساكر . ثم التفت الى القاضي حسن وقال : اقرأ كتابه . وفهم ما فيه بعد أن ترجم له بعضه القاضي حسن [٣] ، ثم قال لفقيه حاضر بالمجلس : اقرأ لنا شيئا من الحديث النبوي ، وذكر لي أن عادته في كل ليلة جمعة يجتمع عنده علماء توريز ، ويقرأ عنده شيء من البخاري ، يفعل ذلك للتبرك والفائدة ... ثم حضر الطعام فأكلوا ، وكنت متوعكا ، ومد السماط للحاضرين ، وفي أمام البادشاه مائدة صغيرة فيها خمسة أو ستة صحون ، فطلبني الى مائدته المختصة به فرأى اشتغالي بأكل الخبز عن الطعام واللحم ، فسألني عن ذلك ، فقلت : ان لي مدة ثمانية عشر يوما محتم عنهما ، فطلب رب حصرم ، وأحضر ذلك في صحن من دهنج ، وأشار الى بالأكل من ذلك ، فأكلت منه قليلا لأجل خاطره ، ثم قمت على عادتنا ، فتعجب من قيامي ، وقال : لم لم تصبر حتى يرفع السماط ؟ فاعتذرت اليه بأن الطبع والعادة أغلب ، وقد سبقاني الى ذلك من غير اختياري ، وكان الأمر كذلك ... فلما رفع السماط ، أذن لنا ، فتفرق المجلس ، وتأخر البعض ... ثم طلبني يوم الأحد في محل خلوة ، وأحضر سماطا ، فتمنعت من الاكل لما سبق من الضرورة . فلما رفع الطعام قال لي : ان في مطالعتك أن الأمير الداوادار حمل معك (كذا) مشافية فهاتها . فقلت : نعم ، أما الأولى فانه يطلب أمير أحسلان بن ملك أحسلان بن ذلغادر . فقال : قد رسمت بذلك ، ان أراد أن يتوجه بنفسه ، أو يجهز قاصده معك ، ثم ما (ذا) ؟

---

(١) أشار بذلك أنه كان مستعدا أن يمد سلطان مصر بقطعة من جيوشه لمحاربة سوار الخارج على السلطان المذكور آنفا .

(٢) يعني العساكر المصرية ومن انضم اليهم .

(٣) هو قاضي عسكر السلطان حسن الطويل المذكور .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقلت : الثانية أن بنى ربيعة قد تحصنوا ببلاد الرها ، وفى كل وقت يقطعون الطريق ببلاد حلب ، وينهبوا (كذا) ما يجدوه (كذا) . وكان موسى كبير بنى ربيعة حاضرا ، فطلبه ، وأنكر عليه انكارا بالغا ، ومن جملة ما قال : والله ، وتربة جدى ، ما يبلغنى صحة هذا الا وسلخت جلد الأبعد ، وأخرجت جميع بنى ربيعة ! كم مرة أوصيكم بالرعية خصوصا رعية الشام ؟ فشرع يعتذر ، ويحلف ان هذا الأمر ما وقع من طائفته ، وانما هم عرب غيرهم يسمون باسمهم . فقال : ما أعرف . ثم قال : اذا حصل من هؤلاء شيء أو غيرهم ممن تعلق بى فصححوا ذلك ثم أعلمونى ... فقال : أيش غير هذا ؟ قلت : ان جماعة حضروا وذكروا أن البادشاه أنعم عليهم بقرى « يابتلاسروج » (كذا) ، وهى متعلقة بالبيرة ، والقرى التى بها هى اقطاع للجسرية بالبيرة . فقال : والله ، ليس لى علم بذلك . ثم رسم بكتابة مرسومه الى نائب الرها بالوصية بأطراف بلاد الشام ، وأنه لا يدع أحدا ولا يمكنه للتعرض للقرى التى فى حد الشام ، وأكد عليه فى ذلك ، وكذلك تفحص عن الكردى الذى يشوش على القرى التى من جهة الفرات المتعلقة بقلعة المسلمين ومقاتلته أشد المقاتلة ، وكنت ذكرت له ذلك أيضا .

ولما كان يوم الخميس طلبنى أيضا ، فتوجهت الى قصره ، فرأيته فى جمع كثير من علماء تبريز ، وكان حاضرا عنده ابن السيد الشريف شارح الكشاف من شيراز وجماعة من علماء بغداد وسمرقند ، فقام والجلسنى بجانبه . فلما تكامل المجلس ، أمر بقراءة البخارى على عادته فى ليلة الجمعة ، فقرأ القارىء حديث « سبعة يظلهم الله » الحديث . فلما فرغ من قراءة الحديث ، شرع يترجم للبادشاه بالتركى يفسره له ... فحضر السماط ومدوه ، وأكل ، وكان جماعة تبريز قد استحضروا مسائل من سائر العلوم ، فلم يحصل لأحد منهم نوبة للكلام ، لما سبق ، وكان ذلك من فضل الله وعونه »[1] .

٣ ـ تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور

رأيت الجزء الثانى من هذه السيرة فى دار كتب باريس الوطنية ، ورقمها « ١٧٠٤ عربيات » ؛ وفى الورقة الاولى من هذه النسخة مكتوب : « الجزء الثانى من تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور » . والمراد هنا سيف الدين قلاوون عبدالله الألفى النجمى التركى ملك مصر والشام ، حكم من سنة « ٦٧٨ » هـ الى سنة « ٦٩٠ » هـ ، وهو معروف السيرة .

وهذا الجزء غفل من اسم المؤلف ، ولم أجد اسم الكتاب بهيئته الأصلية وصورته

(١) أصول التاريخ والأدب (٣/٨٢ ـ ٨) .

اللفظية مثبتا فى كشف الظنون ، وانما رأيت فى باب السير « سيرة الملك المنصور قلاوون للقاضى الفاضل عبدالرحيم بن على البيسانى المصرى المتوفى سنة ٥٩٦ ست وتسعين وخمسمائة ، سيرة الأشرف ابن قلاوون له أيضا »[١] . وهذا غلط قبيح من قائله ووهم صريح ، فانه لا يصح أن ينسب الى رجل كتابة سيرة آخر ، وهذا الآخر ممن تأخر زمانه عن زمن الكاتب هذه المدة الشاسعة العظيمة ، فوفاة القاضى الفاضل ـ كما هو معلوم ـ كانت سنة « ٥٩٦ هـ » ، ووفاة قلاوون كانت سنة « ٦٩٠ هـ » كما قدمنا ، فالوهم واضح .

وهذا الجزء من تشريف الأيام والعصور ، يبتدىء بسنة « ٦٨٠ هـ »، وآخره ناقص ، وينتهى فى نقصانه بسنة « ٦٨٩ هـ » ، وليس هو بـ « السيرة المنصورية » التى ألفها شرف الدين [٢] محمد بن موسى المقدسى الكاتب ، ونقل منها جمال الدين يوسف بن تغرى بردى [٣] ؛ فان اسمها « السيرة المنصورية » كما ذكرنا ، فمن ذا الذى ألف هذه السيرة وترجمها بهذا الاسم المسجوع الطويل ؟

تحرينا عن المؤلف كثيرا حتى علمنا أنه « ناصر الدين شافع بن على بن اسماعيل ابن عساكر الكنانى العسقلانى ثم المصرى » المتوفى سنة « ٧٣٠ هـ » . فقد ذكر الصفدى فى الوافى بالوفيات [٤] ونكت الهميان أن له « سيرة السلطان الملك المنصور قلاوون » و « سيرة الملك الأشرف خليل » ، والسجع المعروف فى أسماء مؤلفاته مثل « حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية »[٥] ، يؤيد نسبتها اليه . وفى نسخة باريس أنه « تأليف العبد الفقير الى الله تعالى الجناب الناصرى شافع بن على بن عباس الكاتب ـ عفا الله عنهما ـ » . وفى سيرة المنصور قلاوون هذه ما يدل على أنه ألفها فى حياته ، فانه يقول فى موضع منها : « فى تجهيز رسل أبواب مولانا السلطان » ، وفى موضع آخر : « وردت كتب رسل مولانا السلطان » ، وفى ثالث : « ورد الى أبواب مولانا السلطان ولد الشريف » .

---

(١) كشف الظنون (ع/١٠١٦) طبع نظارة المعارف العثمانية .

(٢) ذكره ابن العماد فى الشذرات فى وفيات سنة « ٧١٣ هـ » (٦/٣٢) قال : « وفيها الأديب محمد بن موسى القدسى ، عرف بكاتب أمير سلار » وذكر له أبياتا .

(٣) النجوم الزاهرة (٧/٣٢٢)

(٤) أصول التاريخ والأدب (١٠/٢٨٩) نقلا من الوافى نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٢٠٦٥ور ١٣٢ » .

(٥) فيه نسخة بدار الكتب المذكورة رقمها « ١٧٠٧ » هـ .

المؤلف وأسلوبه

ذكرنا آنفا أنه ناصر الدين شافع بن على بن عباس الكنانى العسقلانى ثم المصرى ، ولد بمصر سنة « ٦٤٩ هـ » ، ونشأ بها وتأدب ودرس النحو على ابن النحاس واشتغل وحصل ، وسمع الحديث من جماعة ، وأخذ عن الشيخ جمال الدين ابن مالك صاحب الألفية وغيره ، وتعاطى الآداب ، وأتقن الخط المنسوب والانشاء ، ونظم الشعر[1] وكتب فى الديوان زمانا . ثم أصابه سهم فى صدغه فى وقعة حمص بين التتار بقيادة منكوتمر والملك المنصور سنة « ٦٨٠ هـ » ، فكان ذلك السبب فى عماه الذى اضطره الى لزوم بيته . وكان جماعة للكتب ، ترك نحوا من عشرين خزانة ملأى من الكتب النفيسة . وكان من شدة حبه للكتب اذا لمس الكتاب فى أيام عماه ، قال : « هذا الكتاب الفلانى ، ملكته فى الوقت الفلانى . واذا طلب منه مجلد ، قام الى الخزانة ، فتناوله كما وضعه فيها . وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب ، وبقيت تبيع منها بعد وفاته الى سنة « ٧٣٩ هـ » .

روى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان الأندلسى والشيخ علم الدين البرزالى وجمال الدين ابراهيم الغانمى وغيرهم من الطلبة ، واجتمع به صلاح الدين الصفدى فى داره غير مرة ، واستجازه بالقاهرة سنة « ٧٢٨ هـ » فأجاز له رواية تصانيفه . وهى : « سيرة الملك قلاوون ، وسيرة الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، وسيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونظم الجواهر فى سيرة الملك الناصر ، وما يشرح الصدور فى أخبار عكا وصور ، والاعراب عما اشتمل عليه البناء الملكى بسريقوس من الاغراب ، وافاضة أبهى الحلل على جامع قلعة الجبل ، وقلائد الفرائد وفرائد القلائد فيما للشعراء العصريين من الأماجد ، ومناظرة ابن زيدون فى رسالته ، وقراضات الذهب المصرية فى تقريظ الحماسة البصرية ، والمقامات الناصرية ، ومماثلة سائر ما حل من الشعر وتضمن الآى الشريفة والأحاديث النبوية من المثل السائر ، والمسعى المرضية فى الغزوة الحمصية ، وما يظهر من الدلائل فى الحوادث والزلازل ، والدر المنتظم فى مفاخرة السيف والقلم ، والأحكام العادلة فيما جرى بين المنظوم والمنثور من المفاضلة ، والرأى الصائب فيما لابد منه للكاتب ، والاشعار بما للمتنبى من الأشعار ، وتجربة الخاطر المخاطر فى مماثلة فصوص الفصول ، وعقود العقول ، مما كتب القاضى الفاضل فى معنى السعيد ابن سناء الملك ، وشنف الآذان فى مماثلة تراجم قلائد العقيان ، وعدة الكاتب وعمدة المخاطب ،

(١) قال فى الورقة ٣٧٣ من السيرة : « ومما نظم الملوك جامع السيرة ... » .

وشوارد المصايد فيما لحل الشعر من الفوائد ، ومخالفة المرسوم فى الوشى المرقوم ، وديوان شعره • فتأليفه جاوزت عشرين تأليفا •

ترجمه الصفدى فى الوافى بالوفيات وفى نكت الهميان ـ كما بان من كلامنا ـ وترجمه أيضا ابن شاكر الكتبى فى الفوات (١/١٨٢) ، وابن حجر فى الدرر (٢/١٨٤) وقال : « ذكر ابن رافع فيما قرأت بخطه أنه سبط القاضى محيى الدين عبدالله بن عبد الظاهر ويلقب ناصر الدين ، قال : وسمع من جده لأبيه ومن خطيب المزة وعبدالرحيم الدميرى ، وأجاز له جمال‌الدين ابن مالك ، ورأيت خطه بالاجازة ، قال : وقرأ النحو على ابن النحاس • وذكره البرزالى فقال : كان مشهورا بالفضيلة وفى الأدب ، كثير الحكايات والنوادر ، وتصدر لاقراء النحو بالجامع الصالحى ، قلت : وهو ابن أخت محيى الدين لا سبطه » [١] • وله مقطعات منقولة فى التواريخ •

توفى فى ليلة الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة سابقا ، أعنى سنة « ٧٣٠ هـ » ، وفى الفوات أنه توفى سنة « ٧٣٣ هـ » • وذلك من الوهم • وفى الفوات هفوات [٢] •

وأسلوب تأليف هذه السيرة على السنين ، ومن عادة المؤلف أن يستوفى ذكر الأخبار على اختلاف رواياتها ، قال فى حوادث سنة « ٦٨٠ هـ » • « ذكر هلاك أبغا ، ورجوع الملك الى تكدار المسمى أحمد » •

« وفى هذه السنة تواترت الأخبار بموت أبغا بن هلاون ، وذلك لما ناله عقيب كسرة منكوتمر من رعب وخوف ، ولما شاهده من هول بقتل عساكره وأكابر المغول • وبينما هو فى هذه الحال ، اذ بلغه أن خزائنه وخزائن أبيه كانت فى برج من قلعة على البحر ، وأن ذلك البرج خسف الله به ، وغارت الأرض به فى البحر بجميع ما فيه ، ولم يسلم الا قطعة من البرج • قيل : ان أبغا دخل الحمام وخرج منها ، فسمع أصوات جملة من الغربان وهى تنعق ، فقال : هذه تقول أبغامات ، أبغامات • وركب من الحمام ، فاذا كلاب صيده كلها عوت فى وجهه ، فتشاءم بذلك • ومات أبغا فى نصف ذى الحجة سنة ثمانين وستمائة فى قرية من قرى همذان اسمها نايل ، وقيل : فى بلد اسمه كرمانشاه من بلد همذان • وسبب موته أنه لما عاد من جهة الرحبة تصيد وساق وراء

(١) وترجمه من المتأخرين أمين العمرى فى كتابه « عنوان الشرف » كما فى أصول التأريخ والأدب (٢٣/١٣٨) ، عن « نسخة باريس ٥١٣٨ ور ١٢٩ » •

(٢) من ذلك ما جاء فى ترجمة شرف الدين ظفر ابن الوزير عون الدين ابن هبيرة (١/١٩٨) أنه توفى سنة « ٦٥٢ » ، والصواب « ٥٦٠ » ولعل الوهم من الناسخ •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

غزال فتقطر من الفرس ، فنزل فى خركاة ، ودخلت السحرة عليه ، فقال : أى شىء هؤلاء اللابشون الأسود ؟ وحمل فمات ـ كما ذكرنا ـ ودفن فى قلعة تلا عند أبيه ، ومات بعده بيومين أخوه أجاى ... ولما مات أبغا بن هلاون ، وقع الاختلاف فيمن يقعد فى التخت ، فتعصب جماعة لأحمد بن هلاون ، واسمه الحقيقى تكدار ، واسم أمه قتوخاتون (كذا) ، وهى نصرانية ؛ واتفقوا على اقعاده فى تخت الملك ، وما هان على بعض المغول قعود أحمد ؛ لأنه ادعى أنه مسلم ، فحضر أخوه قنغرطاى[١] ، وقال لأرغون بن أبغا بن هلاون : ان أبغا شرط فى الياسه [٢] أنه اذا مات ملك ما يقعد عوضه الا الأكبر من أولاده ، وقد رتبنا أحمد ، ومن خالف يموت . فأطاعوه ، وسيروا الاجية لاحضار الملوك ليكتبوا خطوطهم بالارتضاء بالملك أحمد . ولما جرى ذلك ، تحدثوا فيما بينهم فى أن قوتهم قد ضعفت ، ورجالهم قتلت ؛ وأن المسلمين كلما راحوا فى قوة ، وأنه لا حيلة فى هذا الوقت من اظهار الاسلام ، والتقرب الى مراضى مولانا السلطان واكتفاء بأسه (كذا) بذلك واشاعة هذا الأمر . فسير (أحمد تكدار) كتابا الى بغداد هذا مضمونه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا آله الا الله محمد رسول الله ؛ وانا جلسنا على كرسى الملك ، ونحن مسلمون ، فيتلقون أهل بغداد (كذا) هذه البشرى ، ويعتمدون فى المدارس حقه فى أوقات المساجد والمدارس [٣] ، ولا يخرجون عن القواعد الاسلامية . وأنتم يا أهل بغداد مسلمون ، وسمعنا عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : لا تبرح هذه العصابة الاسلامية مستظهرة ظافرة الى يوم القيامة . وقد عرفنا أن هذا الخبر خبر صحيح ورسول صحيح (كذا) ورب واحد فرد صمد ، فتطيبون قلوبكم ، وتكتبوا الى البلاد جميعها » . وشرع الملك أحمد فى تجهيز رسل الى أبواب مولانا السلطان ، فسير قطب الدين محمودا الشيرازى قاضى سيواس والأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم ... »[٤] .

ويظهر مما نقلنا من هذه السيرة أن المؤلف اتهم السلطان أحمد بن هولاكو فى

(١) جاء ذكر هذا الأمير التترى فى حوادث سنة « ٦٤٨ » هـ من مختصر الدول (ص ٤٥٦) بصورة « قنقورتقاى » . وفى حوادث سنة ٦٨٣ من المسمى الحوادث الجامعة ص ٤٣٦ « قنقورتاى » .

(٢) المتعالم أن « الياسه » من وضع جنكيزخان وهى مجموعة سياسة دولته وأحكامها وآدابها .

(٣) هذا المنشور هو الذى حمل تلامذة المستنصرية على الوثوب بناظر الأوقاف وصدرها جمال الدين الدستجردانى ـ كما ورد فى الحوادث (ص ٤٤٢) .

(٤) أصول التأريخ والأدب (٥/١٨١) عن الكتاب المذكور .

اسلامه ، وأنه انما أظهر الاسلام احتيالا ومخادعة . وهو رأى يدل على فكر جوال فى تعليل الحوادث التأريخية ، ولا يستلزم بجولانه أن يكون مصيبا ، وقد قال فى غير هذا الكتاب يذكر رأيه فى تجهيز الملك الظاهر بيبرس للخليفة المستنصر الاصغر من مصر وتوجيهه نحو العراق لمحاربة المغول واستنقاذ العراق منهم سنة « ٦٥٩ » هـ : « أقول : ما رأيت أعجب من هذا الرأى ، وأعجب منه موافقة ذوى الرأى والمشورة عليه ، وقوم قد استولوا على البلاد بكثرة عددهم واستعداد عددهم وقوة جأشهم وكثرة جيشهم ، كيف تسير اليهم هذه الشرذمة المتحقق أنها لا تفى بألف منهم ، وانما هى أموال ضيعت ، وأرواح للحياة ودعت ؟ ولو توجه العسكر المصرى بكماله ، والشامى بعربه ورجاله ، لكان فيه أعظم تغرير ، وانما هى المقادير . والسلام »[١] . فهذا رأى مؤرخ زنيق لمؤرخ مفكر متدبر بعيد النظر حر الفكر ، ومن المؤسف لنا ولكل أديب أريب أن تظل آثار هذا المؤرخ الكاتب مطمورة فى الخزائن المقفلة والدفائن المغفلة ، فلا تنشر لتكون منارا للباحثين فى ظلمات التواريخ ، ومشارع لأهل التحقيق والتدقيق .

ونود أن نستمر على ذكر فوائد من تأريخه المذكور ، قال كما فى الورقة ٩٦ :

(ذكر وصول الشيخ عبدالرحمن[٢] وصداغو رسلا من جهة أحمد بن هلاون)

« قد سبق ذكر هذا الشيخ عبدالرحمن ، وأنه قدوة الملك أحمد ومشيره ، وأنه هو المشير عليه بالاسلام خديعة ومكرا ، حتى يطمئن الى هذه الجهة ، ويكتفى أمر السلطان ، ويتفرغ لقتال قومه وأقاربه واخوته وولد أخيه أرغون ، وتحكم هذا الشيخ عبدالرحمن فى البلاد ، وتحدث فى الاوقاف جميعها ، فى العجم وبلاد العراق والشرق والروم ، وجبيت اليه ، وأظهر للمغل أشياء أخذ عقولها بها ، وهو موصلى ، ويقال ان أصله مملوك ويعرف بعبدالرحمن النجار . وما بقى من لا أطاعه (كذا) وصار الملك أحمد وعشيرته من المغل يقفون بين يديه ، ويستمعون اشارته ، وأطاعه كل من فى بغداد والعراق ، وخرق عقولهم بأنواع من النارنجيات (كذا) ، واستولى

(١) أصول التأريخ والأدب (٥/١٩٦) نقلا من « حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية » نقلا من نسخة دار الكتب الوطنية بباريس المشار اليها « ١٧٠٧ ورقة ٢٢ » .

(٢) هو قطب الأقطاب كمال الدين عبدالرحمن بن مسعود ، راجع الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة « ص ٤٣١ » وتلخيص معجم الألقاب « ج٤ ص٣١٤ » و « ج٥ ترج ٤٠٠ ، ٤٠٢ من الكاف » وتأريخ الاسلام للذهبى « نسخة المتحفة البريطانية ، ١٥٤٠ ور ٢٥ » والوافى بالوفيات « نسخة باريس ٢٠٦٦ ور ١٧٦ » وتالى كتاب وفيات الاعيان « نسخة باريس ٤٠٢ باريس ٢٠٦١ ور ٥٠ » توفى سنة « ٦٨٣ » بدمشق .

على عقولهم ، وأفهم الملك أحمد أنه يصلح له مولانا السلطان ، واعتقد أن أموره تتم عنـد مولانا السلطان كما تمت هنـاك ، وأنه سيحضر فتكون له صورة [1] فى البلاد وعظمة واسم ، وتجتمع اليـه الناس . وكان الأمر بخلاف ذلك ؛ وذلك أنه لما بلغ مولانا السلطان خروجـه من الأردو صـارت أخباره تصـل الى مولانا السلطان منزلة فمنزلة ومرحلة فمرحلة ، فوصل الى ماردين فى الرابع من شهر ربيع الآخر ، ثم وصل الى البيرة ، وصحبته من أكابر المغل صمداغو ، ومعه جماعة من كتاب وفقهاء ومغل لخدمته ، يحملون جترا يرفع على رأسـه ، وسلاحـدارية وأرباب سلاح وغير ذلك من غلمان ، وحواش وأرباب أشغال ، وذوى خدمة عالم كثير .

وكان مولانا السلطان قد سير بازالة هذه النواميس ، وازالة زخم العجم ، الذى يقصدون اقامته فى بلاد مولانا السلطان ، فلما ركبوا من البيرة المحروسة تلقاهم الأمير جمال الدين آقش الفارسى ، أحد الأمراء بحلب المحروسة ، فمنعهم من حمل الجتر وحمل السلاح ،وركوب المغل خلفه ، وركبهم فى الليل من غير رهج ولا اعلام أحـد بأمرهم ، وسار بهم منكبا عن الطريق المسلوكة ، فعز عليهم ذلك وانزعجوا ، فما التفت اليهم جمال الدين آقش الفارسى ، ولا شال بهم رأسا ، وقرر أن أحدا من المجردين معه لا يكلمهم ولا يحدثهم ولا يساوقهم ولا يملأ منهم عينا ولا نظرا .

ووصل بهم حلب فى سادس عشرين من شوال من هذه السنة (٦٨٢) وأختفى أمرهم حتى لم يعلم بهم أحد ، ولم يجسر أحد يكلمهم ، ولا يتحـدث فى أمرهم بشىء ، ثم أخرجوا من حلب فى الليل وعدل بهم عن الطرقات المسلوكة ، وصاروا يسوقون جملة والمجردون بعيـد منهم ، بحيث لا يسمعون كلامهم ، وهـم ينزعجون ويحردون ، ولا يلتفت أحد عليهم ، حتى وصلوا الى دمشق ، كما ذكرنا ، فدخل بهم فى الليل الى القلعة ، وأنزلوا فى دار رضوان ، وكثرت الاقامات عليهم ، من كل شىء من سائر الأصناف ، وجرى الأمر على أن أحدا لا يكلمهم ، ولا يتحدث معهم بشىء بل يسمع ما يقولون ولا يرد عليهم جواب (كذا) . وجعل غلمانهم وحواشيهم وأرباب الخـدم ناحية ، فى أماكن محفوظـة ، وأقيمت لخيلهم ودوابهم غلمان يدورون بها ويخـدمونها ، وحفظت عددها وآلاتها . واستمر حالهم على ذلك الى حيث حضور مولانا السلطان الى الشـأم ، على ما سيذكر » .

« ورد ١٠٣ » سنة ٦٨٣ (ذكر خروج مولانا السلطان فى هذه السنة الى الشام

(١) أراد بالصورة « الناموس والقدر العالى » .

المحروس) :

« ... فلما وصل الى غزة وردت الأخبار بأن الملك أحمد مات ، وقوم يقولون أسر وأن أرغون اتفقوا معه جماعة من المغل على امساك أحمد وخلعه من الملك ، وأن فرقة تقدير أربعة آلاف فارس حضرت مقفزة من التتار طالبين الشام المحروس ... فدخل دمشق المحروسة ، فى تاريخ يوم السبت ثانى جمادى الآخرة ... وكان فى ابتدائه احضار رسل الملك أحمد ، وهم الشيخ عبدالرحمن وسمداغو ، فأحضرهم وقد صح عند مولانا السلطان موت الملك أحمد مرسلهم هذا ، ولم يعلموا به ولا وصلهم خبر عنه ، وبقى كل من يحضر اليهم يمسك ويحضر الى أبواب السلطان ، وهم لا يعلمون ، وتؤخذ الكتب وتقرأ ، وهم لا يفهمون . وجلس مولانا السلطان فى الليل وأوقدت الشموع الكثيرة ، ولم يبق حول مولانا السلطان غير خواص مماليكه لا غير ، وهم فى أحسن زى وأكمل صورة ، ومولانا السلطان قد بهر جلاله ، وكان يأخذ العقول جماله ... فلما دخل الشيخ عبدالرحمن اعتقد أن ذلك المقام لا يهول ، وانه (لا) يستخف عقولا مثل تلك العقول ، فدخل بزى الفقراء ، فرسم له بتقبيل الأرض ، فأبى كبرا منه وزهوا ، فأهوى به الى الأرض حتى كادت أعضاؤه تتفسخ عضوا عضوا ، وفعل ذلك طرقا عدة ، والعين اليه من مولانا السلطان غير ممتدة ، وكذلك فعل بسمداغو وبشمس الدين [1] ابن الصاحب الواصل معهم . ولما حضروا سمع مولانا السلطان كلامهم وأخذ الكتاب الوارد من الملك أحمد على يد الشيخ عبدالرحمن ، وقاموا من بين يدى مولانا السلطان ، فسير لهم الخلع الفاخرة مرارا ، وتفقدهم وأعلمهم بعد ذلك بموت السلطان أحمد ، ثم أحضرهم مرة أخرى ، وكان الشيخ عبدالرحمن قد أحضر هدية قبلت ، واستقروا على حالهم ، فى الاحسانات والاقامات الواسعة والمعاملة بالجميل » ثم ذكر نسخة الكتاب [2] وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله ـ تعالى ـ باقبال قاآن فرمان أحمد .

الى سلطان مصر ، أما بعد فان الذى يجب على العاقل بذل الجهد ، وترك الاهمال

---

(١) فى تاريخ المفضل بن أبى الفضائل « نسخة باريس ٤٥٢٥ ور ٨٢ » أنه « ابن التيتى وزير صاحب ماردين » وهو أبو الفداء اسماعيل بن أحمد المعروف بابن التيتى الوزير الفقيه على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ولد سنة « ٥٩٩ » . وذكره أبو حامد ابن الصابونى فى تذييله على تقييد ابن نقطة « نسخة الأوقاف ٨٥٢ ور ٨٦ » وأثنى عليه .

(١) وهى مخالفة للنسخة التى ذكرها ابن العبرى فى مختصر الدول « ص ٥٠٦ » . والأخرى المنقولة فى ملاحيق السلوك « ج١ ص ٩٧٧ » .

والتوانى ، واستنفاد الوسع فى اقتناء الذكر الباقى الذى هو العمر الثانى ، وقد انحصر الثناء الجميل والثواب الجزيل فى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ، واستعمال العدل والنصفة المندوب اليهما • وأى عدل ونصفة أعظم قدرا ، وأعلى ذكرا فى سائر الأصقاع والممالك ، من انقاذ الأنفس بجريعة الذقن من المهالك واطفاء نائرة أكباد حرى وقلوب جرحى ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس • ولما لم يكن لنا بفضل الله واحسانه الجسيم افتقار ولا بغية ، ولم يبق فى ضميرنا ارادة ولا منية ، سوى رفاهية العالم ، وطمأنينة بنى آدم خصوصا الطائفة الاسلامية ، وأهل الملة الحنيفية ، أنفذنا الأيلجية(١) الى اخواننا نوقاى أقا وتولمنكو وغيرهما ، ونبهناهم على أن الملك العقيم الذى ادخره لنا جدنا جنكيزخان وآباؤنا الكرام ، بعد الصبر على المشقة فى تحصيله والمقاساة ، وتحمل أعباء الشدائد والمعاناة ، بمجرد النزاع والخصام ، وخلاف الوفاق واختلاف الكلام ،قد أشرف على شحوب بهجته ، وبهائه ، وتكدير رونق صفاء مائه ، والآن أن نستبدل وحشة النزاع بأنس الصلح(٢) ، ونتعوض عن غيهب ليلة النفار والنقار تباشير الصبح ، ونغمد السيوف البواتر التى استلت من الأغماد ، ونعفى أثر الهرج والمرج ونعرض عن الأعراض والأحقاد ، ونتفق الجميع على القيام بواجب كيوخ قاآن وخدمته ، والالتزام بواجب طاعته ، والاشتمال على ما ينوط بمصلحته ، وحيث تأملوا ذلك بعين البصيرة ، ورأوا من حنكة دوران الفلك والتجربة تبين لهم أن هذا الرأى محض شور لا يشوبه غش ولا مداهنة ، وخالص تنبيه لا يغادره (كذا) سوى زبدة المناصحة ، فقالوا : ان الذى وقع من الخلاف ، كان بين من قد قضى نحبه من الآباء والأسلاف ، ولم تجر بيننا مخاشنة ، ولا وقع خلف ومشاحنة ، فعدنا الى ما كان عليه آباؤنا القدماء الكرام ، من الاتفاق والائتلاف وحفظ العهود والذمام ، والتزمنا أن لا ينحل عقد هذا النظام ، والله الموفق للرشاد والهادى الى السداد • ولما تفرغ البال لاصلاح ذات البين ، واستحكمت مراثر الائتلاف بين الجهتين ، أنفذنا الايلجية ، بعد النية الخالصة لله وللرسول ، تسكينا للفتن الثائرة ، واطفاء للهيب تلك النائرة ، وحقنا لدماء المسلمين وسدا لثلمة الدين ، فكانت خلاصة جوابه ، وزبدة خطابه ، عند وقوفه على ما كتب به اليه : أنه لو أنفذ أبونا شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبدالرحمن لكنت أسكن

(١) الاجية هم البريديون وستأتى الكلمة بصورة « الايلجية » وبها سمى بيت الايلجى ببغداد •

(٢) هذا وهم من الكاتب والصواب « أن نستبدل أنس الصلح بوحشة النزاع » •

الى أمانتـه ، وأخلد الى ديانته ، وأسمع منه ما لم تحتمل ايداعه الكتب ، وأشافهه بما عندى من المصالح ، وأخاطبه بما ينطوى عليه ضميرى للمسلمين من النصائح ، هذا وغير خاف أنه يعز علينا بعاده ، ويوحشنا بينه وفراقه ، وربما اتصل به ما نستفيده من حسن معاشرته ، وجميل مصاحبته ، وحيث كان التماسه موجبا لاشاعة الخير العام ، واذاعة شعار الاسلام ، رضينا بتوجيهه الى جهته ، اسعافا لمقترحه ، وجعلناه فى اتخاذ العهد واليمين ، بدلا عن شمالنا واليمين ، ولم يكن بين كلامنا وكلامه بون ، اذ هو لنا فى أمور الدنيا نعم العون ، والتزمنا كل ما عساه يسنده الينا ، وبما يرى ، ثقة بأنه الناصح الأمين ، الذى لا ينطق عن الهوى ، وربما شرذمة من الجهال ، من الجهتين من أهل الشقاق والنفاق (الذين) لا تجتمع كلمتهم على الوفاق ، ينافى طبائعهم الصلح ، « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره » لاختلاف ملتهم ، وطمعا فى ادراك بغيتهم ، فالواجب أن لا تسمع أقوالهم ، وتترك أفعالهم « أولئك الذين حبطت أعمالهم » ومن المعلوم أن كل أمر ...[1] الوجه الجميل ، بحيث تنحسم فيه مواد القال والقيل ، لا ينبغى أن تكون الحال فيه بالضد ، وخصوصا فى الخطب الأد ، والأمر الجد « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » وكتب فى أوائل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، بمقام تبريز ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » ...

سنة ٦٨٤ « ور ٢٣١ » « وكذلك أغار الأمير هبة[2] بن الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا على بلد الشرق ، من جهة آمد ونصيبين ، وكان معه حشود كثيرة من أصحابه ومن حشود الرحبة ، وغنموا ما يزيد عن (كذا) ثلاثين ألف رأس من الأغنام ، وجملة من الأبقار ، وغير ذلك ، وخرجوا سالمين غانمين ، وارتجت بلاد الكفار بهذه الاغارة ، وذلت بها الأعـداء ... » .

مصطفى جواد

(١) بياض فى الأصل .
(٢) لعل الأصل « مهنا » .

المصطلح الفنى فى اللغة العربية (*)

اهمية المصطلح الفنى

يقوم الانتاج فى المجتمعات العصرية ويقوم العمل فى حقول التخصص العلمى والفنى على قواعد من العلوم الطبيعية والرياضية . ففى المصنع والمنجم والمزرعة ، وفى الجامعة ومعهد البحوث والمختبر ، يجرى العمل على طرائق وفى أوجه تخصص نشأت من تلك العلوم الطبيعية والرياضية وعلى تطبيقات هندسية و « تكنولوجية » لها .

ان الذين يعملون فى حقول الانتاج فيتخذون موضوعات التخصص الفنى العديدة مهنة لهم من مهندسين وكيميائيين وفيزيائيين وعمال ماهرين ، عليهم أن يستخدموا لغة للتفاهم والتعامل يكون للمصطلح الفنى فيها المقام الاول .

وان مؤسسات البحث والاشتغال العلمى ومعاهده بنوعيها الاساسية والتطبيقية ـ وقد لازمت الانتاج العصرى وأضحت مصدر تقدمه ـ تجد نفسها قاصرة عن تأدية مهمتها اذا لم تول المصطلح الفنى عناية كبيرة ، وتسر على أسس وقواعد صحيحة فى وضعه وفى استخدامه . والمصطلح فى محيط عمل تلك المؤسسات ، فى نشوء وتكون وتولد ، يسير مع نشوء العلوم وتقدمها .

وان الذين يدرسون للتخصص بالعلوم والفنون ، عليهم أن يدرسوا ويتتبعوا فى لغة لا يمكن التعبير فيها بغير المصطلح الفنى .

وان مؤسسات الانتاج عامة اذا كانت مما يتصل مباشرة بالمصنع أو المنجم أو المزرعة ، أو اذا كانت مما له علاقة بها فى الادارة أو التوزيع أو غير ذلك من متممات الانتاج ، تواجه جميعها المشكلة نفسها .

وان معدل القارىء يجد العلوم والفنون تلك قد دخلت فى حياته اليومية كفرد وكمواطن . وقد كان ذلك خلال السنوات العشر الماضية على الأخص الى مدى يتضح من تتبع ما يقدم الى معدل القراء فى الصحف اليومية وفى المجلات فى البلاد الصناعية من بحوث ومعلومات علمية وفنية كانت ـ الى ما قبل الحرب العالمية الاخيرة ـ تعد من شأن العلماء والباحثين دون سواهم . وقد كان ذلك نتيجة دخول تلك العلوم والفنون فى الحياة العامة وارتباطها بواجبات المواطن وتكون صلتها بوعيه السياسى والاجتماعى وعلاقتها بمشكلات يومه .

(*) محاضرة ألقيت فى المجمع العلمى العراقى يوم السبت ٢٢ـ٣ـ١٩٥٠ .

يتضح من كل ذلك ما للمصطلح الفنى من أهمية فى لغة الانتاج العصرى ومؤسسات البحوث والاشتغال العلمى ، وفى الدراسات الجامعية للتخصص بالعلوم والفنون ، وفى الحياة العامة فى المجتمعات العصرية .

مشكلة المصطلح الفنى فى اللغة العربية ونتائجها

ان الأسس والقواعد العلمية للانتاج والتطبيقات والمبتكرات « التكنولوجية » فيه ، وان موضوعات التخصص الفنى ومواد البحوث العلمية والفنية ، جميعها نشأت علوما وفنونا جديدة أو فروعا جديدة فى نطاق علوم قديمة .

ان اللغة العربية محرومة من تلك العلوم والفنون الجديدة . ومشكلة المصطلح الفنى ، وصعوبة وضعه فى اللغة العربية ، كانت ولم تزل من أول أسباب ذلك . لا شك فى أن هنالك مشكلات فى التعبير فى الموضوعات الفنية باللغة العربية ، وتلك المشكلات تختلف بطبيعتها عن مشكلة المصطلح الفنى . وحل مشكلات التعبير الفنى ، مرهون بالزمن وبتداول العلم والفن ، وهى لذلك لا تدخل فى نطاق بحثنا .

يجد العامل فى ميدان العلوم والفنون فى المجتمع العربى (وخاصة فى حقول الصناعة والتعدين والزراعة وفى البحوث العلمية والفنية وفى تدريس العلوم والفنون) أن اللغة العربية لا تصلح وسيلة للتفاهم فى حقول التخصص تلك ، ويجد أن قيام انتاج عصرى فى البلاد ووقوع تطور علمى وفنى فيها على قياس مجد يتصل بقبول اللغة العربية تلك العلوم والفنون وما نشأ منها من تطبيقات « تكنولوجية » قبولا تاما ، ويجد كذلك أن لا مناص من فتح باب اللغة العربية على مصراعيه اذا أريد ألا تكون اللغات الأجنبية وسائل للتفاهم والتعامل فى حقول الانتاج والاشتغال العلمى وفى محيطات الدراسة ، تلك اللغات التى تتعدد باختلاف البلاد التى يكتسب فيها أبناء الضاد تخصصهم . هذا الى أن استخدام اللغات الأجنبية فى التفاهم والتعامل فى حقول الانتاج ، يضيع على الكثرة من أبناء العربية ممن يتلقون العلوم والفنون فى بلادهم اكتساب المرانة والخبرة والتخصص ، ثم يعوق انتشارها ، كما أنه يحول دون التفاهم بين القلة ممن تلقوا العلوم والفنون فى البلاد الأجنبية بلغات مختلفة .

ان ما يحول دون قبول اللغة العربية تلك العلوم والفنون هو مشكلة المصطلح الفنى وصعوبة وضعه فى اللغة العربية ، فان ما وضع من مصطلحات علمية فى اللغة العربية خلال سنوات عديدة خلت ، لا يتعدى مبادىء العلوم من مستوى الدراسة الابتدائية والدراسة الثانوية . أما المحاولات التى كانت لوضع مصطلحات فنية عربية فى حقول الانتاج من صناعة وتعدين وزراعة وفى اعمال البحوث العلمية والفنية وفى تدريس الموضوعات التخصصية فى الجامعات والمعاهد ، فقد كانت عديمة الجدوى . وما وضع من مصطلحات قليلة جاء موسوما بالتكلف ضعيفا فى مؤداه يختلف باختلاف القطر الذى وضع فيه ، وما أزالت السنون الطوال اختلافا فى وجهات النظر وتباينا فى الأسس

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والفروع كانا يصحبان تلك المحاولات .

تلك صورة لمشكلة المصطلح الفنى فى اللغة العربية فى مرحلتها الراهنة .

بعض ما كان من حلول

وضعت بعض المصطلحات الفنية فى اللغة العربية باختيار ألفاظ عربية تقارب المعانى الظاهرة للمصطلحات الأجنبية ، وصيغت بعض المصطلحات من الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلحات الأجنبية ، واستعين فى الاصطلاح ـ فى بعض الحالات ـ بالمصادر والنصوص القديمة . وفى الفقرات التالية تتناول بالبحث كلا من تلك الحلول .

وضع المصطلح الفنى : عاملا النشوء والزمن فى تكوين المصطلح الفنى الأجنبى

ان اختيار لفظ عربى يقارب المعنى الظاهر للمصطلح الأجنبى ، لا يفى بالغرض ، وهو الى ذلك مطلب عسير . فاللفظ الموضوع اذا أريد أن يكون متداولا ، وهو الأفضل فى الوضع وأقرب الى تأدية الغرض ، فان المعانى المتداولة فى بيئة مبتدئة فى مضمار التقدم العلمى يندر أن تصح مقابلا للمفاهيم العلمية والفنية العصرية وتطبيقاتها « التكنولوجية » المخصصة . أما اذا كان اللفظ الموضوع بعيدا عن التداول ممعنا فى الغرابة ـ وهذا ما كان ينحو اليه المعنيون بهذا المجال فى كثير من الحالات ـ فان النتيجة تكون عديمة الفائدة ، وعبئا على القارىء والدارس والمتتبع ، ولا تكون عونا لهم فى حال ما .

ان المصطلحات الفنية نشأت فى اللغات الأجنبية مع نشوء الموضوع العلمى والفنى فيها ، فكان المصطلح يوضع لمفهوم علمى جديد ، فينمو بمعناه بصورة تدريجية مع نمو المفهوم العلمى الذى يعبر عنه فى ذلك الموضوع ، فيصطبغ المصطلح بالمعنى ، ويسهل قبوله لدى القارىء . ومن الواضح أن نشوء المصطلح على هذا الشكل يختلف اختلافا تاما عن الحالة الناشئة عن دخول علم متكامل الى لغة لم يكتب فيها قبلا كما هى الحال فى وضع المصطلح باللغة العربية . فعنصرا النشوء والزمن اللذان يسرا وضع وتكون المصطلح فى اللغات التى نشأ فيها العلم أو الفن ـ هما مفقودان فى حالة الوضع دفعة واحدة وعلى قياس واسع فى اللغة العربية . فلا النشوء والتدرج يعينان على ربط اللفظ بالمفهوم العلمى خلال فترة النشوء ، ولا عامل الزمن كائن ليجعل من تخصيص اللفظ للمفهوم العلمى المعين مساعدا على بناء مصطلحات أخرى فى ذلك العلم والتقدم خطوة أخرى فى كتابة الموضوع فى اللغة الجديدة ، وعامل الزمن ذو أهمية قصوى فى هذا المجال ، وكثيرا ما عمل الزمن وشيوع المصطلح فى التداول على ثبوت ذلك المصطلح على الرغم من نقص فى معناه عند وضعه .

ولايضاح كيفية نشوء المصطلح الفنى فى اللغات الأجنبية مع نشوء الموضوع الفنى ، نقدم مثالا من صناعة التعليب ، وهى صناعة حفظ المنتجات الغذائية فى علب الصفيح .

كان نشوء صناعة التعليب قبل مئة سنة تقريبا ، وقد وجدنا فى مجلة أخبار لندن المصورة ـ فى جزء منها صادر قبل مئة سنة (٣١ كانون الثانى سنة ١٨٥٢) ـ وصفا

لعمل من المعامل الأولى التى تأسست فى هذه الصناعة ، وقارنا المصطلح والتعبير اللذين كانا يستخدمان فى زمن نشوء الصناعة بالمصطلح والتعبير القياسيين فى هذه الصناعة فى الوقت الحاضر •

كان ما يعرف اليوم باللولب البخارى (Steam Coil) يوصف فى ذلك الحين بأنه «تفرعات كثيرة من الأنابيب البخارية (Abundent ramifications of steam pipes) ووصف ما يعرف اليوم بالتخلية (Exhausting) فى هذه الصناعة بوصف مطول كثر فيه ايراد المترادفات والألفاظ ، فقيل : ولكيما يطرد الهواء من عظام الدجاج والفجوات الأخرى يقوم السادة أبرت وكولدنر بتبديد كل أثر باق من الهواء الجوى •

(The need to expel all the air from inside the bones of fowls and other interstices, Messrs. Appert and Goldner dispel every lingering trace of atmospheric air) .

يظهر من هذا أن مصطلحين فنيين فى موضوع هذه الصناعة هما اللولب البخارى (Steam Coil) والتخلية (Exhausting) ، كانا فى أول نشوء الصناعة عبارة عن تعريفين تكثر فيهما الأوصاف والمترادفات ، فصارا بعد تقدم الصناعة زهاء مئة عام مصطلحين مخصصين شائعين سائغين فى اللغة الانكليزية يحملان مفهومين محددين قياسيين ، ويقبلان قبولا طبيعيا فى التعبير والتعامل والكتابة فى صناعة التعليب وفى غيرها من الصناعات حيثما استخدم اللولب البخارى فى التسخين وحيثما دخلت التخلية فى الصنع •

صوغ مصطلح عربى من الاصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبى

ان ترجمة الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الفنى وصوغ مصطلح عربى منها ، يعطيان مصطلحا ناقصا فى معناه • فالمصطلح الفنى لم يعد باقيا فى حدود معانى أصوله الاغريقية واللاتينية ، بل نما بمفهومه الفنى باطراد نمو الموضوع الفنى ، وأصبح بعيدا عن مدلوله الأول • ومحاولة كهذه لا تعطينا الا مصطلحا عربيا قد تجرد مما تجمع فى مقابله الأجنبى من مفاهيم علمية وفنية اكتسبها خلال نشوء العلم والفن • وكمثال لذلك نأخذ مصطلح (Halogenation) • فكلمة هلوجين (Hologen) معناها فى الاغريقية مولد الملح، وهو عنصر أو جذر يكون الملح اذا اتحد مع فلز ، ومن أمثلته الكلور والبروم والفلور، ان توليد الملح من الكلور (فى أحد مركباته) مثلا ، والفلز (فى مركب فلزى) وهو التوليد الذى أعطى الكلور اسم مولد الملح ، لم يعد التفاعل الأول للكلور فى الكيمياء أو الصناعة أو البحث ، بل أصبح دخول الكلور أو البروم أو الفلور فى التركيب العضوى وما يقوم على ذلك من صناعة وفنون وبحوث من المفاهيم العلمية الواسعة التطبيق الكبيرة الأهمية • واذا كان مفهوم (Halogenation) قد نما فى اللغة الانكليزية باطراد نمو الموضوع ، فابتعد عن المعنى الاغريقى الأصلى من الناحية الواحدة ، واكتسب المفهوم العلمى الجديد من الناحية الثانية ، فان شيئا من هذا لم يقع فى اللغة العربية ، ولذلك

لا يمكننا استخدام كلمتى التوليد الملحى كمصطلح فنى يقابل(Halogenation)بأى حال من الأحوال •وليس لنا الا أن نقبل بمصطلح (الهلجنة) فهو يؤدى المعنى التام من الناحية الواحدة ، وهو لفظ يمكن استخدامه فى التعبير على اختلاف مشتقاته وفى مختلف المواضع من الناحية الثانية •

قد يفى بالغرض صوغ المصطلح من الأصول الاغريقية واللاتينية فى مبادىء العلوم من مستوى الدراستين الابتدائية والثانوية ، الا أنه لا يفى بالغرض فى حقول الانتاج والاشتغال العلمى ومعاهد البحوث العلمية والفنية والدراسات الجامعية التخصصية • أضف الى ذلك أن المصطلحات العلمية والفنية فى هذه الحقول لا تكون من أصول أغريقية أو لاتينية الا فى القليل من الحالات •

الرجوع الى المصادر والنصوص القديمة واختيار مصطلحات مما ورد فيها

اذا رجعنا الى المصادر والنصوص القديمة نستمد منها مصطلحات علمية وفنية نستخدمها فى حقول الانتاج العصرى ، نجد أن ما ورد فى تلك المصادر من مصطلحات لا يمكن استخدامه فى تلك الحقول ، كما أننا نجد أن كثيرا من المصطلحات القديمة تعبر عن مفاهيم لم تعد جزءا من أسلوب الصنع الجديد ، هذا من ناحية • ومن ناحية أخرى نجد أن المصادر القديمة ليست غنية بما يمكن أن يتخذ مادة خاما فى وضع المصطلحات فى علوم وفنون جديدة ، وأن أساليب الصنع الحديثة ومراحله وعملياته والمفاهيم العلمية والفنية التى تنطوى عليها والتى تأخذ بها المصطلحات الحديثة ، لا مقابل لها فى المصادر والنصوص القديمة •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاذا أخذنا أحد تلك المصادر وهو (المخصص) لابن سيده ، وبحثنا فى موضوع الدباغة مثلا ، وهو موضوع تناول (المخصص) مصطلحاته القديمة بأوسع مما تناول الموضوعات الأخرى ، نجد أنه قد أورد عددا كبيرا من المصطلحات الفنية فى موضوع الدباغة بأساليبها الأولى عند العرب ، ونجد أن هذه المصطلحات شاملة متقنة فى نواح خاصة قليلة لم تعد جزءا من أسلوب الصنع فى الدباغة العصرية ، ثم نجد أن المخصص خال من مصطلحات تقابل مفاهيم وعمليات الصنع الأساسية فى الدباغة العصرية •

ولايضاح ذلك نورد أمثلة من تلك المصطلحات ، ونتناول البحث فيها •

ولنبدأ بمصطلح للجلد المدبوغ المعد ، ويقابل ذلك كلمة (Leather) فى اللغة الانكليزية • فقد أورد المخصص مصطلح « المنيئة ـ وهو الجلد أول ما يدبغ » ، ثم « الأفق ـ وهو المستوفى للدباغ ولم يشق بعد » ، ثم « الأديم ـ وهو الأفق اذا شق وبسط حتى يبالغ فيه ما قبل من الدباغ » ، فيبدو أن كلمة الأديم هى المصطلح المطابق لكلمة (Leather) • ولكننا لا نلبث أن نجد كلمة الأديم قد أطلقت فى مواضع كثيرة من المخصص نفسه ومن غيره من المصادر على الجلد الخام غير المدبوغ ، ومن هنا كان استخدامها مصطلحا مخصصا لكلمة (Leather) غير سليم •

أورد المخصص مصطلحا للجلد الخام صالحا هو الاهاب ، وما استخدم هذا المصطلح لغير الجلد الخام . الا أن المخصص كان خاليا مما يمكن اطلاقه على صنفين رئيسيين من الأهب هما الأهب الخفيفة ،ومقابلها فى الانكليزية (Skins) ، وهى أهب الضأن والماعز . والأهب الثقيلة ، ومقابلها فى الانكليزية (Hides) ، وهى أهب البقر والجاموس والابل . وهذان الصنفان من الأهب ، جعلا من صناعة الدباغة العصرية فرعين رئيسيين يختلف أحدهما عن الآخر . فمن الأهمية بمكان أن يكون لكل من الصنفين مصطلح فى الصناعة . وفى اللغة الانكليزية نجد لمصطلحى (Skins) و (Hides) أهمية كبيرة فى التعبير والتعامل فى محيط هذه الصناعة .

أورد المخصص لجلد السخلة أسماء كثيرة هى : « الشكوة ـ مسك السخلة ما دام يرضع » و « البدرة ـ مسك السخلة اذا فطم » ، و «السقاء ـ مسك السخلة اذا اجذع» ، و « الوطب ـ جلد الجذع فما فوق » ، وهى مصطلحات شاملة فى ناحية معينة الا أنها لا تمت الى أساليب الصنع فى الدباغة العصرية بصلة مجدية .

ومن مصطلحات المخصص : « الحلم ـ الجلد اذا تثقب من التعفن » ، و « الحلاءة ـ قشرة الجلد الرقيقة التى تكون فى أصول الشعر يقشرها الدباغ » ، و « التحلىء ـ شعر وجه الأديم » ، وهى مصطلحات لا تسد فراغا فى التعبير فى موضوع الدباغة العصرية .

ومهما يكن من أمر المصطلحات الواردة فى المخصص فى موضوع الدباغة ، فانها لا تتناول المفاهيم التى تنطوى عليها أساليب الدباغة العصرية وأجهزتها والعمليات التى تتألف منها فى مختلف المراحل . ففى المراحل التحضيرية من الدباغة ، نجد المصطلحات الانكليزية التالية :

Pickling, Sweating, Liming, Plumping, Falling, Bating, Puering, Drenching .

وفى مراحل الدبغ الكرومى والباتى والشبى والحديدى والزيتى وغيرها ، نجد المصطلحات التالية : Stuffing, Fat Liquering, Currying, Loading .

وفى المراحل الاكمالية ، نجد المصطلحات التالية :

Staking, Glazing, Rolling, Ironing, Plating, Graining, Embossing, Buffing .

وليس بين المصطلحات الواردة فى المخصص ما يمكن أن يتخذ مقابلا لمصطلح من هذه المصطلحات الانكليزية فى الدباغة ، وليس بينها ما يتناول موضوع تلك المصطلحات من قريب أو بعيد لكيما يتخذ مصطلحا بعد أن يخصص ويشاع استخدامه ، فهى لذلك لا تسد فراغا يذكر فى موضوع الدباغة العصرية .

لقد تناولنا فى مثالنا موضوع صناعة قديمة هى الدباغة ، وبحثنا فى مصدر من أغنى المصادر القديمة ، فلم نجد من المصطلحات ما يمكن التعبير به عن أساليب الصنع الجديدة

فى تلك الصناعة • فاذا كانت الصناعات التى نستمد مصطلحات عربية فى موضوعها من المصادر والنصوص القديمة صناعات جديدة مستحدثة تقوم على فنون اكتشفت فى العصر الحديث ، ولم يكن للعربية سابقة فيها ، فان ما يمكن للمصادر القديمة أن تمدنا به نادر حقا •

وضع مصطلحات عربية على نطاق واسع دون غيرها ليس بحل

قلنا فى فقرة متقدمة ان تكوين المصطلح الفنى فى اللغات الأجنبية جاء مع نشوء الموضوع الفنى فى تلك اللغات ، فكان التدرج فى الموضوع الفنى يعين على قبول المصطلحات الجديدة التى تنشأ فى مراحل ذلك التدرج • ومن الواضح أن وضع المصطلحات الفنية فى اللغة العربية فى علم أو فن دفعة واحدة كما تقضى به الحال ، لا يساعد على تكوينها تكوينا صحيحا ، لذلك فان اختيار ألفاظ عربية تقارب المعنى الظاهر للمصطلح الأجنبى اذا جرى فى موضوع ما على نطاق واسع ، لا يفى بالغرض ، ولا يعطينا مصطلحات مفيدة • ان مصطلحى اللولب البخارى (Steam Coil) والتخلية (Exhausting) اللذين وردا فى فقرة متقدمة هما بعيدان ـ على الرغم مما يبدو من صلاحهما ـ عن أن يكونا مصطلحين مخصصين مقبولين قبولا عاما فى العربية ، وقد يكونان كذلك بعد بضع سنين • أضف الى هذا أن المصطلحين يتناولان عمليين أوليين فى الصناعة ، وأنهما بالقياس الى المصطلحات « التكنولوجية » الأخرى ، يعدان من المصطلحات الابتدائية •

وقلنا فى فقرة أخرى ان صوغ المصطلح العربى من الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبى ، يعطينا مصطلحا قد تجرد مما تجمع فى مقابله الأجنبى من مفاهيم وتداعى معان ومما ارتبط بالمصطلح من محيط استعماله خلال نشوء العلم • فاذا صيغت المصطلحات العربية من الاصول الاغريقية واللاتينية على نطاق واسع ، واستخدمت فى كتابة الموضوعات الفنية ، جاء الموضوع المكتوب ثقيلا يعسر تتبعه •

وبينا أن ما يمكن للمصادر والنصوص القديمة أن تمدنا به من مصطلحات عربية فى موضوعات الانتاج العصرى التى تتناول علوما وفنونا جديدة لم يكن للعربية سابقة فيها ، نادر جدا •

المصطلح العلمى مصطلح أممى

يتسم العلم بطابع الأممية فى منشئه وفى استخدامه ، فقد نشأت العلوم قديمها وحديثها من نتاج علماء من أمم كثيرة ، ودونت فى لغات عديدة ، ولم يكن استخدامها ملكا لأمة دون أخرى • ولغة العلوم والفنون العصرية أممية فى ناحية المصطلح • فالمصطلحات العلمية والفنية موحدة بين اللغات الحية الى مدى بعيد جدا ، فالانكليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها تشترك فى المصطلحات العلمية والفنية ، ولا يقف هذا الاشتراك عند حدود اللغات الغربية ، فقد تعداها الى لغات شرقية كثيرة لما أخذت تلك اللغات بالانتاج العصرى وفنونه •

قبول المصطلح الأجنبى فى العربية

اذا كان وضع المصطلحات العربية على نطاق واسع باختيار ألفاظ عربية تقارب المعنى الظاهر للمصطلح الاجنبى ليس بحل ، واذا كان صوغ المصطلح العربى على نطاق واسع من الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبى ليس بحل ، واذا كان الرجوع الى المصادر والنصوص القديمة على نطاق واسع ليس بحل ، فالحل فى أن يكون وضع المصطلح العربى باختيار ألفاظ عربية تقارب المعنى الظاهر للمصطلح الأجنبى فى حدود تؤمن سلامة الموضوع الفنى وسهولة فهمه والابتعاد عن ارباك الدارس والمتتبع ، وهى حدود لا شك ضيقة ، وأن يكون صوغ المصطلح العربى من الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبى فى حدود ضيقة كالتى بينا آنفا ، وأن يكون ذلك فى نطاق الدراستين الابتدائية والثانوية وفى المواضيع التخصصية فى العلوم الاساسية فى الدرجة الأولى وليس فى العلوم التطبيقية ، وأن يكون الرجوع الى المصادر والنصوص القديمة فى حدود ضيقة أيضا • فاذا تعذر بعد ذلك وضع مصطلح عربى صحيح مفيد سائغ ، أو صوغه ، نعود الى المصطلح الأجنبى ، ونقبل منه فى العربية ومن غير تردد كل ما يترتب علينا قبوله فى سبيل نقل الموضوع العلمى أو الفنى الى اللغة العربية وفى سبيل تأمين سلامة الموضوع الفنى وسهولة دراسته والتتبع فيه• وقد يكون ما نقبل من المصطلحات الأجنبية فى اللغة فى بعض الحالات والموضوعات ، وقد يكون فى الكثرة فى بعض آخر ، وذلك تبعا لنوع الموضوع ولما يتيسر تأمينه من المصطلحات العربية عن طريق وضع المصطلح باختيار الألفاظ العربية المقاربة ، أو صوغ المصطلح من الأصول الاغريقية واللاتينية أو الرجوع الى المصادر القديمة •

ناظمان فى قبول المصطلح الاجنبى

ينبغى أن يكون قبول المصطلح الأجنبى فى العربية بأقيسة عربية ، وأن يكون له عن طريق المجامع العلمية واللغوية •

اللغة كأداة للانتاج وكأداة علم

ان من أول ما يجب تحقيقه فى سبيل قيام مجتمع عربى عصرى أن تكون اللغة العربية أداة للانتاج العصرى وأداة للتعبير فى حقول التخصص العلمى والفنى ، ومن هنا ينبغى أن ينظر الى مشكلة المصطلح الفنى على أنها مشكلة علم ولغة ، وليست مشكلة لغة فقط •

ان انتقال العلوم والفنون العصرية الى اللغة العربية باق ما دامت مصادر التقدم العلمى والفنى تكتب بلغات غير عربية ، وما دام العلم والفن وأساليب الانتاج أممية تنمو بما تتغذى من نتاج الأمم كلها • وفى مجال هذا الانتقال يعمل فى حقول الانتاج وفى حقول الاشتغال العلمى والفنى جماعة من أبناء الضاد تلقوا العلوم والفنون فى لغات أجنبية • وتتقدم فى ناحية أخرى من هذا المجال جماعات كثيرة من أبناء الضاد تلقوا العلوم فى بلادهم عاملين

على اكتساب الخبرة والمرانة والتخصص عن طريق التتبع والاتصال بالمراجع العلمية والفنية وعن طريق الاشتغال العلمى فى الانتاج وفى المعاهد الفنية .

ان وضع المصطلحات العربية باختيار ألفاظ عربية أو صوغها من الأصول الإغريقية واللاتينية ، أو الرجوع الى المصادر القديمة على الصورة التى بناها فى فقرات متقدمة ، ثم الاعراض عن قبول المصطلح الاجنبى فى اللغة العربية ، لما يكلف الذين تلقوا العلوم والفنون فى لغات أجنبية عناء العمل فى لغة فنية لا يعرفونها ، فيربك عليهم العمل ، ثم يكلف الذين تلقوا العلوم والفنون فى بلادهم عناء التتبع فى لغات أجنبية لا يرتبط المصطلح فيها بمحيط استعماله فى لغة دراستهم فيعوق ذلك ـ الى حد بعيد ـ تقدمهم فى موضوع تخصصهم واكتسابهم الخبرة والمرانة .

وفى كلتا الحالتين تقف المصطلحات العربية التى لا يراعى فى وضعها ما قدمنا فى فقرات سابقة عائقا فى طريق انتقال التخصص فى العلوم والفنون ، واكتساب الخبرة والمرانة ، وقيام انتاج عصرى على قياس مجد فى بلادنا ، وتكون ثروة من العلم والفن فى مجتمعنا لا يعادلان بثمن .

شوقى ضيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موارد تأريخ الطبرى

تاريخ الفرس والروم

وتختفى أسماء الرواة فى الفصول التى دونها الطبرى عن تأريخ الفرس والروم ، فلا نقرأ تلك الجمل التى كان يكثر من ترديدها فى تأريخ الرسل والأنبياء فى صدر كل خبر ورواية ، مثل : « حدثنا فلان قال حدثنا فلان عن فلان عن ... قال : » ، أو « حدثنى فلان ، قال : حدثنا ... قال : أخبرنى فلان .. قال : أخبرنى ... قال : .. » ، واستعاض عن هذا وأمثاله فى الغالب بجمل بنيت على المجهول ، لم يصرح فيها باسم الراوية الذى روى له الخبر ، أو المورد الذى أخذ منه . وقد أوجد لنا الطبرى بطريقته الجديدة هذه مشكلات حالت بيننا وبين التوصل الى الموارد التى نقل منها تلك الأخبار .

ونجد فى « تأريخ الأمم والملوك » تفصيلا عن تأريخ الفرس لا نجده فى كتاب آخر دون فى زمانه أو بعده فى التأريخ العام ، وهو — لما حواه من مادة — من الموارد التى يعتمد عليها الباحثون اليوم فى تدوين تأريخ العجم ، ولكن هذا لا يعنى أنه حوى كل ما وعاه الفرس ، وما نقله النقلة الى العربية من تأريخ الفرس ؛ فاننا نجد فى الكتب الباقية التى تعرضت لتأريخهم أو لتأريخ العرب والفرس أمورا لا نجدها فى تأريخ الطبرى . وقد اعتمد عليه « نولدكه Noldeke » فى تدوين تأريخ الفرس والعرب فى أيام الساسانيين[1] .

وقد قسم بعض المؤرخين تأريخ الفرس الى أربع طبقات : الطبقة الأولى الفيشدادية وهم أقدم الطبقات ، والطبقة الثانية الكيانية ، والطبقة الثالثة الأشغانية ، والطبقة الرابعة الساسانية[2] . أما الطبرى ، فقد سلسل تأريخهم على هذا الأساس ، ولكنه لم يتحدث عن طبقة طبقة فى فصل خاص ، الا الأشغانية الذين يبدأ تأريخهم بـ « أشك بن أشجان » ، فقد وضع لهم عنوانا خاصا هو : « الملوك الأشغانيون » ، وقد دعاهم أيضا بـ « ملوك

---

(١) Noldéke, Geschichte der Perser und Araber zur zeit der Sasaniden. Aus der Arabi. chronik. des Tabari übersetz und mit ausfurhlichen erlauterungen und erganzungen Versehen, Leiden 1879.

(٢) حمزة (ص ١٢ — ١٣) .

الطوائف »[١] ، وجعل عنوان الطبقة الرابعة ، وهى الطبقة التى خلفت « الأشغانية » ، « ملوك الفرس » ، وذكر أن أول ملك من ملوكها هو من أبناء ساسان[٢] . وهذه الطبقة هى طبقة الساسانيين .

ويبدأ تأريخ الفرس عند الطبرى ببداية تأريخ البشر ، أى بتأريخ آدم ، وآدم هو جيومرت[٣] على رأى أكثر علماء الفرس . ولذلك تحدث عنه فى أثناء الكلام على « آدم »[٤] ، وذكر أن بعضهم كان يزعم أنه أبو الفرس[٥] . وأما أوشهنج ، فهو أول ملوك الفرس[٦] . وقد عاش فى أيام آدم أو بعده بمئتى عام[٧] . ولم يصرح الطبرى بأسماء من أخذ منهم أخباره عن جيومرت وأوشهنج ومن خلفه من الملوك الفيشداديين ، ويظهر من تعابيره التى استعملها فى الأوراق التى دونها عنهم أنه استمدها من المعنيين بتأريخ الفرس ومن مؤلفاتهم ، وذلك كالذى يظهر من قوله : « وأما الفرس فانهم قالوا ... »[٨] . ولابن الكلبى أقوال وتعليقات[٩] لا ندرى من أين جاء بها الطبرى ، أجاء بها من كتب ابن الكلبى ، أم أخذها من أفواه مشايخه ؟ والذى يخيل الى أنه نقلها من كتبه ومؤلفاته ، والا فما الذى منع الطبرى من الاشارة الى أسماء من دون تلك الأخبار . وقد قص علينا فى أخبار الرسل والأنبياء وفى أماكن أخرى أسماء من حدثه بروايات ابن الكلبى وعمن أخذوا الى أن يتصل بهشام ، أو بصاحب الخبر ، أو بشاهد العيان .

وما دونه الطبرى وغيره عن تأريخ الفيشدادية والكيانية والأشغانية ، أكثره أساطير وقصص شعبى يذكرنا بقصص اليونان وبالأساطير التى رووها عن ملوكهم ، وأقله تأريخ جمع ودون فى عهد الساسانيين . أما تأريخ الساسانيين ، فأحسن حالا ؟ ففيه مادة تأريخية . وقد كتب فى أيام الساسانيين كذلك ، وأضيف الى المحفوظ ما دونه أهل الحيرة ، وما حفظه الرواة والأخباريون عن علاقة العرب بالفرس .

---

(١) الطبرى (٢/١١) .
(٢) الطبرى (٢/٥٦) .
(٣) « كيومرت » حمزة (ص ١٢) « فالفرس كلها بأسرها تزعم أن ابتداء التناسل كان من رجل يقال له كيومرت ملك الطين ، أى كلشاه ، وبقى على الارض أربعين سنة » .
(٤) الطبرى (١/٧٣) .
(٥) الطبرى (١/٧٤) .
(٦) حمزة (ص ١٢) .
(٧) الطبرى (١/٧٦ - ٧٧) .
(٨) الطبرى (١/٨٦) .
(٩) الطبرى (١/٨٦) وفى مواضع أخرى .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وابن الكلبي هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي أبو المنذر المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة[١] ، وهو في طليعة المشتغلين في الأنساب والأخبار وفي تأريخ العرب قبل الاسلام ، والمرجع المعول عليه في تأريخ الحيرة والعراق واليمن . ورث من أبيه الميل الى الأخبار ، فصار من كبار الأخباريين ، وألف في ذلك كتبا . وله أكثر من مئة وخمسين مصنفا[٢] ، أو مئة وأربعة وأربعون مصنفا[٣] . وقد اتهمه المحدثون بالضعف ، والكذب ، وترك أكثرهم الرواية عنه . وأعتقد أنهم تحرجوا الرواية عنه في حديث الرسول وفي التفسير . أما الأخبار والأنساب ، فانهم يعترفون بعلمه فيها ، وبباعه الطويل في هذين الموضوعين .

ويرى نولدكه أن هذه التهم التي وجهت الى ابن الكلبي لم تكن دائما على حق ، ويرى أن كثيرا مما رواه كان صوابا ! وأنه قد سلك سبيلا قريبا من العلم في دراسة الوثائق الأصلية والمخطوطات[٤] . وأنا ، مع تقديري لجهود ابن الكلبي وسعة حفظه وعنايته بأخبار العرب قبل الاسلام ، أرى فيه ضعفا من حيث ميله الى التظاهر بالعلم والدراية بكل خبر قديم . ففي تأريخ الطبري وفي مؤلفات أخرى ، روايات نسبت اليه ، ان صح أنها صدرت منه وأنه هو قائلها حقا ، فانها تدل على ضعف ملكة النقد لديه ، وعدم تمييزه بين المعقول والمنقول ، بين الصحيح والفاسد ، ولا سيما في أخبار الأوائل وفي الاسرائيليات . وقد كان من المغالين في الأخذ بأقوال أهل الكتاب الذين لم يكونوا في الواقع من أصحاب العلم والفهم . فنرى أن شيئا كثيرا مما رواه على أنه من التوراة ، لا يمت اليها بصلة ما ، بل لا يمت بصلة ما حتى الى التلمود و « المدراش » ، وقد نرى خلطا يصعب وقوعه من رجل من أهل الكتاب . وهذا مما يحملنا على اطراح الثقة به في بعض الأمور ، والشك في صحة ما يرويه ، بل يحملنا على التفكير في أنه كان يفتعل الأخبار أحيانا للظهور بمظهر العالم المحيط بكل خبر قديم .

وترجع أكثر الروايات المدونة في تأريخ الطبري عن صلات الفرس بالعرب ، ولاسيما باليمن ، الى ابن الكلبي . ولضياع أكثر مؤلفاته وعدم وصولها الينا حتى الآن ،

---

(١) ابن سعد (٦/٢٤٩) ، الارشاد (٧/٢٥٠ وما بعدها) ، تأريخ بغداد (١٤/٤٥) ، ابن حجر تهذيب (٩/٢٦٦) ، الذهبي : طبقات الحفاظ (١/٣١٤) .

(٢) لسان الميزان (٦/١٩٦) .

(٣) الفهرست (ص ١٤٠) وما بعدها ، لسان الميزان (٦/١٩٧) .

(٤) Noldeke, geschichte der Araber und Perser, S. xxvii .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يصعب علينا رجع ما نقله الطبرى عنه الى أصوله لدى ابن الكلبى ، غير أن فى الامكان الاستعانة بعناوين بعض مؤلفاته لتعيين المورد الذى أخذ الطبرى منه . فعن الممكن مثلا رد ما ذكر عن الضحاك ، وهو بيوراسب أو الازدهاق من روايات مرجعها ابن الكلبى ، لم يذكر لنا الطبرى من حدثه بها[١] ، الى مؤلف من مؤلفات هشام لم يصل الينا ، ولعله الآن مقبور فى خزائن الكتب ، اسمه خبر الضحاك[٢] ، يظهر أنه أخذه من الكتب التى نقلت عن الفهلوية الى العربية ، أو من رواة الفرس المعنيين برواية تأريخهم وحفظه ، وقد كان منهم عدد فى الكوفة . أما المتعلق منه باليمن وبالعرب ، وبنسب الضحاك فى اليمن ، فلا يمكن أن يكون من أصل فارسى . بل لابد أن يكون من أصل عربى ، من وضع ابن الكلبى نفسه ، أو من وضع غيره ، وقد يكون من وضع « الأبناء »[٣] الذين بقسوا فى اليمن ، فربطوا بين تأريخى العرب والفرس .

وأما ما رواه الطبرى من روايات نقلت عن ابن الكلبى فى ملوك الطوائف ، فان من الممكن رجعه الى كتاب آخر لم يصل الينا أيضا ، وانما ورد اسمه فى الفهرست لابن النديم ، اسمه كتاب ملوك الطوائف[٤] . وقد أضاف الطبرى الى روايات ابن الكلبى أخبارا يظهر أنه اقتبسها من كتب أخرى منقولة عن الفهلوية ، أو من كتاب سير ملوك الفرس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولابن الكلبى كتاب آخر له علاقة بتأريخ الفرس الساسانيين ، اسمه كتاب أخذ كسرى رهن العرب[٥] ، وكتاب ثان اسمه كتاب اليمن وأمر سيف[٦] ، كما أن له كتبا فى ملوك اليمن من التبابعة[٧] ، وفى أقيال حمير[٨] ، وفى الأوائل[٩] ، من الجائز

---

(١) الطبرى (١/٩٨) وما بعدها . غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبى (ص ١٨) وما بعدها .

(٢) الفهرست (ص ١٤١) ، وقد دعاه « حى الضحاك » وهو تحريف من النساخ على ما يظهر ، الأصنام تحقيق أحمد زكى باشا (ص ٧٣) .

(٣) الأبناء هم أبناء الفرس الذين جاءوا الى اليمن لتحريرها من الأحباش .
Ency., I, P. 72. Noldeke, geschichte der Perser und Araber zur zeit der Sassaniden, S. 220.

(٤) الفهرست (ص ١٤١) . (٥) الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧٤) .

(٦) الفهرست (ص ١٤١) ، « كتاب اليمن وأمر سيف بن ذى يزن » الأصنام (ص ٧٥) .

(٧) « كتاب ملوك اليمن من التبابعة » . الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧١) .

(٨) « كتاب أمثال حمير » الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧٢) .

(٩) الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧٢) .

أن يكون ابن الكلبي قد تعرض فيها لتأريخ الفرس . والظاهر أن الأوراق التي حبرها الطبري عن اليهودية في اليمن وعن النصرانية في نجران وغزو الحبشة لليمن ، ونهوض « سيف بن ذي يزن » لطرد الأحباش عن وطنه ، وهي روايات ابن الكلبي مضافا اليها روايات « محمد بن اسحاق »[١] أخذها الطبري من « كتاب اليمن وأمر سيف بن ذي يزن » لابن الكلبي ، ومن مؤلف « ابن اسحاق » . أما ابن اسحاق ، فترجع رواياته ـ على ما سترى ـ الى محمد بن كعب القرظي ، والى وهب بن منبه ، والى جماعة من أهل نجران . وما دونه عن كندة وصلتها بالفرس ، والحوادث التي كانت بين العرب في أيام قباذ[٢] ، قد انتزعه من كتاب آخر لابن الكلبي اسمه كتاب ملوك كندة[٣] . وقد نسب الطبري خبره الذي دونه عن قباذ والحارث بن عمرو بن حجر بن عدي الكندي الى ابن الكلبي ، الا أنه لم يذكر ـ على العادة التي جرى عليها في تأريخ الفرس ـ اسم المحدث الذي نقل اليه قول هشام . ونظرا لما عرفناه عنه من اغفال أسماء الكتب التي ينقل منها أو الكتاب الذي ينقل منه ، واستعمال جمل مبهمة مثل : « وذكر أهل العلم .. » ، أو « وزعم جماعة من علماء العجم .. » ، أو « وحدثت عن هشام بن محمد قال .. » ، ونحو ذلك مما يشير الى أنه نقل ما ذكره من الكتب ، فاننا ربما لا نكون مخطئين اذا قلنا ان الطبري قد نقل خبره المذكور من هذا الكتاب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وربما لا أكون بعيدا عن الصواب اذا ما زعمت لك أن الطبري قد نقل من كتاب آخر من كتب ابن الكلبي ، هو كتاب عدي بن زيد العبادي[٤] . وقد اعتمد ـ في تأليفه ـ على ما سمعه من « اسحاق بن الجصاص » ، وعلى ما أخذه من أبيه محمد[٥] .

واسحاق بن الجصاص ، أو اسحاق بن عماد ويعرف بابن الجصاص ويكنى أبا يعقوب ، هو من موالي اليمن ، وكان صاحب عيسى بن موسى في أوائل الدولة ، فكان الناس يقرؤون عليه الشعر في دار عيسى . ودرس عليه جماعة من كبار العلماء مثل الكسائي[٦] وابن الكلبي وأضرابهما . وقد سمع ابن الكلبي أخبار عدي بن زيد مشافهة

(١) الطبري (٢/٩٤) وما بعدها .
(٢) الطبري (٢/٨٩) وما بعدها .
(٣) الأصنام (ص ٧١) .
(٤) الأصنام (ص ٧٤) .
(٥) الطبري (٢/١٤٦) .
(٦) الارشاد (٢/٢٣٢ ـ ٢٣٣) .

من شيخه ابن الجصاص ، كما نقل من كتاب حماد[١] . ومات فى آخر أيام المنصور .

وقد اشتغل عبدالله بن المقفع ، وهو فى الأصل « روزبة بن داذويه » ، بنقل جملة كتب فى التأريخ والأدب من الفهلوية الى العربية ، منها : « كتاب خدينامه فى السير » ، « خداى نامك »[٢] ، و « كتاب آيين نامه فى الأخبار »[٣] وكتاب مزدك[٤] ، و « كتاب التاج فى سيرة أنو شيروان »[٥] ، و « كتاب كليلة ودمنة » ، وكتب أخرى[٦] . فمهد ابن المقفع - بترجمته لهذه الكتب - للمؤرخين الذين كانوا لا يعرفون الفهلوية أن يحصلوا على معارف فى تأريخ الفرس القديم . وذكر ابن النديم أن ابن المقفع « كان أحد النقلة من اللسان الفارسى الى العربى ، مضطلعا باللغتين ، فصيحا بهما »[٧] . أما فصاحته وتمرفته بالفهلوية فمسألة تحتاج فى رأيى الى دراسة دقيقة ومقابلة بين الأصول الفهلوية والنقول التى عملها ابن المقفع بالعربية ، للحكم فيها حكما علميا . ولا يصح الأخذ بالشهرة وبأقوال القائلين الذين لا تصدر أحكامهم عن دراية وعلم عميقين فى الغالب . وقد ضاعت الأصول ، كما ضاعت نقول ابن المقفع ، ولم يبق منها غير تتف وقطع حفظت فى كتب التأريخ والأدب ، لذلك صعب على المؤرخ والأديب اصدار حكم علمى فى فصاحة ابن المقفع فى الفهلوية ، وفى دقة نقله وسلامته ، وان كنا لا نشك فى فهمه لها وفى معرفته بفارسية زمانه ، وفرق كبير بين الفهم والفصاحة كما هو معلوم .

وقد ذاعت لابن المقفع شهرة واسعة فى الناس ، ومال القوم الى مطالعة ما كان يخرجه ، أو يخرج باسمه . قال المسعودى : « على أن من شيم كثير من الناس الاطراء

---

(١) الطبرى (٢/١٤٦) .

(٢) « خداى نامة » « خداينامة » « خدينامة فى السير » الفهرست ص ١٧٢ ، « خداى نامه ، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمى كتاب تاريخ ملوك الفرس » . حمزة ص ١٥ . « خداى نامه » فى الفارسية الحديثة و « خداينامك » « خدينامك » فى الفهلوية . Ency. , vol . IV , P. 180

(٣) الفهرست (ص ١٧٢) .

(٤) الفهرست (ص ١٧٢) ، سراج الملوك للطرطوشى (ص ١١٨) « طبعة بولاق ١٢٨٩ » .

(٥) الفهرست (ص ١٧٢) . Brockelmann , Suppl. I,S. 235.

(٦) الفهرست (ص ١٧٢) ، ذكرت أسماء كتبه الأخرى فى :

Brockelmann , Suppl. , 1 , S. 234-235.

(٧) الفهرست (ص ١٧٢) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

للمتقدمين وتعظيم كتب السالفين ، ومدح الماضى وذم الباقى ، وان كان فى كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى ، الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه ، فلا يرى الأسماع تصغى اليه ، ولا الارادات تيمم نحوه ؛ ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ، ثم ينحله عبدالله بن المقفع ، أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين ، فيقبلون على كتبها ، ويسارعون الى نسخهـــا ، لا لشىء الا لنسبتهـا الى المتقدمين »[١] .

ويظهر أن جملة رجال نقلوا كتاب خدينامة الى العربية ، ويعرف هذا الكتـاب فى الفهلوية « خدينامك ، خداينامك » Khvadhaynamagh[٢] (Khwadainamak)[٣]، وقد اشتهرت ترجمة ابن المقفع من بينها خاصة ، فرجع اليها أكثر المؤرخين . ومع شهرتها هذه ، وحرص الفرس على حفظ تأريخهم ، ضاع الأصل ، كما ضاعت ترجماته ، ترجمة ابن المقفع وترجمات بقية النقلة ، وهذا فى الواقع أمر غريب . وقد نقل الطبرى من ترجمة ابن المقفع ، غير أنه لم يشر الى اسمه ، ولم يذكره الا مرة واحدة فى تأريخه ، فى موضع لا علاقة له بهذه الترجمة ، أو بتأريخ الفرس[٤] .

وقد نقل ابن قتيبة أبو عبدالله محمد بن مسلم الدينورى ، المتوفى سنة ٢٧٠ أو ٢٧١ أو ٢٧٦ للهجرة[٥] ، من ترجمة ابن المقفع ، وأشار الى ذلك فى مواضع من كتابه عيون الأخبار[٦] .

وللتأكد من أخذ الطبرى من ترجمة ابن المقفع ، تمكن المقابلة بين تأريخ الطبرى وبين ما جاء فى عيون الأخبار عن الفرس . وقد تبين لى من المقابلة بينهما أن الطبرى قد

---

(١) التنبيه والاشراف (ص ٧٦ ــ ٧٧) .

(٢) Arthur Christensen, L'iran Sous les Sassanides. Copenhague 1936 , P.54

(٣) Brockelmann , 1. S.151 . Suppl.. 1 , S. 235.

(٤) فهرست تأريخ الطبرى (عمل دى غويه) ص ٥٦٧ .

(٥) الفهرست ص ٧٧ ، السمعانى : أنساب ورقة ٤٤٣ (أ) . ياقوت ارشاد (١/١٦٠) تأريخ بغداد (١٠/١٧٠) ، اليافعى مرآة (٢/١٩١) ، العماد شذرات الذهب (٢/١٦٩) . السيوطى بغية ٢٩١ .

(٦) « عيون الأخبار » طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٥م . وقد طبعت منه الأجزاء الأربعة فى أوربة بين عامى ١٨٩٨ ــ ١٩٠٨ للميلاد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقف على ترجمة ابن المقفع ، ونقل منها[١] . ويظهر لى أن الطبرى قصد ابن المقفع فى بعض الجمل ، مثل قوله : « وقال غير هشام من أهل الأخبار »[٢] ، فان العبارات التى ذكرها بعدها هى العبارات نفسها تقريبا الواردة فى « عيون الأخبار » ، وهى منقولة من كتاب سير العجم لابن المقفع . ويظهر أيضا أن الطبرى قصد كتاب خدينامه فى قوله : « ولذلك قصد لذكرهم فى كتاب سير الملوك . »[٣] وأما الضمير ، فيعود الى ابن المقفع مترجم الكتاب . وقد استفاد ابن قتيبة فى كتابه المعارف من ترجمة خدينامة ، وصرح بذلك فى مثل قوله : « ووجدت فى كتب سير العجم » و « قرأت فى كتب سير ملوك العجم »[٤] .

ونجد قطعا من نقل ابن المقفع فى كتاب آخر لم يطبع حتى الآن اسمه فى سجلات المخطوطات نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب ، توجد نسخة كاملة منه فى المتحف البريطانى[٥] ، ويوجد بعضه فى خزانة كتب مدينة « كوتا gotha » بألمانية[٦] ، وهو فى تأريخ الفرس والعرب . جاء فى نهايته : « انقضى ملك العجم والحمد لله وحده . تم كتاب النهاية وهو سير الملوك على يد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير ، الراجى عفو ربه ذو الفضل والوفا على بن الحاج مصطفى الشهير بالمقدسى . غفر الله له ، ولوالديه ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة وللمسلمين . وكان الفراغ من نسخته نهار الثلاثا المبارك فى عشرين نهار خلت من شهر جمادى الأول من شهور سنة ثلاث وأربعين وألف من الهجرة النبوية ...»[٧] .

(١) راجع قصة غزو « فيروز بن يزدجرد بن بهرام » لمدينة بلخ وحروبه مع ملكها « اخشنوار » . عيون الأخبار (١/١١٧) . وقابل ذلك بما دونه الطبرى عنه . الطبرى (٢/٨٣) .

(٢) الطبرى (٢/٨٣) .

(٣) الطبرى (٢/١٢) .

(٤) المعارف (ص ٢٦ ، ٢٨٥) .

(٥) Brockelmann, Suppl., I . P. 164 . Catalogus codd. Mss. qui in Museo Britannico Asservantur. Pars II. Codd. Arab. Amplectens. 3 vols. London 1846- 1879. Nr. 904. 1273.

(٦) Brockelmann, Suppl., 1. S 164, Pertsch, w. . Die Arabischen Hdss. der Herzoglichen Bibliothek zu gotha. Bd.1-gotha 1877-1892. Nr 39 , 4.

(٧) ورقة رقم 267 من مخطوطة المتحف البريطانى .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما مطلع الكتاب فهو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين . الحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، ولا اله الا الله أحسن الخالقين ؟ وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين . قال الأصمعى رحمه الله : كان هارون الرشيد الامام اذا نشط يرسل الى ، فكنت أحدثه بحديث الأمم السالفة والقرون الماضية ، فبينما أنا أحدثه ذات ليلة ، فقال : يا أصمعى أين الملوك وأبناء الملوك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ! مضوا لسبيلهم . فرفع يديه الى السماء ، ثم قال : يا مفنى الملوك ! ارحمنى يوم تلحقنى بهم . ثم دعا صالحا صاحب مصلاه ، فقال : انطلق الى صاحب بيت الحكمة فمره أن يخرج اليك سير الملوك ، وائتنى به . فأخرج اليه الكتاب . قال : فأمرنى أن أقرأه عليه . فقرأت منه تلك الليلة ستة أجزاء .. الخ »[١] . ثم أوصاد الخليفة بالذهاب الى « أبى البحترى »[٢] للاستعانة به فى كتابة ما كان بين آدم وسام بن نوح . ولم يكن هذا مدونا فى كتاب سير الملوك الذى يبدأ بسام بن نوح ، فذهب اليه وأخبره ما أمر به أمير المؤمنين ، فأخذا كتاب المبدأ ونسخا منه هذا الجزء ونسقاه وجعلاه فى عشرة أوراق قدمت على سير الملوك . وتبدأ هذه الأوراق بهذه العبارة : « قال : أبو البحترى الفقيه حدثنى عطاء عن الشعبى عن ابن عباس .. »[٣] ، وتنتهى فى الورقة الحادية عشرة بهذه العبارة : « تم الجزء الملحق بسير الملوك مبتدأ كتاب السير وأخبار الملوك . »[٤] تليها جملة : « قال عامر الشعبى : سبحان الملك الدايم الذى لا يفنى ولا انفصال له ، والسلطان الباقى الذى لا زوال له ... الخ »[٥] الى أن قال : « وهذه قصص الملوك الماضية والأمم السالفة ، .... وكان الذى ألف وصنف هذا الكتاب ونسقه وأتم نظمه سماع عن الثقات من العلماء عامر الشعبى وأيوب بن القرية ، وكانا من حكماء العرب الذين بحثوا عن أمور الأمم

(١) مخطوطة المتحف البريطانى الورقة الأولى ، وهى النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة كتب المجمع العلمى العراقى تحت رقم ٩ .

(٢) « أبو البحترى » هكذا فى النسخة . ويقصد به « أبا البخترى » القاضى الفقيه . ويظهر أن الناسخ نسى وضع النقطة فوق حرف « الخاء » فصار الخاء حاءا . وسأتحدث عنه .

(٣) « أبو البحترى » هكذا فى الأصل ، والصحيح « أبو البخترى » بالخاء المعجمة ، الورقة الأولى من المخطوطة ؛ السطر الثالث عشر من الصفحة الواقعة الى يسار القارىء .

(٤) الورقة الحادية عشرة ، الصفحة الواقعة الى يسار القارىء ، السطر السابع عشر .

(٥) السطر الثامن عشر وما بعده من الصفحة المذكورة .

السالفة ، وعلموا ما كان فى القرون الماضية ، وأعانهما على ذلك عبدالله بن المقفع ، وكان من علماء العجم الذين عرفوا سير الملوك وتحروا فى معرفة أمورهم ومخبارج آدابهم ومعالم حكمتهم . وكان الذى جمعهم لذلك عبدالملك بن مروان سنة خمس وثمانين . قال عامر الشعبى وأيوب بن القرية : حدثنا عن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، قال : ان الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل خلقه بعد الطوفان من صلب نوح عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ... الخ . »[١] .

وجاء فى موضع آخر من الكتاب : « قال الشعبى وابن القرية : حدثنا علماء حمير أنهم وجدوا فى كتب ملوكهم التى توارثها آخر عن أول ...[٢] .

وورد فى بعض المواضع : « قال أيوب بن القرية ... »[٣] . وانفرد عامر الشعبى بالرواية فى كثير من المواضع[٤] . وترد فى أثناء قصصهما أو قصص أحدهما أسماء الأشخاص الذين رووا ذلك القصص ، مثل كعب الأحبار ، وعبدالله بن سلام ، ودغفل النسابة الشيبانى ، وابن الكيس النمرى ، وعبيد بن شرية ، وأمثالهم من طبقة القصاص وأصحاب الأخبار . ولم يصرح « الشعبى » بأسماء محدثيه فى كثير من الروايات المنسوبة اليه ، ولاسيما فى الروايات التى تخص عمان وحضرموت واليمن ، والحفائر التى عثر فيها على كنوز وآثار[٥] .

أما تاريخ الفرس ، فصاحبه فى هذا الكتاب عبدالله بن المقفع ، خلا المواضع التى يكون لها اتصال بتاريخ العرب ، فيورد الكتاب أخبارا عن الشعبى وعن آخرين[٦] . والظاهر أن ما نسب الى ابن المقفع قد أخذ من كتاب سير الملوك .

وبعد ، فيتبين لنا من مطالعة هذا الكتاب أن الناسخ يزعم أن صاحبه هو الأصمعى أبو سعيد عبدالملك بن قريب المتوفى بين سنة «٢١٤» و «٢١٧» للهجرة[٧] ، وأنه جمعه

---

(١) الورقة ١٢ ، الصفحة اليمنى .

(٢) الصفحة اليمنى من الورقة الرابعة عشرة .

(٣) الورقة الثانية عشرة .

(٤) الورقة ٢٤

(٥) « قال الشعبى أخبرنى رجل من عمان قال ... الورقة ٥٨ ، « قال الشعبى وأخبرنى رجل ممن وقع على حفيرة ... » الورقة ٩٩ ، « قال الشعبى أخبرنى رجل من أهل الجابية قال ... » الورقة ١٢٧ .

(٦) الورقة ١٨٥ .

(٧) Brockelmann. Suppl. , I . S. 164. الوفيات (٣٦٤/١) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وألفه للخليفة هارون الرشيد ، وأنه أخذه من كتاب المبتدأ ومن كتاب فى سير الملوك كان فى خزانة بيت الحكمة ، وهو مما عمل فى الأصل للخليفة عبدالملك بن مروان ، عمله ثلاثة أشخاص ، هم : عامر الشعبى ، وابن القرية ، وابن المقفع . وقد نسق الجزء الذى ألحق بالكتاب ووضع قبل سير الملوك الفقيه المعروف أبو البخترى ، فأصبح الكتاب شاملا تأريخ العالم منذ آدم أبى البشر حتى مبعث النبى .

أما أن هذا الكتاب فى تأريخ الفرس والعرب والأنبياء ، فذلك أمر لا شك فيه . وأما أنه من وضع الأصمعى وتأليفه ، وأنه من محصول علماء ثلاثة سبقوا الأصمعى فى الوصول الى العالم الثانى ، فمسألة فيها نظر ، وقضية تحتاج الى تفكر ودرس ، وليس من السهل علينا عدها منتهية كما تصور ناسخ الكتاب « على بن الحاج مصطفى المقدسى » رحمه الله ومن علق على الكتاب ودخل فى ملكهم من المشترين .

والأصمعى عالم من كبار علماء اللغة والنحو والأخبار والنوادر ، له كتب كثيرة فى اللغة ذكرها ابن النديم ، ولم يذكر بينها اسم هذا الكتاب[١] . وذكرها « ابن خلكان » ولم يذكر معها اسم هذا الكتاب[٢] .

وكان الأصمعى من أهل البصرة ، فقدم بغداد عاصمة الخلافة ، واتصل بالخليفة « هارون » فكان يسأله ويطلب علمه ، ويصله ويبره ، كما كانت له صلات بابنه الخليفة المأمون . وكان معاصرا ومنافسا لعالم لغوى أخبارى كبير يعد فى طبقته وأقرانه هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى بين سنتى «٢٠٨» و «٢١٣» للهجرة[٣] . وهو ممن نقل الطبرى أخبارهم فى تأريخه ، ومنها أخباره عن معركة «ذى قار»[٤] . وقد ورد اسم الأصمعى فى أحد عشر موضعا من تأريخ الطبرى[٥] . كما ذكر اسم أبى عبيدة فى أكثر من خمسين موضعا فى هذا التأريخ[٦] .

وأما « أبو البخترى » ، فهو وهب بن وهب ـ القاضى أبو البخترى القرشى المدنى المتوفى سنة ٢٠٠ للهجرة ببغداد فى خلافة المأمون[٧] . روى عن جعفر الصادق ، وهشام

(١) الفهرست ص ٨٢ .
(٢) الوفيات (١/٣٦٤ ـ ٣٦٥) .
(٣) Brockelmann. Suppl., 1 . S. 162
(٤) الطبرى (٢/١٤٦) .
(٥) فهرست تأريخ الطبرى (عمل دى غويه) ص ٤٥ .
(٦) فهرست تأريخ الطبرى (ص ٣٧١) .
(٧) الوفيات (٢/٢٤٠) .

ابن عروة بن الزبير ، وعبيدالله بن عمر العمرى . وروى عنه المسيب بن واضح ، والربيع ابن ثعلب ، ورجاء بن سهل الصاغانى ، وأبو القاسم بن سعيد بن المسيب ، وغيرهم . وقد انتقل من المدينة الى بغداد فى خلافة هارون الرشيد . فولاه القضاء بعسكر المهدى فى شرقى بغداد . وكان فقيها أخباريا ناسبا . وقد ضعف فى الحديث ، ونهى بعضهم الأخذ منه[١] . وذكر ابن خلكان له هذه التصانيف : كتاب الروايات ، وكتاب طسم وجديس ، وكتاب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب فضائل الأنصار ، وكتاب الفضائل الكبير ، وكتاب نسب ولد اسماعيل عليه السلام ، ويحتوى على قطعة من الأحاديث والقصص[٢] ، فالبخترى اذن من أصحاب المؤلفات ومن الأخباريين والنسابين .

وعامر الشعبى هو أبو عمرو عامر بن شراحيل المتوفى بين سنة ثلاث ومئة وخمس ومئة ، وهو فى الأصل من حمير ، وعداده فى همدان ، ثم هو كوفى تابعى . أقام بالمدينة هاربا من المختار أشهرا ، فسمع من ابن عمر ، وتعلم الحساب من الحارث الأعور ، وشهد وقعة الجماجم مع ابن الأشعث ، ثم نجا من سيف الحجاج ، وعفا عنه[٣] . وكان فقيها محدثا ، يحدث بالمغازى[٤] . وقد ورد اسمه فى مواضع كثيرة من تاريخ الطبرى[٥] ، فى الاسرائيليات وفى القصص والتابعة وأخبار اليمن . ومرجعه من أسلم من أهل الكتاب ، ومن كان يعنى بأخبار الأوائل ، مثل عبيد بن شرية الجرهمى ، وجماعة من الأعراب ممن كانوا يدعون رؤية المدن العجيبة المندثرة والآثار القديمة . وتجد نماذج مما روى عنه فى هذا الباب فى تاريخ الطبرى وفى هذا الكتاب الذى أتحدث عنه . والظاهر أنه كان يميل الى تتبع الأخبار .

وتولى الشعبى الكتابة لقتيبة بن مسلم الباهلى[٦] ، وكان مفسرا من كبار مفسرى الكوفة . ولم يذكر مترجموه له كتابا لا فى التفسير ولا فى غيره . ولكننا نجد نماذج من تفسيره للقرآن الكريم فى تفسير الطبرى وفى تاريخه وفى كتب التفاسير الأخرى .

---

(١) لسان الميزان (٦/٢٣١ وما بعدها) . « وأبو البخترى بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة ، وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راء . وهو مأخوذ من البخترة التى هى الخيلاء . وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحترى » . الوفيات (٢/٢٤١) .

(٢) الوفيات (٢/٢٤٠ وما بعدها) .

(٣) تذكرة الحفاظ (١/٧٤ وما بعدها) . الوفيات (١/٣٠١) .

(٤) تهذيب التهذيب (٥/٦٧ وما بعدها) .

(٥) فهرست تاريخ الطبرى (ص ٢٧١) .

(٦) Ency. of Islam. vol. II . P. 243

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أخذ الطبري روايات الشعبي في التفسير من جملة مشايخ ، منهم : أحمد بن محمد ابن حبيب عن أبي نصر عن المسعودي عن أبي خالد من رواة الشعبي[١] ، ومنهم ابن بشار عن سلم بن قتيبة عن يونس بن أبي اسحاق السبيعي عن شيخه الشعبي[٢] ، ومنهم أبو كريب عن ابن يمان عن اسرائيل بن يونس بن أبي اسحاق السبيعي المتوفى سنة ١٦١ أو ١٦٢ للهجرة[٣] عن جابر عن الشعبي[٤] . ومنهم علي بن مجاهد[٥] ، وأمثالهم . وقد كان علي بن مجاهد من المشتغلين بالتأريخ ، قال عنه المسعودي : « وعلي بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين »[٦] .

وأما ابن القرية ، فهو أبو سليمان أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي . وكان أعرابيا مفرط الذكاء فصيحا عالما بأخبار القبائل وأنسابها ، اتصل بالحجاج وبالخليفة عبدالملك بن مروان ، ثم انضم الى ثورة ابن الأشعث ، فحكم عليه بالموت فقتل سنة ٨٤ للهجرة[٧] . وروى بعضهم أن ابن القرية شخص خرافي لا وجود له ، انما أوجده أصحاب القصص والأخبار . قال أبو الفرج الأصبهاني : « قيل ان ثلاثة اشخاص شاعت أخبارهم ، واشتهرت أسماؤهم ، ولا حقيقة لهم ، ولا وجود في الدنيا . وهم : مجنون ليلى ، وابن القرية ، وابن أبي العقب الذي تنسب اليه الملاحم واسمه يحيى بن عبدالله ابن أبي العقب[٨] » .

من الممكن اجتماع ابن القرية بالشعبي . أما اجتماعهما بعبدالله بن المقفع ، ومعاونته لهما في تأليف كتاب ، فذلك أمر لا يمكن وقوعه . فقد قتل عبدالله بن المقفع في عام ١٣٩ أو ١٤٢ للهجرة[٩] ، ولم يكن قد جاوز الأربعين عاما . ثم ان من المستحيل جمع الخليفة عبدالملك بين الشعبي وابن القرية سنة خمس وثمانين لتأليف الكتاب على نحو ما جاء في كتاب نهاية الأرب : « وكان الذي ألف وصنف هذا الكتاب ونسقه ، وأتم

(١) الطبري دورة أولى ص ١٣ (طبعة ليدن) .
(٢) الطبري دورة أولى ص ٢٩٦ ، ٣١٦ .
(٣) تذكرة الحفاظ (١/١٩٩) .
(٤) الطبري دورة أولى (ص ٢٩٨) .
(٥) الطبري : دورة أولى (ص ٢٠٠) .
(٦) المروج (١/٥) .
(٧) تأريخ الطبري : دورة ثانية (ص ١١٢٧ ـ ١١٢٩) ، وفيات الأعيان (١٠٢ وما بعدها) .
(٨) الأغاني : الطبعة المصرية : فهرست الأسماء .
(٩) زيدان : آداب اللغة العربية (٢/١٣١) ، Ency. , vol. II, P. 404

نظمه سماعا عن الثقات من العلماء : عامر الشعبى ، وأيوب بن القرية ، وكانا من حكماء العرب الذين بحثوا عن أمور الأمم السالفة ، وعلموا ما كان فى القرون الماضية . وأعانهما على ذلك عبدالله بن المقفع ، .... وكان الذى جمعهم لذلك عبدالملك بن مروان سنة خمس وثمانين . » ولهذا ذكرت أنه قتل عام ٨٤ للهجرة[١] ، أى قبل السنة المذكورة بسنة .

هذا الكتاب اذن حاصل كتب قد يكون من بينها كتاب من كتب الأصمعى ، وكتاب فى المبتدأ أى فى قصة الخلق وما بعدها من الرسل والأنبياء ، لعله كتاب المبتدأ[٢] أو المبدأ[٣] أو كتاب المبتدأ والسيرة[٤] أو مبتدأ الخلق[٥] المنسوب الى وهب بن منبه رواية عبدالمنعم بن ادريس بن سنان ابن ابنة وهب بن منبه[٦] ، أو كتاب آخر فى هذا الموضوع ، وكتاب من الكتب المنسوبة والمروية عن عبيد بن شرية ، أو المروية عن الشعبى ، وقصص روى عن ابن القرية ، مضافا الى كل هذا ما أخذ من كتاب ابن المقفع ، فكون من المجموع هذا الكتاب ؛ وانى لأستصعب كون هذا الكتاب من تصانيف الأصمعى ، اذ لا يعقل صدور هذه الغلطات التى ذكرتها من عالم كبير مثله . وأظن أنه من جمع شخص آخر ، قد يكون وضع هذه المقدمة على لسان الأصمعى ، أو أنه أخذها من كتاب من كتبه ، ثم أضاف الى الكتاب نقولا من جملة مصنفات حتى ظهر على الشكل الذى نراه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتجد نقولا من ترجمة سير الملوك لابن المقفع فى كتاب آخر مطبوع هو كتاب غرر أخبار الفرس وسيرهم لأبى منصور عبدالملك بن اسماعيل الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة[٧] . ويفيدنا هذا الكتاب أيضا فى تكوين فكرة عن أصل تأريخ الطبرى ،

(١) ابن الاثير : الكامل (٤/٢٠٥) .
(٢) الفهرست (ص ١٣٨) .
(٣) Ency. vol. II . P. 1084
(٤) Ency., vol. II . P. 1084
(٥) ابن قتيبة : المعارف (ص ٤)
(٦) توفى سنة ٢٨٢ للهجرة . الفهرست (ص ١٣٨) .
(٧) العماد : الشذرات (٣/٢٤٦) . الدميرى : الحيوان (١/١٦٣) . ابن خلكان : الوفيات (١/٣٦٥) .

Ency., vol. II . P. 73 off .. Wustenfeld, gesch . No. 191. Brockelmann, I, S. 284, Suppal., I. S. 499. off.

فقد نقل الثعالبي منه وأشار الى ذلك ؟ لهذا تستحسن المقابلة بين هذه النقول وتاريخ الطبري المطبوع لمعرفة مبلغ انطباق المطبوع على نقول الثعالبي المتوفى بعد الطبري بـ ١١٩ عاما • وفي كتاب غرر أخبار الفرس وسيرهم توسع في أخبار الفرس لا نجده في تاريخ الطبري، مما يدل أنه توسع في الأخذ من كتاب سير الملوك أكثر مما فعل الطبري ، أو أنه أخذ من كتب أخرى لم يأخذ منها الطبري • وقد طبع هذا الكتاب بالأصل العربي مع ترجمته الفرنسية المستشرق « هـ زوتنبرك H. Zotenberg بباريس[١] •

وقد استعان الثعالبي ـ بالاضافة الى ما أخذه من تاريخ الطبري ـ بموارد أخرى أشار اليها أو الى أسماء أصحابها في ثنايا كتابه ، مثل كتاب التأريخ لابن خرداذبه أبي القاسم عبيدالله بن عبدالله المتوفى في أواخر القرن الثالث للهجرة[٢] ، وقد ضن الدهر علينا بهذا الكتاب مثل سائر الكتب الأخرى التي ألفها ابن خرداذبه عدا كتاب المسالك والممالك المطبوع الذي يعد من الكتب العربية المهمة في « الطبغرافية » التأريخية ، ولما كان مؤلفه « صاحب البريد والخبر » على « الجبل » ، جاء بمعارف قيمة استقاها من الوثائق الرسمية ومن تجاربه التي حصل عليها بحكم وظيفته هذه التي تمكن صاحبها من معرفة المسافات والطرق معرفة جيدة[٣] • وقد نادم المعتمد وخص به • وذكر له ابن النديم من الكتب كتاب أدب السماع ، وكتاب جمهرة أنساب الفرس ، والنوافل ، وكتاب الطبيخ ، وكتاب اللهو والملاهي ، وكتاب الشراب ، وكتاب الأنواء ، وكتاب الندماء والجلساء[٤] • ونسب له أبو الفرج أحمد بن الطيب السرخسي ، وهو متأدب بليغ كثير الرواية[٥] ، كتابا في

(١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم •
Histoire des Rois des Perses par Abou Mansour Abd Al-Malik ibn Mohammad ibn Isma'il Al-Tha'alibi . Texte Arabe publie et Traduit Par H. Zotenberg. Paris MDCCCC

(٢) وذكر حاج خليفة أنه توفي عام « ٣٠٠ » للهجرة • راجع •
Ency., II . P. 398. Brockelmann , I . S. 225 . Suppl . I . S. 404
Ency., vol. II . P. 398. De Goeje Bibl. geogr. Arab., VI. (٣)

(٤) الفهرست (ص ٢١٢ ـ ٢١٣) •

(٥) الفهرست (ص ٢١٣) ذكر له ابن النديم من الكتب : كتاب السياسة ، وكتاب المسالك والممالك ، وكتاب أدب الملوك ، وكتاب الدلالة على أسرار الغناء • توفي سنة ٢٨٣ للهجرة • وكان صاحب يعقوب بن اسحاق الكندي ، ولي حسبة بغداد وكان موضعه في الفلسفة لا يجهل . وله مؤلفات حسان في أنواع من الفلسفة والأخبار • الفروج (١٩٢/٤) • نشوار المحاضرة (٦٥) • الأغاني (١٩/١) Suppl. IS. 404 . Ency., II. P. 398

تاريخ الأمم قبل الاسلام . وقد أشار اليه التنوخى[١] . فلعله الكتاب الذى أخذ منه الثعالبى وسماه كتاب التأريخ[٢] . وذكر له أبو العلاء المعرى كتابا فى المغنين دعاه طبقات المغنين[٣] ، أما أبو الفرج الأصبهانى ، فقد انتقصه ، وقال عنه : « وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه »[٤] . وقد مدحه المسعودى ، وأثنى عليه فى موضع[٥] ، غير أنه انتقصه فى موضع آخر[٦] . وقد روى له أجوبة فى الموسيقى والطرب لأسئلة سألها منه الخليفة المعتضد[٧] ، ويجوز أن يكون الطبرى قد نقل من تأريخ ابن خرداذبه ومن كتبه الأخرى .

وقد أشار الثعالبى الى روايات ابن خرداذبه فى أثناء حديثه عن طهماسب[٨] وزردشت[٩] وبهمن بن اسفنديار[١٠] وعن الاسكندر[١١] . ويظهر من مقابلة ما دونه الثعالبى عن ابن خرداذبه بما دونه الطبرى فى تأريخه أن ابن خرداذبه قد انفرد بأشياء لم يذكرها الطبرى ، مما يدل على أنه قد نقل من مورد آخر لم يغرف منه ابن جرير .

ونقل الثعالبى من كتاب تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء[١٢] لحمزة الأصبهانى، ولحمزة الأصبهانى جملة مؤلفات فى اللغة والأدب ، ومؤلف فى تأريخ اصبهان وقف عليه

(١) Brockelmann . Suppl . , I . S . 404 . نشوار المحاضرة (٦٥) .

(٢) « وذكر ابن خرداذبه فى كتابه كتاب التأريخ » غرر أخبار الفرس (ص ١٣٠)

(٣) Brockelmann . Suppl . , I , S . 404 . رسالة الغفران (٢/٧٩) .

(٤) الأغانى (٥/١٥٦) (طبعة دار الكتب المصرية) . (٥/٣) طبعة مطبعة التقدم نسخة الشنقيطى .

(٥) « وأبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه فى كتابه المعروف بالمسالك والممالك ، وهو أعم هذه الكتب شهرة فى خواص الناس وعوامهم فى وقتنا هذا .. » . التنبيه والاشراف ص ٧٥ (طبعة ليدن) . الأغانى (٥/١٥٧) حاشية (طبعة دار الكتب المصرية) .

(٦) Brockelmann . Suppl . , I , S . 404

(٧) المروج (٤/١٥٧)

(٨) الغرر (ص ١٣٠) .

(٩) الغرر (ص ٢٥٧) .

(١٠) المصدر نفسه (ص ٣٧٨) .

(١١) كذلك (ص ٤١٥ ، ٤٤٤ ، ٤٥٨) .

(١٢) « وزعم حمزة الأصبهانى أن البريد معرب عن ذنب بريد » الغرر (ص ٣٩٨) .

ياقوت الحموى وأخذ منه[١] . وقد عرف بتأريخه تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، واشتهر بأوربة به . والظاهر أنه اشتهر به لأنه أول مؤلف نشر له فى أوربة . وقد بقيت بعض مؤلفاته فى خزائن الكتب ، وبقيت قطع واختصارات من كتبه الأخرى التى لم يعرف من أمرها حتى الآن غير العناوين[٢] . وللمستشرق ميتوخ بحث عن آثار حمزة فى اللغة والأدب[٣] .

واستعان الثعالبى بكتاب آخر فى التأريخ اسمه كتاب البدء والتأريخ للمقدسى ، وذلك فى أثناء كلامه على مانى[٤] . والمقدسى هو المطهر بن طاهر ، المعروف بالمقدسى . وقد ألف فى سنة ٣٥٥ للهجرة كتابا لأحد وزراء الدولة السامانية سماه كتاب بدء الخلق والتأريخ ، فلعله الكتاب الذى نقل منه الثعالبى قصة مانى . . يقول عنه بروكلمن انه كتاب غير منسق، فيه فوائد تأريخية وتأريخية دينية ، وتوجد منه نقول فى كتب أخرى[٥] .

ومزدوجة المسعودى المروزى المنظومة بالفارسية ، هى من الموارد التى أخذ منها الثعالبى[٦] . وكذلك الشاهنامه ، وقد أشار اليها فى موضعين حيث قال : « وقال صاحب كتاب شاهنامه»[٧] . غير أنه لم يذكر اسم صاحب الكتاب ، فأية شاهنامه قصد ؟ أشاه نامه الفردوسى ، أم شاهنامه الشاعر أبى على محمد بن أحمد البلخى[٨] ؟ أم شاه نامه أخرى؟

وقد ذكر البيرونى أن أبا على محمد بن أحمد البلخى الشاعر ذكر فى الشاهنامه أنه صحح أخباره من كتاب سير الملوك الذى لعبدالله بن المقفع والذى لمحمد بن الجهم البرمكى والذى لهشام بن القاسم والذى لبهرام بن مردانشاه موبذ مدينة سابور والذى

(١) الارشاد (٣/٨٢) .

(٢) Brockelmann , Suppl. , I . S . 221. وقد عرفت أسماء اثنى عشر مصنفا من مصنفات حمزة . منها : ديوان أبى نواس ، وكتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية . ورسالة فى الأشعار السائرة فى النيروز والمهرجان ، « ووصفه حمزة بن الحسن الأصبهانى فى رسالته فى الأشعار السائرة فى النيروز والمهرجان » البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣١ .

(٣) E. Mittwoch, in Mittei. d. Semi. f. orient. Sprachen. 1909, Abt. II.. 109. (xll. 1-60) See Litter. tati. Hamza. Ency.. Vol . II P. 256

(٤) الغرر (ص ٥٠١) .

(٥) Brockelmann. Suppl., tI . S. 222.

(٦) الغرر (ص ١٠ ، ٣٨٨) .

(٧) الغرر (ص ٢٦٣ ، ٤٥٧) .

(٨) Browne., A Litt. Hist. of Persia . II . 129 Noldeke. Iranni. Natio., II , S. 150

لبهرام بن مهران الأصبهانى ، ثم قبل ذلك بما أورده بهرام الهروى المجوسى[١] . فيظهر من هذا أن جملة أشخاص نقلوا كتاب سير الملوك الى العربية ، وأن هذه النقول كانت متباينة مختلفة . وقد أيد حمزة الأصبهانى هذا الرأى أيضا فقال : نقلا عن موسى ابن عيسى الكسروى : « انى نظرت فى الكتاب المسمى خداى‌نامه ، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمى كتاب تأريخ ملوك الفرس ، فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب ، وبحثتها بحث استقصاء ، فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر بنسختين متفقتين ، وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان الى لسان .. »[٢] .

ثم قال : « فلم يكن لى فى حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ الا الى جمع النسخ المختلفة النقل ، فاتفق لى ثمانى نسخ ، وهى : كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى ، وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الأصبهانى ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهراه بن مطيار الأصبهانى ، وكتاب تأريخ ملوك بنى ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الأصبهانى ، وكتاب تأريخ ملوك بنى ساسان من اصلاح بهرام بن مردانشاه موبذكورة شابور من بلاد فارس . فلما اجتمعت لى هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب »[٣] .

وذكر حمزة أن بهرام بن مردانشاه موبذكورة شابور من بلد فارس قال : « انى جمعت نيفا وعشرين نسخة من الكتاب المسمى خداى‌نامه حتى أصلحت منها تواريخ الفرس من لدن كيومرث والد البشر الى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم الى العرب »[٤] . ويتبين من هذه الأقوال وأمثالها المدونة فى الكتب الأخرى أنها تشير بصراحة تامة الى اختلاف نسخ كتاب خداى نامه « خداى نامك » وتعددها فى العربية ، فكيف حدث ذلك ؟

أحدث ذلك لاختلاف النسخ الأصلية لكتاب خداى نامك وتعدد رواياته ، وتلاعب النساخ به ، واختصار بعضهم اياه ، وتشذيبهم لبعض عباراته وجمله حتى وصل على

(١) الآثار الباقية ص ٩٩ (طبعة سخو) .
Eduard Sachau (Leipzig 1878)

(٢) حمزة (ص ١٥) .
(٣) حمزة (ص ٩ ـ ١٠) .
(٤) حمزة (ص ١٩) .

الحالة التى وصل اليها حين باشر النقلة تعريبه ؟ أم حدث ذلك بسبب قصر فهم النقلة بالفهلوية ، وتباين معارفهم بها ، وعلى وفق هذا التباين حدث هذا الاختلاف ؟ أما حمزة، فقد علل ذلك باشتباه الأمر على الناقلين حيث يقول : « انى نظرت فى الكتاب المسمى خداى نامه ، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمى كتاب تأريخ ملوك الفرس ، فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب ، وبحثتها بحث استقصاء ، فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين ، وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان الى لسان »[١] غير أنى أستبعد أن يكون ذلك الاشتباه قد حدث بسبب نقل الكتاب من لسان الى لسان ، اذ لو كان الأمر كما يقول حمزة لوجب حدوث هذا الاختلاف فى كل كتاب ينقل من لسان الى لسان ، وانما أرى احتمال كون النسخ الأصلية المدونة بالفهلوية ، كانت مختلفة فى الأصل ، فمنها المطولة ومنها المختصرة ومنها ما أضيف اليها أو نقص منها ، أو تلاعب فيها النساخون ، ثم ان من الجائز أيضا أن يكون ما دعى فى العربية بسير الملوك ، لم يكن كله نقلا أصيلا لكتاب خداينامه ، بل كان نقلا لكتب أخرى فى سير الملوك ، وترجمات من كتب متنوعة جمعها المعربون وأطلقوا عليها سير الملوك أو سير ملوك العجم . والخلاصة ان كل ما يقال الآن عن هذا الموضوع هو حدس وتخمين ، بعد أن ضاعت الأصول ، وفقدت الترجمات . فلا يمكن اصدار أحكام علمية فى هذا الشأن ما لم تتوافر لدينا تلك الأصول والمعربات .

ويظهر أن الفردوسى والثعالبى قد استعانا بنصوص مكتوبة كانت مدونة بالفارسية الحديثة ، وهما ـ مع ذلك ـ يختلفان فى أخبارهما فى عدد من المواضع ، ويختلفان مع الطبرى كذلك . ويرى نولدكه أن ابن قتيبة قد نقل من الترجمة الأصلية لكتاب خداينامه ، وهى ترجمة ابن المقفع ، وأن سائر المؤرخين استعملوا نسخا جديدة لترجمة ابن المقفع ، ولذلك وقع هذا الاختلاف[٢] .

لم ينص أحد من المؤرخين على ذكر السنة التى ترجم فيها ابن المقفع كتاب خدينامه ، لذلك لا ندرى أترجم فى العهد الأموى أم العباسى ، وكان الخلفاء الأمويون ميالين الى الوقوف على كتب التأريخ . وقد قلت سابقا ان معاوية بن أبى سفيان كان كلفا بسماع أخبار الماضين وقصصهم ، وأنه استدعى عبيد بن شرية ليحدثه فى الليالى عن

(١) حمزة (ص ١٥) .

(٢) Ency., vol. 1V. P. 180. Noldeke. Geschi. der Perer und Araber. S.xxl.

أخبار الأوائل وقصصهم[١] . وذكر المسعودى أنه رأى بمدينة اصطخر سنة ٣٠٣ للهجرة كتابا عظيما يشتمل على علوم كثيرة من علوم الفرس وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم ، لم يجدها فى شىء من كتب الفرس كخداى ناماه وآئين ناماه وكهناماه وغيرها ، « مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان، سبعة وعشرون ملكا ، منهم خمسة وعشرون رجلا وامرأتان ، قد صور الواحد منهم يوم مات شيخا كان أو شابا وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه ، وانهم ملكوا الأرض أربع مئة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام ، وأنهم كانوا اذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيأته ورفعوه الى الخزائن كى لا يخفى على الحى منهم صفة الميت ، وصورة كل ملك كان فى حرب قائما ، وكل من كان فى أمر جالسا ، وسيرة كل واحد فى خواصه وعوامه ، وما حدث فى ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة ، وكان تأريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣ ، ونقل لهشام بن عبدالملك ابن مروان من الفارسية الى العربية . »[٢] . ولم يذكر « المسعودى » اسم الناقل لهذا الكتاب .

وعرب ابن المقفع كتابا آخر فى تأريخ الفرس هو كتاب آئين نامه[٣] ، المكتوب فى الفهلوية باسم آيين نامك[٤] . وهو كتاب فقد أصله ، وضاعت ترجمته العربية ، وبقيت منه نتف فى بعض الكتب ومنها كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٠ أو ٢٧٦ للهجرة[٥] ، اذ أشار اليه فى ثنايا الكتاب[٦] . وعرفه المسعودى ودعاه آئين ناماه[٧] كما نقل منه الثعالبى[٨] . ويظهر أنه فى الرسوم أى فى عادات الساسانيين

(١) أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، طبع حيدر آباد دكن بالهند .

(٢) التنبيه والاشراف ص ٩٣ (طبعة الصاوى) .

(٣) « كتاب آيين نامه » الفهرست ص ١٧٢ « الآيين » . عيون الأخبار ١/٢٨ .

(٤) Brockelmann, Suppl., I. S. 235

(٥) الفهرست ص ٧٧ (طبعة أوربة) . السمعانى الأنساب ورقة 443 a ياقوت الارشاد (١/١٦٠ وما بعدها) . تاريخ بغداد (١٠/١٧٠) . Brockelmann. Suppl., I, S. 184-185 .

(٦) عيون الأخبار (١/٢٨ ، ٦٢ ، ٣/٢٢١ ، ٢٧٨ ، ٤/٥٩٠) .

(٧) التنبيه (ص ٩٢ ، ١٤٩) (طبعة Carra de Vaux).

(٨) الغرر (ص ١٤) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتقاليدهم ومراتبهم ومجالسهم ومجتمعهم[١] ، وسماه ابن النديم كتاب آيين نامه فى الأصر[٢] ، ولا ندرى بالطبع متى فقدت نسخ هذا الكتاب . وقد ذكر المسعودى أن « للفرس كتابا يقال له كهناماه فيه مراتب مملكة فارس ، وأنها ست مئة مرتبة على حسب ترتيبهم لها . وهذا الكتاب من جملة آئين ناما ، وتفسير آئين ناماه كتاب الرسوم ، وهو عظيم فى الألوف من الأوراق ، لا يكاد يوجد كاملا الا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرئاسات .. »[٣] . فيظهر اذن من قول المسعودى أن كتاب كهناماه أو « كاهنامك (gahnamagh)[٤] هو جزء من الآيين .

وكتاب التاج من الكتب التى نقلها ابن المقفع من الفهلوية الى العربية كذلك ، وقد دعاه ابن النديم كتاب التاج فى سيرة أنوشروان[٥] ، ويظن أنه قد توهم فى ذلك فلم يكن الكتاب فى سيرة أنوشروان حسب ، بل فى سيرة غيره من الملوك أيضا . وقد نقل منه ابن قتيبة[٦] . ويظهر أن الطبرى قد نقل منه أشياء تخص سابور الثالث Shahpuhr III وبهرام الرابع vahram II وكسرى الأول Khusro I[٧] وكسرى الثانى وهو كسرى ابرويز Khusro Parwez[٨] ووصيته لابنه شيرويه Shiroe[٩]. وقد أثر هذا الكتاب فى جماعة من مشاهير الأدباء مثل الجاحظ فى كتابه التاج[١٠]. وقد طبع بمصر بتحقيق أحمد زكى باشا[١١] ، ويظن بعض المحققين أنه من الكتب المنسوبة اليه[١٢].

وكتاب مزدك الذى ترجمه ابن المقفع أيضا ، من الكتب التى يغلب عليها الطابع

(١) Brockelmann, Suppl. . I. S. 235. Richter , Studien , S. 50-51, ZDMG. 64, S. 126-128.

(٢) الفهرست (ص ١٧٢) .

(٣) التنبيه (ص ٩١) .

(٤) Arthur Christensen , L'iran sour les sassanides , P. 75

(٥) الفهرست (ص ١٧٢)

(٦) Brockelmann , Suppl.. I . S. 235, Noldeke. Geschi, d. Araber und Perser . 361-382.

(٧) ذكر فى اثنى عشر موضعا من كتاب عيون الأخبار .

(٨) Arthur Christensen . P. 58

(٩) الطبرى (١٣٧/٢) .

(١٠) الطبرى (١٥٩/٢) .

(١١) Brockelmann, Suppl. I . S. 235 Inostrannyev. Iranian influence. P. 72. F. Gabrieli. Riv. degli. Studi. orientali . xl. P. 292. ff.

(١٢) الحيوان (٧/١) .

القصصى ، فأغلبه أساطير وضعت عن مزدك • وقد نقل الطبرى منه حديثه عن مزدك والمزدكية[١] • وهو حديث نجده بصورة مفصلة فى كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم • وذكر له محذوراته مع قباذ[٢] ، الى غير ذلك مما يدل على أن الثعالبى قد نقل ما ذكره من كتاب واسع مفصل فى أخبار مزدك هو هذا الكتاب • ويعرف هذا الكتاب بمزدكنامه « مزدك نامك » ، ونقل منه آخرون[٣] •

وقد اشتغل عدد آخر من الفرس بنقل تأريخهم الى العربية ، منهم : محمد بن الجهم البرمكى ، وزادويه بن شاهويه الأصبهانى ، ومحمد بن بهرام بن مهريار الأصبهانى ، وهشام بن القاسم الأصبهانى ، وبهرام بن مردانشاه ، وموسى بن عيسى الكسروى[٤] • وقد قلت سابقا ان بعضهم ترجموا أيضا كتاب خداينامه ، وان ترجماتهم كانت معروفة نقل منها بعض المؤرخين ، وكانت هذه الترجمات تختلف فيما بينها كما تختلف عن ترجمة ابن المقفع ، وقد استعان موسى بن عيسى الكسروى بنسخ متعددة من خداى نامه ، كما استعان ببعض من عرف بدراسته لتأريخ الفرس ، مثل الحسن بن على الهمدانى ، والعلا بن أحمد ، فألف فى ذلك كتابا فى تأريخ ملوك الفرس[٥] • وقد ذكر ابن النديم لموسى بن عيسى الكسروى كتابين : كتاب سماه كتاب حب الأوطان ، وكتاب آخر دعاه : كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغى أن يقتدى القضاة فى مطاعمهم بالأئمة والخلفاء[٦] • ويرى بروكلمن احتمال كون قصة السندباد المترجمة الى الأغريقية من الآثار التى تعود اليه[٧] • وعندى أن أكثر هذه الكتب المسماة كتب سير الملوك أو كتب سير ملوك العجم والتى زعم أنها ترجمت لكتب خداى نامه هى فى الواقع جمع وتصنيف واختصار واضافات واصلاحات عملها أصحابها ، وعرفت على أنها ترجمة لذلك الكتاب ، بينما هى من عمل أولئك الأشخاص •

وقد ذكر ابن النديم أسماء جملة كتب فى التأريخ والأدب نقلت من الفارسية الى

(١) الطبرى (٢/٩١) وما بعدها . فهرست تأريخ الطبرى (عمل دى غويه) ١٠/٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٧ •
(٢) ص ٥٩٦ وما بعدها •
(٣) Brockelmann. Suppl. . I . S . 235 .
(٤) Brockelmann. Suppl. . I . S. 237.
(٥) حمزة (ص ١٥) •
(٦) الفهرست (ص ١٨٥) •
(٧) Ency.. Vol. Iv . P. 485. Brockelmann. Suppl.. I. S. 237.

العربية ، نقلها من ذكرنا أسماءهم وآخرون ، منها كتاب رستم واسفنديار وكتاب شهريزاد مع أبرويز ، وكتاب الكارنامج فى سيرة أنوشروان ، وكتاب بهرام ونرسى ، وكتاب بوداساف بوتاسف وبلوهر ، وكتب أخرى[١] يظهر أن قسما منها مفتعل صنع فى الاسلام .

وقد نظم الشاعر أبان بن عبدالحميد بن لاحق بن عفير الرقاشى بعض هذه الكتب ، فنقلها الى الشعر المزدوج ، نقل منها مثلا كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب سيرة أردشير ، وكتاب سيرة أنوشروان ، وكتاب بلوهر وبردآنية[٢] ، وكتاب مزدك ، وكتاب سندباد « سندباذ »[٣] ، وقد فقدت أصول هذه المنظومات ويا للاسف . ونجد نماذج من نظمه فى كتاب الأوراق للصولى المتوفى سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦[٤] . وقد حاكاه فى ذلك عدد من الشعراء ، وبطريقته تأثر على ما أرى بعض شعراء الفرس حيث نظموا بالشعر المزدوج قصص الفرس وتأريخهم ، ومنهم المسعودى المروزى فى مزدوجته بالفارسية ، وهو الذى أشار اليه الثعالبى فى كتابه عن أخبار ملوك الفرس وغيرهم[٥] على نحو ما ذكرت .

وكتاب الكارنامج الذى أشرت اليه ، هو فى تأريخ أردشير ، وهو المسمى كارنامك أرتخشتر بابكان ، ويظن نولدكه أنه كتب فى حوالى سنة ٦٠٠ بعد الميلاد[٦] ، وهو من الكتب التأريخية الثانوية بالنسبة لكتاب خداينامه . وقد بقى أصله ، وترجم ، وطبع بضع مرات[٧] .

وفى أثناء الكلام على ملوك فارس ، ذكر المسعودى اسم كتاب السكيكين ترجمة ابن المقفع من الفارسية الأولى الى العربية ، وقال عنه : « وهذا الكتاب تعظمه الفرس ،

(١) الفهرست (ص ٤٢٤) وما بعدها .
(٢) الفهرست (ص ١٧٢) « كتاب بلوهر وبرداساف » .
Brockelmann, Suppl., I . S. 239. Goldziher. Verh. des VII . intr Congr. Wien 1888

(٣) Suppl.. I. S. 239.
(٤) J. H. Dunne. 1-5l. Ency., I . S. 54l . Kriynski. Aban lah- ikij, manicheist. Poet Moscow 1913. P. 9-11 . 47-49.
(٥) الغرر (ص ١٠ ، ٣٨٨) .
(٦) نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية (ص ١٣٤) .
(٧) Karnamak i Artachshatr i Papakan Ency.. vol. II . P. 180. Bombay 1896. 1899. 1900.

ترجمه وطبعه نولدكه Noldeke بمدينة كوتنكن Gottingen ١٨٧٨ للميلاد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم»[١] . وقد نقل منه خبرا عن كيخسرو ولهراسب[٢] . وقد أشار المسعودى الى كتب فى تاريخ الفرس رآها واستفاد منها ، وزار بعض بيوت عباداتهم ، وجاء بأشياء طريفة لم ترد فى كتب غيره من المؤرخين .

وقد استمد المؤرخون من موارد عربية ، فأضافوه الى تاريخ الفرس ، فالكلام المنسوب مثلا الى هرمز الرابع ، لابد أن يكون من مورد عربى[٣] . وكذلك الأشعار وبعض الرسائل المدونة بالعربية وبالنسق الاسلامى ، والمذكورة فى ثنايا تاريخ الفرس .

وتعد روايات وكتب أبى عبيدة معمر بن المثنى المتوفى بين ٢٠٨ و٢١٣ للهجرة[٤] من الموارد المهمة التى استقى منها المؤرخون أخبارهم عن الساسانيين قبيل الاسلام ، وعن صلات الفرس بالعرب . وقد أخذ الطبرى منها أخباره عن مقتل عدى بن زيد العبادى ومعركة ذى قار ، وأخبارا أخرى تخص الاسلام ، فورد اسمه فى أكثر من ٥٧ موضعا من تاريخ الطبرى[٥] . وروى له المسعودى روايات عن ملوك الطوائف[٦] وأخبار ملوك ساسان[٧] . وله كثير من المؤلفات ذكر أسماءها ابن النديم ، وهى تزيد على مئة مؤلف فى الأخبار والأنساب واللغة[٨] . وقد وصل الينا عدد من تلك المؤلفات[٩] . وذكر ابن خلكان أن تصانيفه تقارب مئتى مصنف[١٠] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المروج (١/١٩١ ، ١٩٢) .
(٢) المروج (١/١٩٢) .
(٣) الدينورى : الأخبار الطوال (ص ٧٧) .

Ency. , vol. IV . P. 181 , Noldeke . Geschichte der Perser und Araber , S . 326.

(٤) « ولد أبو عبيدة سنة أربع عشرة ومئة ، وتوفى سنة عشر ومئتين ، وقيل : احدى عشرة . وقال أبو سعيد : سنة ثمان ، وقيل : سنة تسع . الفهرست (ص ٧٩) وما بعدها ، تاريخ بغداد (١٣/٢٥٣ وما بعدها) الارشاد (٧/١٦٤) ، الذهبى : طبقات الحفاظ (١/٣٣٨) . اليافعى : مرآة (٢/٤٤ وما بعدها) . السيوطى : البغية (٣٩٥) . ابن العماد : شذرات الذهب (٢/٢٤) .

Brockelmann . I . S . 103 . Suppl. , I , S . 162.

(٥) فهرست تاريخ الطبرى (عمل دى غويه) ص ٣٧١
(٦) المروج (١/١٤٦) .
(٧) المروج (١/١٥٧ ، ١٧٦) .
(٨) الفهرست (ص ٨٠) .
(٩) Brockelmann. Suppl . , I . S . 162 . Ency. , I . P. 112 . Goldziher , Muhamm. Studi . , I , S . 194
(١٠) الوفيات (٢/١٤٠)

لم يشر الطبري الى من حدثه على لسان أبي عبيدة بخبر مقتل عدي بن زيد ومعركة ذي قار ، وانما استعمل : « فحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى » قال : حدثني أبو المختار فراس بن خندق وعدة من علماء العرب قد سماهم[١] » . وقد ذكر مع روايته رواية أخرى عن هشام ابن الكلبي عن اسحاق الجصاص ، وقد أخذه من كتاب حماد[٢] . وقد كان لابن الكلبي مؤلف في أخبار عدي اسمه كتاب عدي بن زيد العبادي[٣] ، لعله كان من الموارد التي نقل منها الطبري خبر عدي وما تبع ذلك من أمور وقعت بين العرب والفرس .

ويفيدنا الفصل الذي دونه أبو الفرج الأصبهاني عن معركة ذي قار في تشخيص المورد الذي أخذ منه الطبري خبره عن هذه المعركة . وقد أخذ الأصبهاني أخباره عن علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي عن خراش ابن اسماعيل ، ومن رواية الأثرم عن أبي عبيدة[٤] . وعن كتب ابن الأعرابي عن علي ابن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي عن أبيه وعن اسحاق بن الجصاص وعن حماد الراوية[٥] .

أما علي بن سليمان المعروف بالأخفش الأصغر ، تمييزا له عن الأخفش الأكبر ، وهو عبدالحميد بن عبدالمجيد من أهل هجر ، النحوي اللغوي ، من شيوخ سيبويه وأبي عبيدة ، وعن الأخفش الأوسط وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ؛ فهو أبو الحسن المتوفى سنة خمس عشرة أو ست عشرة وثلاث مئة ببغداد . وقد دخل مصر سنة سبع وثمانين ومئتين[٦] . ويظهر أن أبا الفرج الأصبهاني قد درس عليه ، وأخذ خبره عن عدي بن زيد من كتاب الأخفش المسمى كتاب المختالين ، وقد قرأه عليه[٧] .

وأما السكري ، فهو الحسن بن الحسين بن عبيدالله بن عبدالرحمن أبو سعيد

(١) الطبري (٢/١٤٦ ، ١٥٢) .
(٢) الطبري (٢/١٤٦) .
(٣) الفهرست (ص ١٤١) .
(٤) الأغاني (٢٠/١٣٢) « طبعة بولاق » .
(٥) الأغاني (٢/٩٧ ، ١٠٥) « مطبعة دار الكتب المصرية » .
(٦) ابن خلكان : الوفيات (١/٤١٨ وما بعدها) . ذكر له ابن النديم أسماء ثلاثة كتب في الفهرست (ص ١٢٣) . يوهان فك : العربية (ص ١٤١) .
Brockelmann , I . S . 125 , Suppl. . I . S. 189
(٧) الأغاني (٢/١٤٠) « طبعة دار الكتب المصرية » .

النحوى اللغوى المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة ، وله مؤلفات عديدة[١] . وقد أخذ عن جماعة من العلماء ، منهم محمد بن حبيب[٢] العالم اللغوى الأخبارى النسابة المتوفى سنة ٢٤٥ للهجرة[٣] . وهو صاحب مؤلفات كثيرة كذلك . وقد روى عن جماعة من كبار العلماء المتخصصين بهذه الأمور ، كابن الأعرابى وقطرب وأبى عبيدة وأبى اليقظان[٤] وابن الكلبى[٥] .

وابن الأعرابى هو أبو عبدالله محمد بن زياد المتوفى سنة ٢٣١ للهجرة ، وقد كان له مجلس يحضره أصحاب الأدب واللغة والأشعار ، فكان يملى عليهم بغير كتاب ، وكان ممن سمع المفضل بن محمد الضبى وأخذ منه[٦] .

ولم يذكر الطبرى اسم من حدثه عن أبى عبيدة أو عن ابن الكلبى بأخبار معركة ذى قار ، غير أننا نستطيع التوصل الى معرفة المورد الذى أخذ منه الطبرى بمقارنة ما ذكره عن هذه المعركة وعن أخبار عدى بن زيد بما دونه صاحب الأغانى ، حيث نجد انطباقا تاما فى العبارات ، مما يدل على أنهما نقلا من مورد واحد ، ولولم يشر أبو الفرج الى اسم المورد الذى نقل منه لجاز لنا القول بأنه نقل من تاريخ الطبرى ، غير أنه ذكر اسم المورد كما رأيت ، وهو كتاب المغتالين للأخفش ، كما أنه تفرد بذكر أشياء لم يتطرق الى ذكرها الطبرى ، لذلك لا يمكن أن يكون هذا النقل من تاريخ الطبرى ، بل لابد أن يكون من كتاب مشترك آخر هو كتاب الأخفش المعاصر للطبرى ، وهو كتاب المغتالين ، أو من مؤلف من مؤلفات السكرى شيخ الأخفش . أخذ منه الطبرى ، وأخذ منه صاحب الأغانى برواية شيخه الأخفش تلميذ السكرى .

يقول الطبرى : « ذكر لى عن هشام بن محمد ، قال : سمعت اسحاق بن الجصاص ،

---

(١) الفهرست ص ١١٧ ، ياقوت : ارشاد (٦٢/٣) .

(٢) تاريخ بغداد (٢٩٦/٧) ، السيوطى : البغية (٢٠٨) الآمدى : المؤتلف (١٤٨).
Brockelmann . I . S . 108 . Suppl . . I . S .168.

(٣) Brockelmann . I . S . 105 . Suppl . . I . S . 165.

(٤) الفهرست (ص ١٥٥) .

(٥) الأغانى (١٣٢/٢٠) . تاريخ بغداد (٢٧٧/٢) ، ياقوت : الارشاد (٤٧٣/٦) ، السيوطى : البغية (٢٩) ، وقد بقيت بعض مؤلفاته :
Brockelmann . I . S . 105 . Suppl . . I . S . 165

(٦) الفهرست (ص ١٠٢ ـ ١٠٣) ، تاريخ بغداد (٢٨٢/٥) ، ياقوت : ارشاد (٥/٧) ، اليافعى مرآة (١٠٦/٢) البغية (٤٢) .
Brockelmann . I . S . 116 . Suppl . . I . S. 179.

وأخذته من كتاب حماد وقد ذكر أبي بعضه »[١] . وقد قلت : ان الطبري نقل هذه القصة أو سمعها من الأخفش الأصغر الذي ذكر هذه الرواية أيضا الى أبي الفرج الأصبهاني . أما حماد المذكور هنا وصاحب الكتاب ، فهو حماد الراوية كما جاء في كتاب الأغاني ، وهو : « حماد بن أبي ليلى سابور ، وقيل : ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلي » ، من مشاهير رواة الشعر والعارفين بأيام العرب . وله قصة مع الخليفة هشام ابن عبدالملك حيث طلبه ليسأله عن شعر عدي بن زيد العبادي[٢] . وكان خبيرا بهذه الأمور . وقد ذكر ابن النديم أنه لم يرد لحماد كتاب ، وانما روى عنه الناس . وصنفت الكتب بعده[٣] .

واذا صح أن هذا القول هو قول ابن الكلبي ، يكون لحماد كتاب في أخبار عدي ابن زيد ، أو سواه ، وقد أخذ هشام منه . ولا يتخذ قول ابن النديم في أن الكتب انما صنفت بعد حماد حجة ؛ اذ ثبت أن التدوين بدأ قبل أيام حماد . وقد رأيت أن الأخبار تفيد أن معاوية بن أبي سفيان أمر بتدوين أقوال عبيد بن شرية في كتاب .

وروى عن أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس « أن حمادا هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة »[٤] . والواقع أن علماء الشعر واللغة كانوا يتخوفون منه ، فقد كان عالما بكلام العرب ، فكان يحسن الوضع والتقليد . قال الأصمعي : كان حماد أعلم الناس اذا نصح . يعني اذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار ، فانه كان متهما بأنه يقول الشعر ، وينحله شعراء العرب . وقال المفضل الضبي : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، فقيل له : وكيف ذلك أيخطيء في روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فان أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ، ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ »[٥] . فهذا هو حماد ، أحد رواة الشعر . وهنالك نفر آخر فعلوا فعل حماد .

---

(١) الطبري (٢/١٤٦) . (٢) ابن خلكان : الوفيات (١/٢٠٥ وما بعدها) .
(٣) الفهرست (ص ١٣٤) وما بعدها .
(٤) ياقوت : الارشاد (٤/١٤٠) ، ابن خلكان : الوفيات (١/٢٠٥ وما بعدها) .
(٥) الارشاد (٤/١٤٠) .

وقد نقل المسعودى أخبار ملوك الطوائف من كتاب لأبى عبيدة ألفه فى أخبار الفرس ، وذكر أنه أخذ روايته عن عمر كسرى[١] . ويظهر أنه قصد بهذا الكتاب ، الكتاب الذى سماه ابن النديم كتاب فضائل الفرس[٢] ؛ ويظهر أن أبا عبيدة قد اعتمد فى كتابه فى أخبار الفرس على بحوث عمر كسرى . اذ أشار المسعودى أنه رواه عنه[٣] . وذكر المسعودى أسماء كتب أخرى لأبى عبيدة نقل منها ، منها كتاب مقاتل فرسان العرب ، وقد عارضه المسعودى بكتاب دعاه مقاتل فرسان العجم[٤] . وكتاب مناقب قريش ، وقد نقل منه المسعودى أخبار حلف المطيبين[٥] . وكتاب الديباج ، وقد أشار اليه فى أثناء كلامه عن أوفياء العرب[٦] . وكان عمر كسرى « ممن اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر كسرى . »[٧] .

والهيثم بن عدى أبو عبدالرحمن المتوفى سنة ٢٠٦ أو ٢٠٧ للهجرة[٨] ، من الأخباريين وأصحاب الأنساب العارفين بالشعر . وله كتب كثيرة فى هذا الباب ، منها . كتاب أخبار الفرس ، وكتاب تاريخ العجم وبنى أمية ، وكتب عديدة فى التاريخ ، منها كتاب التأريخ على السنين[٩] ، وهو من أقدم الكتب العربية التى دونت فيها الحوادث والتواريخ على أساس السنين (Chronicles) ، وقد طبع أخيرا ، ولما تصل الينا نسخه .

وقد تردد اسم الهيثم بن عدى فى ٣١ موضعا فى تاريخ الطبرى[١٠] ، وذلك فى مواضع سوف أتحدث عنها .

وذكر المسعودى اسم الهيثم بن عدى فى أثناء حديثه عن شيء[١١] ، والظاهر أنه

(١) المروج (١/١٩٩)
(٢) الفهرست (ص ٨٠) . الوفيات (٢/١٤٠)
(٣) المروج (١/٢٤١) .
(٤) التنبيه (ص ٩٠) . Brockelmann . Suppl . , I . S . 162
(٥) التنبيه (ص ١٨٠) .
(٦) التنبيه (ص ٢٠٩) .
(٧) المروج (١/١٨٩) .
(٨) الفهرست (ص ١٤٥) . ابن خلكان : الوفيات (٢/٢٦٩ وما بعدها) ياقوت : الارشاد (٧/٢٦٠) ، اليافعى : المرآة (٢/٣٢) . الخطيب : تاريخ بغداد (١٤/٥٠) . الصفدى : الوافى (١/٥١) .
(٩) الفهرست (ص ١٤٥) ، ابن خلكان : الوفيات (٢/٢٦٩) .
(١٠) فهرست تاريخ الطبرى (عمل دى غويه) ص ٦١٩ .
(١١) التنبيه (ص ١٧٧) .

أخذه من كتاب لهذا العالم في طيء دعاه ابن النديم كتاب أخبار طيء ونزولها الجبلين[١]، كما ذكره مرة أخرى في كتابه التنبيه والاشراف في أثناء كلامه على تمصير البصرة[٢] . وقد كان للهيثم كتاب اسمه كتاب قضاة الكوفة والبصرة ، وكتاب آخر اسمه كتاب فخر أهل الكوفة على البصرة . وهو من قدماء من ألف في الخطط ، فله كتاب اسمه خطط الكوفة[٣] ، وله كتب أخرى لما تصل الينا .

واعتمد الطبري في الفصول التي دونها عن فتح العراق وايران ، أي عن نهاية الساسانيين ، على روايات سيف ، وسيف هو سيف بن عمر التميمي أو الضبي الأسدي المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة[٤] . وقد عرف باطلاعه الواسع على تاريخ الاسلام ، ولا سيما الردة والفتوح . وأخذ من مشاهير الأخباريين والنسابين ، مثل هشام بن عروة ، ومحمد ابن اسحاق صاحب السيرة ، ومحمد بن السائب الكلبي ، وطلحة بن الأعلم ، وأمثالهم . وروى له ابن النديم من الكتب كتاب الفتوح الكبيرة والردة وكتاب الجمل ومسيرة عائشة وعلي[٥] . وقد رماه المحدثون بالضعف وبوضع الحديث وبالزندقة أيضا . وقال أبو حاتم عنه : « متروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدي »[٦] .

وقد ذكر اسم سيف في أكثر من ٣٠٠ موضع من تاريخ الطبري ، ورد لأول مرة في حوادث سنة ١٠ للهجرة ، وهي السنة التي ادعى مسيلمة فيها النبوة في حياة الرسول . وورد اسمه لآخر مرة في حوادث سنة ٣٦ للهجرة ، وفي ابتداء علي بن أبي طالب بالخروج الى صفين ، ولم يذكر الطبري رواية له بعد ذلك[٧] .

ومن جملة المشايخ الذين أخذ منهم سيف ، هشام بن عروة المتوفى سنة «١٤٦» أو «١٤٧» للهجرة[٨] . وهو من محدثي المدينة ومن النسابين والأخباريين . وقد حدث عن أبيه عروة بن الزبير وعمه عبدالله بن الزبير . ورحل الى العراق وزار الكوفة ، ورأى الخليفة المنصور . ومنه أخذ أهل الكوفة حديث عروة ، ولاسيما حديث عروة

(١) الفهرست (ص ١٤٥) .
(٢) (ص ٣٠٧) .
(٣) الفهرست (ص ١٤٦) .
(٤) تهذيب التهذيب (٤/٢٩٥) .
(٥) الفهرست (ص ١٣٧) .
(٦) تهذيب التهذيب (٤/٢٩٥) .
(٧) فهرست تاريخ الطبري (ص ٢٦٢) وما بعدها .
(٨) تهذيب التهذيب (١١/٥١) .

عن عائشة . وقد أخذ عنه أهل بلده تبسطه فى الحديث لأهل العراق ، وكانوا يحدث أهل المدينة ضنينين . والظاهر أن عروة تحدث الى أهل الكوفة والعراق بحديث أهل العراق ، ولم يكن أهل المدينة يفضلون حديثا على حديثهم ، وهم أدرى بالحديث وبخبر الرسول ؟ لأنهم أهل الدار .

لا شك فى أن كتاب سيف الذى استعان به الطبرى فى أخبار الردة هو كتابه كتاب الفتوح الكبير والردة[١] ، وهو كتاب اشتهر أمره حتى عرف سيف به[٢] . وذكر ابن النديم له مؤلفا آخر سماه كتاب الجمل ومسير عائشة وعلى[٣] ، ولا شك أيضا فى أنه هو الكتاب الذى نقل منه الطبرى روايات سيف عن معركة الجمل . وقد أخذ سيف هذه المعركة من شهود عين ذكرت أسماؤهم فى سند الطبرى ، فحفظ لنا بذلك صورا أصلية لأنباء تلك المعركة المؤسفة والأسباب السياسية التى كانت لها نتائج جد وخيمة فى شبه جزيرة العرب وفى العالم الاسلامى . وتحتاج هذه الروايات الى تمحيص ودراسة . ويعتقد بروكلمن أن سيفا لم يكن يبحث الأخبار التى كانت تقال له ، وأنه كان يبالغ فيها فى تمجيد تميم[٤] متأثرا بعاطفته القبلية ، وهو رأى يحتاج الى دراسة وبحث . أما ما ادعاه من أن الطبرى قد لاحظ ذلك عليه ، فكان يحاذر منه ، واضطر الى ترك قسم من رواياته ، فهو قول لا يؤيده كتاب الطبرى نفسه . ففى أخبار الردة ، جعله الطبرى المرجع الأول المفضل على المراجع الأخرى ؟ وفى أخبار معركة الجمل ، ترى لرواياته مكانة بارزة بين الروايات ، ثم ان النسخة الأصلية لا تزال فى ضمير الغيب ، فكيف عرف أن الطبرى نبذ روايات سيف فى تمجيد تميم ؟

وقد تردد اسم السرى فى أكثر من ٢٤١ موضعا من تاريخ الطبرى ، ورد لأول مرة فى أخبار الردة ، وورد آخر مرة فى حوادث سنة ١٤٥ هـ فى أيام المنصور ، وذلك فى معرض الكلام على تأسيس مدينة بغداد ، وقد استعمل صيغة غير مألوفة بالنسبة للسرى حيث قال : « وذكر عن السرى »[٥] . أما فى المواضع الأخرى فقد قال : « وحدثنى السرى عن شعيب » ، أو « كتب الى السرى عن شعيب » ، أو « مما

(١) الفهرست ص ١٣٧ (طبعة مصر) . ذكره الطبرى الا أنه لم يسمه . راجع فتح حمص . Suppl. 1 . P, 213 - 214. (١٥٣/٤)

(٢) تهذيب التهذيب (٢٩٥/٤) .

(٣) الفهرست (ص ١٣٧)

(٤) Suppl. 1 . P. 214

(٥) الطبرى : الدورة الثالثة (ص ٢٧٦) « طبعة ليدن » حوادث سنة ١٤٥ هـ .

كتب به الى السرى عن شعيب » ، وهذا مما يدل بالطبع على أن الطبرى كان يتراسل مع السرى فيسأله ، وأن هذا كان يستنسخ من مؤلفات سيف بن عمر التى كانت لديه ويرسلها اليه .

والسرى هو السرى بن يحيى[١] من رواة شعيب بن ابراهيم الكوفى راوية كتب سيف بن عمر ، قال فيه ابن حجر العسقلانى : ان فيه جهالة ، وانه ليس بالمعروف ، وله أحاديث وأخبار ، وفيه بعض النكرة[٢] . ولا نعرف من أمرهما ـ يا للأسف ـ شيئا مع كثرة ورود أسمائهما فى تأريخ الطبرى . وقد أخطأ ابن النديم حين قال : « وروى سيف عن شعيب بن ابراهيم »[٣] ؛ لأن شعيبا هو الذى روى كتب سيف . والظاهر من سكوت ابن النديم وأصحاب التراجم عن ذكر شعيب بن ابراهيم والسرى ، أنهما لم يكونا من أصحاب التآليف ، وانما كانا من رواة كتب سيف . والظاهر أيضا من تاريخ الطبرى أن كتب سيف كانت عند السرى بن يحيى ، وأن الطبرى قرأ أجزاء منها على السرى ، وأخذ قسما منها كتابة منه .

وهنالك طريق آخر سلكه الطبرى للأخذ من كتب سيف بن عمر ، هو طريق عبيدالله بن سعد الزهرى[٤] بن ابراهيم بن سعد بن عبدالرحمن بن عوف أبى الفضل البغدادى نزيل سامراء المتوفى سنة ٢٦٠ هـ[٥] وقد روى عن أبيه وعمه يعقوب وأخيه ابراهيم بن سعد ويونس بن محمد . وروى عنه طبقة من الثقات من مشاهير أهل الحديث ، أمثال البخارى وأبى داوود والترمذى والنسائى وابن أبى عاصم والبغوى وابن أبى الدنيا وآخرون . وقد ورد اسمه فى أكثر من ٤٠ موضعا من تأريخ الطبرى[٦] تحدث فيها اليه . وأخذ عبيدالله أقوال سيف عن عمه يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٨هـ[٧] من رواة سيف بن عمر وآخرين . وكانت عنده كتب دون فيها أحاديث ، وكتب الزهرى أخذها عن أبيه ابراهيم بن سعد عن الزهرى ، وكتب

---

(١) الطبرى (٤/١٢٤) « طبعة مصر » . طبعة ليدن ، الدورة الأولى (ص ١١٩٧ ، ١٨٤٥) .
(٢) لسان الميزان (٣/١٤٤) . ميزان الاعتدال (١/٤٤٧) .
(٣) الفهرست (ص ١٣٧) .
(٤) فى طبعة ليدن : « عبيدالله بن سعيد الزهرى » . وهذا خطأ . والصواب سعد .
(٥) تهذيب التهذيب (٧/١٥)
(٦) فهرست الطبرى (ص ٣٦٧) .
(٧) تهذيب التهذيب (١١/٣٨٠) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عنه الناس ؛ ويظهر من قائمة أسماء مشايخه أن يعقوبا هذا لم يكن محدثا حسب ، بل كان من أصحاب التواريخ والأدب ، ومن رواة الشعر • وقد ورد اسمه فى ٣٩ موضعا من تأريخ الطبرى ، ورد أول مرة فى حوادث سنة ١٠ للهجرة فى خبر حجة الوداع ومرض الرسول[١] • وقد نقل حديثه عن سيف ، وذكر له حديثا آخر عن الأحداث التى كانت فى سنة احدى عشرة للهجرة ، أخذه عن سيف كذلك[٢] • ويظهر من هاتين الروايتين ومن الروايات الأخرى التى أخذها عن سيف[٣] ، واختصت بالرسول ووفاته وبيعة أبى بكر والسقيفة[٤] وغير ذلك أنه كان لسيف كتب أخرى فى السيرة وفى الأحداث الاسلامية ، الا أنها لم تشتهر اشتهار الكتب التى ذكرناها له قبل هذا ، وربما كان قد أتى عليها الدهر قبل أيام ابن النديم •

وأكثر هذه الأخبار التى دونها الطبرى عن يعقوب بن ابراهيم هى من أخبار سيف ، أخذها من كتبه ، وذلك لاتفاق عبارة المتن المذكور فى تاريخ الطبرى والمروى عن يعقوب الزهرى وشعيب بن ابراهيم •

اعتمد الطبرى على كتاب سيف فى الفتوح ، وقد أخذ متن هذا الكتاب من رواية السرى بن يحيى فى الغالب ، واعتمد عليه فى أخبار الفتن التى قامت على عثمان ، مثل فتنة عبدالله بن سبأ التى أظهرها فى البصرة فى سنة ٣٣ هـ ، وقد أخذها سيف عن عطية ابن الحارث أبى روق الهمدانى من كبار رواة الكوفة ومن المفسرين المعروفين ، وقد مر ذكره ، وهو من رواة عكرمة والشعبى والضحاك بن مزاحم[٥] • وقد ذكر الطبرى اسمه فى ٤٦ موضعا[٦] ، وقد نقل عنه جملا فى أخبار ما قبل الاسلام أخذها من تفسيره ، أجاز الطبرى بها شيخه محمد بن أبى منصور الآملى عن على بن الهيثم[٧] عن المسيب بن شريك أبى سعيد التميمى الكوفى[٨] ، وقد قيل عنه : انه من الضعفاء ، أو انه

(١) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٧٤٩) •
(٢) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٧٩٤) •
(٣) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٨٢٤ ، ١٨٢٥)
(٤) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٩) •
(٥) تهذيب التهذيب (٧/٢٢٤) •
(٦) فهرست الطبرى (ص ١٩٨) •
(٧) على بن الهيثم البغدادى . روى عنه البخارى ومحمد بن على الطبرى والحسين ابن اسماعيل المحاملى • تهذيب التهذيب (٧/٣٩٤) •
(٨) لسان الميزان (٦/٣٨) •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المتروكين • روى عن أبى روق ، وروى أبو روق عن الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير •

وروى تفسير أبى روق عن الضحاك شيخ آخر من شيوخ الطبرى هو المثنى بن ابراهيم الآملى عن على بن الهيثم عن المسيب بن شريك عن أبى رو ق• وقد ورد اسم المثنى ابن ابراهيم فى ٢٨[١] موضعا من تاريخ الطبرى كلها فى تاريخ ما قبل الاسلام وفى الاسرائيليات ، عدا موضع واحد هو فى القبة ، غير أن له علاقة كذلك باليهوديات[٢]• والظاهر أنه كان من أصحاب التفاسير ، أو من رواة التفاسير • وهو يكثر الرواية عن اسحاق بن الحجاج[٣] •

وروى عطية بن الحارث أبو روق عن يزيد الفقعسى ، وعن أبى العريف ، وقد ورد اسم يزيد الفقعسى فى خمسة مواضع من تاريخ الطبرى هى فى حوادث عثمان وعلى[٤] ، وعنه وردت قصة عبدالله بن سبأ[٥] ، وقصة أبى ذر الغفارى ، ورأيه فى مال المسلمين ، وقصة مجىء عبدالله بن سبأ الى البصرة ونزوله على حكيم بن جبلة زعيم فتنه البصرة[٦] ، وأخيرا حركة عبدالله بن سبأ ونسبه ومراسلاته مع الأقطار[٧] • ترى من ذلك أن ما أخذه سيف عن يزيد الفقعسى ، قد انحصر فى ناحية خاصة من ناحية الفتنة التى قامت على الخليفة عثمان بن عفان ، وهى الرواية الوحيدة التى وردت عن هذه الفتنة • وأما الروايات الأخرى المدونة فى الكتب ، فهى صدى لرواية سيف ، وترجيع لها ، سأتحدث عنها فى موضعها المناسب حيث الكلام على موارد الطبرى فى الأحداث المؤسفة التى وقعت فى أيام أمير المؤمنين عثمان بن عفان •

وقد اقتصد الطبرى فى تاريخ الروم بالقياس الى ما كتبه فى تاريخ الفرس ، ودون أكثر ما سطره عنهم فى فصوله عن تاريخ الفرس • أما الفصل الذى عنوانه « ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح عليه السلام الى عهد النبى صلى الله عليه

(١) فهرست الطبرى (ص ٤٩٧) •
(٢) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٢٨٠)
(٣) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٧٨٥) •
(٤) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٢٨٤٩ ، ٢٨٥٨ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٤٢) •
(٥) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٢٨٥٨) •
(٦) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٢٩٢٢) •
(٧) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٢٩٤٢) •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسلم فى قول النصارى »[١] ، فهو جريدة بأسماء الملوك ، ومدة حكم كل ملك ، الا أن الطبرى لم يذكر فيها سنة حكم الملك بالنسبة لتأريخ مولد المسيح ، وهو التأريخ المعمول به عند النصارى ، ولا بالنسبة الى ملك الاسكندر ، كما كان يؤرخ به بعضهم ، أو بالنسبة الى « تقويم بصرى » الذى يبدأ بدخولها فى حوزة الروم ، وذلك فى سنة ١٠٥ بعد الميلاد[٢] . والاقتصاد فى تأريخ الروم بالقياس الى تأريخ الفرس ، ليس بدعة ابتدعها الطبرى من بين سائر المؤرخين الاسلاميين ، بل هى جادة عامة سلكها كل من كتب فى التأريخ العام وفى تأريخ العجم من فرس وروم وغيرهم . ونعل لانصهار الفرس وذوبانهم فى الاسلام ، ولتعصب قسم منهم لقوميتهم وتأريخهم السابق ، واحتفاظهم ببعض تراثهم العتيق من خزن كتب التأريخ ونقلها الى العربية ، ولتصادم الذى كان بين الروم والمسلمين ، وللاختلاف الذى كان بين الديانتين ، دخلا فى هذا الموضوع .

وملوك الروم هم ملوك اليونان وملوك رومية[٣] « رومة » عند العرى[٤] . وكذلك عند سائر المؤرخين ، وقد يراد بهم قياصرة الرومان . وقد جعل النسابون يونان رجلا له نسب ، وجعل بعضهم من ذريته « يزنطى » ، ونسبوا اليهم الروم ، فقالوا : انهم بنو دومى بن يزنطى بن يونان بن يافث بن نوح[٥] ، وجعلهم جماعة من النسابين من نسل عيصو بن اسحاق النبى[٦] . وقد عرفوا عيصو بن اسحاق من قراءتهم للتوراة ، أو من نفر من أهل الكتاب ، غير أنهم أخطأوا ولا شك فى نسبة اليونان والروم ، أى الروم ، اليه . فليست هنالك علاقة ما بين عيصو أو عيسو « Esau » وبين الروم فى التوراة . وعيسو[٧] هو أدوم[٨] ، وقد سكن نسله وهم الأدوميون فى جبل سعير شرقى العربة ، وعرفت المنازل التى استوطنوا فيها باسم أدوم ، وهى تشمل كل تخوم كنعان الجنوبية ، وامتدت فاتصلت بطورسيناء وبالعربية الصخرية ، وهى المنطقة التى أزاحهم

---

(١) الطبرى (٢/٢٥) وما بعدها . « طبعة المطبعة الحسينية المصرية » .
(٢) زيدان : العرب قبل الاسلام (ص ٢٠٣) .
(٣) البلدان ٤/٣٣١ .
(٤) راجع فهرست تأريخ الطبرى « عمل دى غويه » (ص ٧١٩) . تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن الحسن الاصفهانى (ص ٤٦) .
(٥) البلدان (٤/٣٢٧)
(٦) البلدان (٤/٢٣٧) ، اللسان (١٥/١٥٠) .
(٧) ومعنى الكلمة « مشعر » أو « خشن » . قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٨) Hastings . P. 235
(٨) «أدوم» بمعنى أحمر ، لقب عيسى بن اسحاق . قاموس الكتاب المقدس (١/٥٣) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عنها النبط فاستقروا بها وعرفت باسمهم أيضا[١] . وليست هنالك صلة ما من نسب أو قرابة بين الروم وأدوم . وقد رويت رواية نسبت الى ابن الكلبى خلاصتها : أن الروم هم من نسل العيص ، وهو عيصو ، وهو ابن اسحق ، وقد ولد له روم القسطنطينية وملوك الروم[٢] . ونحن لا نعلم كيف توصل ابن الكلبى ومن قال بقوله الى هذا النسب، فلعلهم أخذوه من أدعياء العلم من أهل الكتاب ، صنعوه لهم جهلا ، أو نقلوه لهم كما كان شائعا بينهم فى ذلك الوقت . وقد يكون لا من هذا ولا ذاك ، وانما من وضع ابن الكلبى وأضراب ابن الكلبى الذين كانوا يضعون الروايات ويصنعونها فى معاملهم ، ليقال انهم كانوا أصحاب علم ، وانهم أحاطوا بكل خبر من أخبار القدماء .

وأرى أن هذه التسمية انما جاءت الى العرب من أيام عظمة رومية ، حيث بسط الأباطرة نفوذهم على أرجاء واسعة شملت ما كان لليونان من مستلكات ، ولذلك قيل لأتباعهم انهم من أتباع رومية ورومانيون . وقد نبه على ذلك ياقوت الحموى فقال : « وذكر بعضهم انما سمى الروم روما لاضافتهم الى مدينة رومية ، واسسها رومانس بالرومية ، فعرب هذا الاسم فسمى من كان بها رومى »[٣] .

وسبقه المسعودى الى هذا الرأى ، فأشار الى غلبة الروم على اليونان ودخولهم فى جملتهم « حتى زال اسمهم ، وانقطع ذكرهم ، ونسب الجميع الى الروم . »[٤] . وفرقوا بين لغة اليونان ولغة الروم . قال ابن طاعد الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٢ للهجرة : « وأما الأمة الخامسة ، وهى الروم ، فأمة ضخمة المملكة ، فخمة الملوك ؛ وكانت بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيين ، ولغتهم مخالفة للغتهم ، فلغة اليونانيين الأغريقية ، ولغة الروم اللاطينية »[٥] .

وقد ورد فى التوراة اسم ياوان ، وهو ابن يافث الرابع ، وهو أبو اليونانيين[٦] .

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/٥٣) . Hastings , P. 203

(٢) البلدان (٤/٣٢٧) . وهنالك روايات أخرى مصنوعة لا قيمة علمية لها رويت فى تفسير تسمية الروم . التنبيه والاشراف (ص ١٠٠) .

(٣) البلدان (٤/٣٣١) « ورومية أيضا بالروم يعرف برومية الكبرى ، له ذكر فى كتب الجفر ، بناه روميس ملك الروم » . تاج العروس (٨/٣٢١) .

(٤) التنبيه والاشراف (ص ١٠٠) .

(٥) كتاب طبقات الأمم (ص ٢٣) « بيروت ١٩١٢ » .

(٦) التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢ . وأخبار الأيام الأول : الاصحاح الخامس ، الآية السابعة . قاموس الكتاب المقدس (٢/٥٥٧) وما بعدها .

ويقصد به بصورة عامة الأيونيون Iaon Ionian ، أى الـ Greek [١] . ومن كلمة ياوان Javan أو Jaon أخذ العرب ـ فى رأيى ـ كلمة يونان ، وأطلقوها على جميع القبائل التى سكنت هيلاس وغيرها ، وعلى الامبراطورية التى كانت عاصمتها القسطنطينية . ولذلك دعوا ملوكها أيضا بملوك اليونانيين ، تمييزا لهم عن ملوك رومية[٢] الذين هم أباطرة الرومان .

وذكر الطبرى اليونانية وأرض اليونانية واليونانيين فى مقابل الروم[٣] ، ويقصد بهم من نقول لهم اليوم الرومان ، وأشار الى أن أول من حكم الشام بعد فالوبطرى هو جايوس يوليوس ، وهو ملك الروم . ثم أغوسطوس الذى حكم ستا وخمسين سنة ، فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام الاسكندر ثلاث مئة سنة وثلاث سنين[٤] . ويقصد الطبرى بهؤلاء الملوك الذين حكموا الشام بعد فالوبطرى ملوك رومية ، أى أباطرة الرومان .

ويستنتج من حشر الطبرى أكثر ما تحدث به عن الروم فى الفصول التى دونها عن تأريخ الفرس ، ومن ادماجه تلك الأخبار فى رواية واحدة وفى حديث متصل مرتبط الأجزاء ، أن الطبرى اعتمد على الموارد المؤلفة فى تأريخ الفرس ، أو المترجمة عن الفارسية ، أكثر مما اعتمد على الموارد التأريخية المؤلفة فى تأريخ الروم أو المترجمة عن الرومية . وفى ذلك خطر ولا شك ، فقد كان الفرس خصوم الروم ، ولذلك لا تخلو كتبهم أو الكتب المترجمة عن الفارسية من أثر العصبية . ثم ان أكثر من عنى بتأريخ الفرس أو من ترجم عن الفارسية كان من أصل فارسى ، أو من طبقة عرفت بميولها الى الفرس ، ولهذا يجب الانتباه الى هذه الناحية فى اعتمادنا على ما ذكره الطبرى عن الروم والفرس ، وأن نأخذ حذرنا فى تدوين تلك الأخبار .

ويظهر من بعض العبارات والاستدراكات التى دونها الطبرى تعقبا على بعض الروايات مثل قوله : « وأما الروم وكثير من أهل الأنساب »[٥] ، وقوله : .... فيما ذكر

(١) Hastings . P 427 . Ency. Bibl. . P. 2338

(٢) حمزة الاصفهانى « تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » (ص ٥) ، و(٤٥) وما بعدها .

(٣) الطبرى (٢/٩) وما بعدها .

(٤) الطبرى (٢/١٠) .

(٥) الطبرى (٢/٩) .

الروم»[١] أو « ... في قول النصارى وأهل الكتب .. »[٢] ، وأمثال ذلك ، أن « الطبري » قد نقل ما ذكره من الكتب . فمن عادته سابقا اغفال أسماء الموارد المدونة التي ينقل منها اكتفاء بذكر هذه الجمل وأمثالها . وقد فعل ذلك في تاريخ الفرس أيضا وفي مواضع أخرى كان سنده فيها الكتب والوثائق المدونة ، فلم يعتمد فيها على الرجال ، لذلك أهمل السند .

ولمعرفة هذه الموارد التي نقل منها الطبري تأريخ الروم ، لابد اذن من مراجعة ما كتب في العربية عن الروم ، وما نقل من اليونانية واللاطينية الى العربية من كتب التأريخ والأخبار . وهو في الواقع بحث مستقل في حد ذاته ، مراجعه العربية قليلة حتى الآن . وقد فقد أكثر ما ألف أو ترجم في هذا الباب ، كما أن الكتب أغفلت ذكرها ، فجهلنا أمرها .

وقد ذكر ابن النديم أسماء كتب ألفها الروم في الأسمار والتواريخ[٣] ، نقلت الى العربية يظهر من عناوينها أنها في القصص والحكايات ، ولعلها من وضع بعض القصاص والأخباريين والنقلة . وقد ذكر أن منها كتاب سمسه ودمن على مثال كليلة ودمنة ، قال عنه : « وهو كتاب بارد التأليف ، بغيض التصنيف ، وقد قيل : ان بعض المحدثين عمله » ، وكتاب تأريخ الروم ، ولم يذكر ابن النديم اسم مؤلفه أو مترجمه ، وذكر حمزة الأصفهاني كتابا في أخبار اليونانيين صنفه أو نقله عن اليونانية حبيب بن بهريز مطران الموصل . نقل منه تواريخ سني ملوك اليونانيين[٤] . وكان حبيب هذا ممن فسر للمأمون عدة كتب[٥] .

وقد ألف نفر من المطارنة في كتب التأريخ ، اعتمدوا فيها على المؤلفات اليونانية واللاطينية ، ونقل من مؤلفاتهم بعض المؤرخين .

وذكر المسعودي المتوفى سنة ٣٤٥ أو ٣٤٦ للهجرة[٦] أسماء طائفة من رجال

---

(١) الطبري (٢/١٠) .

(٢) الطبري (٢/٢٥ ، ٥٦) .

(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٤٢٥) .

(٤) حمزة (ص ٥٥ ، ٥٦) .

(٥) الفهرست (ص ٣٤١) .

(٦) Brockelmann . Geschichte der Arabischen Litteratur. I . S. 144 . Suppl. I . S . 220

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكنيسة وضعوا مؤلفات فى التاريخ تعرضوا فيها لتأريخ الروم واليونانيين[١] ، اجتمع ببعضهم وشاهدهم فى أسفاره ، مثل سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراش ، بطريرك كرسى مارقس بالاسكندرية ، وقدشاهده بفسطاط مصر ، وله كتاب فى التأريخ العام تنتهى حوادثه فى أيام خلافة الراضى . ومحبوب بن قسطنطين المنبجى ، وأثناسيوس الراهب المصرى ، وهو صاحب كتاب فى التاريخ ، رتب فيه ملوك الروم وغيرهم من الأمم وسيرهم وأخبارهم من آدم الى قسطنطين بن هيلانى ويعقوب بن زكريا العسكرى الكاتب وأبى زكرياء دنخا النصرانى ، وغيرهم ، وأشار الى كتاب حسن فى التأريخ وضعه قيس المارونى فى ابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وأخبارهم ، وانتهى بتصنيفه الى خلافة المكتفى . وقد مدحه المسعودى وأثنى عليه[٢] .

وذكر المسعودى أن نسخ كتب التواريخ التى بحث عن ملوك الروم وأخبارهم ، مختلفة غير متفقة فى أسماء ملوكهم ، ومدة ملكهم ، وأكثرها بالرومية ، وهى موجودة فى كتب النصارى الملكية[٣] . وقد أشار حمزة الى هذا الاختلاف كذلك . وقد استعان حمزة بأربعة موارد ساعدته على تدوين ما كتبه فى تأريخ اليونان والروم : كتاب مصنف فى أخبار اليونانيين نسب تصنيفه أو نقله الى حبيب بن بهريز ، وكتاب فى التأريخ صنفه وكيع قاضى بغداد ، ذكر وكيع أنه نقل تواريخ الروم من كتاب ملك من ملوك الروم ، تولى نقله من الرومية الى العربية بعض التراجمة . وقد ساق التواريخ من ابتداء ملك قسطنطين الى سنة احدى وثلاث مئة من الهجرة[٤] املاء ، أملاه عليه رجل رومى كان يقرأ ويكتب بالرومية ، ولا يتبحر فى النطق بالعربية الا بجهد . وكان فراشا لأحمد ابن عبدالعزيز بن دلف ، وتولى الترجمة بينهما ابن هذا الفراش ، واسمه يمن ، ترجم له عن لسان أبيه املاء من كتاب له رومى الخط[٥] . ومؤلف لأبى معشر هو كتاب الألوف[٦] .

(١) التنبيه والاشراف (ص ١٣٢) .
(٢) التنبيه (ص ١٣٢) .
(٣) المروج (١/٢٦٩) .
(٤) حمزة (ص ٤٨) .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) المصدر نفسه (ص ٤٧) .

وأبو معشر هو جعفر بن محمد البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ للهجرة ، الذي اشتهر بتوغله في علم الفلك والنجوم[١] . وقد عرف عند الأوربيين بـ « Abumasar »[٢] . وقد ذكر ابن النديم كتاب الألوف ، وقال عنه : انه يقع في ثماني مقالات[٣] . وأشار اليه ابن صاعد الأندلسي ، وقال عن صاحبه : « وكان مع ذلك أعلم الناس بسير الفرس وأخبارسائر العجم »[٤] . وذكر « بروكلمن » أن في خزانة الكتب الأهلية بباريس نسخة خطية من كتاب الأدوار والألوف[٥] . وأشار سوتر Suter الى كتاب الألوف في بيوت العبادات الذي ذكره البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ للهجرة[٦] . ولأبي معشر مؤلفات أخرى مهمة ترجم بعضها الى اللاطينية ، منها كتاب المدخل الكبير الى علم أحكام النجوم ، منه نسخ خطية في خزانات كتب العالم الشهيرة[٧] . وقد ترجمه Joh. Hispalensis ، كما ترجمه Hermanus Secundus أو Dalmata . وقد طبعت ترجمته في مدينة أوكزبرك Augsburg عام ١٤٨٩ للميلاد[٨] . وكتاب القرانات ، وقد طبع في Augsburg كذلك عام ١٤٨٩ للميلاد[٩] . وطبع مرة أخرى

---

(١) ابن القفطي (١٥٢) ، ابن صاعد (ص ٥٦ ـ ٥٧) ، ابن خلكان : الوفيات ، طبعة القاهرة ١٣١٠ (١/١١٢) .

Brockelmann, I . S . 221 . Ency . . I , P . 99 . Suter . in Abhandlung Zur Geschichte der Mathem. Wissenschaft. VI . 31 . x . 28

(٢) Ency . . I . S. 99

(٣) الفهرست (ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧) .

Lippert. Abu Ma'shars kitab al-uluf. (wiener Zeitschr. für die kunde des Morgenlandes . lx , 351

(٤) طبقات الأمم (ص ٥٦) .

(٥) Brockelmann . Suppl . . I . S . 395 .

(٦) Ency . . I , P. 100 .

(٧) Paris 5902 . Garullah 1508 . Berl. Cod. Orient. Seminar. 46 . Halid Ef. 541 . yeni 1193 . Mesh. XVII . 50 . 155. Brockelmann Suppl. . I , S . 395

(٨) طبعت بعنوان :

Introductorium in astronomiam Albumasaris Abalachu Octo Continens libros partiales . Ency . . I , P. 100.

(٩) Abumasar de Magnis Conjunctionibus et annorum revolutionibus ac Corum profectionibus . octo Continens Tractatus. Ency. . I. P. 100

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عام ١٥١٥م بمدينة البندقية Venice (١) . ولم يشر الطبرى الى اسم أبى معشر ، ويظهر أنه لم ينقل من كتابه هذا ؛ لأن ما ذكره ، حمزة ، يختلف عما دونه الطبرى ، وهذا يدل على أن الطبرى قد استعان بموارد لم يستعن بها حمزة ، والا لم يحدث هذا الاختلاف .

يظهر من أقوال هذين المؤرخين ومن أقوال آخرين أن المؤرخين المسلمين لم يعنوا عناية خاصة بتأريخ اليونان والروم ، وأن الذين اضطروا الى تدوين تواريخ ملوكهم ، باعتبار أن ذلك جزء من التأريخ العام ، أخذوا ما دونوه من موارد ثانوية ، أى أنهم لم يراجعوا الموارد الأصلية والوثائق والمستندات . وهى مكتوبة كما نعلم بالأغريقية أو اللاطينية أو السريانية ، ولم يكن من اليسور لهم مراجعتها لاختلاف اللسان . ولهذا عمدوا الى التراجمة والمترجمات ، أو الى المؤلفات المدونة فى العربية لجماعة من النصارى أو المسلمين ، فأخذوا منها ، ولم يتوسعوا فى الغالب فى النقل والاقتباس والتدوين ، فجاء أكثر ما أخذوه قوائم بأسماء الملوك . أما ما يتعلق بحروبهم وسياساتهم وآرائهم وأمثال ذلك ، فما كان له صلة بالفرس أو بالعرب ذكر ، وما لم يكن له صلة مباشرة أهمل . ولهذا لا نجد فيما دون عن الروم غير الاختصار ، والمعول منه على ما يظهر من فحصه وتحليله ، منقول عن الموارد السريانية أو من تراجمة العربية التى وعتها ذاكرة الأخباريين .

وقد أخذ المسعودى أكثر ما دونه عن تأريخ الروم من النصارى ، الذين اتصل بهم فى أسفاره . ولذلك كان لما دونه أهمية كبيرة جدا ؛ لأنه ينقل روايات متنوعة عراقية وشامية ومصرية . ونجد فى كتبه أشياء لا نجدها فى تأريخ الطبرى . وقد عرف المسعودى تأريخ الطبرى وأشار اليه ، وأثنى عليه(٢) ، ونقل منه ، ونقل من موارد نقل منها الطبرى كذلك . ولهذا فان للمقارنة بين ما كتبه الطبرى عن الروم وبين ما كتبه المسعودى عنهم أو حمزة أو المؤرخون الآخرون ، فائدة كبيرة فى تشخيص الموارد التى نقل منها الطبرى تأريخ اليونان والروم .

ذكر الطبرى الروم فى جملة أولاد سام بن نوح ، وأبناء سام ، فى رأيه ، هم العرب وفارس والروم . وقد أخذ الطبرى روايته هذه عن محمد بن سهل بن عسكر ،

(١) Ency. . I . P. 100.

(٢) المروج (٦/١) .

حدثه بها عن اسماعيل بن عبدالكريم ، عن عبدالصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه[١] ، فهي رواية من الروايات المنسوبة الى وهب بن منبه . وأما صاحبها وراويها الى الطبري ، وهو محمد بن سهل بن عسكر ، فهو من حسنة الاسرائيليات ، وأكثر ما رواه الطبري عنه هو من هذا القبيل . وهو مولى بني تيم ، ومن اهل بخارى . وقد تنقل في ارض الخلافة كامثاله من طلاب العلم والعلماء ، واستقر أخيرا ببغداد ، وبها مات في شعبان من سنة ٢٥١ للهجرة[٢] . وقد مكنته أسفاره من أخذ العلم من عدد من العلماء ، أكثرهم من أصحاب الحديث ، كما جعلته موردا لعدد من طلاب العلم ، فصار شيخ لجماعة فيهم الثقات المشاهير ، أكثرهم من المحدثين .

ولم يشر الطبري الى المكان الذي التقى به بمحمد بن سهل بن عسكر فأخذ منه تلك الروايات ، ولا الى الزمان . ولعله أخذ عنه ببغداد أيام اقامة الطبري بها . وقد ورد اسمه في سبعة عشر موضعا من تاريخ الطبري[٣] .

ونقل الطبري رواية أخرى عن شيخه الحارث بن محمد ، عن محمد بن سعد ، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، جاء فيها أن الروم هم بنو لنطى بن يونان بن يافث ابن نوح[٤] . وحدثه بمثل هذه الرواية شيخه أبو كريب[٥] . أما عمران بن بكار الكلاعي ، وهو من مشايخ الطبري كذلك ، فقد حدثه أن سعيد بن المسيب قال : « ولد نوح ثلاثة ، وولد كل واحد ثلاثة : سام ، وحام ، ويافث . فولد سام العرب ، وفارس ، والروم ؛ وفي كل هؤلاء خير . وولد يافث الترك ، والصقالبة ، ويأجوج ومأجوج ، وليس في واحد من هؤلاء خير . وولد حام القبط ، والسودان ، والبربر »[٦] .

وشيخ الطبري ، عمران بن بكار بن راشد الكلاعي هو أبو موسى البراد الحمصي المؤذن المتوفى بحمص سنة احدى وسبعين ومئتين ، وقد روى عنه جماعة من المحدثين[٧] ، ولعل الطبري أخذ منه في سفره الى الشام . وقد ذكره الطبري في موضعين من

---

(١) الطبري (١/١٠٢) .
(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/٣١٣) ، تهذيب التهذيب (٩/٢٠٧) .
(٣) فهرست تاريخ الطبري « عمل دي غويه » (ص ٥١٥) .
(٤) الطبري (١/١٠٥) .
(٥) الطبري (١/١٠٦)
(٦) الطبري (١/١٠٦) .
(٧) تهذيب التهذيب (٨/١٢٤) .

تاريخه[١] .

وقد تعرض المسعودى المتوفى فى عام ٣٤٦ للهجرة ، أى بعد وفاة الطبرى ، لذكر ملوك اليونانيين وما قاله الناس فى بدء أنسابهم ، فاجمل الآراء التى قيلت فى نسب اليونانيين . ولما كان المسعودى لم يتبع فى عرضه التأريخى طريقة السند ، ولم يتقيد بذكر المورد الذى أخذ منه ، صعب علينا التوصل ، بالمقابلة بين تاريخ الطبرى ومؤلفات المسعودى ، الى معرفة الموارد التى أخذ منها الطبرى أو كلاهما معا . ويظهر على كل حال من تمحيص ما دونه المسعودى عن أنساب اليونان ، أنه قد غرف من معين لم يغرف منه الطبرى ، وأنه لم ينقل شيئا فى هذا الفصل من تاريخ الطبرى ؛ اذ جاء بأشياء لم يذكرها أبو جعفر فى تأريخه[٢] ، أشياء تدل على الفرق بين الشخصيتين وبين نفسيتى الرجلين . فالطبرى من العلماء الرواة الحفاظ ، أما المسعودى فباحث قريب من المؤرخ الحديث ، ميال الى البحث والاستقصاء ووصف الغريب ، وان كان لا يخلو من تأثير زمنه عليه فى رواية الأعاجيب والأساطير دون فحص او نقد . وصف الأهرام ومقياس النيل وعادات المصريين فى ذلك الوقت ، وتحدث عن تقاليد الأقباط وعادات النصارى وعن الأساطير المصرية القديمة وقصة كليوبطرة وغير ذلك مما يلذ للانسان سماعه . وفعل مثل ذلك عن الأقطار الأخرى التى رآها وزارها . أما الطبرى ، فقد زار بلادا ومدنا كثيرة ، ولاسيما البلاد العريقة بالحضارة كالعراق وديار الشام ومصر ، ولكنه لم يتحدث بشىء ما عن آثارها وعجائبها وقصص أهلها وأساطيرهم وتقاليدهم وعاداتهم ، ثم يحفل بكل ذلك ، ولم يعبأ به ، كأن ذلك لا يتصل بالتأريخ ، فجاء ما كتبه عن أزمن ما قبل الاسلام جفا ليس فيه غير هذا الذى رواه عن مشايخه من أخبار الرسل والأنبياء والملوك ، وأكثره قصص اسرائيلى وأساطير .

وفى أثناء الكلام على دارا ، وهو المعروف بـ Darius[٣] ، تكلم الطبرى عن

(١) راجع فهرست تاريخ الطبرى . عمل دى غويه . (ص ٤١١) .

(٢) المروج (١/١٤٢ – ١٤٣) .

(٣) صاحب الكتابة الشهيرة ، راجع :

The Sculptures and Inscription of Darius the Great . London. 1907

Sir H. Rawlinson . Inscription of Darius on the Rock at behiston. London 1873.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسكندر بن فيلقوس[١] ، وفيلقوس أبوه فيلبش أو فيلقوس فى كتب أخرى[٢] . ويعنون بذلك Philip كما يقال فى بعض اللغات الأوربية الحديثة ، و Philppos فى اليونانية[٣] . وقد حصل الاسكندر على شهرة كبيرة فى القصص العربى الاسلامى ، وألفت كتب فى حكمه وآرائه وسياسته ، وصار موضوعا خصبا لأصحاب القرائح فى العربية والفارسية والتركية وفى غيرها من اللغات . وقد تركت فتوحات الاسكندر أثرا كبيرا فى العقلية اليهودية وفى النصرانية[٤] ، وصارت موضوعا من موضوعات الأدب، وتغلب بمرور الزمن العنصر الأدبى على العنصر التأريخى ، فأصبحت سيرته نوعا من أنواع الميثولوجيا Mythology فى الأدب العالمى ، وارتفع عن مرتبة الرجال العظام الى مرتبة الأبطال المجاهدين لتحقيق المثل الانسانية العليا والمبادىء الدينية وشريعة التوحيد ، ورويت عنه قصص فلسفية حكمية مع أرسطوطاليس « أرسطاطاليس » . وقد صنعت معظم هذه القصص فى مدينة الاسكندرية التى تحمل اسم هذا الملك والتى التقت فيها عقلية الغرب بالشرق ، فاكتست الفلسفة اليونانية ثوبا شرقيا دينيا صوفيا ، وفى هذه المدينة فصلت أكثر هذه الثياب التى صنعها خياطون من مختلف العصور والثقافات للاسكندر ، ولا شك .

ولم يرد اسم الاسكندر فى العهد القديم ، وانما أشير الى مملكته فى سفر دانيل[٥] . وقد ذكر اسمه فى المكابيين[٦] . وصيغت فى الأدب العبرانى عنه قصص وحكايات ، منها ما هو يهودى بحت ، ومنها ما ورد الى اليهود عن سواهم[٧] . ومن هذه القصص قصة الأسئلة العشرة التى عرضها الاسكندر على حكماء الجنوب[٨] ، ولها شبه بالقصص المروية

(١) الطبرى (٢/٦ وما بعدها) .

(٢) المروج (١/٢٤٤ وما بعدها) .

(٣) Harvey . The Oxford Companion to Classical Literature. Oxford 1940 . P. 321

(٤) Ency. Bibl. . P. 112

(٥) الاصحاح الثامن : رؤيا دانيال . والاصحاح الحادى عشر : الآية الثالثة .

(٦) Imacc. . 1 , 1-8.

(٧) Tamid 31 b - 32a

(٨) The Universal Jewish Encyclopedia . New york 1948 . vol. I . P. 172.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عن بلوتارخ Plutarch [١] ، وقصة سفرة الاسكندر الى المناطق المظلمة من افريقية [٢] ، وقصة سفرة أخرى قام بها الاسكندر الى شعب الأمزون Amazons حيث قدم له خبز مصنوع من الذهب ليأكله [٤] . وتلك أسطورة أخذت من أسطورة يونانية عتيقة عن شعب زعم أنه عاش فى أيام الأبطال [٥] . وسفرة أخرى قام بها الى أبواب الجنة ، حيث منع من الدخول اليها ، غير أنه أعطى عظما كان أثمن من كل ما لديه من ذهب وفضة ، وموعظة الحبر له [٦] . ثم قصة الملك Kasia مع الاسكندر والكنز المدفون [٧] . وقصة حمل النسرين له الى السماء ، الى مرتفع عال حيث تجلت له كرة الأرض ، ثم نزوله الى البحر [٨] . ثم القصة التى ترينا الاسكندر وقد طمع أن يعبده الناس كما يعبد المعبود [٩] . وعد الاسكندر فى جملة الملوك الذين حكموا الأرض [١٠] . وقد عملت أكثر هذه القصص فى الاسكندرية ، وهى قصص يهودية متأثرة بقصص يونانى قديم . وقد جعل الاسكندر بطلا لقصص أخرى عديدة ، بعضها يعود فى الأصل الى اسكندر آخر [١١] .

هنالك قصص أخرى يظهر أنها اسرائيلية المولد والمنشأ ، ترينا فى الغالب ميول الاسكندر نحو اليهود ، وعطفه عليهم . منها قصة ذلك الرجل المسمى Gebiha ben Pesisa أو بن كوسم ben Kosem ، ودفاعه عن حقوق اليهود [١٢] ، وقصة محاولته وضع تمثال له فى الهيكل وعدم موافقة الحبر الأعظم على ذلك . ثم قصة أخذه

---

(١) Jew. Ency. .Vol. T . P. 172

(٢) Tamid 32a . Hniv. Jew. Ency .. I . P. 172

(٣) Univ. . jew. Ency. . I . P. 172 .

(٤) The Oxford Companion to Classical Literature . P. 23.

(٥) Tamid 32 b .

(٦) Yer . B. M. . ii . 8c .

(٧) Yer . A . Z . iii . 42c .. Eeisenstein . J . D . . Otzar . Midrashim . 1915 . P . 463 . Gaster . M . . Exempla . No. 5 . P . 58

(٨) . Jew. Ency. . Vol .. I . P. 172

(٩) Gaster . M . . Maaseh Book . 1934 . I . P. 262.

(١٠) The Univ. Jew. Ency .. I . P. 172.

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) Sanh . 91a . Budge . E. A . W. . Life and Exploits of Alexander the Great . 1896 . PP. 403 - 428 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عظام النبى أرميا الى الاسكندرية[١] . وقصة الخضر مع الاسكندر[٢] . وقصص أخرى ظهرت بين العبرانيين فى القرون الوسطى[٣] ، مثل قصة السلة التى تتخفى عند وضعها فى نقعة التقاء السماء بالأرض[٤] ، وأمثال ذلك مما وجد له سبيلا الى آداب الأمم الأخرى عن طريق احتكاكها بالعبرانيين أو عن طريق اليهود الذين اختلطوا بمختلف الأقوام .

وترجع جذور قصص الاسكندر الى أيام فتوحات هذا الملك العظيم . ففى أيام هذا الملك ، أخذت تظهر هذه الأساطير التى وجدت لها تربة صالحة فى الشرق . ومن التواريخ الخرافية التى دونت عنه ، التأريخ الذى وضعه Cleitarchus الذى عاش فى حوالى ٣٠٠ قبل الميلاد . وقد نمت هذه الأساطير وتركزت خاصة فى القرن الثالث بعد الميلاد . وجعلت الروايات السريانية الاسكندر رجلا نصرانيا مؤمنا . ووجدت هذه الروايات لها سبيلا الى العربية والحبشية والهندية وغيرها من اللغات الشرقية ، كما وجدت لها سبيلا الى الانكليزية والفرنسية واللاطينية فى القرون الوسطى حيث أصبحت من الموضوعات المطروقة فى النثر والشعر ، وخاصة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر للميلاد[٥] .

وفى الفرنسية قصيدة سميت باسم الاسكندر ، نظمت فى القرن الحادى عشر للميلاد ؛ وعرف فى انكلترة أثران يظهر أنهما بنيا على قصة وضعت باللاطينية ، هما : « رسالة من الاسكندر الى ارسطوطاليس » ، و « عجائب الشرق » . ومن القصص الفرنسى الموضوع شعرا أو نثرا عن الاسكندر ، أخذت أصول قصص الاسكندر فى الانكليزية ، وذلك بين ١٢٠٠ ـ ١٥٠٠ للميلاد ، ولاسيما المنظومة المسماة King Alisaunder . وقد جعل شكسبير أحد الضباط الولشيين Welsh الذين وضعهم فى

(١) Midrash Agada to Mum. 30 : 15 . the . Univ . Jew. Ency.. I . P. 172.

(٢) Friedlander. Die Chadirlegende und Alexanderroman. 1913

(٣) Gaster . M . Hebrew Romance of Alexander the Great. in Journal of the Royal Asiatic Society (1897)

(٤) The Univ Jew. Ency. , I . P. 172.

(٥) Harvey. The Oxford Companion to Classical Literature.P.21

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

روايته « هنرى الخامس Henry V »، من المطلعين العارفين بقصص الاسكندر(١) .

وألف باللاطينية كتاب مهم عن حياة الاسكندر يقع فى عشرة كتب ، ضاع منهـا الكتابان الأولان . ألفه كورتيوس روفوس Curfins Rufns quintus فى أيام قلوديوس Claudius(٢) أو فسباسيان Vespasian(٣) . ويغلب على الكتاب طابع الرواية ، وقد كتب بأسلوب قصصى ممتاز ، غير أنه ضعيف من ناحية النقد التأريخى ، ولذلك كانت للكتاب مكانة بين الكتب المؤلفة فى قصص الاسكندر(٤) . وفى السفر الأول من أسفار المكابيين شىء عن الاسكندر يعبر عن وجهة نظر العبرانيين(٥) .

أخذ الطبرى أخباره عن الاسكندر من موارد مختلفة لم يصرح باسمها ، فأضاع بذلك أموراً تفيد المؤرخ جدا . نعم ، أشار الى الروايات التى ترجع الى ابن الكلبى ، غير أنه لم يذكر اسم الراوى الذى روى له الخبر ، أو اسم الكتاب الذى نقل منه ، مخالفا بذلك طريقته المألوفة التى اتبعها فى الاسرائيليات وفى قصص الملوك والأنبياء ، حيث كان يروى أسماء من حدثه بالخبر فيوصل السند الى « هشام بن محمد بن السائب » الكلبى ، ومنه الى صاحب الخبر . فليس من السهل التوصل من عبارة مبنية على المجهول مثل قول الطبرى : « وحدثت عن هشام بن محمد قال » ، أو « قال وذكر غير هشام أن ... »(٦) ، أو « فأما هشام بن محمد فانه قال فيما حدثت عنه .. »(٧) ، أو « فذكر

(١) Harvey , the oxford Companion to classical Litterature.P.21

(٢) « قلوديس » تاريخ اليعقوبى (١٦٤/١) « طبعة هوتسما » ، « قلوديوس » الطبرى (٢٥/٢) . « قلوذيوس » ابن العبرى (١١٥/١) .
Claudius (Tiberius Claudius Drusus Nero Germanicus) (41 - 24 . A . D). Harvey. P . 107.

(٣) « اسفسيانوس » ابن العبرى ١١٧/١ . « اسفسيانوس أبو طيطوس الذى وجهه الى بيت المقدس » الطبرى ٢٥/٢ ، « ثم ملك اسفسيانوس عشر سنين وكان أهل مملكته يسمونه الإله لوجه ابنا له يقال له ططوس الى بيت المقدس فحاصرهـا أربعة أشهر » اليعقوبى ١٦٤/١ .
Vespasian . (Titus Flavius Sabinus Fespasianus) (70-79.A.D) . Harvey . P. 445

(٤) Harvey , P. 127 .

(٥) First Book of the Maccabus .

(٦) الطبرى (٦/٢) .

(٧) الطبرى (١٠/٢) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هشام ما ذكرت عنه ولم يبين مدة ملك القوم»[١] ، أو « وكان .... فيما ذكر هشام بن محمد .. »[٢] ، أو « فحدثت عن هشام بن محمد قال .. »[٣] ، أو غير ذلك من أمثال هذه العبارات ـ الى اسم الراوى ، أو الأثر الذى نقل منه الطبرى قوله . وقد يمكن التوصل الى ذلك بمقارنة عبارات الطبرى بما دون فى كتب التأريخ التى ألفها مؤرخون عاشوا قبله أو فى زمانه أو بعده ، عندئذ تمكن معرفة المورد الذى نقل منه الطبرى وبقية المؤرخين . غير أن أكثر الذين كتبوا فى التأريخ العام ، ولاسيما فى تأريخ الفرس والروم ، لم يشيروا الى أسماء الموارد التى نقلوا منها ، ولذلك يصعب علينا التوصل حتى بهذه الطريقة الى معرفة الموارد الأصلية التى نقل منها الطبرى وبقية المؤرخين الذين كتبوا فى ذلك الموضوع .

ذكر ابن النديم اسم كتاب فى جملة الكتب التى ألفها ابن الكلبى ، دعاه « كتاب ملوك الطوائف » ؛ وكتابا آخر سماه « كتاب الأوائل » ، و « كتاب خبر الضحاك » ، وكتبا أخرى فى أخبار الأوائل[٤] . فمن أى كتاب من هذه الكتب أخذ الطبرى وغيره تلك الأخبار ؟ واذ أن ابن النديم ومن ترجموا لابن الكلبى لم يشيروا الى محتويات هذه الكتب ، واذ كانت هذه الكتب فى حكم الكتب الضائعة ، فاننا لا نستطيع رجع هذه النتف المدونة فى تأريخ الطبرى وفى كتب التأريخ الأخرى الى أصولها التى وجدت فيها فى صحف ابن الكلبى . غير أن أغلب ظنى أن الطبرى نقل أخباره التى نسبها الى ابن الكلبى عن « ملوك الطوائف » ، وهم الأشغانيون[٥] ، من كتاب ملوك الطوائف الذى أشار اليه ابن النديم . واذا صح هذا الظن فنحن أمام مقتبسات ونتف من هذا الكتاب الذى لم يشر الى وجوده فى الوقت الحاضر بروكلمن[٦] ولا غيره من الباحثين عن الكتب المطبوعة أو المخطوطات[٧] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الطبرى (٢/١١) .
(٢) الطبرى (٢/٢٦) .
(٣) الطبرى (٢/٢٧) .
(٤) الفهرست (ص ١٤١) ، كتاب الأصنام ، « ثبت مصنفات ابن الكلبى » (ص ٧١ ، ٧٣ ، وما بعدها) .
(٥) الطبرى (٢/١٠ ـ ١١) .
(٦) Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur , I , S . 139 , Supplement , I . S . 211 - 212.
(٧) الأصنام .

ولم يقتصر الطبرى فى أخباره عن الاسكندر وعن الذين خلفوه على ما ذكره هشام وحده ، بل نقل أخبارا أخرى رواها غيره من الرواة ، عقب بها على أخبار ابن الكلبى أحيانا ، وقدمها على أخباره أحيانا أخرى • وقد نبه على ذلك بمثل قوله « قال : وذكر غير هشام أن •• »[١] ، أو « وقال غيره من أهل العلم ••• »[٢] ، وهى جمل تشير الى أن الطبرى قد نقل من موارد أخرى لا صلة لها بمؤلفات هشام •

ويظهر أن الطبرى قد أخذ من موارد استمدت أخبارها من الروم ، أو من مؤلفات نقلت عن اليونانية أو اللاطينية ، كما يفهم ذلك من قوله : « وأما الروم وكثير من أهل الأنساب »[٣] • وقوله « ••• فيما ذكر الروم ••• »[٤] • ومن الجائز أيضا أن الطبرى قد دون هذه العبارات كما وجدها فى الكتب التى نقل منها ، أو كما سمع ذلك من محدثيه ، فنقلها فى كتابه معبرا بذلك عن أقوال غيره ممن يقص أقوالهم علينا • وقد قلت فيما سلف ان ابن النديم والمسعودى وغيرهما أشاروا الى كتب نقلت الى العربية فى تاريخ الروم واليونان ، فلعلها وصلت الى أيدى الطبرى فنقل منها ، فلم يشأ لذلك أن يفصح عن أسماء نقلتها وهم من أهل الكتاب •

وللفرس فى الاسكندر رأى ، فقد جعلوه من أب فارسى هو دارا بن بهمن ، ومن أم يونانية سماها اليعقوبى انفيدا ، ويرى هوتسما ناشر تاريخ اليعقوبى أن انفيدا تصحيف أولمبيا Olympia[٥] • وعلى ذلك فالاسكندر هو من الفرس • ولا ندرى بالطبع متى صير الفرس الاسكندر منهم : أفى أيام الجاهلية ، أى قبل الاسلام ؟ أم فى الاسلام ، أى بعد انقراض ملكهم وزوال دولتهم ؟ ومن عادة الشعوب المغلوبة التفتيش عن الماضى ، واضافة الأعمال المجيدة اليها ، ليكون ذلك سلوى لها ، وحفزا لاثارة الهمم ، وتغطية لما حل بها من نكبات •

وانا ليصعب علينا تحديد الوقت الذى ظهرت فيه هذه القصة ، وقصة اغتيال دارا ورجائه من الاسكندر الانتقام من قتلته ، والتزوج من ابنته روشنك Rushang Roxana[٦]

(١) الطبرى (٢/٦) •
(٢) الطبرى (٢/١١) •
(٣) الطبرى (٢/٩) •
(٤) الطبرى (٢/١٠) •
(٥) تاريخ اليعقوبى (١/١٦١) •
(٦) Ency. of Islam, vol, II, P .534

وذلك لعدم وصول نسخ كاملة من الترجمات العربية لكتب « سير ملوك العجم » الينا حتى الآن ، ولأن هذه المقتبسات والنتف المدونة فى تأريخ الطبرى وفى كتب التأريخ الأخرى لا تعطينا فكرة صحيحة عن تلك الأصول .

وقد دون الطبرى مقتل دارا وأسباب الخلاف الذى حدث بينه وبين الاسكندر وزواج الاسكندر ابنة دارا باختصار ، أخذه على ما يظهر من رواية مطولة لهشام بن الكلبى[١] . ثم أعاد القصة بشىء من التفصيل ، وقد نقلها من مورد آخر كما أشار الى ذلك بقوله : « قال : وذكر غير هشام »[٢] . ويظهر من قول الطبرى « قال » وبعدها جملة « وذكر غير هشام » أن الطبرى قد نقل ما دونه من كتاب آخر ، أو من قول رجل كان يتحدث اليه أو يملى عليه ، فبعد انتهائه من تلخيص خبر ابن الكلبى تحدث الراوى الى الطبرى برواية أخرى ترجع لرجال آخرين ، أو أن الطبرى نقل ما كتبه من كتاب آخر فدونه على نحو ما وجده فى ذلك الكتاب .

وذكر الطبرى رواية أخرى عن الاسكندر استهلها بقوله : « وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين » ، ثم سرد بعدها أسطورة زواج دارا الأكبر بأم الاسكندر المسماة هلاى ، واختلاف دارا الأصغر وهو ابن دارا الأكبر مع شقيقه الاسكندر بسبب مطالبة الفرس للروم بدفع الجزية التى كان يدفعها ملوك الروم الى الفرس فى كل عام ، وامتناع الاسكندر عن دفعها قائلا لملك الفرس : « انى قد ذبحت الدجاجة وأكلت لحمها ، ولم يبق لها بقية ، وقد بقيت الأطراف ، فان أحببت وادعناك ، وان أحببت ناجزناك » . ثم ما كان من اغتيال دارا وسقوطه على الأرض ومجىء الاسكندر اليه وهو بآخر رمق ومسحه التراب عن وجهه ووضعه رأسه فى حجره الى آخر القصة[٣] .

وقد قص علينا هذه القصة عالم آخر هو أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ للهجرة[٤] . وهى تتفق مع القصة التى سردها الطبرى فى المعنى ، وان

---

(١) الطبرى (٢/٦) .

(٢) الطبرى (٢/٧) .

(٣) الطبرى (٢/٧ وما بعدها) .

(٤) الآراء مختلفة فى سنة وفاته ، راجع الارشاد « طبعة مارغليوث » (١/١٢٣ وما بعدها) ، بغية الوعاة (ص ١٣٢) .

Wustenfeld, Die Geschichtschreiber, No. 79, Brockelmann, . I, S. 123

ضحى الاسلام (١/٤٠٦ وما بعدها) . راجع أيضا ملحق بروكلمن :

Suppl. , I , S . 187.

كانت تختلف عنها فى بعض الجمل والتفصيلات التى لا تؤثر على العرض العام .

ويظهر من مقارنة القصتين بعضهما ببعض أن الرجلين قد غرفا من منبع واحد ، وأخذا من مؤلف يرجع الى الفرس كالذى يفهم من عبارة الدينورى : « وقد اختلف العلماء فى نسبه ، فأما أهل فارس فيزعمون أنه .. »[١] ، وهى عبارة افتتح بهـا هذه القصة . وقد عرف عن الدينورى أنه نقل من الكتب التى ترجمها ابن المقفع ، فلعله نقل قصص الاسكندر من تلك الكتب .

ولما مات الاسكندر ، عرض الأمر ـ على حد قول الطبرى ـ على ابنه الاسكندروس ، فأبى ، واختار النسك والعبادة ، فملكت اليونانية عليهم بطلميوس بن لوغوس ، ثم بطلميوس فيلا فطرا ، ثم بطلميوس افيفانوس ، ثم بطلميوس أورغاطوس ، ثم بطلميوس ساطر ، ثم بطلميوس الأحسندر ، ثم « بطلميوس » الذى اختفى عن ملكه ثمانى سنين ، ثم بطلميوس دونسيوس ، ثم بطلميوس قالوبطرى . « فكل هؤلاء كانوا يونانيين ، فكل ملك منهم بعد الاسكندر كان يدعى بطلميوس ، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة ، وهم الذين يقال لهم الفقانيون . ثم ملك الشام بعد قالوبطرى ـ فيما ذكر الروم ـ أغوسطوس ستا وخمسين سنة . فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ، ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام الاسكندر ثلاثمئة سنة وثلاث سنين »[٢] .

وقد ذكر الطبرى مع كل ملك سنى حكمه ؛ لذلك نستحسن مقارنة هذه القائمة بالقوائم المماثلة التى دونها بعض المؤرخين المعاصرين للطبرى ، أو الذين عاشوا بعده بزمن غير طويل .

وقد دون أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤ للهجرة[٣] قائمة بأسماء خلفاء الاسكندر تختلف عن قائمة الطبرى ، فى الأسماء وفى السنين . وهى تدل على عدم وقوف اليعقوبى على قائمة الطبرى ، المعاصر له ، أو على المورد الذى استقى الطبرى منه ، والا لما حدث بينهما هذا الاختلاف . فزعم اليعقوبى أن الذى حكم بعد الاسكندر هو ذو القرنين بطلميوس ، والمتعارف عند الأخباريين والمؤرخين أن ذا القرنين هو الاسكندر نفسه ، وحكم بعده فيلقوس ، ثم هو رحيطوب الأول ، ثم فيلوبطور ، ثم فيقانس ، ثم فيلو بطور الثانى ، ثم هور حيطوب

(١) الأخبار الطوال « طبعة ليدن » (ص ٣١) .
(٢) الطبرى (٢/١٠) .
(٣) الارشاد (٢/١٥٦) « طبعة مارغليوث » . Ency., IV, P. 1153

الثاني[١] . فأنت ترى نفسك أمام قائمة تختلف عن قائمة الطبرى اختلافا يشير الى أنهما قد نقلا من موردين مختلفين .

أما الدينورى الذى أطنب فى قصة الاسكندر اطنابا لا نجده فى تاريخ الطبرى[٢] ، فانه لم يتعرض لخلفاء الاسكندر ، ولم يشر الى أسماء الذين حكموا بعده . ونلاحظ بصورة عامة أنه زاهد فى أخبار اليونان والروم ، مقتصد فى ذكر أخبارهم ، ميال الى التبسط فى الحديث عن أخبار الفرس[٣] . والظاهر أنه انما تبسط فى الحديث عن الاسكندر ، لما رأينا من دعوى أصحاب الأخبار من الفرس من أن والد الاسكندر هو دارا الأكبر ، ولما رووه من قصص له علاقة بمقتل دارا الأصغر ، وبتولى الاسكندر عرش الفرس .

وحكم بعد الاسكندر على رأى المسعودى بطلميوس ، ثم هيفلوس ، ثم بطلميوس الصانع ، ثم بطلميوس المعروف بمحب الأب ، وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب أنطاكية الاسكندروس ، ثم ملك بعده بطلميوس صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى ، ثم بطلميوس محب الأم ، ثم بطلميوس الصانع ، ثم بطلميوس المخلص ، ثم بطلميوس الاسكندرانى ، ثم بطلميوس الحديدى ، ثم بطلميوس الجوال ، ثم بطلميوس الحديد ، ثم ابنته قلبطرة ، وهى آخر الملوك الذين حكموا بعد الاسكندر ، وعددهم أربعة عشر ملكا ، وعدد سنى ملكهم ثلاث مئة سنة وسنة واحدة[٤] .

وتختلف هذه القائمة عن القائمة التى دونها المسعودى لملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين فى كتابه الآخر ، وهو كتاب التنبيه والاشراف[٥] ، بعض الاختلاف فى عدد الملوك وفى مدة حكم كل ملك . ذكر المسعودى أن عدة ملوك اليونانيين من فيلبس الى قلوبطرة ستة عشر ملكا ، وجملة ما ملكوا من السنين مئتا سنة وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يوما ، وذلك موجود فى قانون ثاون الاسكندرانى[٦] وغيره . ولكنه ذكر أيضا أن من عنى بأخبار سير الملوك وتواريخ الأمم مختلفون فى عدة ملوك اليونان وفى

---

(١) تاريخ اليعقوبى « طبعة هوتسما » (١/١٦٣ وما بعدها) .
(٢) الأخبار الطوال (ص ٣١ وما بعدها) .
(٣) Ency . , vol . , I , P . 977
(٤) المروج (١/٢٥٨ وما بعدها) .
(٥) التنبيه والاشراف ـ طبعة مصر (ص ٩٧) .
(٦) التنبيه (ص ٩٧) .

مدة سنيهم[١] ، وذكر أن أبطلميوس أورنداس هو أول من حكم بعد الاسكندر ، ثم حكم بعده أبطلميوس الكصندرس ، ثم أبطلميوس الأديب ، ثم أبطلميوس محب أخيه ، فـ «أبطلميوس الصانع» ، ثم أبطلميوس محب أبيه ، ثم أبطلميوس الظاهر ، ثم أبطلميوس محب أمه ، ثم أبطلميوس الجوال ، ثم ابطلميوس المخلص ، ثم أبطلميوس الكصندرس ، ثم أبطلميوس قساس ، ثم أبطلميوس ديونسيوس ، ثم قلوبطرة ابنة أبطلميوس ، وكانت حكيمة ولها كتب فى الرقية وغيرها[٢] ، وقد قتلها أوغسطس الذى استولى على ملك اليونانيين ومصر والشام ، وكون ـ على رأيه ـ ملك الروم[٣] .

وذكر ابن النديم أن لثاون الاسكندرانى جملة كتب ، منها كتاب جداول زيج بطلميوس المعروف بالقانون المسير[٤] ، وعرف عند المسلمين بعلمه فى الكواكب ، وبآرائه فى الزيج[٥] . وقد ذكر ابن القفطى أسماء مؤلفات « ثاؤن »[٦] وقد نقلها على ما يظهر من فهرست ابن النديم . وقد عاش « ثاؤن Theon » فى القرن الخامس بعد الميلاد ، وكان فيلسوفا رياضيا[٧] . والظاهر أن المسعودى قصد بقانون ثاون ، الكتاب الذى أشرت اليه .

ولحمزة الأصفهانى قائمة كذلك بأسماء الملوك الذين حكموا بعد الاسكندر وبسنى حكمهم ، وقد دعاهم « ملوك مقدونية » . وهم : بطلميوس بن الأرنب ، وبطلميوس بن لعوس محب الأب ، وبطلميوس الصانع ، وبطلميوس محب الأب ، وبطلميوس صاحب علم النجوم ، وبطلميوس محب الأم ، وبطلميوس الصانع الثانى ، وبطلميوس المخلص ، وبطلميوس الاسكندرى ، وبطلميوس الحديدى ، وبطلميوس الخبيث ، وفلوقطرا بنت مخة[٨] .

وبمقارنة هذه القائمة بقوائم الملوك السابقة ، يتبين أنها قريبة بعض الشىء من قائمتى

---

(١) التنبيه (ص ٩٧) .
(٢) التنبيه (ص ٩٨ وما بعدها) .
(٣) التنبيه (ص ١٠٧) .
(٤) الفهرست (ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦) .
(٥) كتاب طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسى (ص ٥٤) .
(٦) اخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٧٦) .
(٧) Harvey , The oxford Companion to classical Literature , P . 426
(٨) حمزة (ص ٤٥ ـ ٤٦) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المسعودى ، ولاسيما القائمة المنشورة فى كتاب التنبيه والاشراف ، غير أن هذا لا يعنى أن حمزة نقل من القائمتين ؛ اذ نرى هنالك اختلافا فى الأسماء وفى السنين لا يشير الى أخذ حمزة من مؤلفات المسعودى ، الا أننا نستطيع أن نقول بكل تأكيد انهما نقلا من مورد واحد . وقد يكون هذا المورد هو أبو معشر جعفر بن محمد البلخى المتوفى سنة اثنتين وسبعين ومئتين للهجرة[١] ، وقد ذكر حمزة أنه أخذ أخبار الروم من مؤلف له سماه كتاب الألوف[٢] . وقد ذكر ابن النديم اسم هذا الكتاب بين أسماء كتب أبى معشر ، وقال : انه يقع فى ثمانى مقالات[٣] . ومن الممكن أن يكون المسعودى قد نقل احدى القائمتين من كتاب الألوف ، للتقارب الذى بين قائمة حمزة المنقولة من كتاب أبى معشر وبين قائمة المسعودى .

اذا دققنا قائمة الطبرى للبطالمة « البطالسة » ، نرى أنه قد ذكر الأسماء مع النعوت التى عرف بها كل بطلميوس ، وقد حافظ على النعوت كما هى ، فلم يترجمها الى العربية كما صنع من ذكرناهم ، الا أنه كتبها على نحو يلائم النطق بالعربية ، فأبعدها بذلك عن الأصل ، وقدم أيضا وأخر قليلا بين الأسماء . وبطلميوس بن لوغوس الذى ذكره الطبرى ، هو بطلميوس الأول المعروف بـ Soter أى المخلص « المنقذ » ، وهو ابن لاغوس Lagus . وقد تملك مصر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ، أى سنة وفاة الاسكندر الأكبر ، ودام حكمه حتى وفاته سنة ٢٨٣ قبل الميلاد[٤] . وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة على ما جاء فى تاريخ الطبرى[٥] . وحكم بعده بطلميوس الثانى

---

(١) الفهرست (ص ٣٨٦) ، ابن القفطى (ص ١٠٦) ، ابن صاعد (ص ٨٩) ، ابن خلكان (١/١١٢) ، راجع ما كتبه «لبرت» عن كتاب الألوف .
Lippert, Abu Ma'shars Kitab al-uluf, wiener Zeitschr. fur die kunde des Morgenlandes, ix, 351 , Ency. , vol, I , P . 100, Brockelmann, G . A , L . , I . S . 221 , Suppl. , I , S . 304 - 305 ,
« كتاب الأدوار والألوف » .
Brockelmann , Suppl . . I , P . 395 , Paris , Bibliotheque nationale , Catalogue des mss. Arabes Par le Baron de Slane , Paris 1883-95. (2581)

(٢) حمزة (ص ٥٤) .
(٣) الفهرست (ص ٣٨٧) .
(٤) Ency. Britani. , vol, 18,P. 731-732, Harvey P. 352, « ٣٢٣ ـ ٢٨٥ قبل الميلاد » قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .
(٥) الطبرى (٢/١٠) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعروف بفيلا دلفوس Philadelphus، وهو ابنه ، وقد حكم من سنة ٢٨٥ أو ٢٨٣ قبل الميلاد حتى سنة ٢٤٧ أو ٢٤٦ قبل الميلاد[١] . وهو مؤسس مكتبة الاسكندرية ، وكان محبا للأدباء والعلماء ، فجلب اليه الشعراء مثل ثيوقريطس Theocritus ، والرياضيين مثل أقليدس Eukleides Euclid الرياضى الشهير ، والفلكى أراتس Aratus , Aratos وأمثالهم[٢] . ولم يشر الطبرى اليه .

وقد وضع الطبرى بعد بطلميوس بن لوغوس اسم بطلميوس دينانوس ، وقال عنه انه حكم أربعين سنة[٣] ، وضعه فى مكان بطلميوس فيلادلفوس ، وهو خطأ ، ثم ذكر بعده اسم بطلميوس أورغاطس الذى قال عنه انه حكم أربعا وعشرين سنة[٤] ، وهو فى الواقع بطلميوس الثالث المعروف بـ Euergetes أى « الخير » « ٢٤٦ - ٢٢١ » قبل الميلاد[٥] . ولم يشرح الطبرى معنى هذا النعت . وحكم بعد بطلميوس الثالث بطلميوس الرابع المعروف بـ Philopator ، أى المحب لأبيه ، وقد حكم من سنة ٢٢١ حتى سنة ٢٠٤ قبل الميلاد[٦] ، وجعل الطبرى مدة حكمه احدى وعشرين سنة ، ودعاه بطلميوس فيلافطر[٧] ، وهو تحريف Philopator ولا شك . وحكم بعد بطلميوس الرابع بطلميوس المعروف بـ Epiphanes ، أى الظاهر[٨] ، وهو بطلميوس الخامس ، وقد حكم من سنة ٢٠٤ حتى سنة ١٨١ قبل الميلاد[٩] ، ودعاه الطبرى بطلميوس افيفانس ، وحكم - على روايته - اثنتين وعشرين سنة[١٠] . ثم حكم بعده بطلميوس أورغاطس[١١] ، ويقصد به الطبرى بطلميوس المعروف بـ Euergetes الثانى ، وهو بطلميوس السابع فى الواقع ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .
(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .
(٣) الطبرى (٢/١٠) .
(٤) كذلك .
(٥) Ency. Brita .. vol, 18, P. 732
(٦) Ency. Brita.. , vol , 8, P. 732 قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .
(٧) الطبرى (٢/١٠) .
(٨) Ency. Brita. , vol , 18 , P. 733. Bouche Leclereq, Histoire des Lagides , I PP . 333
(٩) Ency. Brita , vol , 8, PP. 733 ,
قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣ - ٢٣٤) .
(١٠) الطبرى (٢/١٠) .
(١١) الطبرى (٢/١٠) .

وقد نسي الطبري ذكر بطليموس السادس وهو المعروف بـ Philometor أي المحب لأمه الذي حكم من سنة ١٨١ حتى سنة ١٤٥ قبل الميلاد[١] . وأما بطليموس الثامن فهو المعروف بـ Soter الثاني[٢] ، وقد دعاه الطبري بـ « ساطر »[٣] ، وينعت أيضا بـ Lathyros . وحكم بعده بطليموس التاسع المعروف باسكندر الأول Alexander I[٤] ، وهو المعروف في تأريخ الطبري ببطليموس الأحسندر[٥] ، وهو تحريف الاسكندر ولا شك . وحكم بعد بطليموس الأحسندر على قول الطبري « بطليموس الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين » ، ثم بطليموس دونسيوس[٦] ، ويقصد به بطليموس المعروف بـ Philopator Philadelphus Neos Dionysus الذي حكم من سنة ٨٠ حتى سنة ٥١ قبل الميلاد ، وعرف أيضا بـ Auletes[٧] . وآخر من حكم من البطالسة على رأي الطبري بطليموس قالوبطرى[٨] . وبطليموس قالوبطرى هي قلبطرة عند المسعودي[٩] ، وهي كليوباطرة Cleopatra. ولم يذكر الطبري شيئا عن قصة « قالوبطرى » . أما المسعودي ، فقد جعلها حكيمة متفلسفة ، مقربة للعلماء ، معظمة للحكماء ، مؤلفة لها كتب ومؤلفات في الطب والزينة والحكمة ، وتعرض لقصة أنطونيوس معها ، ثم مجيء أغسطس قيصر الى مصر وقصة طلبها الحية من الحجاز[١٠] ، وذكر أشياء أخرى مهمة لها علاقة بالتأريخ الثقافي والديني والاجتماعي لليونان والروم ، وهي أمور لا تطرب مؤرخنا الطبري ولا تحرك أوتاره .

وقد روى الطبري أخبارا تشير الى غزو الفرس لليمن في الأيام الخالية والى وجود صلات قديمة بين أقدم ملوك الفرس الذين عاشوا قبل الميلاد وبين تبابعة اليمن ، ويظهر

---

(١) Ency. Brita, Vol 18, P. 733. قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٤) ، تأريخ مصر في عهد البطالمة للدكتور ابراهيم نصحي (١/٩٤) .

(٢) Ency . Brita , Vol ,18 , P. 733

(٣) الطبري (٢/١٠) .

(٤) Ency . Brita . , Vol , 18 , P. 733

(٥) الطبري (٢/١٠) .

(٦) الطبري (٢/١٠) .

(٧) Ency. Brita. , Vol, 18 , P. 733.

(٨) الطبري (٢/١٠) .

(٩) المروج (١/٢٥٩) .

(١٠) المروج (١/٢٦٠ ـ ٢٦١) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من فحصها وغربلتها أنها ترجع الى ابن الكلبى فى الغالب • فروى الطبرى خبرا نسبه الى ابن الكلبى زعم فيه أن الرائش بن قيس بن صيفى بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك اليمن ، كان فى أيام منوشهر ، وهو الذى غزا الهند وأذربيجان[١] ، وروى أيضا أن كيقاوس غزا اليمن والملك يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائش ، وكان مصابا بالفالج • فلما أظله كيقاوس ووطىء بلاده فى جموعه ، خرج بنفسه فى جموع حمير وولد قحطان ، فظفر بكيقاوس ، فأسره ، واستباح عسكره ، وحبسه فى بئر وأطبق عليه طبقا • فلما سمع بذلك رستم ، خرج بجموعه الى اليمن فاستخلصه من اليمانين[٢] ، وانصرف به الى بابل • وعلق الطبرى على هذه القصة بقوله : « وقد حقق ما ذكر ابن الكلبى من أسر صاحب اليمن قابوس[٣] ، الحسن بن هانىء فى شعر له ، فقال :

وقاظ قـابوس فى سلاسلنـا سنين سبعـا وفت لحاسبهـــا[٤]

ونجد قصة غزو كيقاوس لليمن فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، غير أنها تختلف بعض الاختلاف عن القصة التى رواها الطبرى • ففيه مثلا أن ملك اليمن هو شمر بن فريقس ، وفيه قصة بنت لشمر اسمها سعدى عشقت كيكاوس فكانت تحسن اليه فى خفية من أبيها والى من معه من أصحابه مدة حبسها ، وقدرها أربع سنين ، وفيه أشياء أخرى لم يذكرها الطبرى[٥] ، مما يدل على أن المسعودى قد نقل قصته هذه من مورد آخر • ولم يشر أبو حنيفة الدينورى الى هذه القصة ، وانما أشار الى غزو آخر لليمن قام به الفرس ، وذلك فى أيام كيخسرو بن كيقاوس[٦] •

موارد على

(١) الطبرى (١/١٩٧) •
(٢) الطبرى (١/٢٦٤ ـ ٢٦٥) •
(٣) ويعنى به كيقاوس •
(٤) الطبرى (١/٢٦٥) •
(٥) المروج (١/١٩١ ـ ١٩٢) •
(٦) الأخبار الطوال (ص ١٥ وما بعدها) •

الرياضيات قبل عهد اليونان (*)

معرفة العد والشكل ، ضرورة تقتضيها الحياة الانسانية • وبدء استعمال الأعداد وتمييز الأشكال ، مجهول لدينا • ومهما كانت المنابع الأصلية للرياضيات ، فانها انتهت الينا بتيارين عظيمين : الأول يمثل العدد ، وقد انبثق عنه علما الحساب والجبر وما يتفرع منهما ويبنى عليهما • والثانى يمثل الهيأة والشكل • ثم امتزج هذان العلمان بصورة منطقية منظمة على يد الفيلسوف الفرنسى المشهور (رينى ديكارت) ـ عام ألف وست مئة وسبعة وثلاثين ـ فى ملحق كتابه المسمى (الطريقة فى العلم) ، وأصبحت الرياضيات علما واحدا متماسكا أخذ ينمو بسرعة حتى أصبح الآن أوسع من أن يحيط به عقل انسان واحد ، ولا نعرف فى هذا العصر أحدا ادعى أنه محيط به •

وفيما بين وضع أسماء للأعداد وتوسع هذا العلم الى الحد الذى ذكرناه ، مرت الرياضيات بأدوار كثيرة • ومن الصعب جدا وضع حدود فاصلة بين نتاج دور ونتاج دور آخر • ذلك أن الآراء الرياضية المميزة لهذه الأدوار تتداخل بعضها فى بعض فما تم الكشف عنه فى أحدها ، ترجع أصوله ومقدماته والتمهيد اليه الى أدوار ماضية ، كما أن فروعه وتكامله تتخطى الحدود الى دور مقبل •

وهذا هو شأن العلم فى كل زمان ومكان • فهو سلسلة من الأفكار متصلة الحلقات آخذ بعضها برقاب بعض •

وقد يقول انسان ما : « ان علما من العلوم كمل ولم يبق فيه مجال لابداع جديد » • والحقيقة أن هذا القول يخالف الواقع ، فما من علم يمكن الادعاء بأنه كامل ، ولا مجال فيه لكشف جديد ، لا بل ان بعض القضايا التى كانت تعد حقائق علمية لا جدال فيها صارت فيما بعد موضع نقاش وشك ، وثبت بطلانها • وقد يبقى علم من العلوم جامدا عصورا طويلة ، مما يوحى بأنه بلغ حد الكمال ، ولكن لا يلبث أن ينبرى له عقل جبار ينتشله من جموده ، فترى الآراء الجديدة فيه تتدفق كالموج ، وتصبح موضعا للدرس والنقاش ، واذا بعلم جديد أو نظرية أساسية عن جريان الطبيعة ظهرت الى الوجود •

ولهذه العقول النفاذة وما أودعه الله فيها من قابليات فذة ، فضل كبير على العلم والانسانية • ولكنها فى بعض الأحوال تطبع البشرية من بعدها بطابع الجمود والتحجر •

(*) محاضرة ألقيت بدار المجمع العلمى العراقى •

ذلك أنها تذهل الناس بعظمتها ، وتبهرهم بنورها ، فلا يجرؤون على نقدها ، أو تفنيد ما فيها من خطأ • مثال ذلك أن عظمة (أرسطو) الفكرية حكمت (أوربة) زهاء ألف عام ، ولما كشف (غاليلو) عن فساد بعض آرائه لاقى فى سبيل ذلك اضطهادا عظيما كاد يودى بحياته • والآراء الجديدة التى قوبلت بالترحيب والقبول حتى فى نواحى العلم البحت ، نادرة • ولكن الأمم الحديثة ، أدركت قيمة البحث العلمى ، فخصصت المبالغ الطائلة لتهيئة وسائله وتنظيمه ، ولم تتركه للجهود الفردية المبعثرة •

ان الكشوف فى علم الرياضيات ـ كما هى فى معظم العلوم الطبيعية ـ نشأت وتقدمت فى الأعم الأغلب بتأثير عاملين أساسيين : أما العامل الأول فهو الحاجة الشديدة اليها ، فهى ضرورة لابد منها فى المعاملات اليومية الاعتيادية فضلا عن أنها علم أساسى تحتاج اليه العلوم الأخرى • فهو الدعامة التى يقوم عليها فن البناء وهندسة « المكائن » والكهربا والصناعات الكيمياوية والعلوم الطبيعية كافة نظريا وعمليا • والرياضيات فى التجارة محور الحركة التجارية ، فدفاتر التجار وسجلات البنوك وسندات الديون والرهون ، تقوم على معرفة الأعداد والتعامل بها • وقل مثل ذلك عن زراعة الأرض وريها وغلتها وغير ذلك من الأمور التى لا تقع تحت حصر ، والحقيقة أن الحضارة الانسانية كانت ولا تزال تتوخى الارتكاز على قواعد رياضية • وهى لم تكن لتبلغ هذا الأوج من العظمة والقوة لولا هذا العلم المجرد •

وأما العامل الثانى فهو حب الاستطلاع ، حيث اشتغل بعض ذوى المواهب الرياضية العالية بهذا العلم ، وكشف أسراره ، لما فى ذلك من متعة فكرية ، بصرف النظر عما ينجم عن بحثهم من فوائد مادية لهم أو لغيرهم • مثال ذلك أن (علم المخروطيات) ، أى (علم القطوع المخروطية) الذى اخترعه (مناكسوس) تلميذ (أفلاطون) فى القرن الرابع قبل الميلاد ، لم تكن له فائدة ما عملية عند اختراعه • ولكن هذه الفائدة ظهرت بعد مدة تزيد على الألف عام ، حين بحث (كبلر) فى مدار الكواكب السيارة ، واكتشف قوانين سيرها فى أفلاكها • وأمثال ذلك كثير فى تأريخ العلم • وهذا مما يجعلنا نعتقد أن البحث العلمى ليس من الضرورى أن يقتصر على ما له فائدة محسوسة آنية ، أو على ما له صلة بتقنية العلوم • ذلك أن الحقائق العلمية المكتشفة التى لا تبين لها قيمة عملية عند اكتشافها ، قد تظهر لها فائدة عظيمة فى المستقبل • والزمن كفيل بطمس معالمها اذا انتفت فائدتها •

هذان العاملان الرئيسان ، هما اللذان خدما الرياضيات ، كما خدما العلوم الأخرى • وليس فى الوسع الدخول فى تفاصيل الأدوار التى مرت بها الرياضيات • ولكننا نستطيع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

القول بصورة عامة ان الأدوار العظمى فى تاريخها أربعة •

الدور القديم ـ وأوله مجهول ، وينتهى حوالى القرن السادس قبل الميلاد • وهو تاريخ ظهور (فيثاغورس اليونانى) ، وبدء شيوع استعمال المنطق الرياضى والاستعانة بالبراهين العلمية فى اثبات القضايا الرياضية ، وخاصة الهندسية منها •

الدور اليونانى ـ ويبدأ حوالى القرن السادس ق• م، أى بظهور فيثاغورس كما أسلفنا بيانه ، ويختتم بوفاة (بابس الاسكندرى) حوالى القرن الثالث أو الرابع الميلادى ، وهو آخر رياضى يونانى عظيم •

الدور العربى الاسلامى ـ ويبدأ بترجمة (كتاب السند هند) ، وربما كان اسمه الحقيقى (براهما سداتا) لمؤلفه (براهما كوبتا) فى زمن الخليفة (المنصور) عام سبع مئة وست وستين ، وينتهى بسقوط (بغداد) على يد المغول عام ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨م•

الدور الأوروبى ـ ويبدأ عام ١٢٠٢م بالكتاب المسمى Liber Abaci ، أى الحساب الحر ، وهو من وضع (ليوناردو فيبوناكسى) من أهالى مدينة (بيزا) الايطالية • وكان هذا الرجل قد درس على أستاذ مراكشى فى مدينة (بوجيه) فى شمال افريقية ، حيث كان والده يشتغل بالتجارة (مشرفا على مستودعات البضائع لتجار مدينة بيزا) ، كما قام بسفرات الى مصر وسورية • وهو فى كتابه هذا يشرح نظام العدية العربية الذى لم يكن معروفا لدى الأوربيين ، ويفضله على جميع نظم العدية الأخرى •

وسنقصر بحثنا اليوم على الدور القديم وحده ، ذلك الدور الذى طوى الزمن أسماء أبطاله وعفى عليها النسيان •

لا يعلم أحد متى بدأت فكرة التمييز بين الأكثر والأقل والأقرب والأبعد وبين شكل وآخر • يحتمل أن هذا التمييز يرجع بأصوله الى الأدوار الحيوانية ، فقد وجد مثلا أن الشمبانزى يدرك أن الخمسة أكثر من الأربعة ، وقسم من الحشرات يميز بين حجم وحجم أصغر منه ، والعناكب تنسج بيوتها على شكل مضلعات منتظمة ومتشابهة ، وبعض الطيور تبنى أعشاشها على أشكال متماثلة متناسقة • أما النحل ذلك الحيوان العجيب فانه يتبع فى بناء خليته قاعدة النهايتين العظمى والصغرى ، والكثير من الحيوانات تدرك أن الخط المستقيم هو أقرب بعد بين نقطتين كما تفعل الطيور حين تقصد محلا معينا •

أما تصور الهيئة والعدد لدى الانسان القديم ، فيعود الى الدور الحجرى القديم • فقد وجدت فى بعض الكهوف فى أسبانية وفرنسة رسوم يعود تأريخها الى ما قبل خمسة عشر ألف عام ، وهى تدل على فهم عجيب للأشكال والهيآت • ولما تطورت حياة الانسان

من مجرد البحث عن القوت الى العمل على انتاجه ، تبدل طراز معيشته من البداوة المتنقلة الى الفلاحة المستقرة ، فأنشأ المساكن والقرى لتحميه من عناصر الطبيعة ومن الحيوانات المفترسة ، وظهرت صناعات بدائية كعمل الخزف وأوليات النجارة والنسيج ، كما قامت بين القرى تجارة امتدت أحيانا الى مئات الأميال • وفى أغلب الظن أن اختراع العجلة واستعمالها فى صنع الخزف وفى التنقل تم فى هذا الدور ، كما صهر فيه النحاس أو البرنز وصنعت منه بعض الأدوات البدائية • وكانت اللغة فى ذلك الوقت تعبر عن الأشياء المحسة وعن قليل جدا من الأمور النظرية المجردة • وتوجد الآن قبائل تعيش فى حالة تضارع حالة أولئك الناس الأقدمين ، ويتجلى من دراسة عاداتهم ولغاتهم ما يلقى ضوءا على طراز الحياة التى كان يحياها البشر قبل آلاف السنين •

والاصطلاحات العددية ـ وهى من الناحية الفكرية المجردة أرقى ما يمكن أن يصل اليه العقل الانسانى ـ لم تظهر فجأة ، ولكنها استغرقت عصورا عديدة •

ويرجح أنها بدأت بشكل وصفى ، لا بشكل كمى ، فقيل « رجل » ، والمقصود رجل واحد ، وقيل « رجلان » ، والمقصود رجلان اثنان ، وقيل « رجال » لما زاد على ذلك • وبعض القبائل المتأخرة لا تعرف من الأعداد الا واحدا واثنين ، وما زاد على ذلك قيل عنه « كثير » • وبالتدريج استعملوا طريقة الجمع للتوصل الى أعداد أكبر •

وهاكم نموذجين من ذلك : ان احدى القبائل الأسترالية عند نهر موري فى الجنوب الغربى من استرالية ، تعد هكذا : واحد ، اثنان ، اثنان وواحد ، اثنان واثنان ، وهكذا • أما القبيلة الثانية فتقول ما معناه : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اثنان واثنان ، اثنان وثلاثة ، ثلاثة وثلاثة •• الخ • والطفل حين يتعلم العد لأول مرة يتدرج بمثل هذه الخطوات • ثم تطور العد فوصل الى الأساس خمسة • فبعض القبائل تعد هكذا : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة • أما الخمسة فتطلق عليها اسم (يد) ، ثم تعود فتقول : يد وواحد ، يد واثنان •• الخ • وفى الفارسية يقال للخمسة پنج ، ولليد أو الكف پنجه • وفى الانكليزية يقال للرقم ديجيت ، ومعناه اصبع • ويرجح أنه بسبب وجود عشر أصابع فى اليدين أصبح الأساس العشرى فيما بعد شائعا أكثر من غيره • وقد وجدت الى جانبه أسس أخرى لا تزال آثارها باقية الى يومنا هذا ، كالأساس الخماسى الذى أشرنا اليه والأساس العشرينى والأساس الستينى • ولما تركز أساس العد أصبح من السهل التعبير عن أعداد كبيرة بضم العشرات بعضها الى بعض • أما الضرب فقد انبثق عن الجمع ، فبدلا من أن يقال عشرة وعشرة قيل عشرتان ، أى اثنان فى عشرة • أما الكسور فكان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

استعمالها نادرا جدا ، ولا شك فى أن النصف أقدمها جميعا • ويلاحظ فى اللغة العربية وفى الكثير من اللغات الأخرى أيضا ، أن كلمة النصف كلمة مستقلة وليست مشتقة من الاثنين اشتقاق كلمة الثلث فان هذه مشتقة من الثلاثة كما أن الربع مشتقة من الأربعة •• الخ ، مما يستدل منه على أن الكسور الأخيرة هذه تم اختراعها بعد اختراع الأعداد بخلاف كلمة « نصف » التى ربما اخترعت قبل ذلك •

أما القياسات فلم تكن فى بادىء الأمر دقيقة أو مضبوطة ، وكانت تتخذ من أعضاء الجسم ، ولا تزال تسمياتها تدل على ذلك كالشبر والفتر والذراع والخطوة • وفى الانكليزية كلمة Foot أى القدم ، لا تزال مستعملة ، وقد دخلت فى صميم الأبحاث العلمية الحديثة •

ولما بدأ الانسان فى أوائل العهد الزراعى ببناء الدور ، كان ينشىء الجدران على خطوط مستقيمة ومتعامدة • كما أن صوغ الخزف على هيأة أوان ونقشه بمختلف الصور والأصباغ ونسج السلال والمنسوجات الأخرى ، قوى فى الانسان ملكة تصور العلاقات المستوية والفراغية بين الأشياء • أما العلاقات العددية ، فقد ظهرت على بعض الادوات الأثرية كالأعداد المثلثية(*) • فقد كان الانسان فى الدور الحجرى الحديث مولعا بالأشكال والنقوش الهندسة • وكان لقسم من النقوش والأعداد قيمة دينية مقدسة كالأعداد ٣ و ٧ ومن الأشكال النجم ذو الرؤوس الخمسة والصليب المعقوف أى « السواستيكا » ، وهو الذى اتخذه النازيون شعارا لهم فى عهد (هتلر) • وما عدا ذلك فان بعض تلك النقوش ورثتها الأجيال التأريخية ، وشاع استعمالها فظهرت على المزهريات فى الأدوار اليونانية القديمة ، كما ظهرت فى نقوش الفسيفساء عند البزنطيين والعرب ، وفى الأقمشة المزركشة عند الفرس والصينيين •

أما فى الفلك ، فلا شك فى أن الشمس والقمر والنجوم وتعاقب الأيام والفصول ، لفت نظر الانسان القديم ومراقبته منذ أزمان بعيدة ، كما يستدل على ذلك من بعض آثار العصر الحجرى الأوسط ، وبتوسع الزراعة والتجارة تطورت هذه المعلومات حتى أصبحت أقرب الى العلم منها الى ملاحظات عابرة •

بدأت الحضارة تتقدم بمقياس أوسع ، والهيئات البشرية تتطور لتتخذ شكل حكومات

(*)

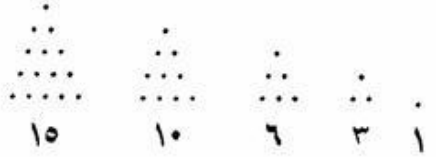

فيها شيء من التنظيم على ضفاف الأنهر الكبرى فى آسية وافريقية حوالى الألف السادس قبل الميلاد • ويرجح أن هذا التطور الحضارى بدأ أولا على شواطىء دجلة والفرات ، ثم ظهر فى جوار نهر النيل ونهر الأندلس ، ثم على ضفاف نهر الكنج ، وأخيرا فى الصين •

وظهرت الرياضيات فى الشرق علما عمليا لحساب التقاويم وادارة المحاصيل وتنظيم الأعمال العامة وجباية الضرائب ، وكان التأكيد فى أول الأمر موجها بالطبع الى الحساب والقياسات للحاجة العملية اليها • على أن الأمر لم يقتصر على الكشف عن المعلومات الرياضية واختراع الأساليب الجديدة فيها واستخدامها عمليا حيث تمس الحاجة اليها ، بل تعدى ذلك الى ضرورة تعليم أسرارها ، لضمان نقلها من جيل الى جيل ، والعمل على رفع مستواها لتوفى بحاجات التقدم الحضارى • وقد أدى ذلك بالتدريج الى دراسة العلم للعلم نفسه ، واجراء الكشوف فيه لمجرد اللذة الفكرية ، فتطور الحساب الى الجبر ، وتطورت القياسات الى مبادىء الهندسة النظرية •

ومن الصعب تعيين تواريخ الاكتشافات العلمية فى مثل تلك العصور البعيدة ، خاصة وأن عوامل عديدة عملت على ازالة الكثير من معالم التراث العلمى والحضارى ، منها الغزو والاحتلال والتطاحن على تولى الحكم والسلطان بين الأسر القوية فى الداخل والفيضانات الكبيرة التى تصل أحيانا الى حد الطوفان • ولكن البابليين كانوا أكثر توفيقا من غيرهم ، ذلك أنهم كانوا يدونون الحوادث على ألواح من الطين يفخرونها فلا تعطب سريعا ، بخلاف الصينيين والهنود الذين استعملوا مواد سريعة التلف كقشور الأشجار والخيزران • أما المصريون فقد استعملوا أوراق البردى التى بقى قسم لا يستهان به منها بسبب جفاف المناخ ، ولذلك فان معلوماتنا عن الرياضيات القديمة تكاد تكون محصورة بالبابليين والمصريين •

وكان المظنون الى زمن قريب أن أهم الكنوز فى الرياضيات القديمة تقع فى مصر • ولكن الاكتشافات فى العشرين سنة الأخيرة التى قام بها العلامة (نيكباور) والعلامة (ثورو دانجين) بحلهما ألغاز عدد كبير من الكتابة على ألواح الفخار ، بينت أن العلم الرياضى فى بابل كان أرقى منه فى سواها •

ان أساس الحضارتين القديمتين فى مصر والعراق ، أساس زراعى كما أسلفنا ذلك ، والاقتصاد الزراعى يعتمد بالضرورة على معرفة دورة الفصول السنوية ومواعيد الحرث والزرع والحصاد ، كما يتطلب حفر الترع وانشاء السداد وتوزيع المياه واقامة

مخازن للغلال وانشاء المبانى لمختلف الأغراض الأخرى • وكل ذلك له علاقة وثقى بالحساب والقياسات •

على أن الوضع فيما بين النهرين ، كان يمتاز عن الوضع فى مصر من ناحيتين : الأولى أن الحالة الاقتصادية فيها كانت أكثر تقدما ، لأن بابل كانت سوقا تجارية عظيمة تلتقى فيها القوافل التجارية الكبيرة من مختلف جهات العالم ، بخلاف مصر التى كانت فى شبه عزلة • والثانية هى أن ضبط فيضانات دجلة والفرات الفجائية ، التى تبلغ أحيانا حد الجنون ، كانت تتطلب مهارة فنية وإدارية أكثر مما يستدعيه نهر النيل الوديع الهادىء • وقد يكون لهذين العاملين أثر فى تنشيط الفكر الرياضى فى العراق أكثر مما فى مصر فى ذلك التاريخ •

ان حساب طول السنة وتأريخ تقديره بصورة قريبة جدا من الحقيقة ، أمر مختلف فيه • وبعض المؤرخين يضع عام ٤٢٤١ قبل الميلاد بأنه العام الذى اعتبرت فيه مصر السنة اثنى عشر شهرا ، والشهر ثلاثين يوما ، وأضافت فوق ذلك خمسة أيام عدتها أعيادا ، وبذلك بلغ طول السنة ٣٦٥ يوما ، وهو أقل من السنة الحقيقية بخمس ساعات وثمان وأربعين دقيقة وست وأربعين ثانية تقريبا •

أما فى العراق ، فيقول المؤرخون : ان السومريين كانوا يضعون بدء السنة فى يوم الاعتدال الربيعى (٢٢ آذار) ، وذلك منذ عام ٥٧٠٠ قبل الميلاد • وبعد ألف سنة من ذلك ، أى حوالى عام ٤٧٠٠ قبل الميلاد ، سموا الشهر الأول من السنة باسم الثور ؛ لأن الشمس كانت فى برج الثور عند الاعتدال الربيعى فى ذلك التاريخ • ولا شك فى أن مثل هذا التقدير الدقيق يتطلب مهارة حسابية ، مما يستدل منه على أن القوم كانوا قد برعوا فى الحساب قبل ذلك التأريخ بزمن طويل •

ان معظم معلوماتنا عن الرياضيات فى مصر مستمدة من مصدرين : الأول ورقة بردى تسمى (ورقة رايند) باسم العالم الآثارى الانكليزى (هنرى رايند) ، وقد اكتشفت فى أواسط القرن التاسع عشر ، ويقال انها كتبت عند ١٦٥٠ ق• م، وتتضمن خمسا وثمانين مسألة • والمصدر الثانى ورقة بردى أخرى ، وتسمى (ورقة موسكو) ، وهى أقدم من الأولى بزهاء مئتى عام ، وتتضمن خمسا وعشرين مسألة • ويقال ان محتويات الورقتين كانت معروفة و متداولة قبل تدوينها بزمن طويل •

ويظهر من هاتين الورقتين أن العد كان على أساس عشرى • أما فى كتابة العدد ، فكان يستعمل رمز خاص لكل مرتبة عشرية جديدة •

وقد أسس الرومانيون نظامهم العدى وبنوه على الفكرة نفسها • فالرقم ١٦٧٨ يكتبه الرومان هكذا : MDCL × × III

وعلى مثل هذا النظام أقام المصريون نوعا من الحساب تغلب عليه صفة الجمع ، ونعنى بذلك أن عملية الضرب كانوا يجرونها بتكرار الجمع •

أما المسائل الواردة فى المصدرين المذكورين ، فلا يتعدى معظمها المعادلات السهلة ذات المجهول الواحد ، مثل : ما الكمية التى اذا أضفت اليها ثلثيها ونصفها وثلاثة أسباعها كان الناتج ثلاثة وثلاثين ؟

أما الأمر البارز فى حساب الكسور عند المصريين القدماء ، فهو أنهم كانوا يحولون الكسور من نوع $\frac{٢}{ن}$ الى مجموعة من وحدات الكسور ، أى التى يكون بسط كل منها واحدا • مثال ذلك : $\frac{٢}{٧} = \frac{١}{٤} + \frac{١}{٢٨}$ و $\frac{٢}{٩٩} = \frac{١}{٦٦} + \frac{١}{١٩٨} + \frac{١}{١٩٨}$

وتتضمن (ورقة رايند) جدولا بالكسور التى مقاماتها أعداد فردية ابتداء من الخمسة الى الثلاث مئة والواحد والثلاثين مع تحويلها الى وحدات كسرية كما بينا •

وهذا الاتجاه مع أنه يتطلب شيئا من المهارة فى الحساب ، أدى الى ايقاف نمو العلم فى حدود ضيقة • ولا تعرف بالضبط الطريقة التى اتبعها الحساب المصرى فى تحويلاته هذه •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتطرق المصريون فى بعض المسائل الى المتواليات العددية والهندسية • مثال ذلك : كيف توزع مئة رغيف من الخبز بين خمسة رجال ، بحيث تكون الحصص على شكل متوالية عددية ، وبحيث يكون سبع مجموع الحصص الكبرى الثلاث مساويا لمجموع الحصتين الصغريين ؟ أو سبعة بيوت ، فى كل بيت سبع قطاط ، ولكل قطة سبع فئران ، ولكل فأرة سبع سنابل ؟ وغير ذلك مما يدل على معرفتهم دستور مجموع المتوالية الهندسية والعددية •

أما المسائل ذات الصبغة الهندسية ، فيفهم منها أنهم كانوا يعرفون أن مساحة المثلث تساوى نصف حاصل ضرب القاعدة فى الارتفاع ، وأن مساحة الدائرة تساوى $(ن - \frac{ن}{٩})^٢$ ، وهى تساوى $(\frac{١٦}{٩})^٢ ن^٢$ ، ومنها يظهر أن النسبة الثابتة هى $\frac{٢٥٦}{٨١}$ أى ٣٫١٦٠٥ •

كذلك كانوا يعرفون كيفية ايجاد حجم المكعب والمتوازى السطوح والأسطوانة الدائرية ، وحالة واحدة من النظرية التى سميت فيما بعد (نظرية فيثاغورس) ، وهى أن المثلث الذى أضلاعه ٣ ، ٤ ، ٥ هو مثلث قائم الزاوية •

على أن أعجب ما اكتشفه المصريون هو دستور حجم الهرم الرباعي الناقص ، وهذا الدستور هو (أ٢ + أب + ب٢) ، على اعتبار أن ع هي الارتفاع بين القاعدتين ، وأن أ هي ضلع احدى القاعدتين المربعتين ، وأن ب ضلع القاعدة المربعة الأخرى • ولا تزال كيفية توصلهم الى هذا الدستور الصحيح مجهولة • وقد ثبت نهائيا أنهم لم يبرهنوا على صحة هذا الدستور •

أما في بابل ، فقد وصلت الرياضيات الى درجة لم تبلغها جميع الأقوام المعاصرة لها • فالنصوص الرياضية السومرية التي تعود الى عهد الأسرة الثالثة في (أور) ، التي كتبت قبل أربعة آلاف عام ، تدل على قابلية حسابية ثاقبة • وتحوى هذه النصوص جداول للضرب على وفق نظام ستيني محكم ومبني فوق أساس عشري ، وتتضمن رموزا للواحد وللستين و ل٦٠^٢ وأيضا ل٦٠^١ و ل٦٠^-٢ أي $\frac{1}{60}$ و $\frac{1}{3600}$ •

ولكن أبرز خاصية في حسابهم ، استعمالهم النظام الموقعي للأرقام • ففي الوقت الذي كان فيه المصريون يستعملون رمزا جديدا لكل مرتبة عشرية ، كان البابليون يستعملون الرمز نفسه ، ولكن قيمة الرمز ، أي الرقم ، تتعين بموجب موقعه من العدد• وعلى ذلك فان واحدا اذا أتبع بواحد ، أي ١١ ، كان المقصود بذلك (٦١ واحدا وستين)• واذا كتبوا (٢ ، ٣ ، ٤) مثلا فان ذلك يعني ٢ + ٣ × ٦٠ + ٤ × ٦٠^٢ = ١٤٥٨٢•

وتعيين قيمة العدد بموجب مواقع أرقامه هو النظام الذي نتبعه في الوقت الحاضر ، حيث نقول ان للرقم قيمتين : احداهما قيمته المطلقة ، والأخرى قيمته النسبية ، أي بالنسبة الى موقعه بين مراتب العدد • فالعدد (٤٣٢) يعني ٢ + ١٠ × ٣ + ١٠^٢ × ٤ • والقيمة الموقعية للرقم ٤ هي (٤٠٠) ، ولكن قيمته المطلقة أربعة فقط •

ولهذا النظام الفاخر الذي ابتكره البابليون مزايا عظيمة في تسهيل الحساب ، وهي التي فتحت أبواب التقدم في هذا العلم • وما عليك الا أن تجري عملية ضرب بالأرقام الرومانية وتقارنها بالعملية نفسها على الطريقة المتبعة في الوقت الحاضر ، لتجد البون الشاسع بين الطريقتين • ثم ان هذا النظام أزال الكثير من الصعوبات في حساب الكسور ، كما أغنتنا الكسور العشرية في الوقت الحاضر عن استعمال الكسور الاعتيادية في الكثير من الأحوال •

على أنه كان في هذا النظام الذي مر ذكره ناحيتان غامضتان ، احداهما أن مواقع المراتب لم تكن واضحة، بل يقتضي استنتاجها من سياق المسألة • مثال ذلك : أن العدد ٢،٣،٤ الذي مر ذكره ، يجوز أن يكون معناه : ٢ × ٦٠^-١ + ٣ × ٦٠^٠ + ٤ × ٦٠^١ =

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٤٣ ، لا ١٤٥٨٢ كما بينا .

أما الأخرى التى يكتنفها الغموض ، فهى وجود فراغ فى مكان الصفر ، فعدد مثل ١٢٫٣ يجوز أن يعنى ٣ + ١٢ × ٦٠^{٢} = ٤٣٢٠٣ ، ولكنهم فطنوا الى ذلك فيما بعد ، ووضعوا رمزا خاصا للصفر ، وذلك فى العهد الفارسى لبابل .

والنظام الستينى لا تزال آثاره باقية الى يومنا هذا . فالساعة مقسمة الى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة الى ٦٠ ثانية . أما الدائرة فمقسمة الى ٣٦٠^{٥} درجة ، والدرجة الى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة الى ستين ثانية .

أما النظام الموقعى فى كتابة الأعداد ، فهو النظام الذى استقرت عليه البشرية ، وسيبقى خالدا . وهو اختراع لا يقل قيمة عن اختراع حروف الهجاء . فكل من هذين الاختراعين أزال طريقة رمزية معقدة ، وأحل مكانها طريقة رمزية سهلة يمكن أن يمارسها حتى الطفل الصغير .

ومن المناسب أن نقول هنا : ان الهنود واليونان تعرفوا الرياضيات البابلية بالاتصال التجارى . ومن المحتمل جدا أن الهنود اقتبسوا عن البابليين النظام الموقعى فى كتابة الأعداد فغيروه الى نظام موقعى عشرى بدلا من ستينى . ويلوح لى أن النظام الستينى بقى معروفا فى العراق حتى الفتح الاسلامى ، ولم ينتبه اليه العرب لانشغالهم بالفتوحات والسياسة . لذلك لما ترجم (كتاب سيدانتا) فى زمن (أبى جعفر المنصور) الى اللغة العربية ، لم يكن ما ورد فيه مستغربا ، ولم يلاق مقاومة ؛ لأنه يتفق مع ما كان معروفا فى العراق سابقا من حيث الأساس ، بخلاف الحالة فى أوربة حيث استغرق الأمر مدة تزيد على ٢٠٠ سنة بين دخول الأرقام العربية وبين قبول استعمالها وانتشارها ، وسبب ذلك وجود نظام العد الرومانى الذى يختلف أشد الاختلاف عن النظام الموقعى .

وقد أخبرنى أحد الأصدقاء أن الصابئة حتى اليوم يميلون الى العد بالستينات بدلا من العشرات . فاذا صحت هذه الرواية يكون ذلك على الأرجح من بقايا النظام الستينى القديم .

وتوجد مجموعة ثانية من النصوص الرياضية البابلية تعود الى أيام حمورابى عام ١٩٥٠ ق . م ، وفيها نجد الحساب قد تطور الى جبر ، مما يدل على أن الدافع العلمى والمتعة الفكرية أخذا يستحثان مفكرى ذلك العصر على الابداع العلمى ، اضافة الى الحوافز المادية التى تقتضيها حضارة ذلك العصر . ويظهر من هذه النصوص أنهم لم يقفوا عند حل المعادلات الخطية (أى المعادلات من الدرجة الأولى) كما وقف المصريون ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بل هاجموا المعادلة ذات الدرجة الثانية وحلوها ببراعة ممتازة ، كما حلوا المعادلات ذوات المجهولين من الدرجتين الأولى والثانية • وقد وجدت بين المسائل مسألة يؤدى حلها الى معادلات ذوات عشرة مجاهيل • ومع أنهم اقتصروا على حل المعادلات التى تكون معاملاتها أعدادا معينة ، فانهم ـ كما يظهر من عشرات المسائل العويصة التى حلوها ـ كانوا على علم تام بالقواعد العامة للحل •

ولابد لنا من الاشارة الى أنهم لم يدونوا معادلاتهم على الشكل المعروف الآن ولم يستعملوا رموزا للمجاهيل أو رموزا تقضى باجراء عمليات حسابية معينة كاشارة الجمع او الطرح أو غيرها ، ولكن الحل كان يجرى على شكل تعليمات • مثل : أضف العدد الفلانى يكن الناتج كذا ، واطرح العدد الفلانى وربع الناتج •• الخ تكن النتيجة كذا ، وهى الجواب •

ويتضح من ذلك أية عقول جبارة كانت تلك التى استطاعت أن تبدع هذه الطرق العلمية بمثل تلك الوسائل الساذجة ، وهاكم نموذجا من مسائلهم : جمعت مساحة مربع مع طول ضلعه وثلث طول ضلعه ، فكان الناتج $\frac{11}{12}$ ، فما طول الضلع ؟ الحل: أضف الواحد الى الثلث يكن الحاصل $1\frac{1}{3}$ • خذ نصف الحاصل وهو $\frac{2}{3}$ وربعه يكن $\frac{4}{9}$ ، أضفها الى $\frac{11}{12}$ تحصل على $\frac{49}{36}$ • خذ جذرها واطرح منه $\frac{2}{3}$ تحصل على $\frac{1}{2}$ ، وهو طول ضلع المربع • وهذه هى طريقة اكمال المربع الحاضرة نفسها •

مثال آخر : مساحة قدرها ١٠٠٠ وحدة تتألف من مربعين ، ضلع أحدهما ثلثا ضلع الآخر ناقصا ١٠ ، فما ضلع كل من المربعين ؟ وهذه بالطبع تؤدى اذا استعملنا رموزنا الحاضرة الى : $س^2 + ص^2 = 1000$ و $ص = \frac{2}{3} س - 10$

ومنها تنتج المعادلة من الدرجة الثانية :

$$\frac{13}{9} س^2 - \frac{40}{3} س - 900 = 0$$

والجواب يكون ٣٠ ، وقد وجدوا هذا الجواب الصحيح • أما الطرق التى استعملوها ، فهى عند التحليل النهائى الطرق التى نستعملها الآن بعينها ، وهى طريقة اكمال المربع أو طريقة الدستور • والحقيقة أن طريقة الدستور مستنبطة من طريقة اكمال المربع ومبنية عليها • ويسكننا عد الطريقتين طريقة واحدة • ولكن الأسلوب الذى ساروا عليه فى حل بعض معادلات الدرجة الثانية حين يكون معامل $س^2$ عددا غير الواحد هو العمل على جعل المعامل مربعا كاملا بضرب طرفى المعادلة بالمعامل نفسه • مثال ذلك :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

$٥س^{٢} - ١٢ س = ٩$ تصبح بعد ضرب الطرفين ب٥

$(٥ س)^{٢} - ١٢ (٥س) = ٤٥$

ويعد ٥ س هو المجهول ، وبذلك تصبح المعادلة من النوع $ص^{٢} - ١٢ص = ٤٥$

وقد وضع البابليون جداول للكسور ، وذلك لأن القسمة عملية أصعب من الضرب . وكانت الجداول تتضمن الـ $\frac{١}{٢}$ والـ $\frac{١}{٣}$ والـ $\frac{١}{٤}$ والـ $\frac{١}{٥}$ ... الخ ، أى من التى تكون مقاماتها من عوامل أو مضاعفات الـ ٦٠ ، وتجنبوا بمهارة الكسور من نوع $\frac{١}{٧}$ و $\frac{١}{١١}$ ... الخ ، ووضعوا جداول للضرب بأعداد مثل ٧ و١٠ و $١٢\frac{١}{٢}$ و ٢٤ ... الخ ، وجداول المربعات الأعداد ومكعباتها . وهى مما يستفاد منها أيضا فى ايجاد الجذور التربيعية والتكعيبية . ووضعوا جدولا آخر يتضمن مجموع مكعب عدد ما ومربعه ، أى $ن^{٣} + ن^{٢}$ من الواحد الى الثلاثين ٣٠ . وقد استعانوا بهذه الجداول على حل المعادلات ففى حل المعادلة التكعيبية من النوع $س^{٣} + ب س^{٢} + حـ = ٠$ لو عوضنا عن س ب (ب ص) ، أصبحت المعادلة :

$ب^{٣} ص^{٣} + ب^{٣} ص^{٢} + حـ = ٠$ ومنها

$ص^{٣} + ص^{٢} = -\frac{حـ}{ب^{٣}}$

وبالاستعانة بالجدول الذى أشرنا اليه ، وهو الذى يتضمن مجموع مكعب عدد ومربعه ، تستخرج قيمة ص ومنها قيمة س .

ثم ان المعروف أن البابليين كانوا قد اصطلحوا على مقاييس للأطوال والأوزان ، واستعملوا حساب الفائض البسيط والمركب منذ ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد . ويظهر أنهم كانوا قوما حريصين على المال ، مقدرين ماله من أثر فى القوة والسلطان . وبسبب تعاطيهم للربح المركب تعرضوا للمعادلات الأسية ، وهى الاساس الذى قامت عليه اللوغاريتمات . وحاولوا استخراج الجذر التربيعى لأعداد لم يرد لها ذكر فى الجداول بموجب قواعد تقريبية ، حتى انهم استطاعوا أن يجدوا الجذر التربيعى لأقرب رقمين عشريين ، فاستخرجوا أن $\sqrt{٢} = ١\frac{٢٤}{٦٠}\frac{٥١}{٦٠^{٢}} = ١٫٤١٦٧$. أما الجذر الحقيقى ، فهو ١٫٤١٤٢ .

أما $\frac{١}{\sqrt{٢}}$ فوجدوا قيمته $\frac{١٧}{٢٤}$ وهى ٠٫٧٠٨٣ والقيمة الحقيقية هى ٠٫٧٠٧١ . ولكن العجيب أن قيمة ط أو باى π وهى النسبة الثابتة بين محيط الدائرة وقطرها ، فقد كانت ٣ ولم يستطيعوا تقريبها أكثر من ذلك . على أن الأستاذ طه باقر أعلمنى أن آخر ما اكتشف هو أن ط = $\frac{٢٥}{٨}$ = ٣٫١٢٥ على حين أن القيمة الحقيقية له هى ٣٫١٤١٦ وبذلك كانوا أقرب من المصريين الى القيمة الحقيقية . وفى حلهم لأحدى المسائل

الفلكية بلغوا بحساباتهم الى ١٧ سبع عشرة مرتبة ستينية .

والحقيقة أنهم كانوا أول فلكيين مضبوطين . وأسباب عنايتهم بالفلك هى أهميته فى حساب السنين والمواسم من جهة ، ولاعتقادهم بأثر الكواكب فى مصاير الناس وسير الحوادث من جهة أخرى .

أما فى القضايا الهندسية ، فقد عرف البابليون القواعد الصحيحة لمساحات الأشكال المستوية البسيطة كالمستطيل والمثلث وشبه المنحرف والدائرة ، كما كانوا يعرفون كيفية ايجاد حجم متوازى المستطيلات والمنشور القائم والاسطوانة الدائرية القائمة ، ويعلمون أيضا أن الزاوية المحيطية المرسومة فى نصف دائرة تكون زاوية قائمة ، كما كانوا يعرفون نظرية (فيثاغورس) قبل فيثاغورس ، وهى أن المربع المنشأ على وتر الزاوية القائمة يساوى مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين . ويعرفون أيضا أن الأضلاع المتناظرة المحيطة بزاويتين متساويتين من مثلثين متشابهين تكون متناسبة .

والحقيقة أن البابليين فاقوا اليونانيين فى اخضاع العدد وبزوهم بدقة الحساب ، ولم يلحق بهم اليونانيون حتى فى أرقى عصورهم . ولكن اليونانيين على ما يقول المؤرخون الغربيون تفوقوا عليهم بالمعالجة المنطقية للقضايا الرياضية ، وخاصة الهندسية منها . ويقول معظم مؤرخى الرياضيات من الغربيين ان العقلية الشرقية جامدة ساكنة ، وهى ان استطاعت أن تحل بعض القضايا المفردة هنا وهناك فهى ليست بقادرة على استنتاج الكليات من الجزئيات بالبرهان المنطقى المعقول المقبول . وهذا مما يأخذونه على البابليين ، اذ يقولون ان هؤلاء حلوا الكثير من المسائل ، وعرفوا الكثير من القضايا ، ولكنهم لم يضعوها بدستور عام ، ولم يبرهنوا على صحتها عامة ببرهان منطقى ، بخلاف العقلية الغربية التى تجلت عند اليونان الذين استعانوا بالبراهين المنطقية فى وضع قواعد عامة تشمل جميع الحالات المماثلة . وأود أن أبين بعض الملاحظات حول ذلك ، لا من باب الدفاع عن العقلية الشرقية ، ولا بقصد ادحاض هذه الأقوال ، انما هى اجتهاد أعرضه للأنظار وقد أكون مصيبا فيه كما يمكن أن أكون مخطئا .

أولا ـ ان العلم اليونانى قام على أساس ما تعلمه اليونانيون واقتبسوه من بابل ومن مصر فى أثناء زياراتهم لهذه البلدان للتجارة أو للاستطلاع والاستفادة العلمية . وما يدرينا أنهم لم يأخذوا البرهان المنطقى عنهم ؟

ثانيا ـ ان الكتابة ، على الحجارة ليست بالأمر السهل ، والرجل العملى لا تهمه البراهين المنطقية ، انه يريد طريقة عامة تعطيه نتائج صحيحة . ولذلك لا تبقى حاجة

الى الدخول فى براهين منطقية مطولة يصعب تسجيلها بمثل تلك الوسائل ويصعب على الرجل العملى فهمها •

ثالثا ـ ان الرياضيات فى الشرق قامت على أكتاف الموظفين والكهان ، ومثل هؤلاء ليس من مصلحتهم أن يزاحمهم أحد بالوقوف على أسرار العلم الذى هو مصدر قوتهم وسلطانهم ، ولعلهم كانوا يعلمونها لأبنائهم أو لأقربائهم أو للغرباء الذين لا يخشون مزاحمتهم كاليونانيين مثلا أو الكهان ، بخلاف اليونان اذ قام العلم عندهم على أكتاف أناس ليسوا من الموظفين ، بل كانوا طبقة من المفكرين الذين يهمهم أن يكون لعلمهم قيمة لدى الناس فيستفيدون من ذلك • وقوة الدعاية للنفس فى الغرب كانت دائما أقوى مما هى فى الشرق •

رابعا ـ ان بابل تعرضت للغرق وللغزو أكثر مما تعرضت له مدن اليونان ، فأدى ذلك الى تلف الكثير من النصوص أو تدميرها اما من قبل العدو واما من قبلهم أنفسهم لكيلا تقع بيد العدو •

خامسا ـ ان المرحلة العلمية التى وصل اليها البابليون فى الرياضيات لا يصح أن تكون وليد المصادفة والالهام ، ولا يمكن أن تقوم على التخمين والحزر وحدهما حتى ولا على القياس بالآلات المعروفة فى ذلك الوقت ، بل انها بلا شك كانت مبنية على تفكير صحيح ومنطق سليم وقواعد عامة استنبطوها وحلوا بموجبها عشرات القضايا • ولو كانوا حقا من ذوى العقول الجامدة أو المحافظة لما تقدم العلم عندهم ولما أبدعوا شيئا جديدا •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محيى الدين يوسف

المراجع

(١) Development of Mathematics By E. T. Bell
(٢) An Introduction to Mathematics By A. N. White head
(٣) History of Mathematics By D. E. Smith.
(٤) A concise History of Mathematics By D. J. Struik
(٥) A Histor . of Mathematics By F. Cajori
(٦) قضايا رياضية أخرى من تل حرمل وتعليقات على الرياضيات البابلية للأستاذ طه باقر ، مجلة سومر م٧ ج٢ س ١٩٥١م •

مبحث فى سلامة اللغة العربية

- ٢ -

المصطلحات العلمية والفنية الحديثة

فى سنة ١٨٩٠م استطاع كليمنت أدر أحد المهندسين الفرنسيين أن يحقق أول طيران بآلة من الآلات ، سماها « آفيون » avion مشتقا لها من « أفيس » avis اللاتينية ، أى الطائر ، وهى الطيارة المعلومة . ثم وافق المجمع العلمى الفرنسى على استعمال هذا الاسم لتلك الآلة ، واشتق منه مصدر آفياسيون aviation أى الطيران .

من المعلوم أن « الطائر » ذو وجود فى العالم المشهود ، وكان ينبغى أن لا يؤخذ اسمه لتسمى به الآلة الطائرة الجديدة ، الا أن الذى سوغ الأخذ ، هو كون الاسم الجديد مشتقا من القديم ، وكون الشعب الذى يستعمل الجديد لا يستعمل القديم فهو عنده بمنزلة الأسماء الميتة ، بله أن ذوى الأكثرية منه يجهلونه ؛ لأنه بلغة خاصة الخاصة وان كانت هى اللغة الأم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرنا ذلك للاستدلال على جواز الرجوع الى الكلمات القديمة المهملة فى المصطلحات العلمية والمصطلحات الفنية الحديثة ، مع بعض التصرف أو الاشتقاق ان دعت الحاجة الى أحدهما . ومن البين الزاهن أن المجامع اللغوية فى العالمين أسست لهذا وأمثاله ، ولولا ذلك لضؤلت فائدتها حتى التفاهة ، ولأخذت المصطلحات بأعيانها وألفاظها ، فليس بالناس حاجة الى جماعة مختارة يقولون لهم « ان الأكسبرس هو الأكسبرس » .

ذكرنا فى القسم الأول من البحث أن اللغة نظام القومية للأمة وقوامها ، وأن أرشد السبل فى الحفاظ على سلامة اللغة وصحتها الاقتصاد والاستقامة . فلا يجوز التفريط فيها ولا الانتقاص لها ولا الاستهانة بها ، بدعوى أن هذه المصطلحات جديدة وأن اللغة قديمة ، ولاسيما أن اللغة العربية هى أوسع اللغات الحية اشتقاقا ، وأرخاها نطاقا .

أسس قطار السكة الحديد بالعراق فى أيام حكم العثمانيين ، وكانت اللغة الفرنسية أشيع اللغات الغربية فيه ، فسموه « شمن دفر » بالاسم الفرنسى ، وبعد الاحتلال الانكليزى للعراق ترك الناس الاسم الفرنسى وسموه « ريل واى » ، ثم استثقلوه فقالوا « ريل »

حتى وضع له بعض الأدباء اسم « القطار » ، آخذا له من الجمال المقطورة وهى القطعة من الابل يلى بعضها بعضا فى السير على نسق • وقد شاع اسم القطار فى مصر قبل العراق ، الا أن المصريين كانوا يسمونه بالجمع « القطر » ، وهو جائز ؛ لأن كل قسم من العربات يؤلف قطارا ، وكان يضاف فيقال « قطار السكة الحديد » • ثم اكتفى بالقطار وحده ، وصار الناس لا يفهمون من لفظ « القطار » الا هذه العربات المتصل بعضها ببعض التى تجرى على السكة الحديد ، وسميت العربة الآلية التى تسحبها « القاطرة » ، وايها عنى بعض الشعراء العصريين بقوله :

وقاطرة ترمى الفضا بدخانها وتملأ وجه الأرض فى سيرها رعبا

وكان شيوع استعمال « القطار » لقافلة الحديد المتحركة مستغربا مع وجود القطار فى الصحارى والمسالك ، الا أن الذى منع الالتباس وأقنع الناس هو أن « القطار » القديم قد بطل استعماله أو كاد ، فلا ينصرف الذهن عند سماعه لفظ « القطار » الى الجمال المقطورة ، واذا زال الالتباس أصبح استعمال اللفظ سائغا حسنا ، هذا الى أن ذوى العدد من العرب والمتكلمين بالعربية العصرية لا يعرفون معنى « القطار » القديم •

ولما أدخلت « السيارة » العراق كانت تسمى « أوتوموبيل » وكان ذلك فى أثناء حكم العثمانيين أيضا ، وكان أهل السواد يستثقلون هذا الاسم فجعلوه « اطرامبيل » ، وغيره البدو الى « اطرمبيل » • وبعد دخول الانكليز العراق مال فريق كبير الى الاسم الانكليزى « موتوركار » ، واستمر التنازع بين اطرامبيل وموتوركار حتى ظهرت لفظة « السيارة » وأظنها من وضع العالم المرجوة له الرحمة « أحمد زكى باشا » ، فقتلت الاسمين الغربيين ، وأصبح العامى فضلا عن الخاصى يأنف من استعمال الكلمة الغربية فلا يعرف السيارة الا باسم « السيارة » • والسيارة هى القافلة وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، الا انها لا تستعمل فى اللغة العصرية ، فلذلك لم يخش التباس السيارة الحديد بسيارة القافلة ، وان كانتا تلتقيان أحيانا فى الصحراء ، وما أدرى كيف وضع السيارة واضعها ؟ أنظر الى من فيها من الركاب فاعتدهم سيارة أم أراد الدلالة على سرعة سيرها ؟ وأيا كان الأمر ، فقد غلب الاستعمال كل جدال ؛ لأن للسيارة صلة بالسير الذى هو المراد بهذه الآلات •

وكذلك القول فى «الكهربا» و «السلك والأسلاك» و «السماعة» و «الناقلة» و «الاذاعة» و « المصفى » و « السكة » و « الدراجة » و « البندقية » و « الباخرة » و « البارجة » و « الطابعة » و « الجريدة » و « المجلة » و « اللاقطة » و « الكلية » و « الجامعة »

و « الخنزيرة » لآلة من الحديد ، و « المقل » و « المحرك » و « البرقية » وعشرات غيرها ما تحضرني الآن ، بله المصطلحات العسكرية على اختلاف فنونها مما يجده الطالب له في « المعجم العسكري » الذي أثبت أصوله جماعة من المترجمين البارعين .

لاشك في أن المصطلحات هي من أعمال الخاصة لا العامة ، فليس لنا أن نلوم العامل ولا الصانع على استعمالهما الأسماء الغربية بأعيانها ، فذلك لأنهما لم يجدا من يسمي لهما المسميات الغربية بأسماء عربية ، يضاف الى ذلك أن كثيرا من المترجمين للغات الغربية لم يكونوا ممن يعول عليهم في العربية فنقلوا مصطلحات العلوم والفنون بحروفها ولم يستطيعوا وجدان ما يقابلها في اللغة العربية .

ولم يكن السبب في شيوع كثير من الألفاظ الغربية خفتها على اللسان ، كما يظن جماعة من الباحثين ، فالسينما خفيفة بكونها مختصرة ، ولكن الفوطغراف والزنكغراف والآرتيست والدبزيتو ثقيلة ، وانما السبب في ذلك ما ذكرنا من استعمال العامة للألفاظ الغربية وجهل المترجمين باللغة العربية ، على أن العامة يميلون بطبعهم الى الاقتداء بالخاصة ، فلذلك سرعان ما يتركون الاسم الغربي ويستعملون الاسم العربي اذا رأوه مستعملا عند الخاصة ، فجانب العامة مأمون من حيث المصطلحات ، وانما يجب أن يزودوا أسماءها لكي يستعملوها ولا يهملوها .

ومما قدمنا يعلم أن شيوع الأسماء الغربية في المصطلحات لا يعني عجز اللغة العربية ، بل يعني تهاون أبنائها ، وتقصير علمائها ، وضعف المترجمين في نقلهم ، واستهانة الدخلاء عليها بوجودها وافتخارهم بمعرفة اللغات الغربية حين يلوون أشداقهم ويطيلون أنفاسهم ويركزون احساسهم في التلفظ بها ، فهؤلاء لا يلتفت الى غمزهم للغة العربية ولا يؤخذ بأقوالهم في أمر مصطلحاتها .

وعاش بين العرب في أوطانهم أقوام لا يتصلون بهم في خلق ولا دين ولا شعور ، وكانوا يتعمدون استعمال الاصطلاحات الغربية ، ويتوفرون على اذاعتها بين الناس ليوهنوا هذه اللغة الأصيلة ، ويسيئوا الى أهلها بسبيل غير منظور ، وبذلك أصبحت اللغة تحت وطأة جمهرة من الكلمات الثقيلة البغيضة غير العربية ، كالكمبيالة والدبزيتو والسيكورته والجيرو والجيكينك والفانسو والطابو والتياترو والكورنيش والبروتوكول والأتيكيت والأوتوماتيك والميكانيك والفونيتيك والدبلوم والدبلوماسية والكلاسيك والكلاسيكي والليسانس والماكياج والدوبلاج والبلاج والكراج ، وعشرات أخرى من الكلمات شذت عني الآن ولا أرى فائدة في البحث عنها ؛ لأن غايتي التمثيل والتعليل لا الجمع والتطويل .

والذين يحرصون على استعمال المصطلحات العربية ، لا يجدون للاحتجاج لفعلهم حجة أقوى من أن اللغة العربية لم تعرف تلك المسميات ، وأن ما اختير منها من الكلمات لا يطابق تلك المصطلحات كل المطابقة . ويرد عليهم بما تفعله المجامع اللغوية الغربية من استعمال الكلم القديم للمعانى الحديثة ، وبأن « المصطلح » مأخوذ من « اصطلح القوم على كذا » ، فكأنهم تنازعوا فى تسميته ، هذا يسميه اسما وهذا يسميه اسما ، ثم تخلوا عن التنازع وارتضوا اسما من تلك الأسماء فسمى « مصطلحا » أى مصطلحا عليه . ولو كان الاسم بمعناه الوضعى يدل على مسماه ، ويحيط بأوصافه ، ما اختلفت فيه الآراء ، وما سمى مصطلحا .

فالمصطلح لا يعنى تسمية جامعة مانعة للمسمى ، كما يظن الذين لم يدرسوا علوم اللغات ، بل يرمز به الى مسماه رمزا لصلة بين الرمز والمرموز اليه ، وهذه الصلة تختلف قوة وضعفا على حسب الأحرف المؤدية للمعنى ، فالذى نعلمه من اسم الآلة مثلا أنه يعالج به الفعل الأصلى كالمفتاح فانه يعالج به الفتح ، ولكننا اذا أدققنا النظر فى « المطر » وهو ما يلبس فى المطر يتوقى به منه ، و « المنفض » وهو كساء يبسط على الأرض ليقع عليه من الثمر والورق أدركنا الخطأ فى نسبة العلاج الى أسماء الآلة ، ألا ترى أنه لو كان الأمر كذلك ، لكان « المطر » آلة ينتزل بها المطر ، ولكان « المنفض » آلة تحرك بها الأغصان وتهصر ليسقط الثمر أو الورق ؟ ومن المعلوم أن « المطر » و « المنفض » من الأسماء الموضوعة لمعانيهما ، وليسا من الاصطلاح فى شىء ، فان جاز مثل هذا فى الوضع فما أحراه أن يجوز فى الاصطلاح .

فالاصطلاح متصر دائما عن الاحاطة بمعنى المسمى اصطلاحيا ، ومن أجل ذلك يقال فى كثير من العلوم المستحدثة والفنون المستجدة « هذا الاسم لغة معناه كذا واصطلاحا معناه كذا » .

ومع ما قدمنا من القول ، لا نرى بدا من اباحة التعريب أى نقل الأسماء الأعجمية الى العربية بحروفها ، بسبب أن العربى يصعب عليه التلفظ بالكلمة الأعجمية على صورتها الأصلية ، ولكن التعريب يجب أن يكون واضح المعالم محدودا مشروطا بالاضطرار ، فأسماء الأعلام والملبس والشراب والطعام والأثاث واجب تعريبها ، ويلحق بباب الأعلام أسماء العقاقير غير العربية والأدوية والعلاجات المادية وأسماء الحيوانات التى لا يعرفها العرب ، وكذلك أسماء الأمراض الوافدة من البلاد الغربية ؛ لأن أسماءها معلومة بسبب تقدم علم الطب تقدما كبيرا ، ونود أن نذكر فى هذا الموضع أن « السفلس » لما نقل من

الغرب الى الشرق لم يكن معروف الاسم في الشرق ، فلذلك سمي باسم عربي ، قال ابن أياس في حوادث سنة (٨٩٩هـ = ١٤٩٣م) : « في أواخر هذا القرن ظهر بالديار المصرية داء فشا في الناس يقال له الحب الافرنجي ، وهو عزيز الدواء بطيء العلاج ، أعيا الحكماء أمره ، ولم يظهر هذا في الناس الا في أواخر هذا القرن » .

فلو كان المؤرخ أو غيره على علم باسم « السفلس » لسماه اياه ، ولترك اسم « الحب الافرنجي » . والحب هنا مراد به صغار الدمل ، ولا يزال مستعملا عند كثير من العامة بالعراق ، فهم يقولون « طلعت في جسمه حباية » على صيغة التصغير العامي أي دملة أو بثرة صغيرة . ويقولون « طلع حب في بدن فلان » أي دمل أو بثر .

ولقائل أن يقول : كيف أوجبت أن يكون التعريب واضح المعالم محدودا مشروطا بالاضطرار ، وهذا كتاب « المعرب » لابن الجواليقي فيه زهاء تسع مئة كلمة من المعربات ومنها أعلام بلاد وأعلام رجال ؟ والجواب : أن أعلام البلاد وأعلام الرجال ليس في تعريبها جدال ، فأما المعربات الأخرى فهي مما عرب منذ أزمان الجاهلية الى القرن السادس للهجرة ، فان حسبنا قرون التعريب ستة وقسمنا المعربات فيها ، أصابت كل سنتين ثلاثة معربات ، وهذا مقدار نزر جدا . ونضيف الى ذلك أن المترجمين الأولين أي القدماء لم يكونوا على حظ وافر من العربية فلذلك استسهلوا نقل مصطلحات العلوم والفنون والصناعات بأعيانها في الغالب ، ولو كانوا من القوة في اللغة العربية لعطلوها من كثير من هذه الألفاظ الأعجمية البغيضة كما فعل المترجمون الذين جاؤوا بعدهم فأصلحوا نقلهم وترجمتهم ، ولم يغيروا من مصطلحاتهم الا القليل ؛ لأن الاستعمال كان قد ذهب بها كل مذهب ، وشرق بها وغرب ، فلم يروا فائدة في الاستدراك بعد فوات ابانه وانصرام زمانه .

واذ كان لكل عمل علة وباعث ، يحق لنا أن نسائل عن حكمة الاباحة العامة للتعريب تلك التي يدعو اليها فريق ممن وصفنا آنفا ؟ أيكون ذلك العمل لكي يستفيد العالم باللغة الأجنبية أم الجاهل لها أم الأجنبي نفسه ؟ ان العالم باللغة الأجنبية لا يحتاج الى تعريب الاسم لأنه يقرؤه بلفظه في مظانه ، والأجنبي ليست به حاجة الى التعريب الا اذا كان لغويا مختصا بفقه اللغة وهذا أندر النادرين ، والجاهل للغة الأجنبية لا تغنيه التسمية دون موضوع العلم أو الفن ، فاذا تعلم مواضيعها ففي أثناء التعلم يقال أو يكتب له على سبيل نافلة المعرفة ان هذا العلم ، وهذا الشيء من هذا الفن يسمى باللغة الفلانية « كذا » ، وهذه الاشارة تغنيه طوال عمره ان كان من المعمرين .

وينبغي لنا أن نشير هنا الى أن ترجمة المصطلح الغربي تفيد غير العالم باللغة

الغربية فائدة حسنة لما بين الاسم العربى وما اصطلح له من تجوب فى المعنى واللفظ ، على النقيض من بقاء المصطلح بلفظه الأعجمى المستعجم ، فالذى يقوم مقام البنج مثلا سمى فى كثير من الأزمان « المرقد » ، والمرقد يوحى معناه الى قارئه أو سامعه قبل أن يطلع على تعريفه ووصفه ؛ لأنه مأخوذ من الرقود وهو النوم . قال الصفدى فى ترجمة بعض الخلفاء (فى نكت الهميان ص ٩٦) : « وبعد هذا ما مات حتى سقى المرقد ثلاث مرات » .

والاحتجاج بأن باب التعريب اذا فتح فتحا كاملا كان ذلك أجدى وأعم فائدة « لكى يكون كثير من الكلمات خصوصا العلمية ، أممية أو شبه أممية ، مما يخفف على طالب العلم شيئا كثيرا عند مراجعته الكتب العلمية » ، قد قدمنا الجواب عنه بأن العالم باللغات الغربية لا يحتاج الى تعريب المصطلح لأنه يقرؤه بلفظه فى مظانه ، فان كان الدارس مبتدئا فى تعلم اللغات متقدما فى العلوم ، وهذا نادر جدا ، فقد قلنا ان الكتب التى يدرسها هذا وأمثاله ، توضع لهم فيها أسماء العلوم والفنون باللغة الغربية الى جانب أسمائها بالعربية ، وقراءة واحدة للاسم الغربى تجعله عالما به ، فمسألة التعريب تختص فى الأغلب الأعم بالذين لا يحسنون اللغات الأجنبية . وقد قلنا ان معرفتهم للاسم الأجنبى بصورته اللفظية لا تقدم ولا تؤخر فى دراسة العلم ، الا أنها حرب على اللغة العربية ما دام الاسم الأجنبى هو المستعمل فى كتب العلم المترجمة والكلام . فالاحتجاج قائم حاليا أكثر منه واقعيا .

وقد تطور الفم العربى تطورا عجيبا فى الأزمنة المتأخرة فسهل عليه النطق بأحرف أعجمية كان النطق بها عسيرا على العرب ، ثم ان ابن سينا أثبت فى رسالته « فى أسباب حدوث الحروف » أن أحرفا خمسة من الحروف الأعجمية كانت معروفة فى قبائل من قبائل العرب وليست هى من الحروف العربية :

فالحرف الأول « الباء المشوبة بالفاء » ، قال : « ومن ذلك الباء المشددة الواقعة فى لغة الفرس عند قولهم (بيروزى) وتحدث بشدة قوى شفتين عند الحبس وقلع بعنف وضغط للهواء بعنف » . وقد[1] ذكرها سيبويه فى باب الادغام بقوله : « والباء التى كالفاء » .

والحرف الثانى « الجيم المشوبة بالشين » ، قال : ومنها الحرف الذى ينطق به فى أول البشر الفارسية وهو ـ جاه ـ وهذه الجيم يفعل اطباق من طرف اللسان أكثر وأشد وضغط للهواء عند القلع أقوى ، ونسبة الجيم العربية الى هذه الجيم نسبة الكاف

(١) خاتمة « التصريف الملوكى » لابن جنى (ص ٧٢) من طبعة شركة التمدن .

غير العربية الى الكاف العربية » . وقد ذكرها[1] أيضا سيبويه فى باب الادغام بقوله : « والجيم التى كالشين » .

والحرف الثالث « الزاى المشوبة بالشين » ، قال : « ومن ذلك زاى شينية تقع فى لغة الفرس عند قولهم (زرف) » ، وهى شين لا تقوى ولكنها تعرض باهتزاز سطح طرف اللسان والاستعانة بخلل الأسنان ، وقد ظن بعضهم أن هذه هى الزاى المشوبة بالصاد وليس الأمر كذلك .

والحرف الرابع « الفاء المشوبة بالباء » ، قال : « وههنا فاء تكاد تشبه الباء ، وتقع فى لغة الفرس عند قولهم « فرونى » تفارق الباء لأنه ليس فيها حبس تام ، وتفارق الفاء بأن تضييق مخرج الصوت فيها أكثر وضغط الهواء فيها أشد حتى يكاد أن يحدث بسببه فى التسطيح الذى فى باطن الشفة اهتزاز . والباء المشوبة بالفاء والفاء المشوبة بالباء موجودتان فى لغة بعض العرب ، قال السيرافى عند قول سيبويه « والباء التى كالفاء » : « هى كثيرة فى لغة العجم وهى على ضربين : أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من لفظ الفاء ، والآخر لفظ الفاء أغلب عليه من الباء . وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء المخلصين ، قال : وأظن أن العرب انما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم اياهم » .

والحرف الخامس « الكاف المشوبة بالجيم » ، وقد ذكرها سيبويه بقوله : « والكاف التى بين الكاف والجيم » .

فكل هذه الحروف أصبحت يسيرة النطق على فم العربى بسبب التطور الذى أشرنا اليه ، وقوامه الاختلاط بالأمم الأعجمية على اختلاف أجيالها . وكما شاعت بين العرب هذه الأحرف ، كذلك ألفت ألسنتهم الحركات المشوبة . قال أبو الفتح بن جنى : « ان ما فى أيدى الناس فى ظاهر الأمر ثلاث ، وهى الضمة والكسرة والفتحة ، ومحصولها فى الحقيقة ست وذلك أن بين كل حركتين حركة » .

فهذه الحركات المولدة تؤدى ما يكون فى اللغات الغربية واللغة العجمية من حركات مشوبة ناشئة من المحضة حين يمال بها عن محوضتها ، كالاشمام وهو أن تنحو الكسرة نحو الضمة فتميل الياء الساكنة بعدها نحو الواو قليلا لأنها تابعة لحركة ما قبلها فى نحو قيل وبيع . ويلحق بذلك الروم وهو عبارة عن النطق ببعض الحركة أى انحال الحركة ونقصها حتى يذهب معظمها ويختص بالضمة والكسرة دون الفتحة لأنها خفيفة اذا خرج بعضها خرج سائرها فلا تقبل التبعيض ، فهذا جد مفيد فى التلفظ بالأسماء المعربة .

(١) خاتمة التصريف للوكى (ص ٧٢) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما نقل الأسماء المعربة الى الأوزان العربية فهو أحد رأيين عند القدماء ، وهذا العصر يقتضى الحفاظ على صور المعربات اللفظية ما دخل فى الامكان ، قال أبو منصور بن الجواليقى فى المعرب (ص ٦) : « وربما غيروا البناء من الكلام الفارسى الى أبنية العرب » ، ثم قال : « وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه » . ثم قال فى وزن اسم من الأسماء (ص ١٥) : « وان لم يعلم فى الأمثلة هذا ، لأنه لا ينكر أن يجيء العجمى على مثال لا يكون فى العربى » .

ويؤيد هذا الرأى الزنبق جملة أسماء وردت فى الكتاب المذكور ، منها « آسمانجون » و « آوأنداز » و « أندراورد » و « رساطون » و « نشاستج » . ومن الغريب أن أبا بكر بن السراج منع من الاشتقاق فى استعمال المعربات ، قال (كما فى المعرب ص ٣) نقلا من رسالته فى الاشتقاق : « باب ما يجب على الناظر فى الاشتقاق أن يتوقاه ويحترس منه : مما ينبغى أن يحذر منه كل الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت » .

ونرى هذا من باب المبالغة ، فقد نقلنا فى مقالتنا الأولى قول الامام على بن أبى طالب « نيرزونا » باشتقاق فعل أمر من « النيروز » . فاذا كان فى الاشتقاق من الاسم الأعجمى فائدة فلا بأس باتيانه ، وهذا شيء قليل لا يخشى منه على اللغة ضرر ، ولا يسوقها الى الغرر . على أن الذين عربوا الفسيولوجى والسيكولوجى ، بالفسلجة والسكلجة ، لم يجرؤوا على اشتقاق « فسلج يفسلج وسكلج يسكلج » لألسنتهم تفاهة الاشتقاق . وخلاصة القول أن المصطلحات يجب فيها أن تكون باللغة العربية ، وأن التعريب يجب فيه أن يقتصر على الأمور التى ذكرناها آنفا أى على ما تتحقق فيه فائدته ، وأن التقصير فى اعداد المصطلحات راجع الى المجامع العلمية والعلماء واللغويين ، لا الى العربية نفسها ؛ لأن باب اشتقاقها جعلها أوسع اللغات وأكثرها استعدادا للتسمية وأفعالها .

رد اعتراضات ممكنة الوقوع

لقائل أن يقول : « ان اللغة العربية لا تصلح أن تكون آلة للتجارى[1] فى ميدان التخصص العلمى والتخصص الفنى » . والجواب أن المصطلحات الخاصة بذلك لم يكن

(١) التجارى أن يجارى الواحد الآخر أى يجرى معه فى أمر من الأمور ، قال محمد بن راشد الخناق معاصر ابراهيم بن المهدى العباسى : « وجلست عنده مليا وتجارينا الحديث الى أن خرجنا الى ذكر الغناء » (الأغانى ج٥ ص ٢٨٩) ، وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلى : « وكان ما تجاريناه ونحن نتسايرخارجين الى الصحراء » (ص ١٩٩) ، وقال على بن محمد : « سألت خالى أبا عبدالله بن حمدون وقد تجارينا هذا الخبر » (ص ٢٠٩) ، وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر : « اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابى =

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لها وجود فـي العربيـة حتى ينسب اليهـا عدم كونهـا وسيلة للتفـاهم ، فمتى يزود الصناع والعمال ورؤساؤهم تلك المصطلحات العربية يستطع الفاحص أن يعرف استعداد اللغة أو عجزها ، أما مع افتقار اللغة الى المصطلحات ، فلا يجوز أن يقال ذلك القول . ثم ان التجارى اذا كان بين العمال والصناع ، فعامتهم عرب ومستعربون ، وهم لا يحبون التراطن باللغات الأعجمية الا أن يكونوا من الصنف الذين أشرنا اليهم قبل هذا ، فنشر اثبات بالمصطلحات بينهم ومشافهتهم بها يغنيهم كل الغناء عن الالتجاء الى مصطلحات بلغات قل منهم من يعرفها ، ان الذى يحب العرب والعربية لا يستسيغ اليوم أن يقول فى محادثته العملية « ايلكتريسيتى وبوزيتيف ونيكاتيف » بدلا من « الكهربا والمثبت والمنفى » . وقد قلنا انهم يميلون بطبيعتهم الى تقليد الخاصة ، فاذا رأوا تعظيم الخاصة للغة العربية واستعمالهم اياها اتبعوهم راغبين ، فاللوم على الذين درسوا العلوم والفنون فى البلاد الغربية ، وبقوا على تراطنهم فى أثناء عملهم ببلادهم العربية .

وقد يعترض معترض أيضا بأن النشوء والزمان لهما أثر كبير فى المصطلحات . فيجاب بأن مراد المعترض ان كان « تطور المصطلح » وتغير ألفاظه ، فذلك لا يعنى اللغة العربية ؟ لأنها تصطلح على تسمية العلم والفن وأجزائهما بالصورة التى وصلت اليها عند الدراسة والترجمة ، فلا يهمها أن يكون الشىء قد سمى قبل خمسين سنة باسم كذا ، فهذا عمل دارسى التطور العلمى والتطور الصناعى ، وان كان مراد المعترض أن المصطلح يقوى استعماله ويتم انتشاره مع الزمان فليس ذلك بلازم ، فهذا « الواير » مثلا بقى سنين مستعملا فى العراق ، وكذلك « الوايرلس » ، فلما وضع لهما « السلك » و « اللاسلكى » ماتا موتا فجائيا وحيا حتى ليصعب على الباحث أن يجد متلفظا بهما الا أن يكون من الذين يكرهون العربية أصلا . فلو كانت مصاحبة الزمان للمصطلح واجبة ، لبطل عمل المجامع العلمية والمجامع اللغوية من حيث الاصطلاح ، ولقيل ان الزمان قد فات . ولنحسب أن اللغة العربية فى هذا الأمر كانسان ربى فى الصحراء ، ثم أدخل المدينة وأسكن دارا على أحدث أصول الهندسة العمارية ، وشرع فى تعليمه أسماء أجزاء الدار واحدا واحدا ، فانه يحفظها بحسب قوة الحافظة التى له ، لا بحسب الأزمان التى تطورت فيها تلك

= فتجاريا الحديث » (خزانة الأدب ١/١٩٥٠) ، وقال نفطويه : « ان أبا بكر بن داود قال لى يوما وقد تجارينا حفظ عهود الأصدقاء » ، وقال ابن الجوزى : « وأطال مقامه عنده وخلوا فى مهمات تجارياها » (المنتظم ٩/٢٢٦) . ويتصحف « التجارى » بالتجاذب ، ولكل وجوده ومعناه .

الأجزاء العمارية • فالمصطلح يعتمد استعماله وانتشاره قبل كل شيء على الرغبة والغيرة والدعوة ، والزمان يساعد على ترسيخه وتثبيته كالأمور الأخرى ، فان لم يثبت هو نفسه بالأسباب التى ذكرنا فان الزمان يساعد على زواله ونسيانه ، فالزمان يديم المصطلح القوى ويفنى المصطلح الضعيف •

ولقائل آخر أن يقول : ان كتب اللغة خصوصا المقصورة على ما يشبه المصطلحات لا تقرر فى الغالب معنى واحدا للفظ الواحد ، فكيف يمكننا أخذ اللفظ لتسمية شيء من الأشياء المعينة ؟ والجواب أننا ذكرنا فى مقالتنا الأولى أن للفظ قيمتين : قيمة معجمية وهى التى تذكرها المعجمات ، واستعمالية وهى التى تضمنها كلام العرب وكتبهم ، فتتساوى القيمتان ، وربما تختلفان ، وعند الاختلاف يجب الرجوع الى الاستعمال لأنه مظنة القيمة الحقيقية • فينبغى الرجوع الى علماء اللغة ذوى الدراسة الحقة عند التميل فى أخذ المصطلح لاختلاف معناه المعجمى ، وترك الاعتداد بالنفس ؛ لأن لكل تخصصه وفنه •

إقرار المجمع اللغوي بمصر كلمات محدثة

جاء فى مجلة الرسالة المصرية (ع ٩٣٢ ص ٥٦٠) أن الأستاذ العالم الفاضل أحمد حسن الزيات عرض على مجلس المجمع اللغوى ، فى جلسة اليوم الثامن من مايس سنة ١٩٥١م طائفة من الألفاظ المسموعة عن المحدثين على خلاف ما سمع عن العرب الأولين فى الصيغة أو فى الدلالة ، وعدتها واحد وخمسون لفظا ، أقر المجمع منها تسعة وثلاثين ورفض أربعة وأحال ثمانية[1] الى لجنة الأصول لبحثها • قال الأستاذ عباس خضر كاتب المقالة فى الرسالة : « ولهذا الموضوع أهمية كبيرة ليست مقصورة على اضافة هذه المجموعة من الألفاظ بمعانيها الجديدة الى اللغة ، وانما هى الى ذلك مهمة فى اقرار قبول السماع من المحدثين ، فلم تعد اللغة وقفا على ما سمع من العرب الأولين ، بل صار للأحياء الذين يستعملونه حق التصرف فيها على حسب حاجاتهم على أن يشرف المجمع على استعمال هذا الحق باعتباره (كذا) المختص باللغة ، القيم عليها » •

قلنا : ان الأمر الذى أشار اليه الكاتب الفاضل من أن اللغة لم تبق وقفا على ما سمع من العرب الأولين ، ولا مقصورة عليه ، هو من الحقائق الراهنة ، الا أن القدماء لم

(١) المشهور « أحاله عنيه » و « أحال به عليه » لا « أحاله اليه » ؛ لأن فى معنى الاحالة هنا « التسليط » •

يسدوا باب المجاز ما توشح بالجواز ، فهو مفتوح على ما جاء في أول (شروح التلخيص) المجموعة • فأهل هذا العصر يحق لهم استعمال كلم من الكلم على سبيل المجاز ، ويحق لهم الاتساع في التعبير على شرط أن لا يؤدي الى المسخ والتغيير ، والذي يخشى منه الاضرار باللغة هو ما يستعمله ضعاف التراجمة والنقلة من كلمات في غير مواضعها ومعانيها مثل « الجرد » الذي سماه القدماء « الاعتبار »[1] ، ومثل « المتوسط » الذي سماه القدماء « العبرة » • وكذلك يفعلون في التعبير عن المعاني المؤلفة ، اذن لا تقبل كلمة مجازية ولا عبارة متسع فيها الا اذا استعملها من يوثق بعربيته كاتبا منشئا كان أو مترجما ناقلا • والظاهر أن « المعدل » اصطلاح مصري « السلوك ج٢ ص ٢٩٦ » •

وهذه هي الكلمات التي عرضت على المجمع اللغوي بمصر :

١ ـ « ساهم » • قال : « يستعمل المحدثون ساهم بمعنى شارك وقاسم ، والعرب لم يستعملوه الا في المقارعة وهي الغلبة في القرعة ، ولاستعمال المحدثين أصل ، فقد قال العرب « تساهموا الشيء : تقاسموه ، واستعملوا السهيم بمعنى المقاسم لغيره بالسهم » •

قلنا : لا شك في أن « ساهم » مشتق من السهم ، فالمساهمة ضرب من المقاسمة ، والمقارعة ضرب من المقاسمة أيضا ، الا أنها مقاسمة بطريقة خاصة وهي طريقة القسمة بالقداح أي الأزلام وهي سهام مخصوصة ، قال فضالة بن شريك :

وساهمت البعوث وساهموني ... ففاز بضجعة في الحي سهمي

والظاهر من قوله « المحدثين » أنه أراد أهل العصر ، مع أن « ساهم » بمعنى شارك مستعمل بالمعنى الثاني منذ عصور طويلة ، قال أبو حيان التوحيدي : « فأرعيتك بصري وأعرتك سمعي وساهمتك في جميع ما وقرته في أذني »[2] أي شاركتك ، واستعمله بهذا المعنى ابن منير الطرابلسي الشاعر المتوفى سنة « ٥٤٨ » : بقوله :

ساهمت عيسك مر عيشك قاعدا ... أفلا فليت بهن ناصية الفلا؟[3]

وقال أبو الفرج العلاء بن السوادي من أهل القرن السادس أيضا :

---

(١) جاء في الكتاب الذي سميناه (الحوادث الجامعة) ما هذا نصه : « (وذهب) أحد خدم الخليفة (المستنصر بالله) الى المارستان العضدي ••• (واعتبرت) الحوائج التي في المخزن ، فسأل صاحب المخزن ـ خازن المارستان والطبيب : كم تكفي هذه الحوائج مرضى المارستان ؟ فاتفقوا على أن تكفيهم سنة » •

(٢) الامتاع والمؤانسة (١/٤) •

(٣) الوفيات (١/٥٢) من طبعة العجم •

ساهمت أيامى فأبت من النوى عمن أحب بأوفر الأقسام[١]

وقال قبلهما بقرون أبو اسحاق ابراهيم الصولى المتوفى سنة ٢٤٣ هـ :

رأى خلة منهم تسد بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال[٢]

وقال مجد الدين بن الأثير : « والمواساة : المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق »[٣] . وقال عزالدين ابن أبى الحديد : « لما ملك أمير المؤمنين ـ ع ـ الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا اليه[٤] ... » ، ثم قال فى ذكر أسباب الغيبة : « ومنها موافقة الأقران ومساعدتهم على الكلام ... وقد يغضب رفقاؤه من أمر فيحتاج الى أن يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة فى السراء والضراء »[٥] . وقال ابن خلدون : « فربما ارتاب المساهمون له فى ذلك بأنفسهم ونزعوا الى القاصية اليهم[٦] » .

فالشواهد منذ أوائل القرن الثالث للهجرة الى أوائل القرن التاسع ناطقة بصحة استعمال « ساهم » بمعنى شارك وقاسم ، وليس هو من لغة المحدثين ان أريد بالمحدثين كتاب العصر .

٢ ـ « هدف واستهدف » . قال : « صاغ المحدثون من الهدف بمعنى الغرض « هدف الى الشىء » قصد اليه ، و « استهدف الشىء » جعله هدفا ، والعرب لا يستعملون « هدف اليه » الا بمعنى دخل وقارب ، ولا « استهدف الشىء » الا لازما بمعنى انتصب وارتفع ودنا منك » .

قلنا : كنا أشرنا الى جواز الاتساع فى استعمال اللفظ على سبيل المجاز ، ولكن اذا حدث تدافع بين المعنيين لم يجز الاتساع لأنه يكون ابتداعا ، فالفعل « هدف » فى عامة معانيه يفيد « الوصول والدخول » ، وقول الناس « هدف اليه » بمعنى قصد اليه يدافع ذلك المعنى ، فالمعنى الأول انتهاء ، والمعنى الثانى شروع ، فاستعماله بالمعنى الجديد غلط

(١) خريدة القصر للعماد الأصبهانى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ ور ١٤٩ » .

(٢) معجم الأدباء (١/٢٦١) طبعة هندية بمصر . والطرف « طبعة الراجكوتى « ص ١٣٧ » .

(٣) النهاية فى « أسا » (١/٣٢) .

(٤) شرح نهج البلاغة (١/٣٤١) .

(٥) المرجع المذكور (٢/٤١٦) .

(٦) المقدمة (ص ١٥٩) من طبعة المطبعة الخيرية بمصر . وكل هذه الشواهد وما بعدها نقلناها من معجمنا الخطى .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لأنه كاستعمال « وصل » بمعنى ذهب ، وكاستعمال « بلغ » بمعنى « قصد » . وعلى هذا يكون استعمال « هدف العمل الى الغاية أى رمى اليها » مكان بلغ العمل الغاية وانتهى اليها ، وهو من ضرب التغير فى التعبير الذى أشرنا اليه آنفا .

فأما « استهدفه » بالتعدى فقد سمع فى كلام العرب الفصحاء وجاز فى القياس ، ففى نهج البلاغة فى وصف الدنيا : « وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها وتنثيهم بحمامها » . قال عزالدين ابن أبى الحديد : « ومستهدفة بكسر الدال ، منتصبة مهيأة للرمى . وروى « مستهدفة » بفتح الدال على المفعولية كأنها قد استهدفها غيرها أى جعلها أهدافا»[١] . وقال فخرالدين الطريحى : « فيه أغراض مستهدفة ، هى بكسر الدال : المنتصبة . واستهدفت : طلبت اتخاذ هدف وهو كل شىء مرتفع من تراب أو رمل ، ومنه مستهدفة بفتح الدال وأهدف لك الشىء ، واستهدف أى انتصب»[٢] .

فقد ظهر أن « استهدفه » هو بمعنى جعله هدفا أو طلب أن يكون هدفا ، وأنه قديم الاستعمال ، ومنه قول صردر الشاعر المتوفى سنة ٤٦٥ هـ :

واستهدفته رواشق الـ لحظات مثنى أو أحاد
واستعطفته روادف كثبانها نعم المهاد[٣]

٣ ـ « المظاهرة » . قال : « يستعمل المحدثون المظاهرة بمعنى اعلان رأى أو اظهار عاطفة فى صورة جماعية[٤] وهى تقابل فى هذه الدلالة لفظ Manifestation فى الفرنسية والانجليزية ، والعرب يستعملونها بمعنى العون والظهر كالمساعدة من الساعد والمعاضدة من العضد والمكاتفة[٥] من الكتف ، والأقرب الى المعنى الحديث « تظاهروا تظاهرا » فقد قالوا « تظاهر فلان بالشىء : أظهره . ولكن المظاهرة شاعت حتى ليصعب على الناس العدول عنها » .

---

(١) شرح نهج البلاغة (٣/٨٤) .
(٢) مجمع البحرين ومطلع النيرين فى « هدف » .
(٣) الديوان (١/١٦٠) .
(٤) يعنى : بفتح الجيم . (٥) الصواب (المكانفة) بالنون ، من الكنف بالنون أيضا ، أما « كاتفه » فمعناه « صدم كتفه بكتفه » على ما أتذكر من وروده فى الأغانى لأبى الفرج دون كتب اللغة ، فانها لم تذكره ؛ لأن الكتف لا تستعمل للمعاونة كالساعد والعضد ، أفلا ترى أنهم لم يقولوا « راجله » أى ساعده برجله ، ولا « راسه » أى ساعده برأسه ، ولا « راقبه » بمعنى ساعده برقبته ، ولا « عانقه » أى ساعده بعنقه بل بمعنى جعل يديه على عنقه وضمه الى صدره .

قلنا : خطأ بعض اللغويين من قال « المظاهرة » ، ورأى أن الصواب « المعالنة » من عالنه الأمر وبالأمر أى أظهره له ، وليس فى المعالنة قوة Manifestation ، ومن هذا الضرب « المباداة والمجاهرة والمكاشفة » ، ولسنا نرى « التظاهر » أقرب الى المعنى الحديث ، لأمرين : أحدهما أنه من المعانى المولدة فلا يرقى عسره فى اللغة الى ما فوق القرن الرابع للهجرة ، والآخر أنه استعمل للمراءاة والظهور بغير الحقيقة ، وهذا لا يوائم المراد بالمظاهرة الحديثة ، والقول الراجح قول العارض « ان المظاهرة شاعت حتى ليصعب على الناس العدول عنها » . فعلى هذا تكون مشتقة من «ظهر» ، لا من «الظهر» ، فتكون كالمعالنة من العلن والمجاهرة من الجهر والمباداة من البدو والمكاشفة من الكشف ، وباب الاشتقاق مفتوح والقرينة مانعة من الالتباس .

٤ ـ « تجمهر » . قال : يقول المحدثون « تجمهر الناس : اجتمعوا ، والعرب يقولون « تجمر علينا : تطاول ، ولاستعمال المحدثين أصل من قولهم « جمهر التراب : جمع بعضه فوق بعض » .

قلنا : يوجب علم اللغة الحديث أن تكون الجمهرة من التجسيز ، كالدهورة من التدوير و «البهذلة» من التبذيل ، فالأصل «الجم» ثم «الجسر» ثم «التجمير» ثم «الجمهرة» ، استثقل التضعيف فى « جمر » بتشديد الميم فأبدل من أحد الضعفين هاء ؟ لأنها من الحروف المهموسة ويجمعها قولك « ستشحثك خصفه » ومن أحرف الحلق وهى من أخف الحروف بعد أحرف العلة والنون . قال ابن فارس فى المقاييس : « الجيم والميم والراء أصل واحد يدل على التجمع » ، ولكنه لم يفطن الى أن « الجمهور » من الجسر ، قال فى الكلام على النحت فى آخر باب الجيم : « من ذلك (قولهم) للرملة المشرفة على ما حولها جمهور . وهذا من كلمتين من « جسر » وقد قلنا ان ذلك يدل على الاجتماع ، ووصفنا الجسرات من العرب بما مضى ذكره ، والكلمة الأخرى « جهر » وقد قلنا ان ذلك من العلو ، فالجمهور شىء متجمع عال » . والصحيح أن الجمهور أصله جسور ، وأصل الجسور «الجم» ، قال هو فى المقاييس أيضا : « الجيم والميم فى المضاعف له أصلان : الأول كثرة الشىء واجتماعه ، والثانى عدم السلاح (كذا) » . ويؤيد ما ذهبنا اليه أن مادة « جسر » محتوية على مادة « جمهر » وزيادة ، ففى القاموس « وجسره تجسيرا : جمعه ، والقوم على الأمر : تجمعوا وانضموا كجسروا[1] وأجسروا واستجسروا والمرأة :

(١) كذا جاء فى طبعة المطبعة الحسينية . يعنى أنه لازم .

جمعت شعرها في قفاها كأجسرت ... والجيش : حبسهم في أرض العدو ولم يقفلهم وقد تجمروا واستجمروا ... والخيل : أضمرها وجمعها » .فوجود « تجمر » يجيز وجود « تجمهر » ، ويؤكده قولهم « تجمهر علينا : تطاول » والتطاول مستفاد من استعمال « عليه » لا من مطلق التجمهر ، فهو مثل « تكاثروا » ، فاذا قلت « تكاثروا عليه » أفاد الأذى . فالتجمهر على ما ذهب اليه الأستاذ أحمد حسن الزيات مقبول سائغ .

٥ ـ « الكتلة والتكتل » . قال : « يقول المحدثون « تكتل الناس : صاروا كتلة ، أي جماعة متفقة على رأي واحد . والعرب لا يعرفون « تكتل » الا بمعنى تجمع الشيء وتدور ، ولا من الكتلة الا بمعنى ما جمع من التمر والطين ونحوهما . والكتلة في لغة العلوم والحضارة تقابل Masse في الفرنسية والانجليزية » .

قلنا : كنا نسمع من العامة قولهم « تراكسوا على فلان » بمعنى تألبوا عليه وآذوه ، والركمة في اللغة : الطين المتجمع بكثرة ، وهذا أحد معاني الكتلة ، ولا أظن اللغة تضيق ذرعا بهذه الاستعارة أي « التكتل » ، فكما أن التجمع للانسان وغيره كذلك يجب أن يكون « التكتل » . فأما « الكتلة » فتستعار للجماعة المتفقة على رأي واحد كالجمرة فانها استعيرت لكل قوم انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يخالفوا غيرهم ، ومنها جمرات العرب ، والجمرة أيضا تعني معنى آخر هو قطعة النار المنفصلة المتقدة .

وفي مقاييس ابن فارس ما يؤيد صحة هذا الاستعمال ، قال : « الكاف والتاء واللام أصيل يدل على تجمع ، يقال : هذه كتلة من شيء ، أي قطعة مجتمعة ، قال ابن دريد (في الجمهرة) : « يقال ألقى فلان على كتاله أي ثقله ، وذكر في شعر ابن الطثرية ...» .

٦ ـ « الجلطة وتجلط الدم » . قال : « الجلطة بالضم هي الجزعة الخاثرة من اللبن الرائب ، وقد توسع فيها المحدثون فأطلقوها من باب التشبيه على الجزعة من الدم اذا تخثر ، وقد اشتقوا منها تجلط الدم اذا تخثر » .

قلنا : « هذا مما قدمنا القول فيه من استعمال الكلم في غير مواضعها ومعانيها ، ولا يصح التساهل فيه ولا التجوز ، فأين اللبن الخاثر من الدم الجسيد ؟ فالصواب الرجوع الى ما في العربية مما يختص بهذا المعنى والعدول عن مزج اللبن بالدم ، فالجلطة الدموية المزعومة هي « الدم الجاسد » ومن امارات التخثر النضوق ، قال الجوهري في الصحاح : « والجسد أيضا مصدر قولك جسد به الدم يجسد اذا لصق به (فهو) جاسد وجسد ، قال الطرماح : « منها جاسد ونجيع » ، وقال آخر :

بساعديه جسد مورس من الدماء مائع ويبس

فعلى هذا يقال « جسد الدم كفرح يجسد جسدا » ، وقوله فى البيت « مائع » يثبت تخثره . وقد يعترض معترض بأن اليبوسة من أمارات الدم الجاسد مع أن المراد الخثور ، فيجب التفتيش فى المخصص وفقه اللغة ؛ لأن اللغة العربية كثيرة ذكر الدم ، فمن ذلك مثلا « قرت الدم يقرت قروتا وقرت يقرت قرتا : يبس بعضه على بعض أو مات فى الجرح أو ازرق تحت الجلد من الضرب . وقرت الظفر : مات فيه الدم . ودم قارت : قد يبس بين الجلد واللحم » .

٧ ـ « الدخان ودخن » . قال : « يطلق المحدثون الدخان على التبغ . ودخن بالتشديد على احراقه وهو من قبيل المجاز المرسل »[١] .

قلنا : هذا كلام واضح حسن ، الا أن الفعل « دخن يدخن تدخينا » هو ترجمة Fumer الفرنسى و Smoking الانكليزى ، وهو فى العربية لا يؤدى المعنى المراد ، قال خمخام السدوسى :

وانا بالصليب ببطن فخ جميعا واضعين به لثاما
ندخن بالنهار ليبصرونا ولا نخفى على أحد أتانا[٢]

وقال آخر :

آليت لا أدفن موتاكم فدخنوا المرء وسربـاله

قال المبرد : « وقوله : (فدخنوا المرء وسربالـه) يروى أنه طعن فارسا منهم فأحدث فقال : نظفوه ، فانى لا أدفن القتيل منكم الا طاهرا »[٣] . وقال ابراهيم الموصلى المغنى : « فقلت لجشة : أطلبى لى آجرة عليها فحم وكندر يذهب عنى هذا البق . فأتتنى بذلك ، فلما دخنت أظلم القبر على وكادت نفسى تخرج من الغم ، فاسترحت من أذاه الى النز فألصقت به أنفى حتى خف الدخان »[٤] . وقال الزمخشرى فى استشهاده بقول الشاعر :

من البيض لم تصطد على ظهر لامة ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

« جعل الحطب رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر »[٥] .

---

(١) سمى مرسلا لارساله أى اطلاقه من قيد المشابهة ، فالعلاقة المصححة للتجوز هى غير المشابهة كأن تكون سببية أو مسببية ، وذلك بأن يكون معنى اللفظ الأصلى أى التبغ سببا لشىء كالدخان أو مسببا عنه ، فينقل اسمه لذلك الشىء .

(٢) البيان والتبيين (٣/١٢) من طبعة السندوبى الأولى و (ص ١٦) من الطبعة الثانية .

(٣) كامل المبرد (١/٢٥٩ ـ ٢٦٠) من طبعة الدلجمونى .

(٤) الأغانى (٥/١٦١) طبعة دار الكتب المصرية .

(٥) الكشاف (٣/٥٦٦) طبعة المطبعة البهية سنة ١٩٢٥م .

فجميع تداخين العرب لا يوافق واحد منه التدخين العصرى ، وكان تدخين ابراهيم الموصلى ، كما رأيت ، من المصائب والدواهى عليه ، فالصواب أن يشتق فعل جديد لهذا الضرب من استعمال الدخان ، وهو « افتعل افتعالا » أى « ادخن ادخانا » كادخر ادخارا ، وهذا هو وزن فعل الاتخاذ والاستعمال الذاتى ، فقد قالت العرب « ايتدم ايتداما » من الادام ، و « اصطبح اصطباحا » من الصبوح ، و « اغتبق اغتباقا » من الغبوق ، و « اشتوى اشتواءا » من الشواء ، و « اقتدر اقتدارا » من القدر ، و « استعط استعاطا » من السعوط ، و « التد التدادا » من اللدود ، و « اطبخ اطباخا » من الطبيخ ، وما لا يحصى كثرة ؛ لأنه فعل طبيعى ، فيكون « ادخن[1] ادخانا بمعنى اتخذ دخانا لنفسه . وكان الناس ببغداد وما حولها يقولون « فلان يشرب التتن أى التبغ » ؛ لأن ابتلاع الدخان يشبه الشرب ، ولم يسبقه ابتلاع دخان اختيارى قبله ، ولأن شارب التبغ كان كشارب الخمر .

٨ ـ « الحشيش والحشاش » . قال : يريد العرب بالحشيش ما يبس من الكلأ ، وبالحشاش من يقطع الحشيش على المبالغة . والمحدثون يريدون بهما فوق ذلك المادة المخدرة المعروفة ومن يتعاطاها » .

قلنا : عرفت المادة المخدرة بالحشيشة قديما ، وعرف متعاطيها بالحشيشى لا الحشاش ، وقد ألف عمادالدين أبو الفضل الحسن بن محمد بن عبدالرحمن ابن الامام أبى البقاء العكبرى مؤلف اعراب القرآن كتابا فى أكل الحشيشة سماه (كتاب السوانح الأدبية فى المدائح القنبية) . قال ابن الفوطى : « نزيل مصر يعرف بالطيبوج ، سافر عن بغداد واستوطن مصر ، وله بها زاوية على شاطىء النيل ، وهو من أولاد العلماء والفضلاء . ورأيت له كتابا قد صنفه فى أكل الحشيشة سماه كتاب السوانح الأدبية فى المدائح القنبية »[2] . وألف بدر الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله الزركشى كتاب (زهر العريش فى أحكام الحشيش) ، أوله « الحمد لله على نعمائه » . ثم ألف ابراهيم بن يخشى المعروف بدده خليفه ، المتوفى سنة ٩٧٣ هـ ، رسالة فى الحشيش ، فشرحها أو شرح

(١) وعلى هذا يجب أن يقال « اشتاء اشتياءا اذا شرب الشاى . واقتهى اقتهاءا اذا شرب القهوة ، وابتار ابتيارا اذا شرب البيرة » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب (٤ / ٩٩) من نسختنا الخطية وهى النسخة الصحيحة ، لأن الأصل المحفوظ فى المكتبة الظاهرية (والنسخ التى صورت عليه مثله) كان عقد تجليدها قد انفرط واختلت أوراق الكتاب اختلالا فظيعا ، ونقل منه من وقف على عيبه ولم يستطيع اصلاحه . فوقع فى أوهام . ونحن قد قضينا سنتين عدة فى اعادته الى حالته الأولى ، وقرر المجمع العلمى العراقى طبع نسختنا سنة ١٩٤٨م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

منتخبها رضى الدين محمد بن ابراهيم الحلبى المعروف بابن الحنبلى المتوفى بعد سنة ٩٧١ ، وسمى الشرح (ظل العريش فى منع حل البنج والحشيش) ، فصار كتابا لطيفا أوله : « الحمد لله الذى حرم الخبائث ... ذكر فيه أن القوم صنفوا فيه (زهر العريش فى تحريم[1] الحشيش) و (زواجر الرحمن فى تحريم حشيش الشيطان) ، وأول المتن : « الحمد لله السريع العقاب » ، ورتب على فصلين : الأول فى حكم الحشيش ، والثانى فى حكم البنج»[2] .

وقال البهاء العاملى نقلا من « فتاوى النسفى فى الحظر والاباحة » : « سئل عن حرمة الحشيش وحله من شمس الأئمة الكردرى[3] رحمه الله ، فقال : ما نقل عن أبى حنيفة وأصحابه رحمهم الله فى حله وحرمته شىء ؛ لأن أكله ما ظهر فى زمانهم ، بل كان مستورا ، فيبقى على اباحته الأصلية ، كما فى سائر النباتات ، ولم يرد عن أحد بعدهم من السلف شىء أيضا فى حله وحرمته الى زمان الامام المزنى تلميذ الشافعى[4] .....

وفى ذى القعدة من سنة ٦٦٤ أبطل السلطان بيبرس البندقدار ضمان الحشيشة الخبيثة ، وأمر بتأديب من أكلها . وقال ناصر الدين ابن المنير قاضى الاسكندرية :

ليس لابليس عندنا أرب ... غير بلاد الأمير مأواه
حرمة الخمر والحشيش معا ... حرمته ماؤه ومرعاه

وفى ذى الحجة من السنة ضرب جندار الأمير عز الدين بسكين ، وكان الجندار به شعبة من الجنون ، وتعاطى أكل الحشيشة فزاد جنونه[5] .

وقال علم الدين أحمد ابن الصاحب الأديب الماجن المتوفى سنة ٦٨٨ هـ فى مدح الحشيش :

يا نفس ميلى الى التصابى ... فاللهو منه الفتى يعيش
ولا تملى من سكر يوم ... ان أعوز الخمر فالحشيش

وله فى المعنى :

فى خمار الحشيش معنى مرامى ... يا أهيل العقول والأفهام
حرموها من غير عقل ونقل ... وحرام تحريم غير الحرام

---

(١) قدمنا أنه « فى أحكام الحشيش » .
(٢) كشف الظنون (١/٩٦٠ ، ١١٢٠) من طبعة نظارة المعارف التركية .
(٣) هو أبو الوجد محمد بن عبدالستار بن محمد البرانيقى الفقيه الحنفى الكبير (٥٥٩ ـ ٦٤٣ هـ) « الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٢/٨٢ » .
(٤) المخلاة (ص ١٤٣) من طبعة الميمنية .
(٥) لسلوك للمقريزى (قسم١ ص ٥٥٠ ـ ١ ، ٥٥٤) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال ابن تغرى بردى : وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قول القائل ولم أدر لمن هو :

وخضراء ما الحمراء تفعل فعلهـــا لها وثبات فى الحشى وثبـات
تؤجج نـارا فى الحشى وهى جنـة وتردى مرير الطعم وهى نبات

وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى المتوفى سنة ٦٨٨هـ فى ذم الحشيش :

ما للحشيشة فضل عند آكلهـا لكنه غير مصروف الى رشـده
صفراء فى وجهه خضراء فى فمه حمراء فى عينه سوداء فى كبده[١]

وقيل : ان ابن خلكان سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه ، فاستعفاه ، فألح عليه ، فقال : يقولـون : انك تكذب فى نسبك[٢] ، وتأكل الحشيشـة ، وتحب الصبيان[٣] .

فالحشيشة مستعملة بهذا المعنى قبل أن يؤلف كتاب الصحاح والمجمل والمقاييس من كتب اللغة ؛ لأن قضية تحريمها ظهرت فى أوائل القرن الثالث للهجرة ، ولم تسجل فى تلك الكتب ، وسماها صفى الدين الحلى (المفرح الحيدرى) ، ومدح بأبيات تاوية يقول فيها :

عاطنيهـا ممزوجـة بالنبـات من فم الكيس لا مـن الكاسـات
خـدريـا دنانها حقق العنـا ج وراحا كؤوسهـا راحـاتى
ما عليها فى الشرع حـد ولا جنـا ء بتحريمها حـديث الثقـات
عرفتها النسـاك فاتخذوهـا فى المعاجين والجوارشـات[٤]

أما متعاطى الحشيش فكان يسمى « الحشيشى » ، وبه سمى الباطنية الاسماعيلية . وفى تأريخ السلاجقة لعماد الدين الأصبهانى : « فانى قد ندبت جماعة من الحشيشية لقتل أعدائك » ، وفيه أيضا : « وقيل : ان الأمير زنكى بن آق سنقر وضع عليه من حشيشية الشام من فتك به »[٥] .

وفى القرن التاسع أو قبله ظهر اسم « الحشاش » مكان الحشيشى ، قال الشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى ذكر الصوفية والزهاد : « ومنهم سيدى عمر الكردى ... وكان الأمراء والخوندات والأكابر يأتون له بالأطعمة الفاخرة والحلاوات ، فيطعمهـا

---

(١) يراجع فى هذا كله النجوم الزاهرة (٧/٣٨٠-١) .
(٢) يعنى انتسابه الى البرامكة .
(٣) فوات الوفيات (١/٥٦) .
(٤) ديوان الصفى الحلى (ص ٤٢٥) .
(٥) مختصر نصرة الفترة وعصرة الفطرة (ص١٥٥ ، ١٧٧) من طبعة مصر سنة ١٩٠٠ .

للحشاشين الذين يتفرجون ، ويقول لهم : يا اخوانى ، مالى أرى أعينكم حمرا ؟ لا يزيدهم على ذلك »[١] .

والصحيح « الحشيشى » ؛ لأن « فعالا » كالحشاش موضوع للنسبة المعنوية اذا كان الشيء ماديا كالعطار والبزاز والنحاس والبقال والدقاق والزجاج ، فهو اما بياع الشيء كالعطار واما صانعه أو بائعه كالزجاج . أما المتعاطى والمتخذ والمستعمل ، فلهم النسبة اللفظية فيقال : « فلان عطرى » أى كثير الأستعمال للعطر ، وحشيشى[٢] اذا كان يكثر استعمال الحشيشة ، وهلم جرا . وهذه القاعدة الصرفية تفصل فى أمور لغوية كثيرة فيها التباس ، وبها يحسم الجدال من أجل صحة الاستعمال .

٩ ـ « القبلة » . قال : « القبلة فى اللغة : الطائفة من الناس أو من الخيل ، ومصيدة يصاد بها أبو براقش . وفى استعمال المحدثين : القذيفة المتفجرة ، يقذف بها مدفع أو طائرة أو يد (وافق المجمع ـ يعنى المجمع اللغوى بمصر ـ على هذه الكلمة على أن ينص على أن أصلها الفتح ثم ضمت وعلى أنها أقرت لأنها تعورفت وشاعت) » .

قلنا : لا يهون الخطب فى استعمال القبلة هذا الاستعمال العصرى البغيض الا كونها « مصيدة يصاد بها أبو براقش » ، وفى عدم استعمال القبلة اليوم للطائفة من الناس أو من الخيل سلوى للغة المضرى فى بدو هذا الخطر ، والمعروف فى تسمية هذه المتفجرة أنها « القنبرة » لا « القبلة » ، وهى اما من الطائر الصغير المعروف لجثومها كهيئتها ، واما من توافق بين لغة أجنبية واللغة العربية ، حتى ظهرت الكلمة كأنها عربية ، باسم الطائر المذكور . و « القنبرة » للحرب جمعها قنابر[٣] وقنبر ، قال ياسين بن خيرالله العمرى فى حوادث سنة ١١٥٦ هـ : « ونزل طهماز على كركوك وأزعج أهلها بضرب المدافع والقنبر ثلاثة أيام » . ثم قال فى حصار طهماز للموصل : « وفى اليوم الخامس من شعبان فرغ اللعين من بروجه ، وبالسادس باشر بضرب المدافع وامتد الضرب ثمانية أيام بلياليها ، وجملة ما ضرب من القنبر خمسون ألف قنبرة ، فكانت المدافع والقنبر تتناثر على الموحدين ... حتى قيل ان فارسا من العرب جعل يركض فرسه ويصيح «الدبشى»[٤]

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/٧٤) طبعة المطبعة الشرقية .

(٢) ولا يستعمل أحد الوزنين مكان الآخر ، الا أن ذا النسبة اللفظية حل محل ذى النسبة المعنوية بكونه مجموعا كالساعاتى والأمشاطى والأبرادى .

(٣) راجع فهرست مكتبة البلدية بالاسكندرية (٥/٨٣) .

(٤) الدبشى فى لغة السواديين بالعراق « البطيخ الأحمر أى الحبحب والرقى » .

ـ وهو الشمزى ـ خلص ـ يعنى به القنبر ـ ، والعجور أنتم ـ يعنى به كانة المدفع ـ ولكن بالكم من الطويل ـ يريد به اللغم ـ لأنهم حضروا ثلاثة ألغام ... » . وقال فى موضع آخر : « وتصادم الشجعان وضربت القنابر والمدافع »[١] .

فأرى أن تستعمل « القنابر والقنبر » ، فالجمع الأول عرف بمصر ، والجمع الجنسى عرف بالعراق ، ولعله مستعمل فى تواريخ مصر المتأخرة ، بالاضافة[٢] الى المصدر المصرى الذى أشرنا اليه . أما النطق بالقنبلة غلطا واستعمالها فى غير معناها ، فمن الأمور التى لا تطاق فى باب التسامح اللغوى على سعته .

١٠ ـ « الفشل » . قال : « فشل الرجل : كسل وضعف وتراخى وجبن عند حرب أو شدة . والمحدثون يستعملون فشل بمعنى خاب كأنهم يغلقون السبب ويريدون المسبب ، فهو من قبيل المجاز المرسل » .

قلنا : ان باب المجاز مفتوح ، كما ذكرنا من قبل ، بشرط أن لا يتدافع المعنيان الحقيقى والمجازى ، والأمر فى هذا الفعل كالذى فى « هدف » ، وقد شرحناه فيما أسلفنا من التعليق ، وذلك أن « فشل » لا يقوم مقام « خاب وأخفق » ولو مجازا ؛ لأنه يدل على عدم مباشرة العمل أو عدم الاستمرار عليه ، ان صح التعبير ، مع أن الخيبة والاخفاق مباشرة للعمل باءت بالخسران ، وتكون الخيبة أحيانا بعد تمام العمل ، والفرق بينهما كالفرق بين « كمل » و« صار فضل الفريق » فليس فى الفعلين اذن « سبب ومسبب » . ويؤكد ذلك اختلاف أوزانهما ، فالفعل « فشل » من باب فرح للأحوال النفسانية الطارئة تارة والعيوب الجسمانية الظاهرة تارة أخرى[٣] ، والفعل « خاب » ليس كذلك لأنه ليس بحركة نفسانية ، قال الامام على بن أبى طالب : « يا عجبا كل العجب ... من تضافر هؤلاء على باطلهم وفشلكم عن حقكم » . قال المبرد : « وقوله : فشلكم عن حقكم . يقال : فشل فلان عن كذا اذا هابه فنكل عنه وامتنع من المضى فيه »[٤] . وقال أبو الوداك : « ما تداعى الناس الى المصاحف ، وكتبت صحيفة الصلح والتحكيم ، قال على ـ ع ـ : انما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم من الخور والفشل عن

(١) الدر المكنون فى المآثر الماضية من القرون « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٩٤٩ ورق ٢٩٦ ـ ٧ » ، وشذت عنى صفحة الشاهد الأخير من الكتاب المذكور .

(٢) أعنى « بالنسبة » .

قولهم « المحامى الفاشل » والصواب « المحامى الفشل » .

(٣) والصفة منه « فشل » كفرح وفشل كفسل وفشيل كجميل . ومن الخطأ

(٤) كامل المبرد (١/١٦ ، ١٩) من طبعة الدلجمونى .

الحرب »[١] . ومن كلام منسوب الى على أيضا : « فقمت بالأمر حين فشلوا ، وتطلعت حين تقبعوا ، ونطقت حين تعتعوا ، ومضيت بنور الله حين وقفوا » قال عزالدين ابن أبى الحديد : قوله « فقمت بالأمر حين فشلوا » أى قمت بانكار المنكر حين فشل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، والفشل : الخور والجبن»[٢] . وقال مسكويه فى حوادث سنة ٣٤٥ هـ : « وعبى معز الدولة غلمانه كراديس تتناوب فى الحملات الى وقت الغروب ، فهناك فشل الأتراك ، وانقطعت حيلهم ، وفنى نشابهم»[٣] .

وخلاصة القول أن « الفشل » لا يجوز أن يستعمل بمعنى « الخيبة والاخفاق » ؛ لأن الخيبة نتيجة خداج للعمل ، و « الفشل » حركة نفسانية هى الكسل عن العمل والتراجع عنه ، والعربية اليوم لا تستغنى عن « الفشل » بمعناه الأصلى ، كما أن استعماله بمعنى « الاخفاق » يورث الالتباس فى قراءة الكتب العربية ، ويقلب المعانى فى أذهان الدارسين .

١١ ـ « الجيل » . قال : « الجيل : الصنف من الناس ، وقد توسع فيه المولدون فاستعملوه على أهل الزمان الواحد ، ويظهر أن هذا الاستعمال قديم ، فقد قال المتنبى : ـ

وانما نحن فى جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن

قلت : ورد « الجيل » بمعنى الجماعة فى كتب اللغة المختصة ، قال الثعالبى : « جيل من الناس ، كوكب من الفرسان ، حزقة من الغلمان»[٤] . واستعمله الفيومى فى المصباح تفسيرا للقرن ، قال : « والقرن أيضا : الجيل من الناس » . واستعمله كذلك جماعة من العلماء منهم أبو البركات هبة الله ابن ملكا الفيلسوف ، قال : « وكان العلماء والمتعلمون فى ذلك الوقت كثيرى العدد طويلى الأعمار ، ينقلون العلوم من جيل الى جيل بأسرها وعلى أتم تمامها فلا يضيع منها شىء ولا ينسى ولا يقع الى غير أهله »[٥] . والجيل يراد به الصنف من الناس ، فلذلك اتسعوا فى استعماله ، فمن كتاب للامام على الى معاوية ـ كما فى نهج البلاغة ـ « وأردت جيلا من الناس كثيرا ... » .

وكل هذا يؤيد ما عرضه الأستاذ الزيات ويثبت وجاهة ما احتج به لاستعمال هذه

---

(١) شرح نهج البلاغة (١/١٩٣) .
(٢) المرجع المذكور (ص ٢٠٨) .
(٣) تجارب الأمم (٦/١٦٤) .
(٤) فقه اللغة (ص ٢١٩) من طبعة اليسوعيين .
(٥) المعتبر فى الحكمة (١/٣) .

الكلمة ، وقد وهم مؤلف تذكرة الكاتب فى منعه استعمال هذا الجيل بهذا المعنى ، قال : « ويستعملون الجيل بمعنى القرن فيقولون : كان ذلك فى أوائل الجيل الماضى » وفى كتب اللغة : الجيل صنف من الناس »[(١)] . ومن المعلوم أن « الجيل » سمى به الناس وزمانهم كما سمى بالقرن الناس وزمانهم .

١٢ ـ « القاع » . قال : « القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، والمحدثون يستعملونه فى أقصى الشىء وعمقه ونهاية أسفله فيقولون « قاع البئر » و « قاع النهر » تفاديا من ذكر القعر » .

قلنا : ان المحدثين المذكورين استفادوا استعمالهم المذكور من كتاب «كليلة ودمنة»، ففيه ما هذا نصه : « كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى ، ساقهما الأجل الى حفرة فوقعا فيها كانا اذا صارا فى قاعها بمنزلة واحدة »[(٢)] . أراد بالقاع القعر والقرارة ، وفيه تساهل ظاهر بالاضافة الى مفهوم القاع ، قال الفضل بن الربيع فى كلام يذكر فيه الأمين : « والهلاك أسرع اليه من السيل الى قيعان الرمل »[(٣)] . وقال حسان ابن ثابت :

لقد عدوت أمام القوم منتطقا بصارم مثل لون الملح قطاع
يحفز عنى نجاد السيف سابغة فضفاضة مثل لون النهى[(٤)] بالقاع[(٥)]

وقال كامل المتفقى :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا : ليلاى منكن أم ليلى من البشر[(٦)]؟

والاضافة فى « القاع » قرينة مانعة من الالتباس فى المعنى الثانى .

١٣ ـ « القهوة » . قال : « القهوة : يستعمل المحدثون القهوة فى المكان الذى تشرب فيه ، وهو مجاز مرسل علاقته الحالية[(٧)] ، كقولهم : نزلنا على ماء بنى فلان ، أى على بئرهم ، والمؤمنون فى رحمة الله أى فى جنته . وهذا الاستعمال صحيح يغنينا عن

(١) تذكرة الكاتب (ص ٦٢) .
(٢) كليلة ودمنة (ص ١٣٢) طبعة السلفى .
(٣) شرح نهج البلاغة (٤/٤٧) .
(٤) النهى كالحمل بلغة نجد : الغدير . وغيرهم يفتح .
(٥) الأغانى (٤/١٦٦) .
(٦) دمية القصر (ص ٢٩) . والبيت متنازع كما فى خزانة الادب (١/٦٧) من طبعة دار العصور غير الكاملة ، وقد تصحف فيها « كامل المتفقى » الى « كاهل المثقفى » .
(٧) بتشديد اللام ، وهو مصدر صناعى . وعندى اسم صناعى لأنه لو كان مصدرا لعمل عمل الفعل بالشروط المعروفة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة المقهى الثقيلة » .

قلنا : القهوة بمعنى مشرب البن شاعت فى زمان حكم الترك ، والظاهر أن الأتراك سموا المشرب المذكور « قهوه خانه » ، وهى شائعة فى العراق ، وان كتب لفظ « المقهى » على الألواح المعلقة على وجوه المشارب ، ورأيت فى بعض الكتب المتأخرة هذه الجملة : « وقد شاهدتهم عند أهل المقاهى » بجمع المقهى على المقاهى ، وظاهر المقهى أنه مضموم الميم ، من « أقهى : دام على شرب القهوة » كما فى القاموس ، ولا يجوز الفتح لأنه يكون اسم مكان من « قهى من الطعام : اجتواه كاقهى » . ويجب حينئذ أن يقال « مقهاة » للموضع الذى تكثر فيه القهوة ، على حسب القياس اللاحب ، وقد ذكرنا فى حاشية سابقة أنه يجب أن يقال « اقتهى فلان اقتهاءا واشتاء اشتياءا » اذا اتخذ القهوة وانشأ لنفسه .

واللغة العربية لا تأبى استعمال « القهوة » بمعنى « المقهى » بضم الميم و « المقهاة » بفتحها ، ولا يحدث التباس فى قول القائل « قعدنا فى القهوة فشربنا قهوة لذة » لأنها مختصر « قعدنا فى القهوه خانه ... » . فقدد الاستعمال يدفع القيل والقال .

١٤ — « غير » . قال : « يدخل المحدثون على (غير) أداة التعريف ، ويجمعونه على أغيار ، ولم يسمع ذلك عن الأولين ، والجمع والتعريف أمران تقتضيهما الحال وعلى الأخص[1] فى لغة القانون » .

قلنا : عولجت هذه المسألة اللغوية قديما ، ومن قدماء معالجيها أبو محمد الحريرى ، قال فى ذكر أوهام الخواص : « ويدخلون أل على غير (فيقولون فعل الغير ذلك مثلا) والمحققون يمنعون منه ، اذ لا تتعرف بها كما لا تتعرف بالاضافة ، فلا فائدة فى ادخالها » قال السيد شهاب الدين أبو الثناء محمود الألوسى[2] : « هذا كلام الحريرى ، وفيه ما فيه ، وان أردت كشف الابهام عن حقيقة الحال فاستمع ما نتلوه عليك من كلام من تعقد عند ذكره الخناصر[3] وتنحل ببيانه عقدة الاشكال ، فنقول : ما ادعاه فى ادخال « أل » على غير وان اشتهر فلا مانع منه قياسا ، وانما المهم اثبات سماعه . وفى تهذيب الأزهرى : قال ابن أبى الحسن فى شامله : منع قوم دخول « أل » على غير وكل وبعض ؛ لأنها لا تتعرف بالاضافة ، فلا تتعرف بها . وعندى أنه لا مانع من ذلك ؛ لأن « أل » فيه

(١) الفصيح « فى الأخص » .

(٢) توفى ببغداد سنة ١٢٧٠ هـ عن نحو من ثلاث وخمسين سنة ودفن بالقرب من مدفن الشيخ معروف الكرخى .

(٣) ويقال أيضا « تثنى الخناصر دونه » يراد الاكترات به والاهتمام له والعناية به .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليست للتعريف ، ولكنها العاقبة للاضافة كما فى قوله تعالى : (فان الجنة هى المأوى) أى مأواه ، على أن غيرا قد تتعرف بالاضافة فى بعض المواضع ، وقد يحمل الغير على الضد والكل على الجملة ، والبعض على الجزء ، فيصح دخول « أل » بهذا المعنى . اهـ وقال صاحب الهادى : ان (غيرا) لا تجوز تثنيته ولا جمعه كما ذكره سيبويه ، ولا يجوز ادخال اللام عليه ؛ لأنه لابد له من الاضافة ، والمضاف اليه اما مذكور أو منوى . وفى بعض الحواشى : « صرحوا بأن غيرا ان تعرفت وان لم تتعرف لا يجوز ادخال اللام عليه[١] ، لرعاية صورة الاضافة المعنوية ، الا أن المصنفين كثيرا ما يدخلونها عليه ، فكأنهم جعلوه بمعنى المغاير ، لكنه لم يوجد فى كلام العرب » وفى ضرام السقط : أن لغير ثلاثة مواضع[٢] : أحدها أن تقع موقعا لا تكون فيه الا نكرة ، وذلك اذا أريد بها النفى الساذج كما فى نحو « مررت برجل غيرِ زيد » ، الثانى أن تقع موقعا لا تكون فيه الا معرفة وذلك اذا أريد بها شىء قد عرف بمضادة المضاف اليه فى معنى لا يضاده فيه الا هو كما اذا قلت « مررت بغيرك » أى المعروف بمضادتك ، الا أنها فى هذه لا تجرى صفة فتذكر غير جارية على الموصوف . الثالث أن تقع موقعا تكون فيه نكرة تارة ومعرفة أخرى ، كما اذا قلت : مررت برجل كريم غير لئيم ، . اهـ ولم يوجد كما قال ابن هشام تثنيته ولاجمعه الا فى كلام المولدين ، فتراهم يقولون « غيران وأغيار » . وقد سمعت عدم الجواز عن سيبويه آنفا ، ولعل الأمر فى ذلك سهل أيضا[٣] » . وقال الفيومى : « غير : يكون وصفا للنكرة تقول : جاءنى رجل غيرك . وقوله تعالى : (غير المغضوب عليهم) انما وصف بها المعرفة لأنها أشبهت المعرفة باضافتها الى المعرفة ، فعوملت معاملتها ، ووصف بها المعرفة ومن هنا اجترأ بعضهم فأدخل عليها الألف واللام لأنها لما شابهت المعرفة باضافتها الى المعرفة جاز أن يدخلها ما يعاقب الاضافة»[٤] . قال الفيومى : ولك أن تمنع الاستدلال ، وتقول : الاضافة هنا ليست للتعريف بل للتخصيص ، والألف واللام لا تفيد التخصيص ، فلا تعاقب اضافة التخصيص ، مثل « سوى وحسب ، فانه يضاف للتخصيص ، ولا تدخله الألف واللام »[٤] . وقال ابن الجوزى : « فينقل من فعله ما يقتدى الغير به »[٥] .

---

(١) أى على اللفظ فلذلك ذكر .
(٢) الصواب « أولها ، ليأتى الثانى فالثالث .
(٣) كشف الطرة (ص ٨٤ ـ ٥) .
(٤) المصباح المنير فى « غير » .
(٥) صيد الخاطر لأبى الفرج (ص ٩٠) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال قطب الدين الراوندى : « لأن ما يوصف به الغير انما هو الفعل أو معنى الفعل»[١] .
وقال القزوينى : « وهو اما أن يكون قائما بالذات أو قائما بالغير[٢] » ، وقد جمع على « أغيار »[٣] .

واستعمل « الغير » الجاحظ ، وهو هو فى قدمه وتقدمه على الكتاب ، قال : « وخبرنى بعضهم أنه رأى من يبكى باحدى عينيه وبالتى يقترحها عليه الغير»[٤] ، وأدخل المسعودى عليها « أل » مع الاضافة : « فتصير جملتها مع الخمسة أيام الغير معدودة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما »[٥] . وقال الجوهرى : « الوسيلة ما يتقرب به الى الغير »[٦] . وقال الفخر الرازى فى أصول الدين : « المسألة الثالثة والعشرون فى أنه سبحانه عالم بعلم واحد بجملة المعلومات الغير المتناهية »[٧] . وأنشد موفق الدين أبو محمد طلحة بن يحيى بن هبة الله الموصلى المحدث :

يا غافلا عن حركات الفلك نبهك الدهر فما أغفلك !
مالك للغير اذا صنته وكل ما أنفقت منه فلك[٨]

فالغير منذ زمن الجاحظ معروفة مستعملة ، ولا نرى مانعا من الاستمرار على استعمالها أبدا ، خصوصا فى لغة القضاء حيث لا تقوم مقامها كلمة أخرى ، قال عزالدين ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة : « وقد استعملت فى كثير من فصوله ، فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ، ألفاظ القوم مع علمى بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم « المحسوسات » وقولهم « الكل والبعض» وقولهم « الصفات الذاتية » وقولهم « الجسمانيات » وقولهم « أما أولا فالحال كذا » ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له أدنى أنس بالأدب ، ولكنا استهجنا تبديل ألفاظهم وتغيير عباراتهم ، فمن كلم قوما كلمهم باصطلاحهم و « من دخل ظفار حمر »[٩] .

---

(١) شرح نهج البلاغة المذكور (١/٢٥) .
(٢) العجائب (ص ٩) .
(٣) ما طبع من تذكرة ابن حمدون بمصر (ص ١) .
(٤) الحيوان (٦/٤٦٦) طبعة عبدالسلام .
(٥) التنبيه والاشراف (ص ١٨٤) من الطبعة المصرية .
(٦) الصحاح فى « وسل » .
(٧) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس (١٢٥٣ور٣٠) . والكتاب مطبوع ، ومنه فى شرح نهج البلاغة (١/٩٣) « الغير المتناهية » .
(٨) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى ج٥ ترجمة ١٩٥٨ من الميم .
(٩) شرح نهج البلاغة (٤/٥٧٤) . ومعنى حمر تحميرا : تكلم بالحميرية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥ ـ « الغيرية » • قال : « عرف المتقدمون الغيرية مقابلا للعينية ، وهي أن يكون كل من الشيئين خلاف الآخر ، ويستعملها المحدثون اليوم مقابلا للأنانية ، فتكون معنى من معاني الايثار » •

قلنا : قال نصر الله بن الأثير في الحكم على المعاني : « وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذكره هنا يرجع أكثره الى التأويل ؛ لأنه أدق ، ولا يخلو تأويل المعنى من ثلاثة أقسام : اما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره ، واما أن يفهم منه الشيء وغيره ، وتلك « الغيرية » اما أن تكون ضدا أو لا تكون ضدا »[1] •

فالغيرية مستعملة في كتب الأدب بمعناها الأصلي ، وفي المنطق بمعناها أيضا ، أجل « الأنانية » منسوبة الى « أنا » كما في رسالة ابن كمال باشا اللغوية وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، ولكنها لم تكتسب المعنى الذي استعملت له الا متعارف حب الانسان لنفسه حين يقول « أنا » • فأما « الغيرية » فليس فيها الا المغايرة ؛ لأنها حالة « الغير » لا غير ، فالايثار خير منها ، ولذلك استعملوه ، ولم يعرفوا « الغيرية » بمعناه ، ولا «النهوية» التي تقابل الأنانية على سبيل المناقضة • والغيرية لفظ عام ، لأنك تقول « أنا والغير وأنت والغير » و « هو والغير » ، وليس فيها علامة تختص بمغايرة « أنا » ، فلم يترك « الايثار » وتختار هذه اللفظة ؟ أمن أجل يائها المشددة ؟ لا أظنها بها تغلب الايثار •

١٦ ـ « الشقي » • قال : « ضد السعيد ، والمحدثون يطلقونه أيضا على اللص وقاطع الطريق (وافق المجمع على هذه الكلمة على أن يزاد في شرحها أن تدل على الأطفال العفاريت) » •

قلنا : ان « الشقي » باللغة العامية العراقية هو العيار والشاطر ، وتأتي السرقة في آخر أوصافه ، ويسمون به بالجمع لا بالمفرد فيقولون « فلان أشقياء » كما يقولون « أرباب وأبناء الأربعين » أي رب ظرف وابن الأربعين • والظاهر أن هذه التسمية حدثت في أثناء حكم العثمانيين للعراق ، ويجد الانسان سلوى في قول الفيروزأبادي « وشاقاه : عالجه في الحرب ونحوه » • والعراقيون يستعملون « شاقاه مشاقاة » بمعنى « عابثه معابثة وعباثا » •

١٧ ـ « التأميم » • قال : « أمم الرجل المكان : قصده • والمسموع اليوم من المحدثين أنهم يقولون : أمم الشيء جعله ملكا للأمة » •

---

(١) المثل السائر (ص ١٤) من طبعة المطبعة البهية •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلنا : يجب أن يسار فى اصطلاح كهذا على القياس اللاحب ، فما المثال الذى قيس عليه التأميم ؟ وهل قالت العرب « تقويم الشيء : جعله للقوم ، وتعشيره : جعله للعشيرة ، وتشعيبه : جعله للشعب ، وتعميره : جعله للعمارة ، وتحكيمه : جعله للحكومة ، وتقبيله : جعله للقبيلة ؟ لم تقل ذلك ، فان نفتح مجال العبث بالقياس ، فكأننا دعونا الى العبث باللغة نفسها ، و « فعل الشيء » تفعيلا : جعله كأصل الفعل مثل « أهله تأهيلا : جعله أهلا » و « رأسه ترئيسا : جعله رأسا أى رئيسا » و « قوده تقويدا : جعله قائدا » و « أمره تأميرا : جعله أميرا » و « ملكه تمليكا : جعله ملكا » وعلى هذا يقال « أمم أخلاط الزمر : جعلهم أمة » ، قال ابن الحاجب فى الشافية : « فعل (تفعيلا) للتكثير [1] غالبا ، نحو : غلقت وقطعت وجولت وطوفت وموت المال ، وللتعدية نحو فرحته ومنه فسقته ، وللسلب نحو : جلدته وقردته » .

وعقب الشارح الاستراباذى على « فرحه تفريحا » بأن فعل هنا بمعنى « جعل الشيء ذا أصله » مثل فحى القدر تفحية أى جعلها ذات فحا أى بزر ، وشسع النعل تشسيعا أى جعلها ذات شسع ، فالجزئية مفهومة من قوله « ذات » . فليس فى معانى « التفعيل » ما يجيز « التأميم » بالمعنى الذى يريدونه اليوم ، وقد يقال انه أصبح مفهوما بذلك ، فيجاب بأن من أعمال المجامع اللغوية الحيلولة بين الغلط الشائع واللغة ، لئلا يتسرب الفساد فى قواعد اللغة العامة ، وأحق الأوزان بهذا المعنى « التأمم » أى تسليط الأمة على الشيء واصابته بها ، مثل « تعينه تعينا : أصابه بالعين ، وتحيفه : أصابه بالحيف ، وتوعده : سلط عليه الوعيد » ، وما يضيق المكان بذكره . وعلى هذا يقال « تأمم الشيء تأمما : جعله للأمة » . وقد ورد « التأمم » متعديا أيضا لغير هذا المعنى ، وهو القصد .

مصطفى جواد

---

(١) قال الشارح « الاستراباذى » أقول : الأغلب فى فعل أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل » ثم ذكر أن « ذبحت الشاة تذبيحا » و « غلقت الباب تغليقا » لا يجوز : لأنه لا يحتمل التكثير . « شرح الشافية (١/٩٢) » من طبعة المكتبة التجارية .

اللغة العربيـــــة

بين بون (ألمانيـا) ودمشق

حضرة الأستاذ الفاضل الدكتور « هونر باخ » المحترم •

وصلتنى بطاقة بتوقيع صديقى الأب جورجى الخورى ومعها ورقتان أظنهما بخطكم : تسألون عن بعض الألفاظ التى غاب عنكم معناها ، أو ضبط حركاتها ، وهى فى شعر الصفى الحلى الذى تهيئونه للطبع • فأنا أشكر للأب جورج اذ كان واسطة التعارف بيننا • وكنت أكون مسرورا بزيادة لو أمكننى أن أقوم بخدمتكم بأكثر نجاح ، ذلك أنكم لما كتبتم الألفاظ المسؤول عنها ، الواردة فى الديوان ، لم تشيروا أمام كل لفظ الى رقم الصفحة المذكور فيها ذلك اللفظ • والديوان الذى عندنا طبع فى دمشق سنة ١٩٢٧ م ولا نسخة سواها ، وعدد صفحاتها ٥٧٢ صفحة ، فاللفظ المطلوب تصحيحه لا تمكن معرفته الا بتقليب صفحات الديوان كله • فلو كتتم ذكرتم أمام كل لفظة رقم صفحتها لسهلت مراجعتها ، والنظر فى ما قبلها وبعدها ، فيعرف السياق والمناسبة ، فيفهم المعنى غالبا • وزد على ذلك أن معظم الألفاظ المسؤول عنها يظهر أنها لهجة عامية عراقية ، لما أن الصفى الحلى عراقى الدار ، ولهجتنا العامية السورية تغاير أختها العراقية ، وبين اللهجات فى الشرق العربى بون شاسع : فابن العراق ربما سهل عليه معرفة تلك الألفاظ المسؤول عنها أكثر مما تسهل على أنا ولاسيما أن نسخ ديوان الحلى متوفرة بين أيدى العراقيين • على أن الشاعر الحلى عاش منذ أكثر من (٥٥٠) سنة ، فهل بقيت الألفاظ العامية فى العراق على حالها يا ترى ؟

ومع هذه الصعوبات التى اعترضت أمامى ، وأهمها عدم معرفتى لمكان الألفاظ من الديوان ـ مع هذه الصعوبات نظرت فى تلك الألفاظ ، فهديت الى تفسير بعضها •

• • •

قوله : (الا وأنا أتمثل وأسمع الجيران (فتح الجيم !!) •

أقول :

فتح الجيم من (جيران) غلط ، وصوابه كسرها ؛ لأنها جمع جار • وكنت ، وأنا

صغير ، أسمع فى بلدى طرابلس الشام (لبنان) بعض الناس ينشد هذا البيت هكذا :

(أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

ويفتح جيم (جيران) ، فحفظته منه هكذا ، وبقيت على ذلك مدة ، حتى كبرت وتعلمت • والذى مهد الطريق أمام الظن بأن (جيران) فى البيت المذكور بفتح الجيم هو أن معناه (أى معنى جيران) باللغة التركية الغزال ، وكنا نتعلمها يومذاك ، والمعنى عليها حسن فى الذوق الشعرى العربى •

.·.

قوله : (ولا على قلان قلان ـ ؟؟)

(قلان) لم تذكرها المعاجم العربية ، واستدركها دوزى فى معجمه ، وقال : انها مغولية الأصل ، أى تركية ، وفسرها بالغرامة ، الخراج ، الضريبة ، (Tribut) وقالت المعاجم التركية : ان أصل (قلان) قلان بالألف ، فتكون اسم فاعل من فعل (قالمق) بمعنى بقاء الشىء ومكثه وتعوقه وتأخره • والضرائب وأموال الخراج (التى اشتهرت تسميتها بالويركو فى بلادنا) تتراكم عادة فى ذمم المكلفين ، ويتأخر دفعها ، فتعود صعبة التحصيل ، ويستثقل من أجلها الجابى اسمى (تحصيلدار) بالتركية ، وكان يسمى فى العهد العباسى (المستخرج) قال أبو المطهر الأزدى فى كتابه (حكاية أبو القاسم البغدادى) واصفا بعض الثقلاء : (يا وجه المستخرج فى يوم السبت ، يا افطار الصائم على الخبز البحت) ، فيكون قائل عبارة الصفى الحلى ، وهى (ولا على قلان) ، انما يحمد الله على أن لم يكن عليه ضريبة أو خراج أو ذمة لبيت المال فلا يرى وجه المستخرج •

.·.

قوله : (وأنا طنج فرحان طنج ؟)

؟ ؟ ؟

قوله : (قباحا نوع من ثياب النساء ؟)

؟ ؟ ؟

.·.

قوله :

(فخاطرو منن دلى والكف من قلبات)

؟ ؟ ؟

(هويدى ، نوع من الطيور ، ؟؟)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا أعلم ما كلمة « هويدى » هذه ؟ لكننى أذكر أن (ابن سيده) ذكر فى معجمه المخصص (جزء ٨/ص ١٥٣) أن الخليل صاحب كتاب العين قال : « وطير الماء أكثر من مئتى لون ، والعرب لا تعرف أكثرها ، وأسماؤها عندنا (العراق) بالنبطية ، لأنها فى البطائح فى بلاد النبط » . ويعنى الخليل ببلاد النبط سواد العراق . فما يدرينا أن يكون (هويدى) لفظا نبطيا من بقايا أسماء الطيور التى تعلمها العراقيون من لغة أنباط السواد ؟

. . .

قوله : (وان سألتوا عنى يقول بيستا وحش) .

« بيستا » أظنها فارسية الأصل ، لأن معنى بيم بالفارسية الخوف والفزع ، كما فى معاجمها . أما (وحش) بكسر الحاء ، فلفظ عربى صحيح معناه جائع . ولا يخفى وجود التناسب بين وصف الانسان بالخوف ووصفه بالجوع .

. . .

قوله : (فى العام أبصرك مرة كأنك براة النصارى ، أو حجة الاسلام ؟)

؟ ؟ ؟

قوله : (أنا عليك أوذ فزع)

لا أعلم ما معنى « أوذ فزع ؟ » كلمة واحدة . أما اذا كانت كلمتين ، فيمكن أن يقال : ان (أوز) بالزاى لا بالذال الطائر المعروف ، و (فزع) من الفزع بمعنى الرعب والهلع ، ويكون المعنى أن حالتى من الخوف عليك كحالة الأوز اذا كان فزعا .

. . .

قوله : (ما غارت المغل فينا ولا وقع يغساة)

(المغل) ومثله (المغول) : اسم لجيل كبير من أمم الترك الضاربة فى جزء الشمال الغربى من آسية ، والافرنج يسمونهم (منغول) بزيادة نون بعد الميم .

و (يغسا) من دون تاء فى آخرها لفظ تركى معناه الغزو والسلب والنهب . وكأن (يغساة) بالتاء فى آخرها عربها العراقيون من (يغسا) التركية .

. . .

قوله : (يلعب بشطرنج ويقول : كنتو أحطك حطيطة قبلت منى الحطيطة ارجع نسى قاطعتنى وما يجوز التقاطع الا مع الطبقات .)

نسى ؟ لا أعلمها ، أو يقال : اذا كان اللعب بالشطرنج على مال يمكن أن يكون (نسى) بضم النون وتشديد الميم والياء . قال فى الصحاح : (قال أبو عبيد : « النسى »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدرهم الذى فيه رصاص أو نحاس ، قال النابغة يصف فرسا :

وقارفت وهى لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمى سفسير

أما (الحطيطة) فمن فعل حط . ولفظ (الحطيطة) أتخيل أنه فعل مستعمل بين اللاعبين بالورق أو غيره ، وربما أرادوا به التنازل عن شىء من حق اللاعب فى أرباح اللعب . ولفظ « الحطيطة » عربى فى أصل مادته ، اذ يقال : حط الدائن من مبلغ الدين مقدارا لكى يسهل على مدينه المعسر أداء ما عليه .

• • •

قوله : (بيتان يحل بهما مهما أضمر الضامر من حروف المعجم ، وصورة العمل بها أن تقرأ على صاحب الضمير قفلا قفلا) الى آخر ما قال ووصف من حل الألغاز بالبيتين . ؟ ..

أقول :

الظاهر أن المراد بالقفل الشطر من بيت الشعر والأقفال جمعه ، لأن سياق الكلام يقتضى أن يكون معنى القفل والأقفال هكذا . أما حل هذا اللغز ، وتبسيط المعنى المراد منه ، فقد أصبح ذهنى كليلا لا يقوى على فهم أمثال هذه الألغاز ، ولا طريقة حلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• • •

قوله : (فى محاورات وقعت له مع غلام أمسالى فى القاهرة)

؟ ؟ ؟

قوله : (وأصلى كبير . وسنبس وطى أخوالى . وأبى فى العراق كان والى .)

« سنبس » و « طى » قبيلتان من قبائل العرب ، وفى القاموس : سنبس بن معاوية ابن جرول أبو حى من طى . ومن سنبس « جابر بن رألان » السنبسى الشاعر .

• • •

قوله : (يا سعادة من بات فى عبو نبو ويقول ياكن كنوا)

(ياكن كنوا) ؟ ؟ ؟ ...

(العب) فى اللغة الردن ، والردن الكم ، وكانت العرب تضع الدراهم فى أصول أكمامها .

وفى لهجتنا الشامية أصبح يراد بالعب الجيب ، حيث تخبأ الدراهم . أما (نبو) ، فلا نعهدها فى لهجتنا الشامية ، ولعلها بمعنى الدراهم فى لهجة العراق ، أو بمعنى آخر كالمجبوب مثلا .

قوله :

(أصدقائى خانونى ، ان ذا عجيب لاح لى من أعينهم لحظة المريب)

(« والمطعطع » الأسفل لا عنى يغيب والذى هم أعدائى قربوا البعيد)

« المطعطع » اسم مفعول من الطعطعة ، وهى فى اللغة التمطق باللسان والشفتين عند تذوق الطعام اللذيذ بحيث يسمع صوت للفم ، وقد حكى هذا التفسير للطعطعة الخليل ابن أحمد ، ورده ابن فارس .

وهل المراد من « المطعطع » هنا هذا المعنى يا ترى ؟ الله أعلم .

.٠.

قوله :

(جزنا لبيتا محض وما عليه اشراف « بحصر بردى » وبصرى « ونطع كيشى » « ومسورة » .)

(حصر) جمع حصير مصنوعة من بردى ، (وبردى) ضرب من النبات تصنع منه الحصر ، و (النطع) ما يفرش من أديم الجلد ، و (كيشى) نسبة الى كيّش ، ولا أعلم ما هو كيش ؟ ولعل صوابه كيشبى بالباء بعد الشين ، نسبة الى (كيشب) وهى قرية قريبة من الرى ، أو أن صوابه (كبشى) بباء موحدة بعد الكاف نسبة الى كبش الغم بدليل قوله (نطع) الذى معناه الجلد . و (المسورة) فى اللغة العربية الوسادة ، أو مسند من جلد يكون مرتفعا ، للتأنق فى تضخيم حشوته . وأبو المطهر الأزدى فى (حكاية أبو القاسم البُغدادى) شبه المغنية القصيرة الضخمة بالمسورة فقال : « انما أرى (أى فى مغنيات أصبهان) قردة كأنها مسورة عرضية ، أو غول طلع من برية » .

.٠.

قوله :

(نبهت والقالى . لا يقيم أعذارى . شغفى قد زاده وهى لا ترعالى .)

الظاهر أن المراد (بالقالى) الحبيب القالى أى المبغض أو الهاجر . ومعنى (لا يقيم أعذارى) لا يعتد بها ولا يقيم لها وزنا . و (شغفى) أى حبى زاد . وهى أى المحبوبة لا ترعالى حقا ، ولا تحفظ ودا ، فمفعول فعل ترعا محذوف ، وصوابه (ترعى) بالياء .

.٠.

قوله :

(مر بشى يرضالى لا ترس مو طارى)

(التونسي عاده بالويه وأبالى)

؟ ؟ ؟

قوله :

(جى وزور كنا نجارى نو العذار)

؟ ؟ ؟

قوله :

(بالله نقسم لو خذوا السبت والحد ما كنا نقطع ذا النزيز جرم للحد)

(السبت) يوم السبت • و (الحد) يوم الأحد ، وحذف الهمزة من الأحد لهجة شامية شائعة حتى على ألسنة الخاصة •

• • •

قوله :

(على النسيم حين تجينا بالراحتين نلتقوك)

(على دارين عبرت أو منها جيت)

(ان قط لس بذا الذكا تدروك)

(تجينا) أى تجيئنا • (بالراحتين) الراحة باطن الكف ، والمراد بها الكف نفسه ، و (نلتقوك) كأنها لهجة عراقية ، والمراد نلتقيك : أى اننا نلتقيك ونجتمع بك معانقين لك بالكفين أو اليدين كما هى العادة • و (دارين) بلدة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند ، ومن دارين يباع المسك الى سكان جزيرة العرب • قال شاعرهم :

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ويرجعن من دارين بجر الحقائب

كأن معنى عبارة الصفى الحلى أنه لما عانقه براحتيه شم منهما رائحة المسك ، فهو يقول متعجبا من أين أتتك هذه الرائحة ؟ فاما أن تكون جئت من قرية « دارين » حيث رائحة المسك تملأ أرجاءها ، أو انك عبرت فيها عبورا •

• • •

هذا ـ أيها الدكتور الفاضل ـ ما أمكننى الاهتداء اليه من تفسير الألفاظ التى سألتم عنها • وبقيت كلمات أخرى لم أهتد اليها ، وأتمنى لو تعرض على أحد من اخواننا العراقيين ، فلعل لديهم بها علما ، وفوق كل ذى علم عليم •

دمشق عبد القادر المغربى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليق على « اللغة العربية بين بون ودمشق »

١ ـ « وأنا طنج فرحان » . أظن الجيم فى « طنج » مبدلة من الزاى فى « طنز » ، وظاهرها أنها صفة من « طنزبه » ، أى سخر ، وأكثر السخرية يكون مع الضحك والسرور .

٢ ـ « فخاطرو من دلى » . يظهر لى أن دلى هى اللفظ العامى لـ « دلهى » أو أن الشائع من لفظها « دله » قال ابن رافع فيما نقل من كتابه تقى الدين الفارسى : « سعيد بن عبدالله الدهلى (بكسر الدال المهملة وسكون الهاء) نسبة الى دله مدينة بالهند ، ولد بها هذا »[١] . وعلى هذا يكون قوله :

فخاطرو من دلى والكف من قلهات

مرادا به ما اشتهرت به دله يومئذ وما اشتهرت به « قلهات » مدينة بعمان على ساحل البحر أهلها كلهم خوارج اباضية ويتظاهرون بذلك ، كما فى مراصد الاطلاع ، فهو قد جمع بين شيئين مختلفين فى كل الأمور .

٣ ـ هويدى : أجل هو نوع من الطيور تصغير « الهادى » ، ويجمع المكبر على « الهوادى » وهو معروف فى أكثر البلاد الاسلامية بذلك ؛ لأنه من نوع الحمام المهتدى فى طيرانه ، ويعرف بحمام البطاقة وحمام الزاجل والمنسوب أيضا ، جاء فى خبر حديقة الطيور التى أنشأها الوزير أبو على بن مقلة أنه « جعل فى صحن .. كالبرج أقفاصا فيها فاخر الطيور للفراخ وبرجا فى السطح « للهوادى » والقلابات والمراعيش »[٢] .

وقال ابن الجوزى فى حوادث سنة ٤٦٧ : « وفى شعبان تقدم فخر الدولة (محمد ابن جهير) الى المحتسب فى الحريم بنفى المفسدات وبيع دورهن .. ومنع الناس من دخول الحمامات بغير ميازر وقلع الهوادى[٣] والأبراج ، ومنع اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على سطوح الناس » .

وقال فيها سبط ابن الجوزى : « وفى شعبان أمر الوزير فخر الدولة المحتسب بنفى المفسدات من حريم دار الخلافة ، وبيع دورهن ، ومنع الناس أن يدخلوا الحمام بغير

---

(١) منتخب المختار (ص ٥٧) .

(٢) مختصر تاريخ ابن السمعانى « نسخة المجمع المصورة ، ورقة ١٧٣ » .

(٣) كذا جاء فى المطبوع من المنتظم (٨/٢٩٤) ولعل الأصل « وقلع أبراج الهوادى » كما سيأتى .

مبازر ، وأخرب أبراج « الهوادى » ، ومنع من اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على الناس »[١] .

وقال ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٦٧ : « فى هذه السنة اتخذ نورالدين بالشام « الحمام الهوادى » ، وهى التى يقال لها المناسيب ، وهى تطير من البلاد البعيدة الى أوكارها ، وجعلها فى جميع بلاده ... »[٢] .

٤ ـ « يقول بيمستا وحش » : بيمستا مركبة من كلمتين فارسيتين ، هما : « بى » أداة النفى والسلب والفقدان ، و « مستا » أصلها « مست » وهى بمعنى ثمل ومنتش من الشراب[٣] . فهو غير ثمل ولا شبعان .

٥ ـ « فى العالم أبصرك مرة كأنك براة النصارى أو حجة الاسلام » .

يشير الى أن رؤيته له كبراة النصارى ، وهى بعض طقوسهم الدينية لا تكون الا مرة فى السنة[٤] ، ومثل حجة الاسلام لا يمكن أن تكون الا مرة فى السنة فى شهر ذى الحجة منها .

٦ ـ « والمطعطع الأسفل لا غنى يغيب » . قال ابن فارس فى المقاييس : « الطاء والعين ليس بشىء . فأما ما حكاه الخليل من أن المطعطعة حكاية صوت اللاطع ، فليس بشىء » .

أما « الطعطعة فى العامية العراقية ، فهى التعتعة ، يقال « تعتع الشىء : حركه بعنف وقلقله » ، والمطعطع فيها المضعضع لكثرة التعتعة التى أصابته .

٧ ـ « بحصر بردى وبصرى ونطع كيشى ومسورة » : النطع الكيشى منسوب الى جزيرة كيش ، وفى مراصد الاطلاع : « كيش : تعجيم « قيس » جزيرة فى وسط البحر تعد من أعمال فارس وتعد من أعمال عمان » وفيه أيضا : « وقيس جزيرة فى بحر عمان وتسمى كيس ، دورها أربعة فراسخ ، مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة وهى مرفأ مراكب الهند وبر فارس وبها مغاص اللؤلؤ » .

مصطفى جواد

---

(١) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، (١٥٠٦ورق١٥٤) » .

(٢) الكامل فى حوادث سنة ٥٦٧ هـ . ونقل الخبر منه أبو الفداء فى تأريخه .

(٣) A Vocabulary, Persian, Arabic & English David Hopkins, London 1810

(٤) لعله أراد الاعتراف وتناول القربان المقدس السنويين .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

دستور العمل لناحية الخالص

بموجب « فرمان »[1] الوالي عبد الرحمن باشا سنة ١٠٨٦ هـ (١٦٧٥م)

كانت ادارة الممالك العثمانية على طريقة غير طريقة الاصلاحات التى بدىء بتنفيذها على وفق التنظيمات الخيرية التى وضعها السلطان محمود المتوفى فى سنة ١٠٥٥ هـ (١٨٣٩م) ، ثم خلفه السلطان عبدالحميد الذى أصدر « فرمانا » تتمة لما شرع فيه أبوه قرىء فى استانبول فى موضع اسمه كلخانه « بكف فارسية » . وقد عرف هذا « الفرمان » بخط كلخانه (راجع مادة « تنظيمات » فى معلمة الاسلام بالافرنجية) .

ولنر الآن مثالا لتصرف وال قديم لبغداد فى ولايته[2] ، بعد أن فتحها السلطان مراد الرابع فى سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨م) بنحو أربعين سنة ، وبأعلاه تصدير أمر الوالى كما وجدته فى نسخة كتبت يوم صدور ما سمى بالفرمان . وهذا نقله من التركية بالحرف الواحد الى لغتنا :

(١) حينما يطلب تعيين « الجبلى »[3] فى ناحية الخالص يعطى « حفار »[4] عن

---

(١) قوله « فرمان » تسمية لهذا الأمر ـ وكان يقال لمثله « بيورلدى » ـ هو لتعظيم الوالى . و لفظة « فرمان » هنا فى غير محلها ؛ لأنها اذا أطلقت على أمر مكتوب فلابد أن يكون للسلطان ، وهو موشح بالطغراء فى أعلاه (راجع قاموس شمس الدين سامى) .

(٢) مدح هذا الوالى ـ (كلشن خلفا) لنظمى زاده المطبوع فى استانبول فى سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠م) ، وأثنى عليه ، وبعد المدح أشار آسفا الى أنه كان يشرب الخمر (ص ١١٤) .

(٣) صحيح تصوير كلمة « جبه‌لى » كما يقال أيضا « جبه‌لو » (فتح الجيم والباء من دون تشديد) . ومعنى « جبه » هو الدرع (قاموس شمس الدين سامى) . فهذا الـ « جبه‌لى » هو الجندى المتدرع المكلف ايفاده الى الحرب كل من أصحاب التيمار والزعامة ، فانه مكلف أن يوفد عددا من هؤلاء الجنود نسبة ديرلكه (ألـ « ديرلك » هو ايراد الاقطاع) من تيمار وزعامة (راجع التأريخ العثمانى بالتركية لأحمد راسم ١ : فائدة ٦٠ ص ١٦٩ ح و فائدة ١١٦ ص ٢٩٥ ح ، ومادة تيمار وزعامة فى معلمة الاسلام) ويجوز ـ على ما أظن ـ أنه يراد بالجبلى الجندى من دون أن يكون متدرعا . وجاء فى أحمد راسم أن الـ « جبه‌لى » هو الفارس الكامل العدة القادر على المحاربة .

(٤) يظهر لى أنه يقصد بالحفار هنا الفلاح ، وان جاء فى وثيقة مؤرخة فى سنة ١١٠٣ هـ (١٦٩١/٩٢م) فى كلام على نهر الخالص تعيين حفارين له .

كل فدان[١] .

(٢) على الضابط ألا يأخذ شيئا من النقود عن الحفار غير الموجود المعين « جبليا » ، بل عليه أن يعرض الأمر على الوالى .

(٣) على الذين يزرعون فى هذه الناحية ان كانوا من « أغوات » أو « قول » أو « رعايا » أن يعطوا الجبلى على وجه المساواة .

(٤) يؤخذ بغدادى[٢] من كل رجل باسم مأكل الضابط وخدمة السوريجى (هل يريد الذى يسوق دواب الحمل كما هو معناها فى قاموس شمس الدين سامى ؟)[٣] ، ذلك حين تعين الحفار « جبليا » ، ولا يؤخذ أزيد من هذا ، وليس للضباط أن يطلبوا تعيين جبليين لطمع أنفسهم . ويعين الجبليون بمعرفة نائب الناحية والوجهاء والكتخدوات (يراد بالكتخدا هنا ما سمى بعدئذ واليوم بالمختار) .

(٥) يعطى ناحية الخالص خمسين حارسا لخيل سعادة الوالى لحراستها ليلا ونهارا فى المرعى حتى تعود الى بغداد ، ولا يطلب أكثر من هذا العدد ، على أن يكون خمسة من هؤلاء الحراس فى خدمة الضابط ، والباقون وهم خمسة وأربعون يسلمون أمير الآخور (أمير الاصطبل) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) من المعلوم أن فداننا الحالى هو عشرون « دونما » جديدا ، ومساحة الدونم الفان وخمس مئة متر مربع كما هو معلوم أيضا . وكان تفويض الأرضين بالطابو فى عهد مدحت باشا الذى ولى العراق فى سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) بالدونم ، وهو الذى سمى بعدئذ بالدونم العتيق ، ومساحته ألف وست مئة ذراع مربع ، وهى تساوى ٩١٨ مترا مربعا كما فى نظام الطابو) أو بالفدان ، وفدان ذلك العهد مئتا دونم من الدونمات العتيقة (راجع بشأن هذا الفدان العدد ١٢٣ من (جريدة الزوراء) للحكومة المؤرخ فى ٨ ذى الحجة ١٢٨٧ هـ ، و ١٦ شباط ١٢٨٦ رومية) (٢٨ شباط ١٨٧٠ م) ، هذا مع الاعتراف بأنى أجهل مساحة ذلك الفدان الذى ذكره أمر الوالى والذى أظن أن مساحته هى ما يمكن للفلاح أن يزرعه من الارض كما هو جار على ألسنة الزراع فى بعض المناطق .

(٢) نقد من فضة كان ضربه فى بغداد ، ولى كلام عليه فى مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ «١٩٤١» ٢٩٥) نقلا عن رحلة تيفنو Thevenot الذى كان فى بغداد سنة ١٦٦٤م (١٠٧٥ هـ) ، وقد قال : ان ثقله Dragme (درهم) . وكان يقال لهذا النقد « شاهى » كما فى تيفنو (وراجع مقالى فى هذه المجلة (١٩٥٠) «٢٧٧») .

(٣) وفى زماننا العثمانى كانت تطلق كلمة سوريجى على ساعى البريد الذى كان ينقل على الخيل والبغال ، وهكذا نجد معنى الكلمة هذا فى معجم شمس الدين سامى المار ذكره نفسه فى معجمه الثانى التركى الفرنسى بعد أن حرره مهران وطبعه .

(٦) يؤخذ لتموين المرعى ستون بطمان (منا) من السمن للآغا أمير الآخور ، وثلاثون بطمانا للضابط . يؤخذ السمن عينا ولا تؤخذ نقود عوضا عنه .

(٧) يؤخذ لتموين المرعى عشرون خروفا للآغا أمير الآخور ، ومثلها عشرون خروفا للضابط ، على أن يكون ثمن الخروف أربعة بغداديات لا أكثر من هذا .

(٨) يؤخذ لتموين المرعى خمس عشرة وزنة من التبن لأمير الآخور ، وللضابط مثلها خمس عشرة وزنة لا أكثر من هذا حبة ، ولا تؤخذ نقود عوضا عن ذلك .

(٩) يؤخذ لتموين المرعى ثلاثون وزنة دقيقا لأمير الآخور ، وللضابط كذلك ثلاثون وزنة ، وذلك عينا ، ولا يؤخذ بدل عن ذلك ولو درهما واحدا .

(١٠) يؤخذ لمطابخ الوزراء العظام (يريد الولاة) فى كل شهر مئة دجاجة[١] (ما أغرب هذه الضريبة !) لا دجاجة أكثر (أجل ، لا دجاجة أكثر !) ، ولا تؤخذ نقود باسم خدمة[٢] ، ولا يؤخذ دجاج من قرى الأوقاف .

(١١) يؤخذ لخيل والى الولاية مئة ألف برمة (ربطة ؟ من أى شىء ؟) لا واحدة أكثر ، ولا يؤخذ عن ذلك عوض .

(١٢) يؤخذ للضابط من كتخدا القرية الصغيرة خمسة غروش[٣] ، ومن كتخدا القرية الكبيرة عشرة غروش ، ذلك قيمة « خلعة » أى (هدية) ولا يؤخذ أكثر من هذا .

(١٣) يؤخذ من هذه الناحية لخيل الوالى فى كل سنة تبن حمل خمسين سفينة لا أكثر ، وتؤخذ خدمة على كل سفينة ستة بغداديات ، ولا يؤخذ دقيق ولا تبن من قرى الأوقاف (قال سابقا : « يؤخذ دقيق » ، والآن يقول : « لا يؤخذ » ، فبين لى أن المنع عن أخذ الدقيق الوارد هنا هو المنع عن أخذه من قرى الأوقاف) .

---

(١) فى نسخة كتاب للوالى تأريخه فى ١٨ جمادى الأولى ١١٠٤ هـ (كانون الثانى ١٦٩٣م) : يأمر مستندا الى خط للسلطان بالغاء طائفة من الرسوم ، من ذلك تكليف القصيل والتبن والدجاج .

(٢) كلمة عاشت زمنا طويلا بمعناها المصطلح عليه أو بما يقرب منه ، ذلك أنى واقف على أن مأمور المال وأمثاله فى لواء المنتفق فى عهدنا العثمانى اذا أوفدوا ضبطية (كالشرطى اليوم) أو كاتبا لتحصيل مال من مكلف من العشائر ، كان هذا الجابى يفرض لنفسه ربية باسم خدمة تكون له على كل ليرة (عثمانية ذهبا) ، فيخضع المكلف للأمر مضطرا .

(٣) كان ذلك الغرش كبير الحجم والقيمة ، وهو غير الغرش الذى هو جزء من مئة جزء من الليرة العثمانية التى بدأ بضربها السلطان عبدالمجيد .

(١٤) يؤخذ عينا لمطبخ سعادة الوالى من قرية « يكيجه » (تلفظ ينيجه) سبع وزنات من الحصرم ، ومن قرية « دوخلة » ثلاث وزنات ونصف وزنة ، ومثلها ثلاث وزنات ونصف من قرية « قزانية » ، ولا يؤخذ شيء من النقد على ذلك باسم خدمة .

(١٥) اذا كان ساكنا فى قرى الناحية المذكورة من هو من رعايا « احشامات »[١] « وقره أول »[٢] «قره أولوس»[٣] ، وكان هؤلاء الرعايا « رنجبر » (الرنجبر هو الذى يشتغل بأجرة يومية وأعماله شاقة . قاموس شمس الدين سامى . أما المتعارف عندنا فهو من كان فقير الحال معاشه ضيق) يؤخذ فضلا عما هو مكلف به الزراع ما يقع من التكاليف العرفية[٤] على كل رجل ، ويعطى عشر ذلك لرعايا القرية امدادا لهم .

(١٦) اذا سكن رعايا القرى المار ذكرها غيرها من القرى بصورة متفرقة ، فحسنا يفعل الضابط فى اعادتهم الى أماكنهم ، وان طمع الضابط وأخذ منهم نقودا فله نصفها ،

---

(١) جاء فى كلشن خلفا (ص ١٠٤) فى أخبار سنة ١٠٨٩ هـ (١٦٧٨م) قتل بنى لام لآغا الاحشامات ، فأرسلت قوة للانتقام منهم .

(٢) ذكر تأريخ الغياثى « قراول » (كذا وليس قره قول ولا قره غول) وهم فرسان كما يفهم مما هناك ، كما أنه ذكر قراول الجغتاى وذكر « قراولية » السلطان ، ذلك كله فى أخبار سنة ٨٣٦ هـ (١٤٣٢/٣٣م) ، وذكر قراول فى أخبار سنة ٨٧٠ . ويظهر من كلام الكتاب أنهم كانوا صنفا من الجنود . وهذا التأريخ المسمى بالغياثى هو تأليف عبدالله بن فتح الله الملقب بالغياث البغدادى ، وكان مؤلفه لا يزال حيا فى العقد الأول من القرن العاشر للهجرة . ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة قديمة أهداها الآباء الكرمليون الى خزانة كتب دار الآثار القديمة .

(٣) وجدت فى جريدة الزوراء للحكومة العثمانية فى عددها ١٠٠٨ المؤرخ فى ٢٣ ربيع الآخر ١٢٩٩ الموافق ٢ مارت ١٢٩٨ (١٤ آذار ١٢٨٢) تبرع فرقة « قره اولوس » بتسعة عشر مجيديا اعانة لشراء بغال للحكومة ، وقد بان لى مما هناك أن قره أولوس عشيرة تسكن قضاء مندلى ، فسألت رجلا أعده ثقة من أهل هذه الحاضرة ، فقال : « قره أولوس » عشيرة تسكن الآن أراضى واقعة فى هذا القضاء على طريق من يريد خانقين، وهى تتكلم التركية ، ونفوسها تقدر بنحو ألفى نسمة . ومعنى أولوس الكلمة التركية القوم أو الأمة أو كبير العشيرة كما فى قاموس شمس الدين سامى التركى . أما معناها فى معجمه التركى الفرنسى فانه العشيرة الكبيرة ، ومعنى « قره » هنا هو الأسود والظلام . وفى كلشن خلفا (ظهر ص ٥١ فى أخبار النصف الأول من القرن التاسع للهجرة) أن قره يوسف الشهير بـ «قره قيونلى» كان من «أولوس» . ومن الصحف التركية فى زماننا هذا صحيفة اسمها «أولوس» أى الأمة ، الشعب .

(٤) ذكرها التأريخ العثمانى لأحمد راسم (المجلد ٣ المطبوع فى استانبول ١٣٢٩هـ ١٣٢٧ مالية = ١٩١١م ص ١١٥٤ فائدة ٢٣٠) وقد أبان اسماء هذه التكاليف البالغة ٩٧ . وراجع « جريدة عدلية » (٧ «١٣٣٣ مالية ١٩١٧م» ٦٧٦) تجد فيها أسماء تكاليف لم تذكر فى أحمد راسم ، منها « رسم عروسانه » . ويظهر من هذه الأسماء أن بعضها كان يطرح دائما ، وبعضها عند الحاجة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنصف الآخر يعطى امدادا لرعايا القرية •

(١٧) يبقى ضابط الناحية عنده عشرة رجال ، فضلا عن الشحانى (يراد بالشحانى هنا حراس الحاصلات الزراعية كما هو مصطلح عليه اليوم عندنا ، وهذا المعنى هو غير معناها المعروف فى العصر العباسى) الذين يعينهم للقرى ، وحينما يتجول الضابط فى القرى يكون معه عشرة رجال ، وعليه ألا يبقى فى القرية (الكبيرة) أكثر من خمسة أيام • أما فى القرى الصغيرة فيبقى يوما واحدا ، وعليه ألا يضايق الرعايا بنزوله فى قريتهم ومعه أكثر من عشرة رجال ، ولا يكلفهم غير المأكل والعليق •

(١٨) على ضابط الناحية أن ينبه الكتخداوات أن يزرعوا أرضيهم كالسنين السابقة ، فان زرعوها كان حسنا ، وان زرع الملاك (أرضه) فليس لأحد من الرعايا وغيرهم أن يمنعه ، وتحسب أفدنته ، ويؤخذ منه فضلا عن الجبلى ما يقع على كل فدان (من المال) ، وتعد الرعايا بعشر ذلك ، وان أعطى الملاك البذر يكون (الحاصل) مناصفة وليس على الملاك أن يعطى شيئا ، وان زرع الضابط رجلا « برانيا » (يريد به غيرالرعايا وغير الملاك) تحسب التكاليف ، وعليه أن يعطى فضلا عن الجبلى الخمس امدادا للرعايا •

(١٩) ليس لأحد أن يمنع الضابط من تضمين ورق الكرم ، الا أن القطف اذا كان يضر بالعنب فى القرى التى تثمره فيؤخذ منها متطوعا مئة غرش ، وليس للضابط بعد هذا أن يرغم الفقراء على دفع شىء باسم هذه « المكلفة » •

يعقوب سركيس

بلاد العرب

من جغرافيـة سـترابون

(حوالى ٦٦ ق٠ م٠ - حوالى ٢٤ ب٠ م٠)

١ - تبتدىء بلاد العرب من ناحية بلاد « بابل » بمدينة « مايسينى »[١] (Maecene). وفى مقدمة هذه الكورة ، تقع صحراء العرب من ناحية ، ومن الناحية الأخرى البطائح المقابلة لأرض الكلدانيين[٢] ، وهى التى يحدثها فيضان الفرات ، وفى الجهة الأخرى بحر فارس • وجو هذا الاقليم كثير الغيوم ، وبيل : فأمطاره أحيانا غزيرة ، وحرارته صاهرة • الا أن محصولاته جيدة ، والكرمة فيه تنمى فى البطائح ، فانهم يضعون تربة بقدر ما تحتاج اليه الكرمة فى اطار من القصب ، وتجرفه المياه أحيانا ، فيرجعونه الى مكانه بعيدان طويلة •

٢ - وأعود الى ما يقوله (اراتستيس) فى « بلاد العرب » • فهو يتحدث عن الجزء الصحراوى فى الشمال ، الواقع بين « بلاد العرب السعيدة » (Arabia Felix) و « سورية الخالية » (Coele Syria) واليهودية ، حتى تجويف « خليج العرب » •

فمن « هروبوليس (Heroopolis) الواقعة فى تجويف خليج العرب هذا ، وهو من ناحية نهر النيل ، الى « بابل » ، فى نحو بطراء النبط ، ٥٦٠٠ ستاديونات • والكورة بأجمعها تقع فى جهة الانقلاب الصيفى (أى شرقا وغربا) ، وتمتد خلال أرض القبائل العربية المجاورة لها ، وهى قبائل النبط ، والخاولوطيين والأغـريين • وفـوق هؤلاء الأقوام تقع بلاد العرب السعيدة ، وهى تمتد ١٢٫٠٠٠ ستاديون نحو البحر الأطلسى جنوبا[٣] •

ويرى - بعد السوريين واليهود - أن أول الأقوام التى تسكن هذه البلاد قوم زراع • ويلى أرضيهم صقع صحراوى قـاحل ، وفيـه قليل من النخيل والعـوسج[٤]

---

(١) لعلها «المسيب» الواقعة على مسافة قليلة شمال «بابل»٠ (غوسيلن Gosselin).
(٢) كان هؤلاء يسكنون على ضفة الفرات من هناك حتى ساحل « خليج العجم »٠
(٣) لترون يقترح أن تستبدل بالبحر الاريترى أى الحبشى ٠
(٤) Mimosa Nilotica .

والطرفاء • ويحصل الناس فيها على الماء بحفر الآبار كما فى « غدروسيا » ، ويدعون (السكونيين العرب)(Arabian Scenitae)، وهم يربون الجمال • والأجزاء التى فى أقصى الجنوب ، ازاء بلاد الحبشة ، تسقيها أمطار الصيف ، وتزرع مرتين فى السنة كما فى أرض الهند • ويستهلك مياه أنهارها سقيها السهول وانصبابها فى البحيرات • وخصب البلاد عامة حسن جدا ، ومن محصولاتها المتعددة العسل ، وهو كثير فيها جدا • وفيها أسراب كثيرة من الحيوانات : البغال (والحمير ؟) والخنازير ، ولكن ليس فيها خيل[١] ، وتوجد فيها الطيور من كل نوع سوى الاوز والفصيلة الدجاجية •

والطرف الأقصى من الاقليم المذكور تقطنه أربع أمم من أكثف الأمم عددا ، وهم : (المعينيون) (Minaei) فى الجزء المقابل للبحر الأحمر ، وأكبر مدنهم « قرنه » (Carna) أو « قرنانه »[٢] (Carnana) • ويليهم (السبئيون) ، وأكبر مدنهم « مأرب »[٣](Mariaba)• والأمة الثالثة (القتبانيون) (Cattabaneis)[٤]، ويمتدون فى سكناهم حتى المضيق والممر الذى هو عبر الخليج العربى ، وعاصمتهم الملكية تدعى « تمنه » (Tamna) • و(الحضارمة) (Chatramotites) أقصى هذه الأمم شرقا ، ومدينتهم « سبته » (Sabata)[٥] •

٣ ــ كل هذه المدن يحكم فيها ملك واحد • وهى مدن زاهرة ، تزينها القصور والهياكل الجميلة • وبيوتهم تشبه البيوت المصرية من حيث خشبها التى يشد بعضها ببعض• والبلدان الأربعة معا تكون مساحة من الأرض أكبر من دلتا مصر[٦] •

وعندهم لا يخلف الابن أباه على العرش ، وانما يخلف الملك أول ابن يولد للنبلاء بعد أن يرقى الملك العرش • وحين يتسلم أحدهم مقاليد الحكم ، تسجل أسماء الحوامل من زوجات النبلاء ، ويعين رقباء مهمتهم هى أن يعرفوا أيتهن ولدت ابنا قبل غيرها • والعادة هى أن يتبنى الملك ذلك الوليد ويربيه تربية الأمراء ليكون وارث العرش فى المستقبل •

---

(١) هذا يدعو الى الدهش !
(٢) « قرن المنازل » •
(٣) كانت العاصمة على التحقيق تدعى سبأ ، والمنطقة التى تقع فيها الآن تدعى سبئية •
(٤) اليمانون •
(٥) « شبوة »(Sabotha)•
(٦) كانت سبعة أضعاف مساحة الدلتا •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ـ وتنتج بلاد « قتبانية » اللبان ، وحضرموت المر • وهذه المواد العطرية من أسباب التبادل التجارى • ويصل التجار من « أيلة »[١] (Aelana) الى معين « ميناء » فى سبعين يوما • و « أيلة » « عيلانا » مدينة تقع على التجويف الآخر من الخليج العربى المسمى بأرض الايلانيين « العيلانيين » ، ازاء « غزة » ، كما ذكرنا آنفا • و (الجرحائيون) (Gerrhaei) يصلون الى « حضرموت » فى أربعين يوما •

والخليج العربى الممتد على طول بلاد العرب ، اذا قساه من تجويف « الخليج العيلانى » ، فهو بحسب ما يقول (الاسكندر) و (أنا كسيكراتس) ١٤٫٠٠٠ ستاديون طولا • ولكن هذا الحساب أكثر مما ينبغى • فالصقع الموازى لـ « طرغلوديتيكا » (Troglodytica)ـ وهى على يمين الذين يبحرون من «هروبوليس»[٢] الى « بطليمايس » (Ptolemais) ـحتى البلاد التى تؤخذ اليها الفيلة ، يمتد تسعة آلاف ستاديون نحو الجنوب، ويميل قليلا نحو الشرق • ومن هناك حتى المضيق نحو من ٤٥٠٠ ستاديون ، فى وجهة الى الشرق فى الأكثر • والمضيق قرب الحبشة ناشىء عن رأس من الأرض ناتىء يدعى « ديره » (Deire)[٣] ، وفيه بلدة صغيرة بهذا الاسم • وسكان هذا البلد هم « أكلة السمك » (اكثيوفاغى Ichthyophagi) •ويقال : ان هناك عمودا اقامه سيوسطريس المصرى ، نقشت عليه بالأحرف الهيروغليفية قصة عبوره خليج العرب • فيظهر أنه فتح « الحبشة » و « طرغلوديتيكا »[٤] أولا ، ثم عبر البحر الى « بلاد العرب » • وبعد ذلك اجتاح « آسية » جمعاء • ولذلك نجد سدودا كثيرة تسمى بسدود سيوسطريس ، وهياكل مبنية لتعظيم آلهة مصرية •

ومضيق « ديره » يقل عرضه حتى يبلغ ستين ستاديون ـ وهو لا يدعى مضيقا ؛ لأن السفن توغل قليلا فتجد ممرا عرضه نحو من مئتى ستاديون بين القارتين[٥] • غير

(١) أيلة (Ailah)، أو العقبة •

(٢) السويس • ما تزال الخرائب ظاهرة فى أبو كيشيد •

(٣) أو « الرقبة » ، سميت كذلك لموقعها على رأس يرى بهذا الاسم . وهى بلدة على الساحل الافريقى لمضيق باب المندب •

(٤) وتمتد على الساحل الغربى من خليج العرب •

(٥) تساوى مسافة الستين ستاديونا المسافة التى بين الرأس الشرقى لباب المندب وجزيرة محون ، ومسافة المئتى ستاديون تساوى المسافة بين هذه الجزيرة والساحل الافريقى • وفى ضمن المسافة الثانية تقع الجزائر الست التى تكلم عليها سترابو •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن فيه ست جزائر متجاورة ليس بينها الا ممرات للسفن ضيقة جدا ؛ لأنها تملأ الشقة بين القارتين . ومن خلال هذه الممرات يمر بالسلع من القارة الى الأخرى على المعابر . وهذه الممرات هي التي تدعى « المضايق » . واذا تجاوزنا هذه الجزائر نجد أن الملاحة تكون في الخلجان الصغيرة على طول بلاد المر ، في نحو جنوبي وشرقي حتى نبلغ بلاد القرفة (أي الدارصيني) ، وطول هذه المسافة خمسة آلاف ستاديون[١] . ويقال : لم يتخط انسان حدود هذا الاقليم حتى اليوم . وليست مدن الساحل كثيرة ، غير أنها على كثرة في الداخل ومأهولة كذلك . هذا ما يقوله (اراتستنيس) في « بلاد العرب » . وعلينا الآن أن نضيف ما يقوله الكتاب الآخرون .

٥ ـ يقول (آرتميدورس)[٢] . ان الرأس الناتيء من « بلاد العرب » ازاء « ديرة » تدعى « عقيلا » (Acila)[٣] ، وان الناس الذين يسكنون قرب « ديرة » يختنون أنفسهم .

واذا أبحر المرء من « هروبوليس » وساحل « طرغلوديتيكا » ، يلقى مدينة تدعى « فيلوطيرا »[٤] (Phelotera) ، وقد سميت كذلك باسم أخت « بطليموس الثاني » . وقد أسسها (ساتيروس) (Satyrus) الذي كان قد أرسل لارتياد أماكن يصاد فيها الفيل ، والاستكشاف عن « طرغلوديتيكا » نفسها . وتلي هذه مدينة أخرى تدعى « أرسينووى » (Arsinoé) ؛ وتليها ينابيع حارة مياهها ملحة مرة ، تتدفق من فوق صخرة منيفة وتصب في البحر . وفي سهل قريب من هذه الينابيع جبل أحمر اللون كالزنجفر[٥] . ويلي ذلك «ميناء الفأر » ، ويدعى أيضا « ميناء افروديتي «Aphrodites) (Hormus ، وهو ميناء واسع ، المدخل اليه منحرف ، وأمامه ثلاث جزائر ، اثنتان

(١) لا يعني المؤلف ببلاد المر والقرفة ساحل جزيرة العرب الجنوبي ، بل الساحل الافريقي الممتد من باب المندب الى غواردافوى . (غوسلين) .

(٢) العبارة الطويلة الممتعة من الفقرة الـ ٥ حتى نهاية الفقرة الـ ٢٠ ، مأخوذة عن آرتميدورس ، ما عدا بضع حقائق استقاها المؤلف من مراجع أخرى وألحق بها ملاحظاته . وأما آرتميدورس فقد نقل ما قاله عن أغاثرخيدس . والأرجح أن هذا عاش في أثناء القرن الثاني ق. م. ، وكتب في موضوع آسية كتابا في عشرة أجزاء وآخر في أوربة في ٤٩ جزءا ، وكتبا أخرى .

(٣) غيله .

(٤) قصير .

(٥) أكسيد الرصاص . (المترجم) .

منهما مكسوتان بشجر الزيتون ، فأما الثالثة فأقل شجرا ، ويكثر فيها الدجاج الحبشى[١] . وبعد ذلك نجىء الى « اكثارتس » (Acathartus) أو (الخليج الردىء) ، وهى ، كـ « ميناء الفأر » ، على خط العرض الذى تقع عليه « طيايس » نفسه . وهذا الخليج ردىء حقا ، وخطر جدا ؛ لكثرة ما فيه من صخور (بعضها يغطيها البحر ، وبعضها ظاهر)، ولشدة رياحه العنيفة التى لا تكاد تنقطع . وفى آخر الخليج تقع مدينة « برينيكى »[٢] (Berenice)

٦ ـ ووراء هذا الخليج تقوم جزيرة « أوفيوديس »[٣] (Ophiodes) ، المفعاة ، وقد سميت كذلك لأنها كانت فى زمن ما تعيث فيها الأفاعى . وقد أباد الملك[٤] تلك الأفاعى بسبب ما كانت تلحقه من أذى بالناس الذين يختلفون الى الجزيرة ، وبسبب ما فيها من الياقوت الأصفر (الطوباز). وهو حجر شفاف ، يتألق تألقا ذهبيا ، غير أنه من العسير أن يميز فى وضح النهار لشدة الضوء المحيط به ، ولكن الذين يجسعونه يرونه بالليل فيضعون اناء حيثما يرونه علامة عليه ، وفى النهار يستخرجونه من الأرض . وقد كان ملوك مصر يعينون جماعات من الرجال يصرفون لهم الرواتب ، ليحرسوا الأماكن التى يوجد فيها هذا الياقوت ، ويشرفوا على جمعه .

٧ ـ ووراء هذه الجزيرة أقوام كثيرة من أكلة السمك والبدو الرحل ، ويلى أرضهم « ميناء الالهة سوطيرة » (Soteira) (الحافظة) الذى سمى بهذا الاسم حينما لجأ اليه جماعة من ربابنة السفن وتخلصوا من أهوال البحر ، فنجوا من الموت .

وفيما يلى ذلك يتغير الخليج والساحل تغيرا كبيرا ، لأن الابحار بمحاذاة الساحل لا يكون حينئذ من بين الصخور ، كما أنه يقترب كثيرا من بلاد العرب . والبحر هناك ضحل جدا لا يكاد يزيد عمقه على اثنتى عشرة قدما ، ويبدو كأنه مرج أخضر لكثرة ما فى سبله من عشب البحر الذى تشف عنه المياه ، حتى ان الأشجار تنمو هنا فى الماء ، وتكثر فى البحر كلاب البحر .

ويلى ذلك جبلان[٥] هما : « جبل ثورى » (Tauri) (الثور)[٦] ، وهو اذا

---

(١) Meleagrides

(٢) بندر الكبير . (٣) زمرغات .

(٤) بطليموس فيلادلفس .

(٥) كل هذا الوصف شديد الابهام ، ومن الصعب تبين الأماكن التى يذكرها (سترابون) دون مراجعة كتب أخرى (غوسلين) .

(٦) يذكر (سترابون) الاسم بالجمع : « طورى » أى الثيران . (المترجم) .

رئى عن بعد يشبه الثيران ، ووراءه جبل عليه هيكل لـ « ايزيس » بناه (سيوسطريس) • وهناك جزيرة مغروس فيها الزيتون ، وتغمرها المياه الفائضة أحيانا • وهذه تليها « مدينة بطليمايس » ، قرب الأماكن التى تصاد فيها الفيلة ، وقد أسسها (أويميديس) الذى أرسله (فيلادلفس) الى أماكن الصيد هناك • وقد جعل (أويميديس) من المكان شبه جزيرة وذلك من دون أن يعلم أهله بأن حفر حولها خندقا ، وبنى سورا ، ثم اكتسب بلطفه ودماثة خطابه ود الذين أرادوا أن يمنعوه عن عمله ، وبذلك جعل منهم أصدقاء له ، بدلا من أن يكونوا أعداءه •

٨ ــ وفى السهل الذى يلى ذلك يصب أحد روافد «نهر أستابوراس»(Astaboras)(١) وهو ينبع من بحيرة ، ويفرغ بعض مياهه فى الخليج ، غير أن القسم الأكبر منها ينصب فى « النيل » • وتلى ذلك ست جزائر تدعى « اللاطوميات »(Latomiae) وبعدها المصب السبئى(٢) ، كما يسمونه ، وفى الأرض الداخلية قلعة بناها (سوخس) • ثم بحيرة تدعى « العياء » (Elaea) ، و « جزيرة ستراتو »(٣) (Strato) • ثم « ميناء سبأ »(٤) • وأماكن لصيد الفيلة يطلق عليها الاسم نفسه • وفى أقاصى الأصقاع الداخلية تسمى البلاد تنسيس (Tenessis) ، ويقطنها المصريون الذين فروا خوفا من (حكومة بسامتيكس)(٥) • وقد لقبوا بكلمة (سمبريتاى)(٦) (Sembritae) لكونهم غرباء • وتحكم فيهم ملكة تخضع لها أيضا « جزيرة ميروى » المجاورة وهى فى النيل • وعلى مسافة قليلة جزيرة أخرى فى النهر ، آهلة بهؤلاء اللاجئين • والمسافة بين « ميروى » والبحر مسيرة خمسة عشر يوما لرجل نشيط • وعلى مقربة من « ميروى » تجتمع مصبات « استرابوراس » و « استابس »(٧) ، « وأستاسوباس » فى « نهر النيل » •

٩ ــ وعلى ضفاف هذه الأنهر يعيش « أكلة الجذور » (ريزوفاغى) ، و « أهل

(١) طقز Tacazze ، ولكن هذا النهر ليس له فرع كهذا •

(٢) خليج متزوعه

(٣) من الصعب التوثق من معرفة مكان هذه الجزيرة •

(٤) يقول (غوسيلن) : « لا أعرف هذا المكان • فالقدماء يذكرون مدينة واحدة فقط باسم « سبأ » • فهل كانت هناك سبأ أخرى دعى باسمها الخليج السبئى ؟ غير أن « سبأ » المذكورة ، على ما يظهر لى ، لم يكن موقعها هناك » •

(٥) ٦٥٨ ق• م•

(٦) يصح هذا الوصف على البلد المدعو اليوم « سنعار » •

(٧) النيل الأزرق •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البطائح » . وقد سموا كذلك لأنهم يجتثون الجذور من البطائح المجاورة لهم ، ويدقونها بالحجارة فيجعلونها أقراصا ، ويجففونها فى الشمس فتكون لهم طعاما . وهذه الأقاليم مأسد ، ولكن حين تطلع الشعرى يهاجم البرغش هذه الوحوش فتهرب من ذلك المكان .

وقرب هؤلاء القوم يعيش « أكلة البذور » (سبرموفاغى) ، فاذا لم يجدوا بذور النباتات ، اقتاتوا بذور الشجر[1] ، وهم يهيئونها طعاما كما يفعل أكلة الجذور .

وبعد (Elaea) (العياء) نجد « مراصد ديمتريوس » ، و « هياكل كونون » (Conon) . وفى الداخل ، حيث تسمى البلاد « كوراسيوس »[2] (Coracius) ينمو القصب الهندى بكثرة .

واذا توغلنا فى الداخل وجدنا مكانا يدعى « أندرا » (Endera) ، يسكنه قوم عراة ، يستعملون القسى والسهام القصب ، وهم يصلبون أطرافها بالنار . وهم فى العادة يرمون الحيوانات بالسهام ، وهم على الشجر ، وأحيانا فى الأرض . ولديهم قطعان كثيرة من المواشى البرية يقتاتون لحمها ولحم حيوانات برية أخرى . وحين يعودون من الصيد خائبين يشوون جلودا مجففة على الجمر ، ويكتفون بمثل ذلك الطعام . ومن عاداتهم أن يتجاوز الفتية فى الرماية قبل أن يبلغوا سن الرجولة .

ويلى « هياكل كونون » « مرفأ ملينوس » (Melinus) ، وفوقه قلعة تدعى « قلعة كوراوس » (Coraus) وأراضى صيده ، وهناك قلعة أخرى وأماكن أخرى للصيد . وفيما يلى ذلك نجد « ميناء أنتيفيلوس » (Antiphilus) ، وفوقه قبيلة أكلة اللحوم (كريوفاغى) ، وهم يختتنون ، ويخفضون نساءهم جريا على العادة اليهودية .

١٠ ـ وفيما وراء ذلك جنوبا يعيش « حلبة الكلاب » (كينا مولغى) ، ويدعوهم السكان المحليون بـ « أغريى »[3] (Agrii) ، لهم شعر مرسل ولحى طويلة ، ويربون ضربا من الكلاب الضخمة لصيد المواشى الهندية التى تأتى الى بلادهم اما هربا من الحيوانات المفترسة ، واما لقلة المرعى . ويكون أول مجيئها من الانقلاب الصيفى حتى منتصف الشتاء .

ونجد بعد « ميناء انتيفيلوس » مرفأ يدعى « أجمة المشوهين » ، و « مدينة

(١) والأصح « الفواكه الساقطة عن الشجر » .

(٢) أى أرض الغراب (المترجم) .

(٣) الحقليين ؟ (المترجم)

برينيكى »[١] (Berenice) السبوية ، و « سباى »[٢] (Sabae) وهى مدينة كبيرة • وتليها « أجمة يومينيس »(Eumenes)، ووراءها « مدينة دردە »(Darda) ، ومكان لصيد الفيلة يدعى « قرب البئر » • ويسكن هذا الاقليم « آكلة الفيلة » ، ويقضون جل وقتهم فى مطاردتها • فاذا وقعت أعينهم ، وهم على الشجر ، على سرب من الفيلة سائر نحو الغابة ، فانهم لا يهاجمونها بل يقتربون منها خلسة ، ويعقرون منهـا ما تباطأ فى مؤخرة السرب • ولكن جماعة منهم يقتلونها بالسهام بعد أن يغمسوها فى مرارة الأفاعى • أما رميها عن القوس فيقوم به ثلاثة رجال ، يتقدم اثنان منهم فيمسكان بالقوس ويشد الثالث وترها • ومنهم من يلاحظون الأشجار التى يتكىء عليها الفيل فى العادة ليستريح ، فيأتون من خلفه ، وينشرون جذع الشجرة من أسفل • وحين يتكىء الفيل عليها ، يقع هو والشجرة معا ، ولا يستطيع الفيل النهوض ؛ لأن كلا من قوائمه قوامها عظم واحد لا ينثنى ، وحينئذ يقفز الصيادون من الشجر وينحرونه ويقطعونـه • والبـدو يدعـون الصيادين نجسين (أكاثارتى) (Acatharti)

١١ ــ وفيما وراء هذه الأمـة تقيم جمـاعة صغيرة تدعـى « أكلة الطيور »[٣] (ستروثوفاغى) ، وفى بلادهم طيور بحجم الغزلان لا تستطيع الطيران ، ولكنها سريعة الركض كالنعامة • ومنهم من يقتنصها بالسهام ، ومنهم من يتكرون فى جلود الطيور : يخفى الواحد منهم يمناه فى رقبة الجلد ، ويحركها كما يحرك الطير عنقه • وباليسرى يرش حبوبا من كيس معلق على جانبه • وهكذا يغرون الطيور بالاقتراب ، فيقتادونها الى حفر تسقط فيها ، وبعد ذلك يأتون عليها بالعصى • وتستعمل الجلود ملابس وغطاء للفراش • والأحباش المدعوون (سيمى)(Simi)فـى حـرب مع هؤلاء النـاس ، ويستعملون قرون الوعل سلاحا •

١٢ ــ ويجاور هؤلاء قوم أشد من غيرهم سوادا ، وأقصر قامة ، ولا يعيشون الا قليلا • فهم لا يتخطون سن الأربعين الا فى الندور ؛ لأن الديدان تأكل لحم أجسادهم• وطعامهم هو من الجراد الذى تحمله الى البلاد بكثرة الرياح الغربية والجنوبية الغربية حين تشتد فى الهبوب فى الربيع • ويصطاد السكان الجراد بأن يرموا فى الأخاديد مواد تبعث دخانا كثيفا ، ويشعلونها على مهل ، فحينما يطير الجراد مخترقـا الدخـان يعمى

(١) لعلها بلدة « بيلول » ، وهى على بعد ١٢ فرسخا شمال غربى « الصعب » •
(٢) الصعب •
(٣) يقول (أغا ثارخيدس) : « ان هذه الطيور هى النعام • »

ويتساقط ، ثم يسحقونه مع الملح ويجعلون منه أقراصا يقتاتونها .

ويلى هؤلاء القوم أرض صحراوية فيها مراع فسيحة . وقد هجرها أهلوها لما فيها من آلاف العقارب والعناكب السامة المدعوة ذات أربعة انفكوك . وقد امتلأ المكان منها فيما مضى امتلاءا فظيعا اضطر الأهلين بأجمعهم الى الهجرة عنه .

١٣ ـ وبعد « مرفأ يومينيس » (Eumenes)، حتى « ديره » (Deire) والمضيق المواجه للجزائر الست[1] ، يعيش أكلة السمك ، وأكلة اللحوم ، والمشوهون ، وينتشرون نحو الداخل .

وأمام الساحل كثير من أماكن صيد الفيلة والمدن والجزائر التى لا نعرفها معرفة حسنة .

وذوو الأغلبية الساحقة بدو ، والزراع أقلاء . وفى بعض أقاليم هؤلاء الناس ينمى الاصطرك[2] (Styrax) بكميات وافرة . ويجمع أكلة السمك ، حين ينحسر الموج فى الجزر ، السمك ، ويضعونه على الصخور ليجف فى الشمس . فاذا ما اشتوى السمك جيدا يكومون العظام جانبا ، ويطؤون اللحم بأقدامهم ، ويجعلون منه أقراصا توضع فى الشمس ثانية ، فتغدو طعاما لهم . وفى الأيام الوخيمة ، حين يتعذر الحصول على السمك ، يسحقون العظام التى كانوا قد كوموها جانبا ، فيجعلون منها أقراصا يأكلونها ؛ الا أنهم يمتصون العظام الطازجة . وفريق منهم يقتاتون أيضا المحار بعد أن يسمنوه ، وذلك بوضعه فى الأحواض والبرك الراكدة على الشاطىء ، ويطعمونه سمكا صغارا ، ثم يستعملونه غذاء حين تندر أنواع السمك الأخرى . ولهم ضروب مختلفة من الأمكنة المخصصة بحفظ السمك واطعامه ليكون لهم زادا عند الحاجة .

وفى تلك الأرضين جزء من الساحل لا ماء فيه ، فيتوغل جماعة من سكانه الى الداخل كل خمسة أيام ، ترافقهم أسرهم ، وهم يغنون ويمرحون ، الى أن يبلغوا أماكن السقاية ، وهناك يرتمون على وجوههم ويشربون كالحيوانات حتى تنتفخ معدهم كالطبول . وبعد ذلك يعودون الى الساحل . وهم يقطنون فى الكهوف أو فى حجر يتألف السقف فيها من روافد تصنع من عظام الحوت وعموده الفقرى ، وتكسى بأغصان شجرة الزيتون .

١٤ ـ ويسكن « أكلة السلاحف » (كيلونوفاغى) تحت سقوف تصنع من أصداف

(١) راجع فقرة ٤ آنفا .

(٢) ضرب من الشجيرات تفرز صمغا ثمينا . (المترجم) .

السلاحف ، وهى كبيرة جدا بحيث تستعمل كالقوارب • ويصنع ناس من حشائش البحر التى تقذفها الأمواج بكميات كبيرة أكواما كالتلال ، ثم يجوفونها ويسكنون فيها • ويلقون بالموتى فى البحر ، فيحملهم الموج ليكونوا غذاء للسمك •

وهناك ثلاث جزائر تلى الواحدة الأخرى ، وهى : « جزيرة السلاحف » ، و « جزيرة الفقمات » ، و « جزيرة الصقور » • وعلى طول الساحل بأجمعه أعداد كبيرة من أشجار النخيل والزيتون والغار ، وهى لا تكثر فى المضايق حسب ، بل خارجها أيضا•

وهناك جزيرة تسمى بـ « جزيرة فيلب » ، يواجهها فى الداخل أماكن لصيد الفيلة تدعى « مقانص بيثانغيلوس » • وتلى ذلك « ارسينووى » (Arsinoe) ، وهى مدينة لها مرفأ • وبعد ذلك نجد « ديرة » ، وفيما وراء هذه المدن مكان لصيد الفيلة •

وأول الأقاليم بعد « ديرة » اقليم تكثر فيه الأشجار العطرية ، وفى الأخص شجرة المر ، وسكانها أكلة السمك وأكلة اللحوم • ويكون فيها أيضا اللوز الحسرى والتين المصرى[1] • ووراءها « ليحا » (Licha) ، وفيها تصاد الفيلة • وفى أمكنة عدة نجد بركا آسنة لمياه المطر • وحين تجف هذه تحفر فيها الفيلة بخراطيمها وأنيابها حفرا وتستخرج منها الماء •

وعلى هذا الساحل بحيرتان كبيرتان تمتدان حتى مرتفع « بيثولاوس »[2] (Pytholaus)، وماء أحداهما ملح ، وتدعى بحرا ، ومياه الأخرى عذبة ترتع فيها أفراس البحر (الهيبوبوتام) والتماسيح • وينمى البردى على شطآنها • وفى الأمكنة المجاورة تشاهد طيور « أبى قردان » (Ibis) • والأقوام التى تسكن قرب مرتفع « بيثولاوس » (وابتداء من هذا المكان) لا يتشوه جزء من أجسامها • وبعد ذلك نجد البلد الذى ينتج اللبان ، وفيه هضبة وهيكل تحيط به غابة من شجر الحور • وفى الأقسام الداخلية أرض تمتد مع طف النهر تدعى « ايسيس » ، وأخرى تدعى « نيلوس » ، وكلتاهما تنتج المر واللبان • وهناك أيضا بركة كبيرة تملؤها المياه المنحدرة من الجبال ؛ ويليها « مخفر الأسد » ، و « ميناء بيثانغيلوس » • والأرض التى تليها تنتج القاسيا الزائفة[3] • وعلى ضفاف الأنهار أرضون كثيرة متوالية يزرع فيها اللبان ، وأنهار تمتد الى بلاد القرنة • والنهر المحيط بهذه الأرض ينتج الحلفاء بكثرة عظيمة • ويلى ذلك نهر آخر ، و « ميناء

(١) المجمع : لعله ثمر الجميز ، ومن أنواع التين من حيث شجرته « الحماط »•
(٢) لعله زيلا • هنا يصف (سترابون) ساحل « مملكة عادل » •
(٣) False Cassia

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

دافنوس » ، وواد يحمل اسم « أبولو » ينتج مع اللبان المر والقرفة . وهذه الأخيرة توجد بكميات أكبر فى الأصقاع المنوغلة فى الداخل .

ويلى ذلك جبل « اليفاس »[١] ، وهو جبل طاعن فى البحر وحوله حواجز من الصخر . ويليه « ميناء بسيفموس » ، وهو مورد للسقاية ، يحمل اسم « ذوى رؤوس الكلاب » (Cynocephali)[٢] ، ثم آخر رأس على هذا الساحل وهو «القرن الجنوبى» . وبعد الالتفاف حول هذا الرأس جنوبا ، يقول : انه لا تفاصيل أخرى لدينا عن الموانىء والمدن ؛ لأننا لا نعرف شيئا عن ساحل البحر بعد هذه النقطة[٣] .

١٥ ـ وعلى الأرض المحاذية للساحل أعمدة وهياكل « لبيثولاوس » ، و « ليخاس » ، و « بيثانغيلوس » ، و « ليون » ، و « كاريمورتس » ، وتقع على الساحل المعروف من « ديرة » حتى « القرن الجنوبى » ، غير أن المسافة لم تقدر بالضبط . وهذا الاقليم ملآن من الفيلة ومن ضرب من الأسود يسمى بالنمل[٤] ، ولهذه الأسود أعضاء تناسلية معكوسة ، وجلدها ذهبى اللون ، غير أنها أقل شعرا من أسود بلاد العرب .

وفى هذ الاقليم أيضا قيود عظيمة الضراوة والفرس ، وحيوانات الكركدن . والكركدن أصغر حجما من الفيل بقليل ؛ لا طولا من الرأس حتى الذنب ، بحسبما يقول (آرتميدورس) ـ غير أنه يقول : انه رأى كركدنا فى الاسكندرية ، (أقل) ارتفاعا بنحو[٥] .... على الأقل قياسا على الذى رأيته . وليس لونه بالأصفر الفاقع كلون خشب البقس ، بل هو كلون الفيل . وحجمه كحجم الثور ، وهو قريب جدا فى شكله من الخنزير البرى ، ولاسيما جبينه ـ باستثناء أعلى الرأس ، فان له قرنا واحدا منعقفا أصلب من العظم . ويستعمله سلاحا كما يستعمل الخنزير البرى أنيابه . وله أيضا ثنيان صلبان ، كتلافيف الأفاعى ، يحيطان بجسمه من سلسلة الظهر الى البطن ، أحدهما على كاهله ، والآخر على حقويه . وقد استقيت هذا الوصف بالمشاهدة . الا أن (آرتميدورس) يضيف الى ذلك أن فى هذا الحيوان ميلا ظاهرا الى مزاحمة

---

(١) يسمى الآن بـ « جبل الفيل » .

(٢) نوع من القردة (المترجم) .

(٣) النص هنا مشوه ، ويعتقد أن فيه نقصا يسبب تشويشا فى التفاصيل التى يذكرها (سترابون) عن « جبل اليفاس » و « القرن الجنوبى » .

(٤) لا يعرف بالضبط أى حيوان هذا الذى يصفه المؤلف .

(٥) النص ناقص ، والمعنى فى الجملة السابقة غير مؤكد . وقد اقترح أحدهم تتميم الناقص : « بنحو شبر » .

الفيل فى أماكن الرعى ، فيضرب بجبينه بطن الفيل ويبقره ، الا اذا منع خصمه نفسه منه بخرطومه وناببه •

١٦ ـ وفى هذه الأصقاع تعيش فهود الجمال[١] ، غير أنها ليست كالفهود فى شىء؛ لأن جلدهـا الملون أشبه بجلد الأيل (Fallon deer) المخطط والمرقط • ومؤخرة هذا الحيوان أشد انخفاضا من مقدمته بكثير ، حتى ليبدو كأنه مقع على قطاته ، وهى فى علو الجاموس • والقائمتان الأماميتان طويلتان بقدر ساقى الجمل ، وترتفع العنق الى أعلى ارتفاعا عموديا ، غير أن رأسه أعلى بكثير من رأس الجمل • وبسبب عدم التناسب فى تكوين هذا الحيوان لم تكن سرعته عظيمة ، على ما أظن، بحسبما يصفه (آرثميدورس)• بيد أنه ليس حيوانا بريا ، بل انه أقرب الى الحيوان الأليف ؛ لأنـه لا يظهر علائـم ميل وحشى •

ويستمر (آرثميدورس) فيقول : ان هذا البلد ينتج أيضا أبا الهول[٢] (Sphinx) وذا رأس الكلب[٣] ، والكيبوس (Cebus)[٤] ، وهذا الأخير له وجه كوجه الأسد ، وبقية جسمه كالفهد ، وهو فى حجم الغزال • وهناك أيضا ثيران برية تأكل اللحوم ، تفوق كثيرا ثيراننا فى الحجم والسرعة ، ولونها أحمر • والضبع الرقطاء على حسب قول هذا المؤلف ، هى بنت الذئب والكلب • أما يرويه (مترودورس السكبسى) فى كتابه (فى العادات) فمن قبيل الخرافات ، ويجب أن نهمله •

ويذكر (آرثميدورس) أيضا أفاعى ، طول الواحدة منها ثلاثون ذراعا ، وبوسعها أن تتغلب على الأفيال والثيران ، ولم يكن مغاليا فى ذلك • غير أن الأفـاعى الهنـدية والأفريقية أشد هولا من حيث حجمها ، ويقال : ان الحشيش ينمى على ظهورها •

١٧ ـ وسكان « طرغلوديتيكا » بدو فى نمط معيشتهم • وكل قبيلة يحكمها طغاة منها • ونساؤهم وأولادهم مشاعة بينهم باستثناء نساء الطغاة وأولادهم • ويعاقب كل من يفسد زوجة طاغ من الطغاة بغرامة خروف •

وتتكحل النساء بلباقة ، ويعلقن أصدافا حول أعناقهن دفعا للسحر عن أنفسهن •

---

(١) المجمع : يعنى الزرافات •

(٢) كان من عادة الكتاب الأقدمين أن يطلقوا هذا الاسم على نوع من أنواع القرود : Simia troglodyte

(٣) قرد : Simia innuus

(٤) قرد : Simia Cepus

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا تشاجر القوم على المراعى ، يتدافعون أولا بالأيدى ، ثم يستعملون الحجارة ، واذا جرح جماعة منهم استعملوا السهام والخناجر • وتضع النساء حدا لمثل هذا النزاع بأن يقفن بين المتشاجرين ، فيتضرعن اليهم فى ترك الشجار •

ويتألف طعامهم من اللحم والعظام مسحوقة معا ، بعد أن تلف فى قطع من الجلد وتشوى فى النار ، أو بعد أن يهيئها الطباخون بطرائق كثيرة أخرى ـ ويدعى الطباخون النجسين • وبهذا هم لا يأكلون اللحم وحده ، بل العظام والجلود أيضا •

ويستخدمون مزيجا من الحليب والدم (دهنا للجسد ؟) • أما شراب العامة فيستخلص من العجرم[1] buckthorn • وأما شراب الطغاة فالعسل المخمر فى الماء ، ويستخلصون العسل من ضرب من الأزهار •

ويبدأ الشتاء عندهم حين تهب الرياح الموسمية (لأنها تحمل المطر) ، والفصل الآخر هو الصيف •

وهم يعيشون عراة ، أو عليهم قطعة جلد فقط ، ويحلون العصى • ويقطعون غرلة الذكور ، غير أن منهم من يختتن كالمصريين • و (المغربيون الأحباش) يثبتون فى عصيهم مسامير من الحديد • ويستعملون رماحا وتروسا مجلدة بجلد خام • والأحباش الآخرون يستعملون القنى والرماح • وفريق من أهل « طرغلوديتيكا » ، حين يدفنون موتاهم ، يلفون جسم الميت بأغصان العجرم من العنق حتى الساقين • ثم يرجمونه بالحجارة وهم يضحكون ويمرحون ، الى أن يتغطى وجهه بها • ثم يضعون عليه قرن كبش ، ويغادرونه •

وهم يسافرون بالليل • ويعلقون بأعناق الذكور من الماشية أجراسا ، ليبعد رنينها عنهم الوحوش الضارية • ويستعملون أيضا لصدها المشاعل والسهام • ويقومون بالحفارة فى الليل حفظا لقطعانهم ، ويغنون حول نيرانهم أغانى غريبة •

١٨ ـ وبعد أن يذكر (آرتميدورس) هذه التفاصيل عن أهل « طرغلوديتيكا » والأحباش المجاورين ، يعود الى العرب • فيبدأ من « بوسيديوم » ، ويصف أولا الأقوام الذين يعيشون بجوار « الخليج العربى » ويواجهون أهل « طرغلوديتيكا » على الشاطىء الآخر • فيقول : ان « بوسيديوم » تقع فى خليج (هيرابوليس)[2] ، وان فى جوارها

---

(١) عصارة حبه مسهل قوى •

(٢) « خليج هيرابوليس » هو المسمى اليوم بـ « خليج السويس » ، وفى النص « الخليج العيلانى » ، وهو خطأ من المؤلف أو الناسخ •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

غابة من النخيل[١] يكثر فيها الماء ـ وهم يبالغون فى قدر الماء هنا ؛ لأن الاقليم المحيط به بأجمعه يلتهب حرارة ، وليس فيه ماء ولا ظل • ويعين لحراسة الغابة رجل وامرأة لهما فى ذلك حق وراثى • وهم ييبسون الجلود ويقتاتون التمر ، وينامون فى أكواخ مبنية على الشجر ، لكثرة ما فى المكان من الحيوانات الضارية التى تتجاوز عدتها مئات •

وتلى ذلك « جزيرة الفقمات » (Phocae)[٢] ، وقد أخذ اسمها من هذه الحيوانات التى تكثر فيها • وقربها رأس[٣] يمتد نحو « البطراء » التى يدعوها العرب « نبطيا » ، و « فلسطين » • و (الميائيون)[٤] (Minaei) و (الجرعائيون) (Serrhaei) ، وكل الأقوام المجاورة يختلفون الى هذه الجزيرة بأحمال من المواد العطرية •

وبعد ذلك قطعة أخرى من الساحل البحرى ، كانت تسمى فيما مضى بـ « ساحل المرانيطيين » ، وكان فريق منهم مزارعين ، وفريق آخر سكونيين (Scenitae) • ولكن المكان الآن يقطنه (الغرنديون) (Garindaei) الذين قضوا على السكان الأصليين غدرا • فقد هاجموا جماعة منهم وهم مجتمعون للاحتفال بعيد يقيمونه مرة كل خمس سنوات ،وفتكوا بهم ، ثم هاجموا بقية القبيلة فأفنوها عن بكرة أبيها •

وبعد ذلك « الخليج العيلانى »[٥] ، و « نبطيا » ، وهى بلد آهل بالسكان ، تكثر فيه الماشية • ويقطن الجزائر القريبة المقابلة لهم قوم كانوا فى السابق لا يؤذون غيرهم ، الا أنهم جعلوا أخيرا يقومون بحرب قرصنة فى قواربهم الخفيفة على السفن الآتية من « مصر » • بيد أنهم ذاقوا ألم الانتقام حين أرسلت عليهم جيوش اجتاحت بلادهم •

ويلى ذلك سهل كثير الشجر ، والماء فيه وافر • وتكثر فيه أنواع المواشى، وكذلك البغال والجمال البرية والغزلان والوعول وغيرها ؛ والأسود أيضا ، والفهود • والذئاب ترى فيها فى كثير من الأحيان • وأمام المكان جزيرة تسمى « ضبا » • ويلى ذلك خليج

---

(١) هيكل بوسيدون (اله البحر) ، ابتناه (أرسطو) الذى كان قد أرسله أحد البطالسة ليستكشف عن « الخليج العربى » •

(٢) « شدوان » •

(٣) « رأس محمد » ، وهو الذى ينتهى اليه فى الجنوب شبه الجزيرة المكونة من الخليجين : « العيلانى » الممتد حتى « البطراء » ، و « خليج هيرابوليس » الممتد حتى « السويس » • ويبدو أن (سترابون) يريد أن يقول ان هذا الرأس فى اتجاه جنوبى قرصة بالنسبة الى « البطراء » و « فلسطين » •

(٤) بين الجغرافيين خلاف واسع فى الرأى فى موقع هذه القبيلة المهمة فى خارطة بلاد العرب الحديثة •

(٥) خليج العقبة •

يبلغ حوالى خمس مئة ستاديون طولا ، تحيط به الجبال من كل جانب ، والمدخل اليه صعب • وحوله تسكن أقوام تقتنص الحيوانات البرية •

ووراء ذلك ثلاث جزائر يكثر فيها شجر الزيتون ، وهو يختلف عما فى بلادنا من زيتون ، فهو ضرب بلدى تدعوه الزيتون الحبشى ، دموعه (أى صمغه) له خواص طبية •

ويلى ذلك شاطىء حجرى ، يليه شاطىء صخرى وعر[1] ، لا تستطيع السفن الملاحة فيه بسهولة ، ويمتد زهاء ألف ستاديون • وليس فيه الا مرافىء ومراس قليلة ؛ لأن جبلا عاليا شديد الوعورة يمتد بموازاته ، وتمتد أجزاء من قاعدته الى البحر ، فتكون صخورا تحت الماء تصبح خطرا على السفن فى أثناء هبوب الرياح الموسمية والزوابع التى تقوم فى هذه الفترة ، وعندها لا يمكن مد يد العون الى السفن بوجه من الوجوه •

وبعد ذلك خليج فيه جزائر منتشرة ، وعلى طول الخليج ثلاثة كثبان[2] عالية من الرمل الأسود • ويليها « الشرم »[3] (Charmothas)، وهو مرفأ يبلغ طول محيطه قرابة مئة ستاديون ، وله مدخل ضيق شديد الخطر على كل أنواع السفن • ويصب فيه نهر • وفى الوسط جزيرة كثيرة الشجر حولوها الى مكان صالح للفلاحة •

ويلى ذلك ساحل صخرى ، وبعده خلجان ، وأرضون يقطنها البدو الذين يعيشون على جمالهم • فهم يحاربون عليها ، ويرحلون عليها ، ويتغذون بحليبها ولحمها • ويجرى فى أرضهم نهر يجلب معه التبر ، غير أنهم يجهلون كيف يستفيدون منه • ويدعون (دباع)(Debae) • وقوم منهم بدو رحل ، والآخرون زراع •

ولا أورد أكثر أسماء هؤلاء الأقوام ؛ لقلة ما يعرف عنهم ، ولأن لفظ أسمائهم غريب[4] (وغليظ) •

وقرب هؤلاء القوم أمة أكثر حضارة ، تسكن اقليما هواؤه أشد اعتدالا ؛ لأن ماءه وافر ، وتسقط فيه مزن كثيرة • ويوجد فيه ذهب متحجر ، لا فى شكل التبر ،

---

(١) ثمود ، كان يسكنه فيما مضى الثموديون القدماء •

(٢) جبل سيق وجبل الحاوين وجبل حستر •

(٣) يظهر أن هذا المرفأ هو مدينة « ينبع » القديمة ، وهى فى أرض خصبة • ويدعوها العرب « ينبوع النخل » ، ليميزوها عن « ينبوع الجديدة » التى تقع فى أرض جرداء على الساحل • وكلمة « الشرم » معناها فى العربية الشق أو الفتحة فى الجبال • ويبدو أن الاغريق كونوا اسم Charmothas من « الشرم » التى كانت تطلق على مدخل ميناء « ينبوع » لضيقه ، ظانين أن « الشرم » اسم الميناء •

(٤) ديودورس سيكولوس وأغاثرخيدس يذكران بعضها : Asilaei و Casandres أو Gasandres (الغساسنة ؟) •

بل فى كتل صغيرة لا تحتاج الى تنقية كثيرة ، أصغرها فى حجم البندقة ، وأوسطها فى حجم المشملة[١] ، وأكبرها فى حجم الجوزة • وتثقب هذه وتنظم مع حجارة شفافة على التوالى فى عقد يقلده العنق أو المعصم • ويبيعون الذهب من جيرانهم بسعر رخيص ؛ اذ يستبدل به ثلاثة أضعافه من النحاس أو ضعفه من الحديد ، لجهلهم صناعة الذهب ، وندرة المواد المستبدلة به ، وهى أكثر ضرورة لأغراض الحياة •

١٩ ــ وفى جوارهم بلاد (السبئيين)[٢] ، وعددهم كثير جدا ، وهى أكثر الأقطار خصبا ، وتنتج المر واللبان والقرفة • وعلى الساحل يوجد البلسم ، وضرب آخر من النبت له رائحة زكية ولكنها سرعان ما تتبدد • وهناك أيضا نخيل شذية وقصب الطيب (الذريرة) • وهناك أيضا أفاع لونها أحمر قانىء ، طول الواحدة منها شبر ، تقفز الى علو خصر الانسان ، ولدغها لا يشفى منه •

ولشدة خصب التربة صار السكان كسالى خاملين فى نمط معيشتهم • والطبقة الدنيا من الناس يقتاتون الجذور ، وينامون فى الشجر • والأقوام التى تقطن هناك قوما تلو آخر ، تتسلم أحمال العطور وتسلمها الى ناس آخرين ينقلونها حتى سورية وما بين النهرين •

واذا غلب النعاس التجار الذين يحملونها بسبب شذاها ، أزالوا عنهم النعاس بنشق أبخرة الاسفلت ورائحة لحية الماعز •

وتقع « مأرب »[٣] (Mariaba) ، عاصمة (السبئيين) ، على جبل كثير الغابات •

---

(١) Medlar

(٢) من المستحيل تحقق حدود « سبأ » بتدقيق • والمظنون أنها تتألف من المنطقة الواقعة ضمن البحر العربى غربا . وخليج العجم شرقا ، والمحيط الهندى جنوبا ، وخط غير منتظم يحاذى الصحراء ويمتد الى نقطة ضيقة فى « ايدوميا » Idumaea شمالا • (أنظر كتاب Smith, Dict. of Greek and Roman Geography, art. Saba)

هاك ما يقوله ديودورس سيكولس فى وصف « سبأ » : « ان المرء ليعجز عن تعداد مزايا كل هذه الأشجار والنباتات وخواصها ؛ لأن عطورها شديدة الشذا ، رائعة الكثرة بأنواعها ، فانها لتسرى الى الحواس وتثيرها اثارة يعجز عنها الوصف كأنها من فعل الآلهة • وللملاح نصيب من المتعة بها ولو كان بعيدا فى سفينته عن الساحل ، ذلك لأنه اذا هبت نسمات الربيع من الداخل ، حملت شذا الشجر والنبت الى الشاطىء ، وهو ليس بالشذا المألوف لدينا ، الذى يصدر عن عطور قديمة مخزونة ، بل هو جديد نقى على أحسن ما يكون ، اذ يفوح من أزهار تفتحت منذ قريب ، فيخترق الحس حتى أعمق كوامنه ••• » •

(٣) هى « سبأ » نفسها • راجع الفقرة الثانية •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقيم فيها ملك يفصل فى أمور الخلاف وغيرها فصلا قاطعا ، غير أنه يحظر عليه مغادرة قصره ، واذا فعل هاجمه الدهماء فى الحال بالحجارة ، متبعين بذلك أمرا من الموحى • أما هو ومن حوله من حاشيته ، فيقضون حياتهم غرقى فى الشهوات والترف •

أما الشعب فيحرثون الأرض ، أو يتاجرون بالعطر ، سواء فى ذلك ما كان منه ملونا وما يرد عليهم من « الحبشة » ، وهم يحضرون العطر الحبشى بقوارب مغطاة بالجلود يمخرون بها فى المضيق • ولديهم كميات عظيمة من العطر ، فتراهم يستعملون العطر والقرفة والقاسيا والتوابل الأخرى وقودا للنار بدلا من العيدان والحطب •

وفى بلاد السبئيين يوجد اللاريم (Larimnum) ، وهو من أزكى العطور رائحة • وقد غدا (السبئيون) و (الجرعائيون) بتجارة المواد العطرية هذه أكثر القبائل كلها ثراء ؛ ولذلك كان لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة ، كالأسرة ، والموائد الصغيرة ، والآنية ، والكؤوس ، أضف اليها فخامة منازلهم الرائعة ؛ فان الأبواب والجدران والسقوف مختلفة الألوان بما يرصع فيها من العاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة •

هذا ما يذكره (آرتميدورس)[1] • وأما بقية الوصف فبعضه يشبه ما يقوله (اراتستنيس) ، وبعضه ملتقى من مؤرخين آخرين •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٠ ـ فجماعة منهم تقول : ان البحر أحمر بسبب اللون الناجم اما عن انعكاس الشمس العمودى ، واما عن انعكاس لون الجبال ، وهى ذات لون أحمر ، لأن الهجير قد لفحها وصهرها • والمعتقد أن هذا اللون فى البحر قد ينجم عن هذين السببين معا • ويذكر (كتسياس الكنيدى) منبعا يصب فى البحر ماء أحمر وأصفر • ويأثر (أغاثرخيدس) ، وهو من بلده ، عن رجل يدعى (بكسوس) ، من أصل فارسى ، أنه حدث مرة أن لبؤة ثائرة طاردت عدة من الخيل ، حتى دخلت الخيل البحر وقطعته الى جزيرة هناك ، وكان رجل فارسى يدعى (اريتراس) أول من قطع البحر الى الجزيرة بعد أن صنع عوامة لذلك ؛ واذ رأى أن الجزيرة تصلح للسكنى ، أعاد الخيل الى « فارس » ، وأرسل جماعة من المستعمرين الى هذه الجزيرة والجزائر الأخرى ، وكذلك الى الساحل • وهكذا أطلق اسمه على البحر (البحر الأريترى) • غير أن من الناس من يقول :ان أول ملك حكم هذه المقاطعة هو (أريتراس بن برسيوس) •

---

(١) التفاصيل المذكورة آنفا التى استقاها المؤلف من (آرتميدورس) ، وهذا من (أغا ثرخيدس) ، لا توجد فى كتابات (اراتستنيس) الذى عاش قبل زمن (أغاثرخيدس) •

ويقول جماعة من المؤلفين : ان المسافة بين المضيق فى « الخليج العربى » الى أقصى « بلاد القرفة » هى خمسة آلاف ستاديون[١] ، دون التمييز اذا كانت الوجهة جنوبا أو شرقا .

ويقال أيضا : ان الزمرد والبريل[٢] يوجدان فى مناجم الذهب . ويقول (بوسيدونيوس) : ان فى « بلاد العرب » ملحا شذى الرائحة .

٢١ ـ و (النبطيون) و (السبئيون) ، وموقعهم يلى « سورية » ، أول الأقوام القاطنة فى « بلاد العرب السعيدة » . وكان من دأبهم أن يجتاحوا البلادقبل أن يصبح (الرومان) سادتها ، غير أنهم الآن و (السوريين) تحت حكم (الرومان) .

وتدعى عاصمة (النبطيين) « البطراء »[٣] ، وهى تقع فى مكان تحيط به وتحصنه صخرة مستوية ناعمة ، تبدو من الخارج كثيرة الارتفاع شاهقة ، ولكنها من الداخل ملأى من الينابيع الصالحة للأغراض المنزلية ولسقى الجنائن . والاقليم فيما وراء هذا الاطار الصخرى أكثره صحراوى ، ولاسيما فى وجهة اليهودية . وفى خلال هذه تمر أقصر طريق الى « أريحا » ـ وهى على مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة ، وخمسة أيام الى « فينيقون » (أى بستان النخيل) . ويحكمها دائما ملك من أسرة مالكة ، وللملك وزير هو أحد « الأصحاب » ، ويسمى الأخ . ولهم شرائع رائعة للحكم وتسيير الأمور .

وكان صديقى الفيلسوف (آثنودورس) ـ الذى كان قد زار « البطراء » ـ يذكر وملؤه العجب كيف رأى رومانيين كثيرين وعدة غرباء آخرين يسكنون هناك . وقد لاحظ أن الغرباء كانوا فى كثير من الأحيان منهمكين فى مقاضاة بعضهم بعضا ، ومقاضاة السكان الوطنيين ، على حين كان السكان الوطنيون لا يتشاجرون بينهم ، بل يعيشون معا فى وفاق عجيب .

٢٢ ـ وقد اطلعنا على كثير من خصائص هذه البلاد على أثر الحملة الأخيرة التى قام بها (الرومان) على (العرب) ، بقيادة (أيليوس غالوس) (Aelius Gallus) . وقد أرسل (أغسطس قيصر) هذا القائد ليستكشف عن طبيعة هذه الأماكن وسكانها ، وكذلك « الحبشة » وسكانها ؛ لأنه وجد أن « طرغلوديتيكا » المجاورة لـ « مصر »

---

(١) يجب ألا نخلط هذه المسافة بالـ ٥٠٠٠ ستاديون المذكورة فى الفقرة الرابعة آنفا .

(٢) حجر كالزبرجد Beryl

(٣) معناها فى الاغريقية : صخرة (Petra) (المترجم) .

هى على حدود « الحبشة » ، وأن « الخليج العربى » ضيق جدا حيث ينفصل (العرب) عن أهل « طرغلوديتيكا » . وكان هدفه اما أن يسترضى (العرب) واما أن يخضعهم . كما أنه فعلت فى نفسه الروايات الشائعة منذ القدم أن العرب قوم واسعو الثراء ، وأنهم يستبدلون بعطرهم وحجارتهم الكريمة الفضة والذهب ، دون أن ينفقوا مع الغرباء ما يحصلون عليه فى مقايضاتهم التجارية . ولذلك أمل اما أن يحصل على أصدقاء موسرين ، واما أن يتغلب على أعداء موسرين . وزيادة على ذلك شجعه على القيام بهذه الحملة أمله فى مؤازرة (النبطيين) له الذين وعدوه بالتعاون معه فى كل شىء .

٢٣ ـ وهكذا شرع (غالوس) فى حملته ، مدفوعا بهذه الاغراءات . غير أن (سيلايوس) (Syllaeus) ، وزير ملك (الأنباط) ، خدعه ، بعد أن كان قد وعده بأن يكون دليلا له فى مسيره ، ومؤازرا له فى تنفيذ خطته . وكان (سيلايوس) خائنا من البدء حتى النهاية ، فلم يدلهم على طريق أمين بحرا بمحاذاة الساحل ، ولا على سبيل أمين للجيش ـ كما كان قد وعد ـ بل عرض كلا من الأسطول والجيش للمخاطر ، بأن اقتادهم الى حيث لم تكن طرق ، أو حيثما كانت الطرق وعرة صعبة ، حيث كانوا يضطرون الى نهج سبل ملتوية طويلة ، فيلزمون المرور فى خلال بقاع جرد من كل شىء . فاقتاد الأسطول بمحاذاة ساحل صخرى لا مرافىء فيه ، أو الى أماكن تزدحم فيها الصخور الغاطسة تحت الماء ، أو أماكن مياهها ضحلة . وفى هذه الأماكن ، على وجه خاص ، كان المد والجزر يلحقان بالأسطول أكبر الأذى .

وكانت الغلطة الأولى حين بنى (الرومان) سفنا (حربية) طويلة ، فى حين لم تكن هناك حرب ، ولا امكان نشوب حرب بحرية ؛ لأن العرب قوم تجارة وبيع وشراء ، ولذلك لم يكونوا بأمة حرب ، لا فى البحر فحسب ، بل فى البر أيضا . ومع ذلك بنى (غالوس) ما لا يقل عن ثمانين سفينة حربية منها ذوات صفين من المجاديف ، ومنها ذوات ثلاثة ، ومنها ذوات صف واحد ـ بناها فى « كليوباطريس »[1] ، قرب القناة القديمة الممتدة من النيل . ولما أدرك خطأه ابتنى مئة وثلاثين سفينة للحمل ، ركب فيها مع نحو من عشرة آلاف من المشاة جمعهم من « مصر » ، وهم من (الرومان) وحلفائهم ، كان بينهم خمس مئة يهودى وألف نبطى ، بقيادة (سيلايوس) . وبعد أن تحمل مشاق جسيمة وآلاما كثيرة وصل فى اليوم الخامس عشر الى « ليوكى ـ قوم » ، وهى سوق كبيرة فى أرض الأنباط ، بعد أن خسر كثيرا من سفنه غرق عدة منها وغرق

(١) كانت قرب « هروبوليس » ، أو « السويس » .

من فيها من بحارة ؟ وذلك بسبب صعوبة الملاحة ، لا بمقاومة من عدو . ولم يكن السبب في هذه المصائب الا خيانة (سيلايوس) الذى زعم مؤكدا أنه لم تكن هناك طريق للجنود تؤدى الى « ليوكى ـ قوم » ، وهى السوق التى يرحل منها واليها تجار القوافل بيسر وأمان ، ذاهبين من « البطراء » واليها ، ومعهم عدد كبير من الرجال والجمال بحيث لا يختلفون عن الجيش فى شىء .

٢٤ ـ ومن الأسباب الأخرى التى أدت الى اخفاق الحملة أن الملك (عوبوداس) (Obodas) لم يكن يعنى بأمور الدولة ، ولاسيما ما كان منها مختصا بالحروب (كما هى العادة عند جميع ملوك العرب) ، بل سلم زمام الأمور كلها فى يد وزيره (سيلايوس) . وكانت كل تصرفاته فى قيادة الجيش منطوية على الخيانة ، وأغلب الظن عندى أنه كان يرمى بذلك الى درس حالة البلاد كجاسوس ، وتحطيم عدة من المدن والقبائل بمؤازرة (الرومان) . فاذا ما فتكت فى (الرومان) الأمراض والمجاعة والمتاعب وغيرها من الشرور التى كان قد بيتها لهم بغدره ، أعلن نفسه سيد البلاد بأجمعها .

غير أن (غالوس) وصل الى « ليوكى ـ قوم » ، وجيشه يقاسى آلام مرض الـ (Stomacacce) ومرض الـ (Scelotyrbe) ، وكلاهما من أمراض ذلك البلد ، والأول يصيب الفم والثانى الساقين بضرب من الشلل ، بسبب الماء والنباتات (التى استعملها الجنود فى طعامهم) . ولذلك اضطر الى قضاء الصيف والشتاء هناك لمعالجة المرضى .

ان سلع التجارة تنقل من « ليوكى ـ قوم » الى « البطراء » ، ومنها الى « رينو كلورا » فى فينيقية ، قرب مصر ، ومنها الى أمم أخرى . ولكن القسم الأكبر منها فى أيامنا ينقل على « نهر النيل » الى « الاسكندرية » . فتأتى السلع من « بلاد العرب » و « الهند » الى « ميناء الفأر » (Myus Hormus) ، ومنها تنقل على الجمال الى « قبطس »[1] التى (للطيباويين) ، وتقع على احدى أقنية « النيل » ، ثم الى « الاسكندرية » . أما (غالوس) ، فحين قام ثانية من « ليوكى ـ قوم » عائدا بجيشه ، اضطر لغدر دليله الى أن يضرب فى فيافٍ كان على العسكر فيها أن يحملوا الماء على الجمال . ولذلك بعد مسير أيام كثيرة بلغ « مقاطعة أريتاس » (Aretas) ، وهو من ذوى قرابة (عوبوداس) . فاستقبله (أريتاس) بالترحاب ، وقدم له هدايا . غير أن (سيلايوس) الخائن اقتاد (غالوس)

(١) قفط .

فى طريق صعبة تشق البلد ، اذ قضى فى قطعه اياها ثلاثين يوما • وكان نتاج الأرض الشعير وقليلا من النخيل ، والزبدة بدلا من الزيت •

وكان سكان البلد الذى وصل اليه (غالوس) من البدو الرحل ، ومعظمه صحراوى قاحل ، ويدعى « عرارين » • وكان الملك يدعى (شابوش)(Sabos)• فقضى (غالوس) خمسين يوما فى مروره خلال هذا الاقليم لانعدام الطرق ، الى أن أدرك مدينة (للنجرانيين)، وأرضا خصبة جنحت الى السلم ؛ اذ فر الملك وأخذت المدينة فى أول هجوم عليها • وبعد أن سار منها ستة أيام جاء الى نهر ، وهناك هاجم البرابرة (الرومان) ، ففقدوا عشرة آلاف رجل ، ولم يفقد (الرومان) الا رجلين[1] ؛ وذلك لأنه لم تكن للبرابرة خبرة فى أمور الحرب مطلقا ، فكانوا يستعملون أسلحتهم بغرارة ـ وهى القسى والرماح والسيوف والمقالع ، ولكن السواد الأعظم منهم كان يستعمل فأسا ذات حدين • فأخذ فى الحال « مدينة عسقة » (Asca) بعد أن كان الملك قد هجرها • ثم جاء الى « مدينة عثرولة » (Athrula) فاقتحمها دون مقاومة • وبعد أن وضع فيها حامية ، وجمع زادا ومؤنا للزحف ، يتألف من الحبوب والتمر ، تقدم الى « مدينة مرصيابة »(Marsiaba) وهى(للرحمانيين) (Rhammanitae) الذين كانوا من أتباع (عيلاسارس) (Ilasarus) وهاجم المدينة وحاصرها ستة أيام ، غير أنه رفع عنها الحصار لقلة الماء • وكان حينئذ على مسيرة يومين من بلاد العطر ، كما أعلمه أسراه • وقد قضى فى زحفه ستة أشهر بسبب غدر أدلائه • ولم يقف على ذلك الا فى أثناء عودته • وهو ـ وان تأخر فى الكشف عن المؤامرة التى دبرت عليه ـ ، وجد سعة من الوقت ليتخذ طريقا أخرى فى الرجوع ، فبلغ « النجران » فى تسعة أيام ، وهناك قامت المعركة ، ومن هناك بلغ فى أحد عشر يوما « السبع الآبار » ، وهو مكان سمى كذلك لأن فيه سبع آبار • ومن هناك سار فى أرض صحراوية ، وجاء الى « قرية شعلة » ، ثم الى « قرية مالوثاس » ، وتقع على نهر • وبعد ذلك كانت طريقه فى أرض صحراوية لم تكن فيها الا آبار سقاية قليلة ، حتى بلغ « قرية عجرة »[2] • وهى تابعة لمملكة (عوبوداس) ، وتقع على البحر • وقد قطع هذه المسافة كلها فى عودته بستين يوما فقط ، مع أنه قضى فى قطعها أول ذهابه ستة أشهر •

---

(١) ان المرء ليدهش حين يرى أن من المفكرين أمثال (سترابون) من يصدقون بأرقام كهذه ! (المترجم) •

(٢) نجرة ؟

ومن « نجرة » اقتاد جيشه الى « ميناء الفار » ، فوصل اليه فى أحد عشر يوما • ومن هناك عبر البلاد الى « قبطس » ، حتى بلغ « الاسكندرية » ومعه من عسكره من استطاع انقاذه • أما البقية فقد ماتوا ، لا بفعل من الأعداء ، بل بالمرض والتعب والمجاعة والسير فى الطرق الوعرة ؛ اذ لم يقتل فى المعارك من رجاله الا سبعة • ولهذه الأسباب لم تضف هذه الحملة الى علمنا عن بلاد العرب الا قليلا • غير أنه كان فيها شيء من النفع •

وقد عوقب (سيلايوس) ، مصدر هذه النكبات ، على خيانته فى « رومة » • وقد تظاهر بالصداقة ، غير أنه أثبتت عليه جرائم أخرى ، عدا الغدر فى هذه القضية ، وقطع رأسه •

٢٥ ـ تقسم بلاد العطر ، كما قلت سابقا[1] ، الى أربعة أقسام • ومن بين العطر يقال : ان اللبان والمر من نتاج الشجر ، أما القاسيا فمن نتاج الشجيرات • غير أن جماعة من المؤلفين يقولون : ان الجزء الأكبر من القاسيا يأتى من « الهند » ، وأن أحسن اللبان يأتى من « فارس » •

ولهم تقسيم آخر تقسم « بلاد العرب السعيدة » بموجبه الى خمس ممالك (أو أقسام) ، احداها تشمل الرجال المحاربين الذين يقاتلون فى الحروب عن جميع الآخرين؛ وأخرى تحتوى على الزراع الذين يكفلون بالغذاء للبقية ؛ وأخرى يقوم سكانها بالأعمال الآلية • وأحد الأقسام يشمل منطقة المر ، والثانى منطقة اللبان ، ولكن هذه الأرضين نفسها تنتج القاسيا والقرفة والناردين • ولا تغير الأسرة حرفتها ، بل كل عامل يرث حرفته عن أبيه •

ويصنع القسم الأكبر خمرهم من النخيل •

ويلقى اخوة الرجل من الاحترام أكثر مما يلقى أبناؤه • ويرث أبناء الأسرة المالكة العرش ، ويسلمون زمام سلطات أخرى ، على حسب البكورة • أما المتلكات فمشاعة بين جميع الأقارب • وأكبرهم سنا هو زعيمهم • ولهم جميعا زوجة واحدة ، ومن يدخل الدار أولا قبل غيره يضاجعها ، بعد أن يضع عصاه بالباب ؛ لأن حمل العصا عادة ضرورية يلزم الجميع اتباعها • غير أن المرأة تقضى الليل مع أكبرهم سنا • وهم يضاجعون أمهاتهم أيضا • ويعاقبون الزانى بالموت اذا كان من أسرة أخرى •

كانت بنت أحد الملوك ذات جمال رائع ، وكان لها خمسة عشر أخا يعشقونها

(١) الفقرة الثانية المذكورة آنفا •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جميعا ، ويدخلون عليها بالتتابع دون انقطاع • ويقال : انها سئمت لجاجتهم ، فلجأت الى هذه الحيلة : ذلك أنها حصلت على عصى صنعت على شكل عصى اخوتها ، فاذا غادر المنزل أحدهم ، وضعت بالباب عصا تشبه عصاه ، وبعد ذلك بقليل عصا أخرى ، وهكذا بالتتابع ـ وهى اذ تفعل ذلك تحسب حسابها بحيث لا يجد الرجل الذى يريد الدخول عليها عصا بالباب تشبه عصاه • وحدث مرة ، أنه بينما كان الاخوة جميعهم فى السوق ، أن غادرهم أحدهم وأتى الى باب الدار ، فرأى عصا هناك تدل على وجود رجل فى الداخل • ولكنه اذ تذكر أن اخوته جميعهم فى السوق ، ارتاب فى أن الرجل الذى فى الداخل ليس الا زانيا • فهرول الى أبيه وأحضره الى الدار ، غير أنه ثبت أنه انما اتهم أخته زورا !

٢٦ ـ و (النبطيون) قوم حرصاء ، مولعون بجمع الثروة • والمجتمع يفرض غرامة على من ينقص ماله ، ويكرم من يزيد منه • وليس لديهم من الرقيق الا القليل ، فيقوم الأقرباء بخدمة المرء ، أو يخدم الواحد منهم الآخر ، أو يكون كل امرىء خادم نفسه • وهذه العادة يخضع لها حتى ملوكهم • ويتناولون وجبات طعامهم جماعات ، تتألف الجماعة منها من ثلاثة عشر شخصا ، ويرافقها موسيقيان • الا أن الملك يقيم مآدب كثيرة فى العمارات الضخمة • ولا يشرب أحد أكثر من احدى عشرة كأسا (معينة) ، تختلف الواحدة عن الأخرى ، وكلها من الذهب •

والملك يتحبب الى الشعب كثيرا ، حتى لتراه لا يخدم نفسه فحسب ، بل يخدم غيره أيضا • وفى كثير من الأحيان يقدم تقريرا (عن سير حكمه) بحضرة الملأ ، ويقومون أحيانا باجراء تحقيق فى نمط معيشته •

ومنازلهم فاخرة ، وهى من الحجر • والمدن أسوار لها بسبب السلام (المنتشر بينهم) • وقسم كبير من البلاد كثير الخصب ، وينتج كل شىء سوى الزيت ، ويستعيضون منه بدهن السمسم • وللخرفان عندهم صوف أبيض ، وجواميسهم ضخمة ، غير أن بلادهم خالية من الخيل[1] • والجمال تحل محل الخيل ، وتقوم بالأعمال أنفسها • وهم يلبسون ثوبا ، ومنطقة حول الحقوين ، وينتعلون بالنعال • ولباس الملوك لا يختلف عن ذلك الا فى اللون ، فهو أرجوانى •

ويستجلب شىء من سلع التجارة استجلابا كليا ، وبعضها ليس مستجلبا كله ؛ لأن

---

(١) راجع الفقرة الثانية المذكورة آنفا •

من هذه المواد ما هو من نتاج البلاد ، كالذهب والفضة ، وكثير من العطر • ولكن النحاس والحديد والثياب الأرجوانية والاصطرك والزعفران والقرفة البيضاء والتماثيل والصور والقطع المنحوتة ، لا تصنع فى البلاد •

حين يقول الشاعر : «قصدت بلاد الحبشة والصيداويين والأرمنيين»[١] ، لا نعرف بالضبط من (الصيداويون) الذين يومىء اليهم : أهم أولئك الذين سكنوا قرب خليج العجم ـ وهم جماعة من المستعمرين ينتمى اليهم الصيداويون الذين فى بلادنا (كما أن هناك على حسب رواية المؤرخين ، جماعة من « الجزريين الصوريين » ، و « العرديين » الذين ينتمى اليهم العرديون فى بلادنا) ، أم هم فى الواقع الصيداويون أنفسهم ، أهل « صيدا » ؟

والشك أشد فى من هم (الأرمنيون) : أيقصد الشاعر أهل « طرغلوديتيكا » ، أم يقصد (العرب) ؟ ان (زينو) ، فيلسوف مدرستنا ، يغير هذا البيت فيجعله : « وأهل صيدا والعرب » • ولكن (بوسيدونيوس) يغيره شيئا ما فيقول : « وأهل صيدا والأرمن » • كأن الشاعر أطلق كلمة « الأرمن » على العرب الحاليين ؟ لأن الآخرين كانوا يدعونهم كذلك فى زمنه • وهو يقول ايضا : ان وجود هذه الأمم الثلاث بعضها بجوار بعض ، يشير الى انحدارهم من أصل واحد ، وأنهم لهذا السبب يسمون بأسماء متشابهة (كالأرمنيين) ، و (الآراميين) ، و (الأرمنيين) • فكما نستطيع أن نفترض أن أمة واحدة انقسمت الى ثلاث (بحسب الفروق فى خطوط العرض التى سكنوا فيها ، وهى فروق اشتدت بالتتابع) ، كذلك نستطيع أن نفترض أن أسماء متعددة اتخذت بدل اسم واحد • على أن الاقتراح بتغيير الاسم الى أريمنيين بعيد عن الصواب ؟ لأن هذا الاسم أكثر انطباقا على (الحبشة) • والشاعر يذكر أيضا (الآريميين) ، ويقول (بوسيدونيوس): انهم معينون هنا ، لا مكان فى « سورية » أو « كيليكيا » أو أى بلد كان آخر ، بل «سوريا» نفسها[٢] ؟ لأن (الآراميين) كانوا يعيشون هناك • ولعلهم هم الذين كان (الاغريق) يدعونهم (الآريميين) أو (الآريمائيين) • غير أن تغيير الأسماء ، ولاسيما أسماء الأمم البربرية ، أمر شائع • فـ (داريوس) كان يدعى (داريكيس) ، و (باريساتيس) (فارزبريس) ، و (أثاره) (أطارغاطا)[٣] ، ويدعوها « كتيسياس » (دركيتو) •

---

(١) Erembi

(٢) هذه الجملة غير واضحة المعنى فى النص (المترجم) •

(٣) أكبر الهة فى « سورية » (المترجم) •

ويمكننا الاستشهاد بـ « الاسكندر » للبرهنة على ثراء العرب ، اذ يقال : انه كان ينوى بعد أن يعود من « الهند » أن يجعل « بلاد العرب » مركز امبراطوريته • وقد انتهت مخاطراته جميعها بموته ، حين دهمته المنية فجأة • ولكن لا ريب فى أن إحدى خططه كانت أن يجرب العرب ليرى أكانوا يستقبلونه طائعين ، أم يقاومونه بحد السلاح ؟ فانه حين وجد أنهم لم يبعثوا سفراء اليه قبل زحفه على « الهند » أو بعده ، بدأ باعداد العدة للحرب ، كما قلنا فى مكان سابق من هذا الكتاب •

ترجمة : عبرا ابراهيم عبرا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحياة الاجتماعية فى القرنين الثالث والرابع

مجاليها ومباهجها ومفاسدها وما ألف في ذلك من آثار

ازدهرت الحضارة الاسلامية فى القرنين الثالث والرابع للهجرة أتم الازدهار ، حتى قال بعضهم : ان هذين القرنين هما القرنان الذهبيان اللذان ازدهرت فيهما الحضارة الاسلامية ، وغنيت المكتبة الاسلامية بشتى الآثار الجليلة ، وان ما تزخر به الخزانة العربية اليوم – على الرغم مما منيت به من نكبات – لدليل يشهد بذلك ، وقد بلغ العالم الاسلامى فى هذين العصرين درجة رفيعة فى الحضارة ومجالى العمران والترف العقلى والفنى ، وافتن الناس فيهما بفنون شتى كما أمعنوا فى التمتع بمباهج الحياة وملاهيها وما الى ذلك من طعام وشراب وتسلح ومفاكهة ورياضات واحتفالات وتطلب لزخرف الدنيا ومتعها .

أما الطعام فقد افتنوا فى تنويعه ، وتأنقوا فى مجلسه ، بعد أن كانوا فى الجاهلية وصدر الاسلام يكتفون بالألوان الساذجة والأطعمة البسيطة الأولية ، وكثير منهم كان يتحرج من أكل الألوان الملونة من الطعام ، فقد رووا أن أبا موسى الأشعرى كان يتجافى عن أكل اللحوم لأنه لم يعهد أكلها فى الجاهلية ، ورووا أن عمر كان يقول اذا بلغه عن أحد أصحابه الاكثار من تناول الأطعمة واللحوم : أخبروه أن مدمن اللحم كمدمن الخمر . وفى أيام بنى أمية مال الخلفاء والأمراء والأثرياء والوجوه الى تنويع الأطعمة وتقليد أهل الشام من الروم والسريان فى أطعمتهم ، وكذلك فعل أمراء أمية فى العراق فاستطابوا الأطعمة الفارسية واستسرؤوا الأخبزة الكسروية . قال صاحب طبقات الأطباء (١/١٧٥) : ان الخلفاء والملوك من بنى هاشم كانوا اذا جلسوا الى الطعام ، يقف الأطباء بين أيديهم ومعهم البرانى بالجوارشنات الهاضمة والمسخنة والطابخة والمقوية للحرارة الغريزية فى الشتاء ، ويقفون فى الصيف ومعهم الأشربة الباردة والجوارشنات الموافقة لذلك الفصل . وروى صاحب الفخرى (ص ٢٣٢) : أن مطبخ عمرو بن الليث الصفار كان يحمل على ٦٠٠ جمل ؛ وقد يكون هذا القول مبالغا فيه الا أنه يدلك على شدة تعلق القوم بالطعام والانصراف الى التأنق فيه وفى استكمال ضروب تطييبه وتجويد أنواعه . ومن أطرف ما قرأت فى هذا الباب ما وجدت فى تاريخ ابن خلدون (١/١٤٥) : « أن الحجاج

ابن يوسف أولم مرة لختان بعض ولده فاستحضر بعض المهاقين ليسأله عن ولائم الفرس فى مثل هذه المناسبة فقال له : أخبرنى بأعظم صنيع شهدته ، فقال: شهدت يا أيها الأمير- بعض مرازبة كسرى وقد صنع لأهل فارس صنيعا أحضر فيه صحائف الذهب على أخونة الفضة أربعا على كل واحد ، وتحمله أربع وصائف ، ويجلس اليه أربعة من الناس . فاذا طعموا ، أتبعوا أربعتهم المائدة بصحافها ووصائفها . فلما سمع الحجاج ذلك ، أكبره ، وغلبت عليه البداوة فقال : يا غلام ، انحر الجزر وأطعم الناس » والحق أن رجلا كالحجاج لا يستسيغ هذا الاسراف الفاحش الدال على سخف فاعليه ورقاعتهم .

هذا وقد اشتهر فى التأريخ العربى نفر من الأمراء والخلفاء عرفوا بكثرة الأكل وتطلب أطايبه والاسراف فى ذلك أمثال معاوية وعبيدالله بن زياد وسليمان بن عبدالملك والأمين[1] .

قال السيد محمود شكرى الألوسى فى بلوغ الأرب (٤١٢/١) : « وكانت لهم فى هذا الباب - باب المأكل والمشرب - عوائد مستحسنة ومألوفات يتلقاها ذوو العقول بالقبول ، من ذلك أنهم كانوا يبكرون فى الغداء ، ويرون أن ذلك أقرب الى راحة البدن وصحته .. ويؤخرون العشاء رغبة فى ورود الأضياف واجتماع الأكلة بعد انقضاء حاجاتهم وعودهم من مسارحهم وغاراتهم ، ولأن بلادهم حارة الهواء ، فكلما ذهبت منه شدة الهجير ببرد الليل ، كان الطعام أمرأ والشهية فى الأكل أدعى .. ومن عوائدهم فى هذا الباب أنهم يقلون من الأكل ويقولون : البطنة تذهب الفطنة ... وكان مأكولهم فى الغالب لحوم الصيد والسويق والألبان ، وربما ابتع أحدهم الريح (!؟) ، ومضغ القيصوم والشيح ، أو حرش اليربوع والضب ، أو صاد الظبى والأرنب .. وكان أحسن اللحوم عندهم لحوم الابل ولا يفضلون عليها شيئا » .

قلت : وقد لعب الطعام « دورا مهما » فى التأريخ العربى فى الجاهلية والاسلام ، فقد كان كثير من الوجوه والسادة والأمراء يتقربون الى العامة بنصب موائد الضخام واطعام الجائعين ، كما أنهم كانوا يعدون ذلك من امارات النبل والكرامة ، وما لذلك من سبب سوى سوء الحالة الاقتصادية فى الجزيرة وبؤس أهليها . وكان عبدالله بن جدعان وعبدالمطلب فى الجاهلية وعبدالله بن عباس ومعوية ويزيد وعبدالملك والوليد فى الاسلام مسرفين فى اقامة الولائم العامة ، حتى ان بعضهم كان يفرش سفر الطعام فى

(١) أنظر المروج للمسعودى (٢٦٧/٢) ، والفرج بعد الشدة للتنوخى (١٠٢/٢) .

الطرقات كعبدالله بن عباس[١] . وكان الحجاج يصنع فى كل يوم من أيام رمضان ألف خوان وفى سائر الأيام خمس مئة : على كل خوان عشرة أنفس وعشرة ألوان وسمكة مشوية طرية وأوزة بسكر ، وكان يدور هو على المائدة يتفقدها ، يحملونه اليها فى محفة وينتقلون به من خوان الى خوان .. وكذلك كان يصنع عمال الحجاج فى سائر مدن العراق ، وكان بعضهم ينصب الموائد مرتين فى اليوم للغداء والعشاء[٢] .

ولما تغلغلت الحضارة فى الأمة العربية بمن دخلها من غير العرب ، وجاؤوها بما عندهم من آداب وعادات وتقاليد ، ابتعدت عن بداوتها وطابعها الفطرى ، ولم يأت القرنان الثالث والرابع حتى صارت للعرب آداب فى الطعام والشراب وقوانين لمجالسهما ، وافتنوا فى ذلك افتنانا غريبا ، واخترعوا له أدبا وآينا ، كما اشترطوا للمؤاكلة آدابا وللمنادمة أصولا ، وفرضوا على الظرفاء والندماء أزياء معينة يلبسونها ؛ فقد ذكر الأديب الكاتب الظريف الأريب أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى المعروف بالوشاء فى كتابه « الظرف والظرفاء » فصولا مطولة ، ومما جاء فى ذلك قوله /ص ١٠٥ - ١٠٧/ : « اعلم أن أول ما استعملوه تصغير اللقم ، والتجافل عن الشره والنهم ، وأكل الأوساط الرقاق ، والبزماورد الدقاق ، وليس يأكلون العصبة والعضلة ولا العرق ولا الكلوة ولا الكرش .. ولا يتبعون مواضع الدسم ولا يملأون أيديهم بالزهم .. ولا يلطعون أصابعهم ، ولا يملأون باللقم أفواههم ، ولا يدسمون بكبرها شفاههم ، ولا يقطرون على أكفهم ، ولا يعجلون فى مضغهم ، ولا يأكلون بجانبى الشدقين ، ولا يزاوجون بين الاثنين ، ولا يأكلون قدرا بائتة ولا قدرا مسخنة ، ولا يغمسون فى مرقة ، ولا يضعون لقمة .. ولا يأكلون الحبوب التى تهيج الأرياح وتولد القرقرة والانتفاخ ، ولا يأكلون فى النهار أكثر من أكلة ، ولا يكثرون القيام من مجلسهم ، ولا يكثرون من الضحك والكلام عند حضور المائدة والطعام ، ولا يخللون على المائدة قبل أن تفرغ ، ولا يتحفزون لمجيئها قبل أن توضع ...

وقد ألف جماعة فى فن الطعام وألوانه وأنواعه وآداب مجلسه . ومن أقدم من ألف فى ذلك أبو الحسن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم نديم المتوكل ومن بعده الى أيام المعتمد ، وكان أريبا فهما نادم الخلفاء العباسيين ، وكان ريحانة مجالسهم ونفحة نواديهم . مات سنة ٢٧٥[٣] . له آثار فى الأدب والفن ، منها : كتاب الطبيخ ولكنه مفقود . ومن

(١) العقد لابن عبدربه (٨٣/١) . (٢) المصدر السابق (٦/٣) .
(٣) الوفيات (٣٥٦/١) ، والفهرس (ص ٢٠٥) وتاريخ التمدن الاسلامى (٨٠/٥ و١٠٤) .

ألف فى فن الطهى ابراهيم بن المهدى الأمير العباسى الأديب المغنى ، أخو الرشيد ، مات سنة ٢٢٤ بسامرا ، وكتابه مفقود أيضا[١] . وجحظة البرمكى أحمد بن جعفر النديم الأديب الشاعر الموسيقى ، مات سنة ٣٢٤[٢] . ومسكويه أحمد بن محمد المؤرخ الحكيم الفيلسوف الأديب ، مات سنة ٤٢١[٣] ، وكان خازنا لكتب عضد الدولة البويهى . وقد ضاعت هذه الكتب جميعا .

أما الشراب ومجالسه وآدابه ، فقد بلغت حدا عجيبا سواء فى تنويع المشروبات ، أو فى تزويق المشمومات ، أو فى تكثير أنواع النقل ، أو فى آداب الندماء ومجالسهم ، أو فى التأليف فى ذلك . وفى كتاب الموشى (الظرف والظرفاء) للوشاء فصول ممتعة مطولة عن زى الندماء والظرفاء من أهل الشراب ، فقد ذكر فى كتابه (ص ١٠٧) أنهم لا يشربون من الشراب أسوده ، ولا يشربون الا أجوده ، مثل المشمشى والزبيبى والمعسل والمطبوخ والطلاء والمعدل ، ولا يقربون ما لا عمه الخثر ، ولا ما خالطه الكدر ، ولا يتنقلون على شرابهم بالأشياء الرذلة مثل الباقلى والبلوط والبسر المقلو .. وأكثر ما يتنقل به المتظرفون، ويعبث به المتزيكون ، مسلوح البندق ومقشر الفستق والملح النفطى والعود الهندى والطين الخراسانى والملح الصنعانى والسفرجل البلخى والتفاح الشامى ، ويتخذون من كل شىء من الآنية أسراه ، ومن الزجاج أجوده وأنقاه .. .

قلت : ان الفساد الاجتماعى الذى ذر قرنه فى عهد بنى أمية ، وباض وفرخ فى أيام بنى العباس ، قد نتج بلاء عظيما على الأمة ، فانهارت قواها الخلقية ، وانحطت مقوماتها النفسية ، وعطلت الحدود التى كانت تكون حائلا أو بعض حائل بين هذه الأمة وبين الانهيار الاجتماعى . فان العرب بعد أن اتصلوا بأهل الشام والعراق وفارس ويونان ذلك الاتصال القوى ، نقلوا عنهم خير حضاراتهم وشرها ، وصالح مدنيتهم وطالحها . وبالرغم من ان الاسلام حرم الخمر ، وشدد عقوبة شاربها وبائعها ، وكانت هذه العقوبات تقام أيام الخلفاء الراشدين وأوائل أيام بنى أمية الى أن ولى يزيد بن معاوية وعبدالملك وأولاده ، ـ استهان الناس بأمرها ؛ لأن الخلائف ومن اليهم كانوا يشربونها[٤] ، وزاد فى الطنبور

(١) أنظر أخباره فى الأغانى .

(٢) معجم الأدباء (١/٣٨٣) .

(٣) طبقات ابن القفطى (ص ٣٣١) .

(٤) أنظر الأغانى (١٩/١٥٤ و١٣/١٥٧) ، والعقد الفريد (٣/٣١٤) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نغمة أن بعض الفقهاء أباح بعض أنواعها وأن آخرين حرموا ذلك ، وظهر بعض المتملقين للخلفاء والأمراء فأخذوا يتحلون المسوغات لشربها ، ويبحثون فى الفرق بين أصنافها ، ويميزون بين ما سموه حلالا وبين ما حرموه[١] . ومهما يكن من شيء فان القوم قد شربوها ، وانهم افتنوا فى مجالسها وآدابها ، وكان فى بيوت العظماء والأعيان الى جانب الطباخين جماعة يهتمون بالشراب وأدواته ونقله وأزهاره ، وكانوا يسمونهم الشرابيين[٢] . وكان من آدابهم وآيينهم أن ينثروا الزهور والرياحين فى أرض المجلس الشرابى ، بينما كانت أشهر آلات الطرب الأربع المعروفة آنئذ ، وهى الجنك والطنبور والمزمار والعود ، تشنف آذان الشاربين فى تلك الجلسات الماجنة ، وكانوا يرقصون فى تلك المجالس ، ويسمون الرقصات بأسماء بعض الأصوات الموسيقية من خفيف وهزج وثقيل ورمل ، وربما سموها ببعض أسماء الحيوان والجماد كرقصة الجمل ورقصة الكرة[٣] .

أما مظاهر السرور ومجالى المتع الأخرى ، فقد كانت على أضرب ، منها :

الغناء كان للعرب فى جاهليتهم وصدر اسلامهم حداء وغناء يلائم حياتهم الساذجة وفطرتهم البدوية ، فلما قوى اختلاطهم بالروم والقبط والفرس والأحباش والهنود ، دخلت فى غنائهم عناصر جديدة ، وغنيت موسيقاهم بنوع طريف . ويقال ان أول من أدخل الموسيقى الأجنبية على الموسيقى العربية والغناء العربى عبد الله بن أشراف مكة اسمه سعيد بن مسجح ، فقد كان مغنيا حسن الصوت بارعا فى الغناء والضرب ، رحل الى الشام وفارس ، وسمع ألحانهم فأدخلها فى الأنغام العربية منتقيا منها ما يلائم الذوق العربى . ثم رجع الى الحجاز فأخذ عنه أهلوها ، وسما قدره أيام بنى أمية . ولقد ارتقت مرتبة المغنين فى العهد الأموى وخصوصا أيام يزيد والوليد ، ومن خير من نبغ من مغنى هذا العصر عبيدالله بن سريج أحد الموالى وكان يغنى غناء مرتجلا (-٩٨) ، والغريض عبدالملك من موالى البربر ومن أحذق مغنى مكة وضاربى العود والدف (-٩٥) ، ومعبد بن وهب مغنى الوليد بن يزيد (-١٢٦) ، وحكم الوادى مغنى الوليد ثم المنصور والرشيد (-١٨٠) ، وعبدالله بن

(١) كتاب الأشربة والأغانى (٤/١١٢ و٥/٤) .
(٢) أنظر الفرج بعد الشدة للتنوخى (٢/١١) .
(٣) المروج طبع باريس (٨/١٠٠) .
(٤) المصدر السابق وظهر الاسلام (١/١٠٧) .

وهب أستاذ ابراهيم الموصلى (-١٦٩) ، وزرياب على بن نافع مولى المهدى ونابغة الموسيقى والشعر والعلم (-٢٣٠) .

وقد ألف فى الغناء كتب كثيرة ضاعت مثل كتاب اسحاق الموصلى ويونس بن سليمان الكاتب المغنى وعمرو بن بانة وأبى حشيشة وجحظة البرمكى وأحمد بن أبى طاهر طيفور صاحب المنثور والمنظوم وغيرهم ممن أوردهم ابن النديم فى الفهرست[١] . ومن أجل ما ألف فيه كتاب أبى الفرج الأصفهانى - وهو من ذخائر الخزانة العربية اليوم - وفصول ممتعة فى نهاية الأرب للنويرى[٢] .

اللعب بالنرد والشطرنج من الألعاب الدخيلة التى عرفها العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام اللعب بالنرد والشطرنج . وقد وردت عن النبى صلى الله عليه وسلم وعمر أقوال تنهى عن تضييع الوقت فى اللعب والمقامرة بهما . وقد تسامح قوم من الفقهاء فى اللعب بالشطرنج ، لما فيه من تمرين الذهن واذكاء الزكانة والفطنة . وقد اشتهر اللعب بالشطرنج فى العصر العباسى ، ونبغ فيه معدودون ، منهم العدلى الذى ذكره ابن النديم[٣] فى أول الفصل الذى كتبه عن البارعين بهذه الصناعة والمؤلفين فيها وفى حيلها ، وقد ذكر عنه أنه أول من عمل كتابا فى الشطرنج ، وله أيضا كتاب النرد وأسبابها واللعب بها . وقد ضاعت أخبار هذا اللاعب كما ضاعت آثاره . وممن ذكرهم ابن النديم فى عداد الشطرنجيين الرازى ، ولا ندرى أى رازى هو ، غير أنه قال فى صدد الكلام عنه : انه كان نظير العدلى ، وأنهما كانا يلعبان بين يدى الخليفة المتوكل على الله ، وأن له كتابا فى الشطرنج . أما امام هذه الصناعة فهو أبو بكر الصولى محمد بن يحيى الكاتب (-٣٠٠) وكان أحسن شطرنجيى زمانه حتى لقب به ، وقد مهدت له براعته الفائقة فيه الدخول الى دار الخلافة ومنادمة خلفائها وبخاصة الراضى والمكتفى والمقتدر . وقد ألف كتابا ذائع الصيت فى الشطرنج ذكره ابن النديم ، وقال : له كتاب الشطرنج النسخة الأولى والنسخة الثانية[٤] . ومنهم اللاعب اللجلاج محمد بن عبدالله ، وقد ذكره ابن النديم وقال : رأيته خرج الى

(١) أنظر الفهرست طبع مصر (ص ٢٠٣ وما بعدها و٢٢١) .
(٢) نهاية الأرب طبع دار الكتب (١٥٦/٤) .
(٣) مروج الذهب (٣١١/١) .
(٤) الفهرست (ص ٢٢١) .

شيراز الى عضد الدولة ، مات سنة نيف وستين وثلاث مئة وله كتاب منصوبات الشطرنج • ومنهم ابراهيم بن محمد بن صالح الاقليدسى وله كتاب منصوبات الشطرنج أيضاوقدضاع• ومنهم المغنى المشهور بقريص الجراحى لأنه كان من رجال أبى عبدالله محمد بن داود ابن الجراح الوزير وله كتاب فى الغناء وآخر فى الشطرنج • ومات سنة ٣٢٤هـ•

مسابقة الخيل والبغال والحمير والكلاب والطيور من الألعاب التى عرفها العرب ومارسوها فى جاهليتهم واسلامهم ، المقامرة فى السباقات • وقد كان شغفهم بها عظيما لصلة ذلك بالفروسة وحياة المغالبة التى كانوا يحيونها • وهم وان كانوا شغوفين جدا بسباق الخيل الا أنهم ربما سابقوا بين البغال والحمير أيضا ، بل ربما سابقوا بين الطيور والكلاب • كما كانوا يحبون مهارشة الكلاب والحيوانات الأخرى الضارية وغيرها من الديوك والكباش والمعزى • ويذكر المسعودى فى المروج أن عيسى بن لهيعة المؤرخ المحدث المشهور ألف كتابا سماه « الجلائب والحلائب » ذكر فيه اسم كل حلبة أجريت فى الجاهلية والاسلام[1] ، ولم نعثر عليه ، الا أننا ما نزال نعثر على نصوص متفرقة فى كتب الأدب والتأريخ عن هذا النوع من المسابقات وبخاصة ما يتعلق بسباق الخيل ؛ لأن العرب كانوا فى الجاهلية مغرمين بحب الخيل الأصيلة ، مفتونين بمظاهر القوة ، والجياد من أجلى مظاهر القوة ، وربما كانت السبب فى رفع شأن قبيلة ووضع شأن أخرى ، وكانت لهم فيها عادات وآداب ، وكانوا يرسلون الخيل الى الحلبات ـ وهى ميادين لعبها ـ عشرة عشرة ، ولكل واحد منها عندهم اسم باعتبار تقدمه فى السبق[2] • ولما جاء الاسلام وأباح هذا النوع من الرياضة لما فيه من تقوية روح الرجولة والعزة وتنمية أسباب الجهاد فى سبيل نصرة دين الله تعالى ، بالغ الأمراء والنبلاء والعامة فى شأن الخيل واتخذت لها الحلبات والميادين ، واستكثروا من الخيل والبراذين، وافتنوا فى تأديبها وتضميرها ، وتحسين نسلها والعناية بكل ما يتصل بها •

وقد كان للخلفاء من زمن مبكر عناية بحلبات الجياد وشغف بحب سباقها وتشجيع عليه • قالوا : كان عبدالله بن الزبير ومعاوية بن أبى سفيان من أقدم من بالغ من الخلفاء فى اتخاذ الحلبات • أما أخبار من جاء بعد من الخلفاء والملوك والأمراء ، فأكثر من أن تحصى • وكان الخلفاء يخرجون بأنفسهم للسباق فى أيام معينة ومجاراة من يفوز أو يحوز قصب

(١) أنظر مروج الذهب (٤/٢٥) • (٢) المصدر السابق (٢/٣٨٠) •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

السبق على حد تعبيرهم ، وهي قصبة كانت تغرس في آخر الميدان يأخذها السابق الأول دليلا على سبقه • فمن أخذها ، نال الجوائز السنية ، وارتفع قدره • ومن أشهر من عنى بالسباق من خلفاء أمية ، هشام بن عبدالملك ، فقد رووا أنه اجتمع في اصطبله أربعة آلاف رأس جواد أصيل ، وهو رقم قياسي عجيب لم تسمع به لأحد في الجاهلية والاسلام • وقالوا : انه كان في اصطبل الوليد بن يزيد ألف فرس منسوبة أسبقها فرسه (السندى)• وكانت حلبة رصافة هشام أعظم حلبات السباق في سعتها وروعتها واحتوائها على كل أسباب الراحة للخيل والخيالة والنظارة • وقد ذكر ابن جرير في تاريخه ثم المسعودي في مروجه قصصا وطرائف كثيرة عن ميادين سباق الرصافة الهشامية وحلبتها[١] ، وهي تدل على شدة ولع القوم بهذا الضرب من الرياضات •

ولم يكن شأن خلفاء آل العباس أقل بكثير من شأن آل أمية ومروان ، فقد كانت في بغداد والرقة والشماسية وسامراء حلبات كبرى وميادين سباق أخبارها مستفيضة في تواريخهم • وقد حفظ لنا الأدب العربي كثيرا من أوصاف هذه الحلبات والميادين ، كما حفظ لنا أسماء أبطالها وخيولها ، وآداب السباق ووصف مجالسه وتصوير الحلبة والخيول وتبيين أسمائها وصفاتها وشياتها • ومن أروع ذلك وأعذبه قصيدة جميلة لمحمد بن يزيد ابن عبدالملك بن مروان ذكرها المسعودي في المروج ، فنرجع اليها اذا شئت[٢] •

الرياضة باللعب بالصولجة والكرة والبندق اللعب بالكرة والصولجان تقليد فارسي الأصل عرفه العرب في جاهليتهم ، واعتنى به الأمراء بعض الشيء أيام بني أمية ، وازدادت عنايتهم به أيام بني العباس وبخاصة في زمن الرشيد ومن بعده • وهذه اللعبة « عبارة عن كرة تصنع من مادة خفيفة مرنة (كالفلين) ونحوه تلقى في أرض الميدان فيتسابق الفرسان الى التقافها بعصا عقفاء يسمونها الصولجان أو الجوكان ، ويرسلون الكرة بها في الهواء وهم على خيولهم »[٣] • وهي أشبه بلعبة الهوكي التي يلعبها الأوربيون الآن •

أما اللعب بالبندق ، فهو عبارة عن اللعب بكرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها ، ويترامى بها في الهواء ، أو يتصيد بها المتسابقون والمتبارون • وهي فارسية الأصل ، وتسمى أيضا الجلاهقات • وقد اقتبس العرب هذه اللعبة في أواخر

---

(١) المروج (٢/١٢٩ و١٣٥) • (٢) المصدر السابق ٢/٣٨١ •
(٣) تاريخ التمدن الاسلامي (٥/١٥٨) •

أيام عثمان بن عفان ، وعد الفقهاء ظهورها فى المدينة أمرا منكرا[١] . وقد اعتنى الناس فى أيام بنى العباس بهذا النوع من الرمى فى الصيد والرياضة حتى صار رماة البنادق فى زمن العباسيين طائفة كبيرة يخرجون الى ضواحى المدن للسباق وصيد الطير بها ، وروووا أن الرشيد كانت له فرقة من أصحابها اسمها « النمل » ، وأنها كانت تسير بين يديه ترمى البندق ، وأن الخليفة الناصر لدين الله جعل لرمى البندق شأنا كبيرا ، وأنه كان ولعا به وباللعب بالحمام المناسيب .. وجعل رمى البندق فنا لا يتعاطاه الا الذين يشربون كأس الفتوة ، ويلبسون سراويلها ، كما نجد أخبار ذلك مفصلة فى تأريخ ابن الأثير[٢] .

وفى تاريخ التمدن الاسلامى : « تفنن العرب فى رمى البندق بالمزاريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخرة الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق . فلما اخترع البارود ، صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب ؛ وسموا هذه الآلة بندقية نسبة اليه . ومن قبيل رمى البندق رمى النشاب فى البرجاس ، وهو غرض فى الهواء أو على رأس رمح أو نحوه يطلبون اصابته بالنشاب ... »[٣] .

ومنها المصارعة والركض والسباحة عنى العرب منذ الجاهلية بالمصارعة والسباحة والتسابق ركضا . وقد تفننوا فى ذلك ، وجعلوا لكل واحد منه شروطا وتقاليد تدل على عنايتهم به وبراعتهم فى اتقانه . وقد حفظ لنا ابن عبدوس الجهشيارى طرفا من أخبار ذلك فى كتابه « الوزراء » كما نجد تفصيلا لبعض آدابه وشروطها فى كتاب النفحات المسكية للحموى .

وفى أيام الخلفاء الراشدين والأمويين زادت عناية الناس بهذه المظاهر ، لما فيها من التنشيط وتقوية الجسم واعداد الأجسام الصحيحة للجهاد فى سبيل الله واعداد العدة للقاء العدو . أما أيام بنى العباس فقد انقلبت الى نوع من التسلية وازجاء الوقت واللهو . وقد فصل ذلك آدم متز فى كتابه عن الحضارة الاسلامية[٤] ، وكترمير فى كتابه تاريخ المماليك[٥] .

---

(١) تاريخ ابن الأثير (٣/٩٠) ، وتأريخ التمدن الاسلامى (٥/١٥٨) . والنفحات المسكية فى صناعات الفروسية لأحمد بن محمد الحموى طبع بغداد سنة ١٩٥٠م.

(٢) التأريخ (١٢/٢٠٢) . (٣) تأريخ التمدن الاسلامى (٥/١٥٩) .

(٤) ترجم كتاب الحضارة الاسلامية لآدم متز الأستاذ عبدالهادى أبو ريده وطبع بمصر أنظر (٢/٢٤٥) .

(٥) كتاب تاريخ المماليك للمسيو كاترمير بالفرنسية من أمهات الكتب فى موضوعه . أنظر (١/١١) .

ومنها الاحتفال بالأعياد الدينية والمواسم القومية كان العرب فى جاهليتهم يحتفلون ببعض الأعياد والمواسم ، ويظهر أن أعظم أعيادهم كانا اثنين . فقد روى المحدثون والمؤرخون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، ولأهلها يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ فقالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل قد بدلكم خيرا منهما : يوم الفطر ، ويوم الأضحى . فأول ما بدىء به من العيدين فى المدينة عيد الفطر ، وذلك فى سنة اثنتين من الهجرة ، وفيها كان عيد الأضحى أيضا[1] . ويقال : ان العيدين اللذين كانا فى الجاهلية هما المهرجان والنيروز كما ذكر ذلك السيد محمود شكرى الألوسى[2] . وقد كانت للجاهليين مواسم أخرى يعيدون فيها ويفرحون ، وهى مواسم الأسواق التى كانت لهم فى الجاهلية كأسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وكأعياد الفرس التى كان يحتفل بها متحمسة العرب ، وأعياد اليهود والنصارى التى كان يعيد فيها متهودو العرب ومتنصروهم .

فلما بزغت شمس الاسلام ، نهى الرسول عن الاحتفال بغير عيدى فطر شهر رمضان وأضحى يوم عرفة ، ويظهر أن الرسول الأعظم قد لاحظ أنه لابد لكل أمة من عيد يفرح فيه الصغير ، ويشرح به صدر الكبير ويروح فيه عن نفسه ؛ وأنه لابد لكل عيد من مناسبة ، وقد خشى الرسول أنه ان أبقى الاحتفال بذينك الموسمين الوثنيين أن يكون ذلك تنويها بشعائر الجاهلية ، فاستبدلهما بموسمين عظيمين : هما يوم انتهاء صوم رمضان ، ويوم وقوف الناس على عرفة . قال السيد محمود شكرى الألوسى : « وانما بدلا ـ أى عيد المهرجان والنيروز ـ لأنه ما من عيد فى الناس الا سبب وجوده تنويه بشعائر دين ، أو موافقة أئمة مذهب ، أو شىء مما يضاهى ذلك ، فخشى النبى صلى الله عليه وسلم ان تركهم وعاداتهم أن يكون هنالك تنويه بشعائر الجاهلية أو ترويج لسنة أسلافها فأبدلهما بيومين فيهما تنويه بشعائر الملة الحنيفية ، وضم مع التجميل فيهما ذكر الله وأبوابا من الطاعات ، لئلا يكون اجتماع المسلمين بمحض اللعب ، ولئلا يخلو اجتماع منهم من اعلاء كلمة الله .. ولما كان أصل العيد الزينة ، استحب حسن اللباس والتقليس ، أى ضرب

(١) أنظر نهاية الأرب (١/١٧٧) .

(٢) بلوغ الأرب ، طبعة بغداد (١/٤٠٤) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدفوف ، ومخالفة الطريق والخروج الى المصلى ... »[١].

وقال النويرى فى نهاية الأرب : « الأعياد الاسلامية التى وردت بها الشريعة اثنان: عيد الفطر وعيد الأضحى ... وعيد ابتدعه الشيعة وسموه عيد الغدير ، وسبب اتخاذهم له مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم غدير خم .. واليوم الذى ابتدعوا فيه العيد هو الثامن عشر من ذى الحجة ؛ لأن المؤاخاة كانت فيه سنة عشر من الهجرة وهى حجة الوداع ، وهم يحيون ليلتها بالصلاة ، ويصلون فى صبيحتها ركعتين قبل الزوال ، وشعارهم فيه لبس الجديد وعتق الرقاب وبر الأجانب والذبائح . وأول من أحدثه معز الدولة على بن بويه فى سنة ٣٥٢ هـ»[٢] .

ويظهر أن المسلمين عادوا بعد انقضاء عهد الخلفاء الراشدين الى الاحتفال ببعض أعيادهم القديمة وبخاصة النيروز والمهرجان والسدق . أما النيروز فهو أعظم أعياد الفرس، ويقال : ان أول من اتخذه جمشيد ، وسبب اتخاذه ـ فيما يزعمون ـ أن الملك طهمورث وكان ملكا عاتيا فلما هلك وملك بعده جمشيد سمى اليوم الذى ملك فيه (نوروز) أى اليوم الجديد . ومنهم من يزعم أنه اليوم الذى خلق الله فيه السموات والأرض وأنه كان معظما عند الفرس منذ أيام جمشيد ، ومنهم من يزعم أنه أول الزمان الذى ابتدأ فيه الفلك بالدوران ومدته ستة أيام أولها اليوم الأول من شهر (افريدون ماه) الذى هو أول شهور سنتهم . وأما المهرجان فوقوعه فى السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان وفى اليوم السادس عشر من (مهرماه) من شهور الفرس وهو ستة أيام ، ويسمى آخرها المهرجان الأكبر . قال المسعودى : « وسبب تسميتهم له بهذا الاسم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم ، وكان لهم ملك يسمى (مهر) يسير فيهم بالعنف والعسف ، فمات فى نصف الشهر الذى يسمونه (مهرماه) فسمى ذلك اليوم (مهرجان) ، وتفسيره « نفس مهر ذهبت » . وأما السدق ، فانه يعمل ليلة الحادى عشر من شهر (بهمن) ، ويسمى هذا اليوم عندهم (ابان روز) لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم اسما .. ويقال : ان سبب اتخاذهم له أن الأب الأول ـ وهو عندهم كيومرث ـ لما كمل له مئة ولد ، زوج الذكور بالاناث ، وصنع لهم عرسا أكثر فيه من اشعال النيران، فوافق ذلك الليلة المذكورة ، واستنه الفرس بعده .

---

(١) بلوغ الأرب (١/٤٠٤ وما بعدها) .

(٢) نهاية الأرب (١/١٧٧ وما بعدها) .

وقد ظل المسلمون يحتفلون بهذه المواسم ، وبخاصة فى فارس والعراق أيام الدولة العباسية ، وذلك بخروجهم الى المنازه والبساتين ، ولبس الجديد ، والتقليس ، وايقاد النيران والشموع ، والغناء والرقص . قال الشاعر البغدادى ابن الحجاج فى قصيدة طويلة يمتدح بها عضد الدولة ابن بويه :

مولاى يا من نداه يعدو ... ففات سبقا وليس يلحق
ليلتنا حسنها عجيب ... بالقصف والعزف قد تحقق
لنارها فى السما لسان ... عن نور ضوء الصباح ينطق
والجو منها قد صار جمرا ... والنجم منها قد كاد يحرق
ودجلة أضرمت حريق ... بألف نار وألف زورق
فماؤها كله حميم ... قد فار مما غلى وبقبق

وقال أبو القاسم المطرز من قصيدة فى وصف الاحتفال بمدق عمله السلطان ملكشاه السلجوقى أشعل فيه الشموع فى السميريات بدجلة فى سنة ٤٨٤ هـ :

وكل نار على العشاق مضرمة ... من نار قلبى أو من نبلة المدق
نار تجلت بها الظلماء فاشتبهت ... بسدفة الليل فيها غرة الفلق
وزارت الشمس فيها الليل واصطلحا ... على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الأرض بسطا من جواهرها ... ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا أنها نزلت ... من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسعرها ... ومالك قائم منها على فرق !

وكان من عادتهم فى هذه المواسم أن يخرجوا الى البساتين والمنتديات العامة ، فيتنسحون ويتبادلون الهدايا والتحف ، ويلبسون أفخر الثياب وأغلى الحلل وأثمنها . قال السيد الألوسى : « وكانوا فى مواسمهم وأيامهم يتزينون بأحسن الثياب والملابس المفتخرة والحلل المثمنة والبرود المعجبة ، والفرسان منهم يتسابقون على الخيل ، والأجواد يسيرون (أى يلعبون بالميسر) ، وصبيانهم يلعبون أنواعا من الملاعب ـ قد استوفاها صاحب القاموس ـ ويزمرون ، وبالدفوف والمزاهر يتقرون ، ونحو ذلك مع التغنى بأراجيز وأبيات من الشعر ... »[1] وكانوا يوزعون الأموال والصدقات على الفقراء وأهل الحاجة ، كل بحسب قدرته ، وكان الخليفة يمنح عطاياه وهداياه للمقربين من خاصته ورجاله ،

(١) بلوغ الأرب .

وكذلك كان يفعل الأعيان والوزراء ، وبخاصة في النيروز ، فقد كانوا يحتفلون فيه احتفالات جد لطيفة ، وربما سمح بعض الخلفاء لجماعات من المضحكين وأصحاب السماجات (المساخر) أن يظهروا في حضرته أو في الميادين العامة . وكانوا يسمحون أن يضرب بعضهم بعضا بالجلود والأنطاع . أما الفقراء وسواد الشعب ، فقد كانوا يفعلون ذلك في الشوارع والميادين . وأما الأغنياء فقد كانوا يفعلون ذلك في دورهم وحدائقها . وكان الشرط لا يعترضون على ذلك . وان غلط أحد الأغنياء أو الكبراء وخرج من قصره في ذلك اليوم ، لقيه الغوغاء فرشوه بماء ، وجلدوه ، وأفسدوا ثيابه ، واستخفوا بحرمته[١] . أما يوم المهرجان - وهو عيد الدخول في الشتاء - فهو أكبر الأعياد بعد النيروز ، وقد كانوا يتهادون فيه أيضا ، ويفرحون بمقدمه . وفي الأدب العربي نثر وشعر كثير عن احتفال الناس بهذه الأعياد[٢] .

ومنها تلعيب الخيال هو شبيه بما نسميه اليوم في ديار الشام ومصر والعراق بـ (قره كوز) أو (كركوز) ، وهو أن يمثل بعض الأشخاص والحيوان على تماثيل من الجلد أو الورق المقوى ، وتنصب خيمة تلعب من ورائها هذه التماثيل ، ويقص على الناس ملعبها أقاصيص وخرافات ، ويقلد حركات بعض الناس من خاصة وسوقة . وقد ذكر آدم متز في كتابه الحضارة الاسلامية أن هذه الملاعيب كانت معروفة في العصر الذي نؤرخه ، وأنهم كانوا يمثلون بعض الأشخاص على أشكال مضحكة ، ويقلدون حركاتهم وأقوالهم وبعض أحوالهم[٣] .

ومنها المسامرة بالقصص وسرد الطرف وهذا النوع من التسلية قديم جدا عرفه الانسان في أقدم عصوره ، وركن اليه الصغار والكبار ، لما فيه من الترويح عن النفس وتسلية القلب المحزون واضحاك النفس المنكمشة .

روى ابن هشام في السيرة النبوية أن صفوان بن أمية كان ممن دخل بلاد فارس ، وتعلم من أقاصيصهم وخرافاتهم وأسمارهم ، وجاء الى مكة يحدث الناس بها ويرويها لهم في نواديهم ومجالسهم العامة .

---

(١) أنظر الحضارة الاسلامية (٢/٢٤٥) .

(٢) أنظر الفصل الممتع المفيد الذي كتبه الامام ابن تيمية في كتابه النفيس « اقتضاء الصراط المستقيم » عن الأعياد وبدعها .

(٣) الحضارة الاسلامية (٢/٢٢١) .

وقد كتب العرب ، منذ فجر عصر التأليف ، فى هذا النوع من السمر . قال ابن النديم فى الفهرست : « ابتدأ أبو عبدالله الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ... وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة فى الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه ... »[١] . وقد نقل آدم متز عبارة ابن النديم وعلق عليها بقوله : « وهذه القصص هى من نوع يغاير كل المغايرة القصص القديمة التى ألفها ابن قتيبة وابن عبدربه ، ففيها نجد لأول مرة الأسلوب القصصى الاسلامى»[٢] ، ويريد بذلك ما يرويه صاحب عيون الأخبار والعقد من الخرافات والأقاصيص التى رواها عن العرب ، وهى فى الواقع قصص موجزة ليس فيها التسلسل المطلوب فى القصة ولا الابداع القصصى ولا الأسلوب السمرى كالذى نجده فى قصة ألف ليلة وليلة ، فانا لا نعرف مؤلفا عربيا قبل ابن عبدوس سلك هذا المسلك ، الا اذا اعتبرنا ما نقله مؤرخو الأدب العربى من أن جماعة من قدماء مصنفى العرب قد ألفوا قصصا فى عشاق الجاهلية والاسلام ، مثل عيسى ابن دأب والشرقى بن القطامى وهشام بن الكلبى والهيثم بن عدى وغيرهم ممن روى عنهم أنهم ألفوا قصصا فى أخبار جميل بثينة وكثير عزة وقيس لبنى ومجنون ليلى وتوبة ليلى وغيرهم ممن ذكرهم ابن النديم فى الفهرست[٣] ، ولكن هذه الآثار قد ضاعت فلم تعرف طريقة كتابتها . وهناك نوع من كتب الأسمار والمنادمات وقصص المجالس ، ألفها جماعة من متقدمى المؤلفين ، وانتشرت بين العامة ، يقرؤونها ، ويتسامرون بأخبارها وفكاهاتها ، من ذلك ما رووا من أن ابن خرداذبه الجغرافى عبيدالله بن أحمد ألف كتابا اسمه « الندماء والجلساء » جمع فيه طرفا من آداب الندماء ومسامراتهم وقصصهم ، وله كتاب اسمه « اللهو والملاهى »[٤] ذكره ابن النديم فى كتابه الفهرست ، ولكن لم أر من أشار الى وجوده . وهناك جماعة من المؤلفين ذكر ابن النديم والحاج خليفة آثارهم ، ولكنها كلها مفقودة . فمن أولئك :

يحيى بن أبى منصور الموصلى الأديب ـ ألف كتاب الأغانى ، كتاب المعاريض ، كتاب الطبيخ ، كتاب العود والملاهى[٥] .

على بن مهدى الكسروى المؤدب ـ ألف كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغى أن

(١) الفهرست (ص ٢١٣) .
(٢) الحضارة الاسلامية (١/٤١٩) .
(٣) الفهرست (ص ٤٢٥) .
(٤) الفهرست (ص ٢١٣ ـ ٢٥١) .
(٥) الفهرست (ص ٢١٦) .

يقتدى القضاة فى مطاعمهم بالأئمة والخلفاء ، وله أيضا « كتاب الأعياد والنوادر »[١] .

أبو بكر محمد بن يحيى الصولى العالم الظريف النديم ـ ألف كتبا فى الأسمار والأقاصيص ، ذكرها ابن النديم فى الفهرست[١] .

أبو عبدالله محمد بن أحمد الحكيمى ـ ألف كتاب الفكاهة والدعابة[١] .

أبو العنبس محمد بن اسحاق الصيمرى النديم المزاح الفكه ـ قال ابن النديم : كان من أهل الفكاهات والمراطزات[٢] ، وكان مع ذلك أديبا عارفا بالنجوم ... أدخله المتوكل فى جملة ندمائه ، وخص به ، له كتاب هندسة العقل ، وكتاب الأحاديث الشاذة ، وكتاب السحاقات واليعامير ، (الذين يجلدون عميرة) ، وكتاب الخضخضة فى جلد عميرة ، وكتاب القواد .

أبو حسان محمد بن حسان ـ نديم المتوكل ، وله كتاب قصص النساء والباه ، وكتاب البغاء ، وكتاب السحق .

أبو العبر محمد بن أحمد بن عبدالله العباسى القرشى (ـ٢٥٠) ـ قال جحظة : لم أر أحفظ منه لكل عين ، ولا أجود شعرا ، ولم يكن فى الدنيا صناعة الا وهو يعملها بيده حتى لقد رأيته يعجن ويخبز ، وكان أبوه يلقب بالحامض ، حافظا أديبا ، وكان فى نهاية النصب واللعنة ، قتله قوم من الرافضة سسعوه يتناول عليا ، ومن شعره :

زائر نم عليه حسنه كيف يخفى الليل بدرا طلعا

أمهل الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا

ركب الأهوال فى زورته ثم ما سلم حتى ودعا

وله كتاب جامع الحماقات ومأوى الرقاعات ، وكتاب النوادر .

أبو القاسم على بن محمد بن الشاه الظاهرى ـ من أولاد ابن ميكال ، كان أديبا طيبا مفاكها ، له كتاب أخبار الغلمان ، كتاب النساء ، كتاب الخبز والزيتون ، كتاب حرب اللحم والسمك ، كتاب البغاء ولذاته ، كتاب الخضخضة .

أحمد بن محمد بن علوجة السجزى ـ كان طنبوريا ، أحد الظرفاء والمتطايبين ، يلقب بالريح ، ويعرف بجراب الدولة . وله من الآثار كتاب النوادر والمضاحك فى سائر الفنون والنوادر ، ويسمى هذا الكتاب أيضا ترويح الأرواح ومفتاح السرور

---

(١) الفهرست (ص ٢١٦) .

(٢) هكذا فى الأصل ، ولعلها محرفة عن (المطانزات) من الطنز وهو السخرية ، ذكر فى القاموس . وقال الجوهرى : أظنه مولدا أو عربيا .

والأفراح وهو كتاب كبير[١] .

ومنها الصيد والطرد حض العرب فى الجاهلية والاسلام أبناءهم على تعلم الفروسة ، ومن أروع ما قيل فى الحض عليها قول عمر وقد كتب به يوصى أبناء العرب فيما يجب أن يتصفوا به : « ائتزروا ، وارتدوا ، وانتعلوا ، وألقوا الخفف ، وارموا الأغراض ، والقوا الركب ، وانزوا نزوا على الخيل ، وعليكم بالمعدية ، ودعوا التنعم وزى العجم ، ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ، واطلبوا لحمان الصيد فانها أهنأ وأمرأ .. » وقد كان العرب منذ القديم متقنين فى حيله ، عارفين بمخاتله ، يعتمدون عليه فى غذائهم اعتمادا كثيرا ، لسوء حال أرضهم ، وفقر ديارهم . قال السيد الألوسى : « وكان الاصطياد ديدنهم وسيرة فاشية فيهم ، حتى كان ذلك أحد المكاسب التى عليها معاشهم . وكان لهم شغل شاغل عن الاعتناء بأمر المآكل لاضطرارهم الى النقلة فى الغالب لرعى مواشيهم وغزو بعضهم بعضا . وأما ما كان يتعاطاه غيرهم من التأنق فى الأطعمة المتنوعة والألوان الشهية ، فلم تكن العرب تعرفها .. »[٢] .

أما آلات الصيد التى كانوا يستعملونها ، فهى النبال والفخاخ . ولما اتصلوا بالفرس والروم والأنباط والأقباط ، توسعوا فى طرائق الصيد ، ونفننوا فى استعمال الآلة وفى أساليب قنصه ، واتخذوا الجوارح من الطير والوحش كالباز والشاهين والعقاب والصقر والفهد والكلب ، فعلموها الصيد ، وضروها عليه ، ودربوها على اتقان ضروبه . وأول من اشتغل من الخلفاء بهذه الأشياء يزيد بن معاوية ، فقد ذكروا أنه كان صاحب صيد وجوارح وفهود وقرود[٣] وما الى ذلك . وفى أيام بنى العباس بلغ فن آلات الصيد والطرد ذروته ، لرسوخ أقدام الأمراء والوجوه فى هذا الباب من اللهو ، وبذلوا الأموال فى تأديب الجوارح وتعليم الكلاب والفهود ، ووجدت طبقة من الناس تربى هذه الحيوانات وتتعهدها ، منها : البازرة ، والحجالون ، والفهادون ، والصقارون ، والكلابون .

وأما آدابه وآيينه ، فكثيرة عريقة منذ الجاهلية ؛ لأن العرب ـ كما رأيت ـ كانوا يهتمون بهذه الرياضة منذ أيام امرىء القيس وصحابته . فلما جاء الاسلام ، أقر هذه الرياضة المحببة ، وشجع عليها . وفى العصر الأموى صار لها شأن وأى شأن ، فقد ازداد ولع الأمراء والخاصة بها ، وكان بعضهم كهشام والوليد ويزيد عاكفين عليها ، حتى انهم

(١) الفهرست (ص ٢١٨) . (٢) بلوغ الأرب (١/٤٢٣) .
(٣) الفخرى (ص ٤٩) .

كانوا يبنون القصور الفخمة على أسياف البادية خصيصا لتنسم عبير الصحراء والصيد والاستجمام • فلما جاء خلفاء آل العباس ، ازداد فتونهم بها ، واهتموا بالصيد وآينه اهتماما عظيما كما نجد فى مقدمة كتاب المصايد والمطارد لكشاجم ، وكتاب البيزرة ، اللذين سندرسهما دراسة مفصلة •

أما أدب الصيد ، فكثير منذ العصر الجاهلى • وقد حفظت لنا دواوين الأدب والشعر ومجموعاتهما كثيرا من طرائف الطرديات • فلما جاء الاسلام ، وبعده العصر الأموى ، افتن الشعراء فى وصف رحلات الصيد ، وأتوا بضروب كثيرة من وصفه ورحلاته •وأول من أكثر القول فيه من محدثى العصر العباسى ، أبو نواس ، فقد ألف فى ذلك قصائد كثيرة وأراجيز أكثر • وطردياته مشهورة ممتعة ، برع فيها فى وصف كلاب الصيد وحيواناته وفنونه ورحلاته وما يجرى فيها من لهو ومرح ورياضة(*)•

وأما الآثار التى ألفت فى الصيد والطرد وما اليه ، فكثيرة ذكرها ابن النديم فى الفهرست والحاج خليفة فى كشف الظنون ، ولكن أكثر هذه الآثار قد ضاع • ولعل أقدم من ألف فى هذا الفن فيما نعلم هو اللغوى المشهور أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٤-٢١٠) ، فقد ذكر له ابن النديم كتابين : أحدهما كتاب (الباز) ، والآخر كتاب (الحمام) • وهذان الكتابان ، وان كنا لم نرهما ونجهل ما بحثه أبو عبيدة فيهما ، فان مما لا شك فيه أنهما كانا يشتملان على بحوث لغوية ونكات أدبية وأخبار تاريخية تتعلق بالباز والحيوانات الصائدة وما اليها(١) • وللأصمعى (-٢١٧) أيضا « كتاب الوحوش »(٢) ، ولأبى حاتم السجستانى (- ٢٥٥) كذلك كتاب فى الوحوش(٢) ، وآخر فى الطير ، وثالث فى الحشرات ، ورابع فى القسى والنبال والسهام والسيوف والرماح(٢) •• ونحن ، وان كنا لم نر شيئا من هذه الآثار ، نكاد نجزم بأنها كتب غلبت عليها المسحة اللغوية والأدبية ككل ما حفظ من آثار هؤلاء المصنفين • أما الناحية الفنية ، فلا نعتقد أنهم حوموا حولها • ولعل أول من ألف فى هذا الفن من الناحية الفنية هو (كشاجم) صاحب المصايد والمطارد كما سنرى • ثم كتاب البيزرة لمؤلف مجهول • ثم كثرت من بعد التآليف فى هذا ، ولكنها مفقودة نجد بعض أسمائها فى كشف الظنون أو الفهرست ، مثل كتاب " أنساب الحمام » ، و « كتاب ما ورد فى تفضيل الطير الهادى » لابن طرخان على بن حسن

(*) من أنفس المجموعات الأدبية التى حوت مقطوعات رائعة فى أدب الصيد كتاب ربيع الأبرار للزمخشرى ، والجزء الثانى من كتاب الزهرة للأصفهانى •

(١) أنظر كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٨٠) • (٢) الفهرست (ص ٨٢) •

المغنى[1] ، وكتاب المصايد للطبيب عيسى الرقى أحد أطباء سيف الدولة الحمدانى ، وكتاب الصيد للخالديين ، والأرجوزة المسماة « الفريدة فى أدب الصيد » لابن عبدالخالق(؟) ، وغير ذلك من الكتب التى ضاعت وبقيت لنا أسماؤها . أما الآثار الباقية من هذا الصنف ، فهى : كتاب « المصايد والمطارد » لكشاجم ، و « كتاب البيزرة » ، و « أرجوزة ابن نباتة » ، القسم الأخير من كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ ، وقصيدة ابن عبدالجبار النحيجى (ـ٩٢٠) . وهاك تعريفا مفصلا بكل واحد من هذه الكتب :

المصايد والمطارد لكشاجم : عثرت فى أثناء تنقيبى عن نفائس خزائن الكتب العربية فى ايران (سنة ١٩٤٦م) على نسخة نفيسة من كتاب المصايد والمطارد لكشاجم ، فاقتنيتها ، وحرصت على العناية بها لعلمى بقيمتها الأدبية والفنية ، وهى نسخة جد نفيسة مكتوبة بقلم نسخى مضبوط فى الغالب . وهو فى ٢٨٠ ورقة بحجم ٥ر١٨ × ٥ر١٢س/. وقد تصفحت الكتاب مرات ، فأعجبت به ، وانصرفت الى دراسته وتحقيقه بغية نشره ، وأرجو الله العظيم أن يوفقنى لنشره فى القريب بحوله وقوته .

أما مؤلفه ، فهو الشاعر الظريف المعروف « بكشاجم » . وقد عاش فى عصر من أزهى عصور الأدب العربى فى بلاد الشام ، ألا وهو عصر سيف الدولة بن حمدان الذى ازدهرت الآداب والفنون فى زمانه ، وأثمرت دوحة العلم والفن برعايته ، ولا عجب فان بلاطه قد كان من خير البلاطات ، بل كان أزهر بلاط فى عصره . فالمتنبى شاعره ، وأبو فراس الحمدانى غذى نعمته ، وأبو العباس النامى وأبو الفرج الببغاء والوأواء الدمشقى والخالديان الموصليان وابن نباتة السعدى كانوا من ندماء مجلسه الأدبى ، ويطول بنا البحث اذا رحنا نعدد كل من كان فى بلاطه من أدباء وشعراء ومصنفين وحكماء . يقول الأستاذ أحمد أمين : " وحسبنا أن نقول : ان هذا الجو الذى خلقه سيف الدولة ، حث كل من كان عنده شاعرية على قول الشعر والاجادة فيه ، فقيه المكتبة صارا شاعرين ، وبائع البطيخ وهو الوأواء صار شاعرا ، وكشاجم قالوا انه كان طباخ سيف الدولة ، ومع هذا كان شاعرا ظريفا . له ديوان ، وأدب النديم ، وخصائص الطرب ، والمصايد والمطارد ؛ ثم كان من أشهر خطباء سيف الدولة ابن نباتة الفارقى صاحب الخطب المشهورة وامتلأت خطبه بالدعوة الى الجهاد . ثم كان فى بلاطه من يعد من أشهر المغويين والنحويين فى

(١) الفهرست (ص ٢٢٢) .

زمانه أبو علي الفارسي وابن خالويه وابن جني .. والفيلسوف الفارابي . وكان حوله من الأطباء أربعة وعشرون طبيبا ، منهم عيسى الرقي »[١] .

في هذا المحيط العلمي الفني عاش كشاجم ، وكان هو وشاعر الشام في عصره ، محمد بن أحمد الأنطاكي المعروف بالصنوبري (ـ٣٣٤)[٢] أمين خزانة سيف الدولة قبل الخالديين ، صديقين متحابين ، وكانا شاعري الشام في عصرهما . وكان الصنوبري سيدا وجيها ، وشاعرا مجليا ، وصافا للجنان والأزاهير والرياض والغياض ، ولوعا بوصف السماء والضياء والماء والهواء ، والثلج والفاكهة . وقد كان للصنوبري تأثير كبير في صديقه كشاجم ، وقد عبر كشاجم عن تلك المودة بقوله يخاطب صديقه :

أتنسى زمنا كنا به كالماء والخمر ؟
أليفين حليفين على الايسار والعسر
مكبين على اللذا ت في الصحو وفي السكر
نرى في فلك الآدا ب كالشمس وكالبدر
كما ألفت الحكمة بين العود والزهر[٣]

وقد سار كشاجم على طريقة صديقه في وصف الطبيعة ومجاليها ، والحياة وملاذها[٤] . والحق أن الصنوبري وكشاجم كانا ريحانتي الأدب في ديار حلب في تلك الفترة ، وقد انتشر صيت كشاجم في أرجاء العالم الاسلامي منذ زمن مبكر ، وقدره الناس حق قدره ، حتى قال أبو منصور الثعالبي في أثناء كلامه على أبي اسحاق الصابي : « وفيه يقول بعض أهل العصر :

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم يهمى على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكأس مدامة ورسائل الصابي وشعر كشاجم»[٥]

كشاجم ـ هو أبو الفتح محسود (بن محمد) بن الحسين بن السندي بن شاهك، ولا نكاد نعرف من أوليته شيئا مقطوعا به . وأقدم من ترجمه فيما بين يدينا من مصادر

---

(١) ظهر الاسلام (١/١٧٥ ـ ١٨٧) .

(٢) أنظر مقالة شيخنا كامل الغزي في مجلة المجمع العلمي العربي (١١/٤٨٢) ، وديوان الروضيات الذي نشره الأستاذ راغب الطباخ بحلب .

(٣) الروضيات (ص ٧٤) . (٤) أنظر الفصل المطول الذي كتبه آدم متز عن ذلك في كتاب الحضارة الاسلامية (ص ٤٣٠) .

(٥) يتيمة الدهر ، الطبعة الأولى (٢/٤٢) .

هو ابن النديم صاحب الفهرست ، فقد عده فى طبقة الكتاب والخطباء والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين ، ولكن ترجمته موجزة لا تزيد على قوله فيه : « هو أبو الفتح محمود بن الحسن ، وأدبه وشعره مشهور ، وله من الكتب : أدب النديم ، وكتاب الرسائل ، وديوان شعره » . ويقول ابن خلكان (-٦٨١) فى أثناء كلامه على السرى الرفاء الشاعر : « كان مغرى بنسخ ديوان أبى الفتح كشاجم الشاعر المشهور ، وهو اذ ذاك ريحان الأدب بتلك البلاد ، والسرى فى طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب ، فكان يدس فيما كتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ليزيد فى حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلى سعره ، ويشنع بذلك عليهما ، ويغض منهما ، يظهر مصداق قوله فى سرقتهما . فمن هذه الجهة وقعت فى بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست فى الأصول المشهورة ... »[1] . وقد نقل ذلك عن الثعالبى فى اليتيمة فى ترجمة السرى وأخباره ، ويزيد الثعالبى على ما أورده ابن خلكان قوله : « وقد وجدتها (أى الزيادات التى ألحقها السرى من شعر الخالديين بشعر كشاجم) كلها للخالديين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد ، فى مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسى ببغداد أبا نصر بن سهل ، وأنفذها الى نيسابور فى جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب باسمه »[2] . قلت : ومن الغريب أن صاحب اليتيمة لم يترجم لكشاجم فى اليتيمة ، ولا التتمة ، على ما رأيت من اعترافه بفضله ، واستشهاده بشعره غير مرة ، ولعل ترجمته سقطت من النسخ المتداولة . ويقول الجلال السيوطى (-٩١١) : « كشاجم اسمه محمود بن محمد بن الحسين بن السندى بن شاهك ، يكنى أبا نصر . وقال صاحب سجع الهديل : « كان أقام بمصر مدة فاستطابها ، ثم رحل عنها فكان يتشوق اليها ، وعاد اليها فقال :

قد كان شوقى الى مصر يؤرقنى فالآن عدت وعادت مصر لى دارا »[3]

ويقول ابن العماد صاحب الشذرات (-١٠٨٩) : « أحد فحول الشعراء ... المجيدين والفضلاء المبرزين حتى قيل ان لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها ، فالكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف من الانشاء ، والجيم من الجدل ، والميم من المنطق . وكان يضرب بملحه المثل ، وقال بعضهم فى ترجمته : هو من أهل الرملة من نواحى فلسطين ، وكان رئيسا فى الكتابة ، ومقدما فى الفصاحة والخطابة ، له تحقيق يتميز به

---

(١) وفيات الأعيان (١/٢٠١) . (٢) اليتيمة (١/٤٥١) .
(٣) حسن المحاضرة ، الطبعة الحجرية (١/٢٥٧) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على نظرائه ، وتدقيق يربى به على أكفائه ، وتحديق فى علوم التعليم أضرم فى شعلة ذكائه ، فهو الشاعر المفلق ، والنجم المتألق ، لقب نفسه كشاجم ، فسئل عن ذلك ، فقال : « الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد ، والميم من منجم » . وكان من شعراء أبى الهيجاء عبدالله بن حمدان والد سيف الدولة ، قيل : انه كان طباخ سيف الدولة ، شعره أنيق ، وأرج مدوناته فتيق ، منها (كذا) كتاب المصايد والمطارد ، وقال فى تثقيف اللسان : كشاجم لقب له جمعت حروفه من صناعته ، ثم طلب علم الطب حتى مهر فيه ، وصار أكبر علمه ، فزيد فى اسمه طاء من طبيب وقدمت فقيل طكشاجم ، ولكنه لم يشتهر »[١] .

ونخلص مما تقدم كله الى أنه رملى الأصل . ولكن لا ندرى متى جاء الرملة ، ولا متى ولد . مع أن آباءه وقومه كانوا فى العراق وفى بغداد بصورة خاصة ـ اذا صحت نسبته للسندى بن شاهك . وقد كان السندى هذا من رجالات الدولة العباسية المعدودين . وكان صاحب الحرس ووالى الجسرين ببغداد فى عهد الرشيد ، وقد كلفه الرشيد بمراقبة قصور البرامكة بعد الفتك بهم[٢] . وقال ابن خلكان فى ترجمة موسى الكاظم : « ان الرشيد حبسه ، وكان الموكل بمدة حبسه السندى بن شاهك جد كشاجم »[٣] . ويذكر ابن طيفور (ـ ٢٨٠) صاحب كتاب بغداد أن السندى بن شاهك كان من المقربين لدى المأمون أيضا ، وأنه كان جهورى الصوت لا يقدر أن يتكلم سرا[٤] ، وأن وفاته كانت بعد دخول المأمون بغداد بأربعة أشهر وأيام[٥] . ويذكر الجاحظ السندى بن شاهك فى البيان والتبيين ، وينقل عن ابنه ابراهيم بن السندى بعض الأخبار الخاصة بالأمراء والخلفاء العباسيين ، ويقول : ان ابراهيم كان مقربا من المأمون[٦] ، يفشى اليه بأسراره ، ويستشيره فى أموره ، وأنه ولاه (الخبر) بمدينة السلام ، فكان يأتيه بأخبار الناس وأحوالهم ، وأنه اشترك فى قتل الأمين مع الفضل بن الربيع وبكر بن المعتمر[٧] . ويقول عن السندى بن شاهك : انه من وجهاء العصر العباسى وأمرائه الذين كانت لهم مكانة وصولة فى ذلك العصر ، وانه كان ممن تولى امارة الشام ، وانه كان يسوى بين القحطانى والعدنانى ، وانه قال مرة : لسنا نقدمكم الا على الطاعة لله والخلفاء ، كلكم أخوة،

(١) شذرات الذهب (٣/٣٧) . (٢) الوزراء للجهشيارى (ص ٢٣٦) .
(٣) وفيات الأعيان (٢/١٣٢) . (٤) كتاب بغداد لابن طيفور ، طبعة مصر (ص ١٧) . (٥) المصدر السابق (ص ١٨٧) . (٦) البيان والتبيين ، طبعة السندوبى (٢/٢٦١) . (٧) المصدر السابق (٢/٢٢) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس لنزارى عندى شىء ليس لليمانى . وكان يتغدى مع جملة من جلة الفريقين[١] . وكان للسندى هذا ولدان : أحدهما الحسين جد شاعرنا ولا نكاد نعرف من أخباره شيئا ، والآخر ابراهيم وكان من الأمراء الفضلاء والشيوخ النبلاء الذين نقل الجاحظ عنهم كثيرا فى كتبه كلها ، وقال عنه : « كان عالما بأخبار الدولة ، شديد الحب لأبناء الدعوة (العباسية) . وكان يحوط مواليه (العباسيين) ، ويحفظ أيامهم ، ويدعو الناس الى طاعتهم ، ويدرسهم مناقبهم . وكان فخم المعانى ، فخم الألفاظ ، لو قلت ان لسانه آرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهير وسنان طرير ، لكان ذلك قولا ومذهبا»[٢] . وكان كثير الثناء عليه[٣] ، وقد عده فى كتاب الحيوان من الأطباء والفلاسفة والمتكلمين ، ونقل عنه فصلا دقيقا لطيفا عن حاسة الشم رواه عن أبيه[٤] . وقد زعم بعض الأدباء المعاصرين أن كشاجم ليس له علاقة بآل شاهك هؤلاء ، وانما هو سندى الأصل توهم بعض مؤرخيه فنسبوه اليهم . أقول : وهذه الدعوى باطلة لا يؤيدها برهان ؛ لأن المسعودى (-٣٤٦) كان معاصره . وقد نقل عنه بعض الأخبار الأدبية والتاريخية فى المروج وسماه باسمه ونسبه الى آل شاهك ، وقال عنه : « كان من أهل الفضل والعلم والدراية والمعرفة والأدب »[٥] ، وكذلك قال عنه ابن خلكان كما رأيت . وقد افتخر هو بنسبه الفارسى العريق ، ونبل أسرته ومكانتها ، وولائه للعباسيين فقال :

قومى بنو ساسان لي ... س حسامهم بالمستباح
العاقدى التيجان تض ... حك عن وجوههم الصباح
وولاؤنا للغر من ... سادات معتلج البطاح

أما حياته فتكاد تكون أخبارها مجهولة الا قليلا ، وانا لم نر أحدا أشار الى السنة التى ولد فيها ، وكل ما قالوه عنه انه من أهل رملة فلسطين ، وانه لقب لذلك بالرملى[٦] . ولكن متى كان ذلك ، وكيف ، وكم ظل فيها ؟ كل هذه أمور مجهولة . وفى ديوانه قصيدة قالوا انه مدح بها الرشيد ، ومعلوم أن الرشيد مات سنة ١٩٣ هـ ، ولا شك عندى فى أن هذه القصيدة هى لأحد آل شاهك ممن كانت لهم صلة بالرشيد كما رأيت ، وقد نسبها جامعو الديوان اليه غلطا . وقالوا انه اتصل بأبى الهيجاء عبدالله بن حمدان والد سيف

---

(١) الحيوان : تحقيق الأستاذ هارون (٥/٣٩٣) . (٢) البيان والتبيين (١/١٣٠) .
(٣) المصدر السابق (١/٢٦٦) . (٤) الحيوان : تحقيق الأستاذ هارون (٤/٤٢٥) .
(٥) المروج ، طبعة باريس (٨/٣١٨) . (٦) شذرات الذهب ٣/٣٧ تاريخ آداب اللغة العربية (٢/٢٥١) .

الدولة ومدحه ، ثم صار فى أيام سيف الدولة من جملته ، بل زعم بعضهم أنه صار صُباحه كما سلف . وأبو الهيجاء هلك فى سنة ٣١٧ هـ ، ولم يدخل حلب أميرا ، بل كان أمير الموصل وأعمالها للخليفة المكتفى بالله سنة ٢٩٣ هـ ، ثم عزل عنها ، ثم أعيد فى سنة ٣١٧ هـ الى أن قتل[١] . ولا يعقل أن يتصل بأبى الهيجاء وله من العمر أقل من عشرين سنة ، فيكون مولده على هذا فى أواخر المئة الثالثة . أما سيف الدولة (٣٠٣-٣٥٦هـ) فقد تملك على حلب من سنة ٣٣٣ هـ الى أن مات سنة ٣٥٦ هـ ، وقد أقام كشاجم بعض هذه الفترة بحلب فى حمى سيف الدولة الى جانب صديقه الصنوبرى كما رأيت . وهم يذكرون أيضا أن كشاجم رحل الى مصر ودخلها فى سنة ٣٣٩ هـ أيام كان قاضيها أبو بكر عبدالله ابن محمد الخصيبى ، وقالوا : ان الناس كانوا يشكون من سوء معاملات هذا القاضى الذى استمر فى قضائه الى سنة ٣٤٧ هـ ، فهجاه بعد وفاته . يقول ابن حجر العسقلانى فى رفع الاصر : وكانت وفاة الخصيبى بعد أن بنى داره الكبيرة المعروفة بابن شعيرة ، وكان اشتراها من محمد بن أبى بكر وعمرها ، فعمل فيه كشاجم[٢] .

اشترى الدار الكبيره ودعا فيها الوكيره
صغر الباب وفى تصـ ـغيره أشأم طيره
قبره لا شك فيها بعد أيام يسيره

ويظهر أن كشاجم كان يتردد على مصر ، وليست هذه هى المرة الوحيدة التى زارها فيها ، ففى ديوانه قطع يحن فيها الى مصر ، من ذلك قوله :

أما ترى مصر كيف قد جمعت بها صنوف الرياض فى مجلس ؟
السوسن الغض والبنفسج والنـ ـد وصفر البهار والنرجس

وقال :

قد كان شوقى الى مصر يؤرقنى فاليوم عدت وعادت مصر لى دارا

أما أكثر اقامته ، فقد كان فى حلب ، وفيها تلقى العلم عن بعض شيوخها ، فقد حدثنا فى كتاب المصايد أنه كان بها فى سنة ٣٠٤ هـ ، وأنه تلقى فيها عن الشيخ ابراهيم ابن جابر دروسا فى الحديث والفقه . ويظهر أنه أفاد كثيرا من هذا الشيخ ، فقد تجلت لنا سعة ثقافته الفقهية والمناقشات الدينية من المباحث المطولة التى ذكرها فى صدر كتابه

(١) ابن الأثير : حوادث سنة ٣١٧ وما قبلها . (٢) ذيول كتاب الولاة والقضاة للكندى ، طبعة جيب .

المصايد من أحكام الصيد وبيان حلاله وحرامه . وشيخه ابراهيم هـذا هو الفقيـه أبو اسحاق البغدادى الحلبى (ـ٣١٠هـ) كان من كبار شيوخ العلم ببغداد ، وكان ثقة اماما فاضلا ، له مصنف فى اختلاف الفقهاء جم المنافع . وهو أحد الأربعة الذين اجتمع لهم الفقه والحديث بشهادة الخطيب البغدادى[١] . وان ما نجده فى كتاب المصايد والمطارد من المناقشات الدينية والأحكام الشرعية والبحوث الفقهية المستفيضة لدليل قوى على تمكنه فى العلم وحسن استفادته من شيخه أبى اسحاق . وقد ذكر كشاجم فى كتابه هذا أن كل ما رواه فى كتابه من بحوث الفقه والحديث واختلاف الأقوال مأخوذ عن شيخه الامام أبى اسحاق بحلب سنة ٣٠٤ هـ .

وهم يذكرون أيضا أن كشاجم اتصل بأبى الهيجاء فمدحه وأكثر من الاشادة بفضله والدعاية له[٢] . ويظهر أنه ظل مع أبى الهيجاء الى حين موته مترددا بين الموصل وحلب وميافارقين . فلما تمكن ابنه سيف الدولة من حلب ، اتصل ببلاطه ، وزامل جماعة ممن كانوا فى حلب أيامئذ : أمثال الصنوبرى والخالديين والرفاء والتنوخى وغيرهم ممن تقدم. وقد كانوا كلهم ينهلون من معين سيف الدولة الغزير كما رأيت .

ويظهر أن كشاجم كان غنيا ، وأنه تملك بعض القرى على شواطىء دجلة ، يؤيد ذلك قوله :

لنا على دجلة نخل منتخل نسلفه ماء ويقضينا عسل

وهكذا عاش عظيم الجاه فى حمى سيف الدولة ، كثير المال والخيرات ، ذا مكانة مرموقة فى ديار الشام والعراق ومصر الى أن مات فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ولا نستطيع تحديد سنة وفاته ، كما لم نستطع تحديد سنة ميلاده ، الا أنهم رووا أنه هجا كافورا[٣] . ونحن نعلم أن كافورا ملك مصر من سنة ٣٥٥هـ الى سنة ٣٥٧هـ ، فلا شك فى أن كشاجم عاش الى ما بعد سنة ٣٥٨ هـ .

أدبه وفضله رأينا أن كشاجم تلقى الحديث وعلومه عن الامام ابراهيم بن جابر وطبقته ، ووصفه معاصروه بالبراعة فى الأدب واللغة والشعر والعلم والرواية والحكمة والطب والكتابة . قال المسعودى : أنشدنى أبو الفتح محسود بن الحسين بن شاهك الكاتب المعرف بكشاجم ، وكان من اهل العلم والدراية والمعرفة والأدب . ثم

(١) تاريخ بغداد (٦/٥٣) . (٢) أنظر عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى المحفوظ فى الظاهرية بدمشق (ص ١١٠) ظ . (٣) الايجاز والاعجاز للثعالبى (ص ٢٥٧) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أورد بعض مقطوعاته الشعرية[١] . وذكره محمد بن اسحاق المشهور بابن النديم الأديب المعتزلي صاحب الفهرست (-٣٨٥) ، في عداد الكتاب والخطباء والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين ، وقال : ان أدبه وشعره مشهور[٢] ، وأثنى عليه الثعالبي في اليتيمة وسائر وكتبه . ولكننا لا نجد له ترجمة في اليتيمة ولا في النتمة ، وأغلب ظننا أن ترجمته قد سقطت . وقد رأيت ما نقلناه من أقوال العلماء في سبب تلقبه بكشاجم واعجابهم بأدبه وعلمه ، يقول آدم متز : وقد سار كشاجم في شعره على الطريق الذي رسمه صديقه الصنوبري فاقتدى به في التغني بملذات العين ، ثم أورد بعض شعره في وصف الثلج والغزل المذكر والمؤنث ووصف قويق حلب ونيل مصر .. ثم قال : وكان لكشاجم كثير من المعجبين بأدبه حتى قال أحدهم :

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم يهمي على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكأس مدامة ورسائل الصابي وشعر كشاجم

وكان يلقب بريحانة الأدب في عصره ، وكان أكثر شعراء وقته كالخالديين والسري والرفاء - على ما كان بينهم من تنافر - يسيرون تحت لوائه ، وينهجون نهجه . وصفوة القول : ان كشاجم كان أديبا بارعا ، وكاتبا مترسلا ، وشاعرا فحلا ، وقد فاق في فنون هي الجدل والمنطق والطب والانشاء .

شاعريته امتاز كشاجم بثقافة واسعة كما رأيت ، وقد جمع الى ذلك حسا مرهفا وحياة رخصة وأفقا واسعا وعاطفة صادقة ، ولا عجب فان العصر الذي كان يعيش فيه والبيئة التي كونته كانا على جانب عظيم من الرفعة والسمو ، وكان للشعر في تلك البيئة آفاق واسعة أحاطت بكل أسباب الحياة ، وتنوعت فنونه ، وتعددت موضوعاته ، وان ما نجده في يتيمة الدهر وتتمتها للثعالبي وغيرها من آثار هذا العصر لأوضح دليل على ذلك .

ومن يلق نظرة على دواوين شعراء هذا العصر - وما أكثرهم - يجد أن أصحابها قد حلقوا في فنون القول وضروبه كافة : من وصف للطبيعة وأزهارها وحقولها وأرضها وسمائها ، ومن تغن بفصولها وأوقاتها ، ومن افتنان في التحدث عن مجالي الحياة ووصف الحضارة ، ووصف المأكولات والمشمومات والمرئيات ، ومن اختراع طريف في وصف السوقة والرعاع وأهل الصناعات والمجان والفساق . وكشاجم هو أحد الفحول الذين عاشوا في هذا العصر وجاروا أصحاب القول فيه ، فوصف ما وصفوه ، وقال في أكثر

(١) المروج . طبعة باريس (٣١٨/٨) . (٢) الفهرست (ص ٢٠٠) .

ما قالوا فيه : من وصف الطبيعة والانسان والمأكول والمشروب والمشموم ، فهو طورا يصف آلات اللهو والطرب ومجالس الأنس ، وطورا يصف المأكولات من قطائف مربيات ، وطورا يصف مجالس الصيد وآلاته وأوقاته وعدده ، وحينا يصف أوائل الكتابة وعدتها ، وحينا آخر يفتن فى تصوير الطبيعة وأنهارها وأشجارها وأثمارها وأزهارها ، وهو فى كل هذه الضروب رقيق الحس مرهف العاطفة شديد الدقة فى التصوير . على أن هناك ناحية انسانية برع فيها براعة لم يسم اليها كثير من فحول شعراء عصره ، الا وهى الناحية العاطفية : من وصف الحب والبغض ، والرثاء ، والاخلاص . ومن أروع ما خلف لنا فى ذلك قوله فى رثاء أمه وأبيه وأولاده ، وقصائده فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت وشيعتهم ، وأقواله فى هجاء الزمان وأصدقاء السوء وعشراء الكذب[1] .

قال الدكتور زكى مبارك : « ومن نوابغ القرن الرابع أبو الفتح كشاجم ، كان شعره فى ذلك العهد ريحانة أهل الأدب فى العراق ، وكان مورد رزق للنساخ والوراقين ، وطوفت أشعاره بالمشرق والمغرب حتى وصلت الى القيروان وتخير أطايبها مؤلف زهر الآداب»[2] .

أما بعد ، فان كشاجم ـ رحمه الله ـ كان عالما واسعا فى الأدب والفن ، وهو جدير بأن يعكف المؤلفون على آثاره فيدرسوها ويفيدوا منها ، وأرجو أن يتاح للمنقبين عن آثاره الظفر بما ضاع منها فان فيها كنزا وفضلا وعقلا .

الخاتمة هذا هو أبو الفتح كشاجم الأديب ، سليل الأدباء والعلماء والفضلاء ، وقد خلف للأمة فضلا عن آثاره الكتابية نجلا بارعا فى الأدب كأبيه ، ألا وهو الأديب أبو النصر (أبو الفرج) الذى ذكره الثعالبى فى اليتيمة ، وقد استشهد ببعض أخباره وأشعاره[3] ، ولكن أخباره قد ضاعت ، وآثاره قد اندثرت ، فرحمة الله على أبيه وبركاته عليه .

أما آثاره الكتابية ، فهى :

كتاب خصائص الطرب ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون ولم يزد على ذكر اسمه ونسبه لكشاجم .

---

(١) أنظر الديوان ص ٤ ، ٧ ، ١٣ ، ٣٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ .

(٢) عبقرية الشريف الرضى ، الطبعة الثانية (١/١٠٩) .

(٣) انظر اليتيمة (١/٢١٦) .

كتاب الطرديات ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون ولم يزد على ذكر اسمه ونسبه لكشاجم .

ديوان شعره ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون ، والفهرست ، وقال : انه مشهور ، وقد جمعه أبو بكر محمد بن عبدالله الحمدونى ورتبه على حروف المعجم ثم ألحق بعض زيادات أخذها عن أبى الفرج ابنه بعدما أتم جمع الديوان . وقد طبع فى بيروت بمعرفة بعض الأفاضل فى المطبعة الأنسية سنة ١٣١٣ هـ ، والطبعة لن تخلو من أغلاط وهفوات واضحة .

كتاب الطبيخ ، ذكره صاحب كشف الظنون ولم يزد على ذكر اسمه .

كتاب أدب النديم ، ذكره صاحب كشف الظنون ، والفهرست ، وقد طبع ببولاق سنة ١٢٩٥ ، ثم بالاسكندرية سنة ١٣٢٩ بعنوان (أدب الندماء ولطائف الظرفاء) ، وهو رسالة موجزة فى آداب الشراب والندماء .

كتاب الرسائل ، وقد جمع فيه رسائله الأدبية والاخوانية ، ذكره ابن النديم ولم نر غيره أشار اليه .

ويذكر جرجى زيدان أن كتاب البيزرة الموجود فى غوطا منسوب اليه[1] .

١ ــ كتاب المصايد والمطارد هو أجل كتب الصيد والقنص الباقية من الخزانة العربية الى اليوم ، وهو ــ دائرة معارف ــ واسعة جدا فى فنون هذا النوع من مجالى الحياة الإجتماعية . وقد صدره المؤلف بمقدمة فى عناية الخلفاء ــ وبخاصة بنى العباس ــ به ، وعدد أسماء من كانوا منهم مستهترين به ، ثم ذكر فصلا فى فضل لحم الصيد وطيب مضغته ، ثم أفاض فى بحث أحكام الصيد من الناحية الشرعية وتبيان ما أحله الله سبحانه وما حرمه من صيد البر والبحر . وقد أظهر المصنف فى هذا البحث اطلاعا واسعا ، وعمقا فى البحث والتفكير ، والماما بالثقافة الاسلامية ، وبالرغم من أن باب الصيد قد بحثه أكثر كتب الفقه الكبرى فان كشاجم قد توسع فيه توسعا لم أجده لغيره من الفقهاء : فانه لم يترك شاردة ولا واردة الا جمعها ، ولم يهمل مسألة خلاف ، بل أوردها وناقش قائليها ، وهو لا يكتفى بايراد أقوال المذاهب الأربعة بل يورد المذاهب الأخرى الاسلامية كالجعفرية ومذهب الأوزاعى والظاهرى وغيرهم . ثم يذكر بعد هذا فصلا لطيفا فى المكايد التى يتوصل بها الى الصيد والآلات المتخذة له ، ثم فى بيان جوارح الصيد ، وهى :

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (٢/٢٥١) .

الباز والشاهين والصقر والعقاب ، وقد أحصى كل ما قيل عنها في القديم والحديث في كتب العلم • ثم بحث في تعليم الجوارح وكيفية ذلك ، ثم مداواة أمراضها وعلل ذلك وأسبابه • ثم عقد فصلا للكلاب بأصنافها وخصائص كل وعيوبه وأمراضه • ثم عقد فصولا بحث فيها عن الغزلان والأيايل والأرانب والثعالب وحمر الوحش مبينا أنواع كل ، ومنافع لحومه ، وما قيل في القديم والحديث من الشعر ، وهي من أمتع الفصول الأدبية الجامعة • ثم عقد بابا ذكر فيه آلات الرمي ، وعدده ، وما يلزمه من القسي والأوتار وما الى ذلك • ثم عقد فصولا في صيد الأسود والفهود والنمور والضباع والخنازير والدببة والنعم وعناق الأرض وابن عرس • ثم ذكر فصولا في صيد البحر وما قيل فيه ، وأنواع الأسماك • ثم أورد مباحث في أوقات الصيد المختارة ، ومواضع اقامة الصائد ، وكيفية ذلك • ثم عقد فصلا في الضب وصيده وعجائبه ، وأوقات صيده وآلاته • ثم أورد بابا في الصيد بالجلاهقات والبنادق والقسي وما قيل في ذلك من عيون الشعر • ثم ختم الكتاب بفصل عن الطيور التي تصاد ، مع بيان أنواعها ، وألوانها ، وطعومها ، وما قيل فيها من الشعر •

ب ـ كتاب البيزرة البيزرة أو البزدرة ـ كما يقول ابن القيم والحاج خليفة ـ « علم يبحث عن أحوال الجوارح من حيث حفظها وحفظ صحتها وازالة مرضها ومعرفة العلامات الدالة على موتها في الصيد وضعفها فيه »[1] • والبازيار أو البازدار هو صاحب الباز ومربيه ، والباز هو أجل الجوارح التي تصيد الطير والحيوان ، وقال أستاذنا الجليل محمد كرد علي : « وقد كان لهذا العلم (البيزرة) في الدول العربية الأولى شأن عظيم ؛ لأن جميع الخلفاء والأمراء والعظماء يصيدون ، ولابد للصياد من اتخاذ الأسباب التي توصله الى الصيد ، وتمكنه من اصطياد كل ما يريد على أيسر سبيل • وكان لهذه الحرفة /البيزرة/ شأن كبير في الدولة العباسية ، رسموها في الأعطيات والفرائض ...»[2].

وكتاب البيزرة الذي نحن بصدده هو مؤلف كبير لرجل ما يزال اسمه مجهولا • قال في وصفه أستاذنا رئيس المجمع العلمي العربي محمد كرد علي : « مؤلف كتابنا كان

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم في بحث /علم البيزرة/ ، وكتاب كشف الظنون في بحث /علم الطرديات/ •

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١٨/١٠٣) •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيزار[١] العزيز بالله الفاطمي ، ولم نعرف اسمه ، بل كتب فقط في آخر كتابه ما نصه : « وقد كان مؤلف هذا الكتاب من جملة البيازرة متقدما عليهم لا في جملة واحد منهم لا يحسن شيئا من البيزرة ، ثم أفرده أمير المؤمنين ـ صلى الله عليه ـ عنهم ، وله حينئذ من العمر احدى عشرة سنة ، وعلمه وهو لا يملك عشرة دراهم وعليه ثوب برد ، وخرج في صناعته الى ما قد شاهده الناس وعرفوه ، ورقى أمير المؤمنين /ص/ منزلته الى أن صار اقطاعه عشرين ألف دينار ، وبلغ المنزلة التي لو رآها في النوم لما صدق ، فلا يخفى عن الناس ما كان فيه وما صار اليه ... وانه لا يكاد يثبت في كتابه الا ما صح من طب الجوارح وحياتها مما جربه بنفسه أو نقله عمن اعتقد صدقهم ومعرفتهم ، ومما قال في صيد الباشق : ولم نصف الا ما أخذنا به على أيدينا مرارا ، وكان لمولانا /ص/ ولقد رأيت له وأنا معه /ص/ في الموكب في سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة ، ثلاثة عشر باشقا كلها من الغربان السود ... »[٢] .

هذا ما يقول الأستاذ ، وهو كما ترى لا يقطع بشيء عن المؤلف ولا أخباره ، وقد كان طلب ، مد الله في عمره ، الى صديقنا الأستاذ يوسف العش أن يحقق في موضوع الكتاب ونسبته ، فكتب ما نصه :

« بعد أن أنشأ الأستاذ رئيس المجمع مقاله المنشور في هذا العدد من المجلة .. تلطف فعهد الى بمتابعة البحث عن مؤلف هذا الكتاب .. وجدنا ، ونحن نستعرض البيزرة في طائفة من أهل العلم ، أبياتا نسبها المؤلف الى نفسه فقال : ولي في نحو هذا المعنى وكنا نخرج للصيد بمصر في موضع يعرف بدير القصير :

سلام على دير القصير وأهله ...

وهي تسعة أبيات ، واذا بأربعة أبيات منها في معجم البلدان لياقوت منسوبة لكشاجم ، وثمانية في ديوان هذا الشاعر ، وقد زيد عليها اثنان لم يردا في الديوان . واذا بالباحث يخرج من ذلك وهو يذهب الى أن مؤلف كتاب البيزرة هو كشاجم ، ويزداد يقينا حين يرى أن المتقدمين ذكروا له كتابا بهذا الاسم »[٣] .

---

(١) البيزار : معرب كلمة بازيار الفارسية ، أي صاحب الباز . أو هي من قولهم بازدار . وقد استعمل العرب كلمة البازيار ، وفضلوها على كلمة البياز العربية ، مثل الصقار والكلاب والفياد لصاحب الصقر والكلب والفهد ، أنظر « ارشاد المقاصد في أسنى المقاصد » لابن ساعد الأكفاني (ص ٩٣) .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي (١٨/١٠٣) .

(٣) المصدر السابق (١٨/١٨٤ ـ ١٨٧) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم يترجم لكشاجم ، ويخلص من تلك الترجمة الى نفى نسبة الكتاب الى كشاجم على الرغم من وجود أبيات كشاجم فيه ، فيقول : « ان السرى الرفاء كان يدس فى شعر كشاجم بعض شعر الخالديين فلعل كتاب البيزرة للخالديين ، .. واذا صح أن كتاب البيزرة ليس لكشاجم ، وأن صاحب البيزرة له أبيات ذكرت فى ديوان هذا الشاعر ، وأن بعض نسخ هذا الديوان حوى أشعار الخالديين ، اذا صح ذلك فالنتيجة المنطقية أن هذه القصيدة هى لأحد الخالديين ، وأن كتاب البيزرة لمن قالها منهما »[1] .

فالأستاذ العش كما ترى يميل الى نسبة كتاب البيزرة الى أحد الخالديين ، ولكنه يعود فى آخر مقاله فيشكك فى الأمر ، ويختم بحثه بقوله : « وكل هذا وجوه فى الرأى لا دليل يجزم بأنها قاطعة مانعة ، والزمان كفيل بكشف الحقائق »[1] .

قلت : قبل كل شىء ان كتاب البيزرة ليس لكشاجم قطعا ، لأن الذين ترجموه لم يذكروا له كتابا بهذا الاسم ، وانما ذكروا له كتاب « المصايد والمطارد » . أما كتاب البيزرة ، فلم يذكر أحد ممن ترجموه أنه له ، فلا يصح اذن أن ينسب اليه ، ثم ان أدنى ملاحظة يلاحظها المدقق الخبير فى الكتابين تجعله يقطع بأن صاحب البيزرة قد جاء بعد صاحب المصايد ، واطلع عليه ، ونقل منه فصولا كثيرة ومقطعات شعرية عديدة ، منها هذه الأبيات التى جعلت الأستاذ العش يتجه فى بحثه هذا الاتجاه الذى رأيت . واذا صح ما قلناه من أن صاحب البيزرة كان يطلع على كتاب المصايد والمطارد ، ويقتطع منه ما يريد دون أن ينسب ذلك الى المصدر الذى نقل عنه ، انتفت نسبة الكتاب الى كشاجم . ثم ان كشاجم لم يعرف عنه انه خدم الفاطميين فى مصر ، ولا اتصل بهم اتصالا قويا يجعله يؤلف لهم ، أو يتحدث عنهم كما رأيت فى القطعة التى نقلها الأستاذ محمد كرد على من كتاب البيزرة عن المؤلف ونشأته وصلته بالفاطميين .

هذا ما عن لنا فى هذا الموضوع بعد أن اطلعنا على ما كتبه الأستاذان محمد كرد على والعش ، والله الهادى الى سوى الصراط .

م ـ كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (ـ٥٨٤) ، وقد طبع بعناية الأستاذ فيليب حتى فى سنة ١٩٣٠ فى مطبعة جامعة برنستون ، ويشتمل الباب الثالث من هذا الكتاب على فصول قيمة طريفة عن الصيد وأنواعه وحيله وآدابه ومواطنه فى ديار الشام والجزيرة وديار مصر .

---

(١) المصدر السابق (١٨/١٨٤ ـ ١٨٧) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

د ـ **أنس الملا بوحش الفلا** لمحمد المنكلي ، وهو كتاب ممتع في بيان الوحوش ومساربها ومصايدها وأنواعها ، وقد عني به بعض المستشرقين فنشره في أوربة .

ه ـ **أرجوزة فرائد السلوك في مصايد الملوك** لجمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب عبدالرحيم بن نباتة الحموي الفارقي (ـ ٧٦٨) . كان كاتبا سلك طريقة القاضي الفاضل ، وشاعرا ، وخطاطا ، وفقيها . ترجمه السخاوي في الضوء ، وابن حجر في الدرر ، والسيوطي في حسن المحاضرة ، وابن العماد في الشذرات ، والسبكي في طبقات الشافعية . وقد أثنوا جميعا على براعته في النثر والشعر والفقه والخط . قال السبكي في الطبقات : حامل لواء الشعر في زمانه ، ما رأينا أشعر منه ولا أحسن نثرا ، ولا أبدع خطا ، له فنون ثلاثة لم نر من لحقه ولا قاربه فيها : سبق الناس الى حسن النظم فما لحقه لاحق في شيء منه ، والى أنواع النثر فما قارب مقارب الى ذروة منه ، والى براعة الخط فما قدر معارض على أن يحكي له خطا أو يجاريه في أصول كتابته وأسمائها وجريانها ، وكان يتردد بين حماة وحلب والقاهرة ودمشق ، ويمدح رؤساءها ، وله في الملك المؤيد صاحب حماة شعر كثير ـ جمعه في ديوانه المؤيديات ـ وله شعر في الملك الناصر حسن صاحب مصر . ومن آثاره المطبوعة : ديوان خطب جمعه ، ديوانه الكبير ، ديوان المؤيديات أو المؤيدات ، وسرح العيون بشرح رسالة ابن زيدون . ومن آثاره النفيسة أرجوزته فرائد الملوك ، وقد عثرت عليها في أثناء تنقيبي عن ذخائر مخطوطات خزانة الأوقاف العامة ببغداد ، وقابلتها على ما طبع منها في ديوانه فوجدت الفرق كبيرا ، لذلك عزمت أن أطبعها ملحقة بهذا البحث ان شاء الله[1] .

و ـ **القصيدة المسماة بالفريد في تعقيب الشريد وترصيد الوليد** للشيخ الامام ابن عبدالجبار الفجيجي (ـ ٩٢٠) ، وهي قصيدة في /٢١٣/ بيتا في الصيد وآدابه والطرد وأشعاره ، وقد شرحها بعض الأدباء . ومنها نسخ في بعض خزائن الكتب الأوربية كبرلين وباريس ومنشن[2] .

محمد أسعد طلس

---

(١) أنظر الصفحة التالية .
(٢) أنظر تاريخ آداب اللغة العربية (٣/٢٥٨) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرائد السلوك فى مصايد الملوك (*)

نظم

جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبى الحسن على بن يحيى ابن طاهر بن محمد بن الخطيب عبدالرحيم بن نباته الحموى الفارقى ، قالها يمدح الملك الأفضل[1] صاحب حماه ، وكان حينئذ يلقب بالملك المنصور ، رحمهم الله .

أثنى شذا الروض على فضل السحب ... واشتملت بالوشى أرداف الكثب
ما بين نور مسفر اللثام ... وزهر يضحك فى الأكمام
ان كانت الأرض لها ذخائر ... فهى ـ لعمرى ـ هذه الأزاهر
قد بسطتها راحة الغمائم ... بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم ... تعرف فيه نضرة النعيم
وحبذا وادى « حماة » الرحب ... حيث زها العيش به والعشب
أرض السناء والبناء والمرح ... والأمن واليمن ورايات الفرح
ذات النواعير سقاة الشرب ... وأمهات عصفه والأب[2]
تعلمت نوح الحمام الهتف ... أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب ... وكيف لا والماء منها صيب[3]
لله ذاك السفح والوادى الغرد ... والماء معسول الرضاب مطرد
يصبو بها الرائى فكيف السامع ! ... ويحمد « العاصى » فكيف الطائع![4]
اذا نظرت للربا والنهر ... فارو عن الربيع أو عن جعفر

(*) عنى بتحقيقها **الدكتور محمد اسعد طلس** .

(١) نشرت ناقصة فى الديوان المطبوع بمصر سنة ١٢٨٨ هـ . وقد اعتمدنا فى نشرها كاملة على نسخة مخطوطة محفوظة فى خزانة الأوقاف العامة ببغداد رقم (٩٨٥٠)، وعلى قطعة منها ذكرها صاحب حلبة الكميت (ص ٣٧٦) .

(٢) فى حلبة الكميت (ص ٣٧٧) : « سقاة الشرب » .

(٣) فى المخطوطة : « من اللجين » .

(٤) فى الحلبة والديوان المطبوع ص ٥٨٩ « يصبو لها ... ويهفو السامع » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(لا عيب الا أن مغناها الهنى ... ينسى أخا الغربة حب الوطن)[٥]
محاسن تلهى العيون والفكر ... ربيع روضات وشحرور صفر
أمام كل منزل بستان ... وبين كل قرية ميدان
أما رأيت الورق فى الأوراق ... جاذبة القلوب بالأطواق ؟
فبادر اللذة يا فلان ... واغنم متى أمكنك الزمان
ولا تقل مشتى ولا مصيف ... فكل أوقات الهنا شريف[٦]
كل زمان يتقضى بالجذل ... زمان عيش كيف ما دار اعتدل[٧]
أحسن ما أذكر من أوقاته ... وخير ما أنعت من لذاته[٨]
بروزنا للصيد فيه والقنص ... وحوزنا من مره أحلى الفرص
وأخذنا الوحش من المسارب ... وفعلنا فى الطير فوق الواجب
لما دنا زمان رمى البندق ... سرنا على وجه السرور المشرق
فى عصبة عادلة فى الحكم ... وغلمة مثل بدور التم
من كل مبعوث الى الأطيار ... تظله غمامة الغبار
وكل معسول الشباب أغيد ... منعطف عطف القضيب الأملد
قد حمد القوم به عقبى السفر ... عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه ... لغنت الورق على عطفيه[٩]
فى كفه محنية الأوصال ... قاطعة الأعمار كالهلال
زهراء خضراء الاهاب معجبه ... مما ثوت بين الرياض المعشبه
فاغرة الأفواه للأطيار ... طالبة لهن بالأوتار
كأنها حول المياه نون ... أو حاجب بما تشا مقرون
لها بنات بالمنى معذوقه ... من طينة واحدة مخلوقه
سامعة لما تشير الأم ... مع أنها مثل الحجار صم
كأنها ، والطير منها هارب ... خلف الشياطين ، شهاب ثاقب

---

(٥) ناقص فى المخطوطة .
(٦) فى الديوان المطبوع ص ٥٨٦ : « فكل وقت للهنا » .
(٧) فى الحلية /كلما دار/ .
(٨) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٦) : « وخير ما أنعت ... » .
(٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) : « القوس فى يديه ... » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واها لها شهب كـــراة تخطف شاهدة بالعـزم وهـى تقـذف(١٠)
حتـى نزلنـا بمكان مـونق اخـوان صدق أحـدقوا بالملـق
فيا له فى الحسن من محل مـراد جـد ومـراد هـزل
للطيـر فـى مياهه مواقـع كأنهـا مـن فوقـه فواقـع
فلم نـزل فى منـزل كـريم نروى حديث الرمى عن قديم
حتى طوى الأفق رؤوس الورس والتقم المغـرب قرص الشمس(١١)
وذر مسك الليل فى فـرق الأفـق واتشحت خود السمـاء بالنطـق(١٣)
وابتـدر القـوم الى المراصـد من ساهر ليل التمام شاهد(١٢)
كالليث يسطـو كفـه بأرقـم والبدر يرمى فى الدجـى بأنجـم
بينا الطيور فى مداها سـائره اذا هم من عينـه بالسـاهره
وأقبلت مـواكـب الطيـور على طـروس الجـو كالسطـور
فجذا السطـور فى المهـارق منقوطة الأحرف بالبنادق(١٤)
من كل تم حـق أن تسمى ضياء المشرق بـدر التـم(١٥)
تخاله من تحت عنق قد سجا (طرة صبح تحت أذيال الدجى)
وكل حـى حسن الوسـامه تخاله فى أفقـه غمـامه(١٦)
تتبعـه اوزة دكنـاء من دونها لقلقة غـراء(١٧)
تقدمهـا أنيسـة ملـونـه يانعة من كل وصف أحسنـه(١٨)
وربمـا مر لديهـا حبـرج كأنـه على نضـار يـدرج
وانقض مـن بعض الجبـال نسر له بأبـراج النجـوم وكـر
مضبر الخلق شـديـد الأيـد يبنى على الكسر حـروف الصيد

(١٠) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) :
« واها لها من شهب تخطف شاهرة بالعزم وهى تقذف »
(١١) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) : « الأفق رداء الورس » .
(١٢) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) : « من ساهد ليل .. » .
(١٣) هذا البيت ناقص من المخطوطة . (١٤) فى اللسان : « هرق » : المهرق كمكرم الصحيفة وجمعها مهارق . (١٥) فى الديوان (ص٥٨٧) : «حق أن يسمى..» .
(١٦) فى المخطوطة : « وكل كر » . (١٧) فى الديوان : « لغلغة » ، وفى القاموس اللغلغ طائر غير اللقلق . (١٨) فى المخطوطة : « تابعة من كل وصف » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحث مسراه عقاب كاسبه خافضة لحظ الطيور ناصبه(١٩)
اذا مضت جملتها المعترضه تواصلت خيوطها المنقرضه
بكل كركى عجيب السير كأنه طيف خيال الطير
تحث غرنوقا شهى المجتلى مقدما على الغرانيق العلى
وأبيض الغيم يسمى مرزما كم بات مثل نوئه منسجما(٢٠)
يحفه شبيطر قوى معجزة فى الطير موسوى(٢١)
كم جاش ثعبان وكم حواه كأنه فى يده عصاه(٢٢)
هذا وكم ذى نظر ممتاز ينعت فى الواجب بالعناز(٢٣)
أسود فيه لمعة فى الصدر كأنه نور هدى فى كفر(٢٤)
فلم تزل قسينا الضوارى تصيبها بأعين الأوتار(٢٥)
حتى غدت دامية النحور ساقطة منا على الخبير
كأنها رهى لدينا وقع لدى محاريب القسى ركع
وأصبحت أطيارنا قد حصنت ولم تسل بأى ذنب قتلت(٢٦)
مستبعا وجه العشا وجه السحر وكل وجه منهما وجه أغر
يا لك من صيد مقر العين مرضى الصحاب وهو ذو وجهين(٢٧)
لم نرض ما وفى من الأمانى حتى شفعناه بصيد ثانى
صيم الملوك الصيد بالكواسر والخيل فى وجه الصباح السافر
ذاك الذى تصبو له الجوارح فهى الى ظلاله طوامح
واثقة بالرزق حيث كانا تغدو خماصا وتجى بطانا
سرنا على اسم الله والمناجح تعوم فى الأقطار بالسوابح

(١٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) زاد قبله :
يجنى بها الآكل خير ما جنى وأحسن المأكول ما تلونا

(٢٠) أرزم الرعد : اشتد صوته . (٢١) فى الديوان المطبوع : « فى ملة الأطيار موسوى » . (٢٢) لا وجود له فى الديوان المطبوع . (٢٣) العناز : طائر مائى ، راجع الحيوان . أنظر القاموس .

(٢٤) فى الديوان :
أسوده ذو غرة فى الصدر كأنه نور الهدى فى الكفر

(٢٥) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « بأعين النظار » .
(٢٦) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « فلا تسل » .
(٢٧) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « يرضى ... » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

خيل تحذى الظل حيث مالا كأنها أضحت له ظلالا
يسعى بها قوائم لا تتبع وكيف لا وهى الرياح الأربع
رائعة المنظر زهراء الغرر (٢٨) كأنها الروضات حيث بالزهر
من أحمر للبرق عنه خبر يشهد أن الحسن حقا أحمر
وأصفر الجلدة كالدينار يسر كف الصائد المختار
وأشهب كالسهم فى انقضاضه وصفحة الطرسى فى ابيضاضه
ماضى السباق أظهر اللباس ناهيك من سهم ومن قرطاس
وأخضر مثل سنا العيش النضر يطوى الفلا وكيف لا وهو الخضر
وأدهم ساد على الجياد وهكذا السواد فى السواد (٢٨)
تحفنا من فوقها غلمان كأنهم لدوحها أغصان
ترك تريك فى سماء الملبس كواكبا طالعة فى الأطلس
منظومة الأوساط بالسلاح من كل سهم زجل الجناح (٢٩)
وكل عضب ذرب القاطع يحرف النهار عن المواضع
على يد السائر منهم زاد من كل باز قرم فؤاده (٣٠)
قد كتبت فى شكله حروف (٣١) تقرى بما تقرى به الصنوف (٣٢)
وكل صقر مسبل الجناح مواصل الغدو والرواح
ذو مقلة لها ضرام واقد تكاد تشوى ما يصيد الصائد
وكل شاهين شبى المرتمى كبارق طار وصوب قد همى

(٢٨) هذه المقطوعة غير موجودة فى المخطوطة . (٢٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « رجل » . (٣٠) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « على يد الزائر » .
(٣١) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « تقرى بما يقرى به ... » .
(٣٢) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) يورد ـ بعد هذا البيت ـ الأبيات التالية على هذا الترتيب :

فالنسر الأشفى تخال جيما والعين تجلى بالنضار ميما
دان لمن يتلوه خير حسم سهم اذا ضبرته أو شهم
وكل شاهين شبى المرتمى كبارق طار وصوب قد همى
بينا تراه ....
حتى تراه ....
أفلح من كان ....
تلك يد ....
وكل صقر ....

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بينا تراه ذاهبا لصيده معتصما بأيده وكيده
حتى تراه عائدا من أفقه ملتزما طائره فى عنقه
أفلح من كان على يسراد حتى غدت حاسرة يمناه
تلك يد لا تعرف الاعسارا من أجل هذا سميت يسارا
(٣٣) كأنما المخلب منه منجل لحصد أعمار الطيور مرسل
عيش ذوى الصيد به عيش رخى يصلح أن يدعى وكيل المطبخ(٣٣))
يا حبذا طيسور جد ولعب تهوى الى الأرض وللأفق تثب
من سنقر عالى المدى والشان معظم الأخيار والأعيان
(كأنه خليفة قد أقدما يفد فى الأرض ويسفك الدما(٣٤)
يسعد خلف الرزق ليس يهمله كأنه من السما يستعجله
ومن عقاب باسمها يروع كأنها للطير حين تصرع(٣٥)
كم جلبت لطائر من وهن وكم وكم قد أهلكت من قرن(٣٦)
هذا وقد تجهزت أعدادا بجمعها الكلاب والفهادا(٣٧)
(وحبذا كواسر كواهى عديمة الأنظار والأشباه
مخصوصة بالطرد القديم جدبا كظهر الذنب الركيم
ذاك - لعمرى - حدب للرائى يعدل ملك القلعة الحدباء(٣٨))
من كل فهد عنترى الحمله اذا رأى شخص مهاة عبله
مبارك الاقبال والاعراض مستقبل الحال بباب ماض
كأنه من حدة اكتسابه قد أحرق الأنجم فى اهابه(٣٩)
له على مسايل الجفون خط كبعض الألفات الجون(٤٠)
اذا تراءى بقر الوحش اندفع كأنه المريخ فى الثور طلع

(٣٣) لا وجود لها فى المخطوطة .
(٣٤) ناقص فى المخطوطة .
(٣٥) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « مروع ... كأنها للطير جن تفزع » .
(٣٦) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « من مجن » .
(٣٧) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) :
« هذا وقد تجهزت أعداد تجمعها الكلاب والفهاد » .
(٣٨) لا وجود لها فى المخطوطة . (٣٨) فى الديوان (ص ٥٩٠) : « كأنه من حده كتابه » . (٤٠) فى الديوان المطبوع : « خط لبعض » .

قاصرة عن يده عيناه مشروطة برجله أذناه[٤١]
لو أمكن الشمس التى تجلى له ما سميت من خوفها غزاله[٤٢]
يشفعه من كل غور غارى يغالب الصيد على الأوكار[٤٣]
يكاد يبغى سلما الى السما أو نفقا فى الأرض حيث يمما[٤٢]
قد بالغت فى طمع فى كسبها ففتشت عن أنفس لم تجنها
حتى اذا تمت بها الأمور حفت بنا لصيدها الطيور
ما بين روضات قصدنا نحوها وحول آفاق ملكنا جوها[٤٣]
فلم تزل تسطو سطا الحجاج على الكراكى الى الدراج
اذا نجت سائرة محلقه عادت بها كمضغة مخلقه[٤٢]
حتى غدت تلك السراة صرعى مجموعة لدى التراب جمعا[٤٤]
([٤٥])على الربى من دمها خلوق كأن كل نبتها شقيق
ثم عطفنا للوحوش البانحه واستيقنت تلك الضوارى الطامحه
كلاب صيد بينها سنافر تفعل فى الوحش بها الفواقر
تخشى بها العفر على نفوسها فالطير ـ لا شك ـ على رؤوسها
وللكلاب حولها مغلغلة تكاد أن تقدح منها النار
من نهب لسانه يلوب يقول هذا كوسج مخضوب
يعانق الظبى عناق الوامق ما كان أغنى الظبى عن معانق
والفهد يشتد على الآجال مثل وصى السوء فى الأموال
لا ينسل القصد ولا يخون كأن كل جسمه عيون
وللزغاريات خلف الأرنب حقائق تبطل كيد الثعلب
كم برحت بالهارب المكدود وقتلت بصاحب الأخدود
وربما مرت ظباء ومها لنيل أكل فى حشاها مشتهى
قد سنمت ملاءة من عنبر تخاط من قرونها بالأبر
فابتدرت أجنحة الهمام صائبة الأغراض والمرامى

(٤١) فى الديوان (ص ٥٩٠) : « قاصرة عن طرفه يداه » .
(٤٢) لا وجود له فى المخطوطة . (٤٣) فى الديوان المطبوع : « بكل غور غار » .
(٤٤) فى الديوان المطبوع : « ودور آفاق » .
(٤٥) هذه الأبيات ناقصة فى الديوان المطبوع .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجرح كل سابح نفور كأنه بعض شهود الزور(٤٥)
كأن أقطار الفلاة مجزره أو روضة من الدماء مزهره
كأن صرعى وحشها كفار الموت عقبى أمرها والنار
للسرء فيها منظر أحبه يملأ من لحم وشحم قلبه
لله ذاك المنظر المهنا أى معاد عن ذراه عدنا(٤٦)
قد ملئت من ظفر أيدينا وقد شكرنا فضل ما حبينا(٤٦)
نسير حول الملك المنصور كالشهب حول القمر المنير
محمد ناصر دين أحمد الملك ابن الملك المؤيد
(يا حبذا من والد ومن ولد وحبذا من شبل ملك وأسد
فرع زها بأصله أيوب فأثمرت بحبه القلوب
مفضل كما رأيت أفضل تناول المجد بباع أطول(٤٧))
قال الأنام : حظه جلى قلت : نعم وجده على
ذاك الذى شاد العلى صبيا وجاءها من مهده مهديا(٤٨)
ناش على الجود(٤٩) وتقليب المنن كأنما مزجته من اللبن
بين حجور العلم والأعلام تكنفه لواحظ الأيام(٤٩)
حتى اذا استقبل شرخا سنه وضاء فى ليل الشباب ذهنه(٥٠)
أبصرت منه ملكا تماما يجدل الأعداء والأعلاما(٥٠)
محكم السطوة سحاح الديم يأخذ بالسيف ويعطى بالقلم
لو لمس الصخر لفاض نهرا أو صحب النجم لعاد بدرا
تختست يمينه المكارم فهو على كل الأمور خاتم(٥١)

(٤٥) هذه الأبيات ناقصة فى الديوان المطبوع .
(٤٦) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « ان معان » ، وهو تحريف .
(٤٦) فى الديوان المطبوع : « وقد شكرنا الفضل ما حيينا » .
(٤٧) هذه الأبيات ناقصة فى الديوان المطبوع .
(٤٨) فى الديوان المطبوع :
« ذاك الذى سامى العلى صبيا وجاءه من مهده مهديا »
(٤٩) فى الديوان المطبوع : « الحر » ، وهو تحريف ظاهر .
(٤٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « لواحظ الأقلام » .
(٥٠) لا وجود لهذين البيتين فى الديوان المطبوع .
(٥١) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) :
« تختمت بيمنه المكارم فهو على كل الوجوه خاتم » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا ظلم تلقى فى حماه العالى ... الا على العداة والأموال(٥٢)
أما ترى الدينار منه خائفا ... أصفر فى كف الهبات ناشفا ؟
أما ترى بالصيد فرط حبه ... تمرنا على اعتياد حربه ؟
يا قاطعا عرض الفلاة واصلا ... وقادما يبغى العلا وراحلا(٥٣)
ملك اذا حققته قلت ملك ... قاضية بسعده أيدى الفلك
كالبدر فى سنائه وتمه ... والطود فى وقاره وحلمه
تسجد ان لاح رؤوس العالم ... ورائة قد حازها من آدم
مرأى يشف عن فخار الأهل ... ونسخة قد قوبلت بالأصل
ما ضر من خيب فى جنابه ... ألا تكون الشهب من أطنابه
جنابه عن جاره لا ينكب ... وباب نجح للغنى مجرب(٥٤)
غنيت فى ظلاله عن الورى ... غنى نزيل المزن عن قصد القرى
ورحت من نعماه بالتواتر ... أروى أحاديث عطا عن جابر(٥٥)
معتصما بالكرم المؤيد ... مصلى الحمد على محمد
قديم سعى وثناء وهوى ... ما ضل عن قصد بها ولا غوى(٥٦)
يزداد لفظى بهجة ورونقا ... كأنه الخمر اذا تعتقا(٥٧)
ان لم أرم ذاك الحمى العالى فمن ... ينصرنى على تصاريف الزمن
يا ناصر الدين دعاء مادحى ... ما بين روضات السطور صادح(٥٨)
حسبك مثلى فى الثناء شاعرا ... وحسب شعرى قوة وناصرا

(٥٢) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « على الأعداء والأموال » .
(٥٣) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « عرض الفلا وواصلا » .
(٥٤) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « نجح للمنى مجرب » .
(٥٥) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « عطا وجابر » .
(٥٦) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) :
« قديم قصد وثناء أو هوى ... ما ضل سعى فيهما ولا غوى »
(٥٧) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « يزيد لفظى » .
(٥٨) لا وجود لهذا البيت فى الديوان المطبوع .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجمع والمصطلحات

من أعمال المجمع الأصلية بذله الرعاية للمصطلحات والعناية بها ، وتوجيه مجهوده ونشاطه الى توسيع أفقها وتثبيتها ونشرها بالنقل والتعريب والاشتقاق ، فحاجة الناس الى المصطلحات اليوم شديدة ، وطلابها كثير .

ومن حق المجمع على المتخصصين والباحثين وأصحاب العلم باللغات ، مطالبته اياهم بوجوب مساعدته فى هذا الباب وشد أزره وذلك بتقديم ما عندهم من علم ورأى وتوجيه ونقد ، ليؤدى الرسالة العلمية على أكمل وجه ، وأحسن حال . وهو لهذا وذاك كتب الى الوزارات والدوائر المختصة يستعينها على تسهيل هذه المهمة ، بأن ترسل اليه بما تجمع عندها من مصطلحات ، وما نقلته من كلمات ، ليدرسها ويرى رأيا فيها . وألف فى الوقت نفسه لجانا من أعضائه ومن غيرهم لوضع مصطلحات لما يرد فى الكتب التى يقرر ترجمتها ، ومنها اللجنة التى ألفها بموجب قراره المتخذ فى جلسته الثالثة عشرة المعقودة فى ١٧-٦-١٩٤٨ من السادة شبلى نعمان وحسين ابراهيم ويحيى عونى الصافى والمرحوم ناظم الجنبى ، ومن أعضاء لجنة العلوم فى المجمع المؤلفة من الدكتور محمد فاضل الجمالى والأستاذ محمد بهجة الأثرى والدكتور هاشم الوترى والدكتور متى عقراوى والدكتور شريف عسيران والدكتور جواد على لدراسة المصطلحات الواردة فى كتاب « مقدمة للكيمياء العضوية » الذى عرضت ترجمته على المجمع لنشرها باسمه ان أمكنه ذلك ، وكذلك اللجنة التى ألفها من الدكتور محمد فاضل الجمالى والدكتور مصطفى جواد والدكتور جواد على للنظر فى المصطلحات الفلسفية الواردة فى الترجمة العربية لكتاب « المدخل الى الفلسفة الحديثة » تأليف سى . أد . جود وترجمة السيد كريم متى ، وهو كتاب ساعد المجمع على نشره مساعدة مالية .

وقد عقدت لجنة « مصطلحات الكيمياء العضوية » المذكورة سلسلة اجتماعات مسائية ، دام كل اجتماع منها عدة ساعات ، درس فى خلالها أكثر من (٣٥٧) مصطلحا ، أقر منها زهاء مئتى مصطلح . لادخالها فى الكتاب المترجم . وقد والت اجتماعاتها حتى أنهت أعمالها المرهقة على الوجه الذى ارتضته ، والمنهج الذى نهجته ، ولم تنل على عملها هذا أجرا ماديا ولا عوضا ، وانما أجرها خدمة العلم وتلبية نداء المجمع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان « معهد المباحث الصناعية » ، الذى صار من بعد « مديرية الصناعة العامة » أول دائرة حكومية قدمت الى المجمع قوائم مصطلحات فنية وكان ذلك فى كتاب « المدير العام لمعهد المباحث الصناعية » المرقم « ١٧٧٨ » المؤرخ فى ٢٦-١٢-١٩٤٨ طالبة فيه اعداد مصطلحات عربية لما يتداول فى البحوث العلمية والصناعية ، مما سيرد بيانه • ثم أتبعتها مصطلحات أخرى بكتبها المرقمة ٦١٤ ، ٤٥٦ ، ١٥٧٧ ، المؤرخة ١٢-٥-١٩٤٩ ، و٦-٤-١٩٤٩ و ١٦-١١-١٩٤٩ • وسأشير اليها فى مواضعها ، ومنها المصطلحات المستعملة فى صناعة السكر وعدتها « ١٦ » مصطلحا[١] ، والمصطلحات المستعملة فى صناعة «السمنت» ومقدارها « ٢٦ » مصطلحا ، أرسل بها مع تعريفاتها وما يقابلها فى العربية[٢] •

وعلى أثر توزيع كتاب المجمع المذكور على الدوائر لموافاته بما تجمع عندها من مصطلحات وما وضعته هى من معربات ، تواردت عليه كتبها ترحب بالفكرة ، منها : كتاب من مديرية سكك الحديد العامة رقمه ع/١١١٤٣/١/١٨٦٨ وتاريخه ٢٧ شباط ١٩٥١ ومعه قائمة بالألفاظ التى أنجز تعريبها وتقع تحت حرف (A) ، ومجموعها « ١١٩ » مصطلحا ، جاء فيه : « ان اللجنة قد راعت فى تعريب الألفاظ الانكليزية الاقتصار على معناها الفنى أو الذى له مساس بشؤون السكك الحديدية وما يتصل بها من فروع فنية دون الالتفات الى ما قد تفيده تلك الألفاظ من معان أخرى كما أنها اختارت من الألفاظ أقربها الى فهم العمال وعامة الموظفين وأكثرها شيوعا وأخفها سمعا مع توخى صحتها اللغوية » • وكتاب آخر رقمه ٤/١١٤٣/١/٦٦٤٤ وتاريخه ٢٦ أيلول ١٩٥١ ومعه قائمة بـ « ٢٧٢ » مصطلحا فنيا باللغة الانكليزية ومعه ما يقابله فى العربية •

وأرسلت اليه « مديرية الطيران المدنى » بقائمة المصطلحات التى تستعملها وهى باللغتين العربية والانكليزية وعدتها (٣٥) مصطلحا ، وأرسلت « مديرية الملاحة العامة » بقائمة تتألف من (٢٩) مصطلحا تتعلق بالسفن والملاحة وذلك فى كتابها المرقم : ٣٠/١٢٣/٣٨٢ المؤرخ فى ١ آب ١٩٥١ ، وبعثت « مديرية الرى العامة » الى المجمع فى كتابها المرقم ٧٤٥٨ المؤرخ فى ١٦/٨/١٩٥١ بـ (٣٩٣) مصطلحا فنيا باللغة الانكليزية ومعه ما اختارته لها فى العربية • وكذلك فعلت « مديرية الأشغال العامة » بأن أرسلت فى كتابها المرقم

(١) كتابها المرقم ٤/٢١/٣٢٤ ، المؤرخ فى ١٧/٢/١٩٥١ •
(٢) بموجب كتابها المرقم ٤/٢١/٧٢١ ، المؤرخ فى ١٧/٤/١٩٥١ •
(٣) كتابها المرقم ط ، م/٢٥/١٧٩١ المؤرخ فى ٤/٧/١٩٥١ •

« ٢٦٢٧ » المؤرخ ٢٤ تشرين الأول ١٩٥١ بقائمتين : قائمة بالمصطلحات الفنية المستعملة في أعمال الطرق ، وقائمة أخرى بالمصطلحات الفنية المتعلقة بأعمال الجسور . فالقائمة الأولى « ٤٢ » مصطلحا ، والقائمة الثانية « ٢١٤ » مصطلحا .

وكان نصيب المجمع من « مديرية الموانىء العامة » قائمة أرسلت بها مع كتاب المديرية المرقم ١٩/آد١٤/١٤٢ المؤرخ في ٢٨ أيار ١٩٥٢ تتضمن « ٣٠٣ » مصطلحات باللغة الانكليزية مع تعريفاتها وما اختارته لها في العربية . وذلك مضاف الى قائمة أخرى في « المصطلحات التجارية والحسابية » المستعملة في دوائرها باللغتين العربية والانكليزية جملتها « ٢٣٩ » مصطلحا أرسلت بها الى المجمع في ٢٧ كانون الأول ١٩٥١ في كتابها المرقم ١٩/اد ١٤/٢٧٣ . وبعثت « مديرية الزراعة العامة » الى المجمع بقائمة من (٢٥) مصطلحا انكليزيا في بحث علم الغابات Forestry ومعها تعريفاتها باللغة الانكليزية ، لوضع مقابل لها باللغة العربية[1] . وطلبت « كلية العلوم والآداب » الى المجمع بكتابها المرقم (٤٤٠) والمؤرخ في ١٨ شباط ١٩٥١ ابداء رأيه في (١٢) مصطلحا من المصطلحات العلمية المستعملة في الجامعات الانكليزية لوضع ما يقابلها في العربية .

هذا وقد أرسل عضو المجمع المراسل الدكتور داود الجلبي اليه بمعجم في «مصطلحات أمراض الجلد » فأحاله المجمع على لجنة مؤلفة من العضوين الدكتور هاشم الوتري والدكتور شريف عسيران لابداء الرأي لكي يكون نواة لمعجم طبي في المستقبل .

وأرسلت اليه دوائر حكومية مثل مديرية الأوقاف العامة ومديرية الميزانية والأمور المالية قوائم بالمصطلحات والتعابير العربية المستعملة في مؤسسات الدائرتين قد تفيد في المستقبل في تسهيل دراسة ما يقابلها من المصطلحات باللغات الأعجمية ان عرضت على المجمع .

وعلى هذا يكون مجموع ما أرسلت به الدوائر الحكومية الى المجمع « ١٧٣٣ » مصطلحا في الانكليزية طلبت الى المجمع دراستها وابداء رأيه فيها واثبات ما صح منها والاستبدال بما لم يصح .

وطريقة المجمع في دراسة المصطلحات واقرارها ووضعها هي أن يدرس المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص أولا ، كأن يستعرض حده وتعريفه عند المتخصصين أو في الكتب الخاصة ويتعرف أصله ونشأته ، ثم يسمع رأي المتخصصين فيما

(١) كتابها المرقم ٣٦١٧ والمؤرخ في ١٩٥٢/٢/٢٤ .

اختاروه من كلمات عربية مناسبة له ، ثم يستعرض ما ورد في الكتب العربية قديمها وحديثها لغوية كانت أو اختصاصية من كلمات موافقة له مما قد يفي بالمراد ، فاذا وقف على كلمة صالحة مناسبة له مؤدية للمعنى الاصطلاحي ، ورأى فيها الرشاقة والسلامة ، أعني أنها عربية سليمة يألفها الذوق ، عقد رأيه ، وبت في الأمر . على أن من عادة المجمع ألا يرى رأيا في مصطلح ولا يبت فيه ، الا بعد الوقوف على آراء البلاد العربية الأخرى فيه . فلعل لها اجتهادا فيه أصوب من اجتهاده وأقوم ، أو كلمة أصح وأحكم . ثم هو حريص كل الحرص على ألا ينفرد برأي ، ولا يقر قرارا قد يخرجه عن الاجماع والوحدة وصفاق العلماء من أبناء هذه الأمة . فانما هو يدرس المصطلحات من الوجهة العلمية واللغوية والفنية ولتكون سببا من أسباب جمع الشمل بتوحيد المصطلحات في جميع البلاد العربية ، وهو لذلك يعمد الى محاضر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ومجلته ، والى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق والى الكتب والمجلات التي تعنى بالمصطلحات ، للوقوف على رأيها في كل مصطلح قبل اتخاذ قرار ما ، لكيلا تتعدد القرارات فلا تبقى اذن فائدة من وضع المصطلحات . وللزيادة في الاحتياط والأخذ بالتأني والتأني ، قرر « ألا يثبت مصطلحا الا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشره ليتسنى له دراسة الآراء التي تبدى في شأنه . وفي ضوئها يقرر المجمع ما يراه صالحا للاستعمال »(١) .

فقرارات المجمع اذن هي في الزمن الحاضر قرارات ترجيح ، ولن يكون القرار نهائيا الا بعد مضي المدة التي حددها للوقوف على ما يرد عليه في أثنائها من آراء . وللمجمع خطة كذلك في استنباط المصطلحات ووضعها تجمع بين رأي المتقدمين ورأي الباحثين المحدثين ، وحاجة العربية الملحة الى المصطلحات ، وضرورة تلبية هذه الحاجة واستجابة ندائها ، لتعود كما كانت لغة للعلم . وهو يرجو لذلك من المؤسسات العلمية اتخاذ خطوات عملية ايجابية في التعاون والتشاور لرفع المستوى العلمي ، لكي تتمكن في المستقبل من جعل العربية لغة رسمية للتعليم العالي ، ولن يتم ذلك الا بتعاون البلاد العربية كلها في هذا العمل القومي ، فلذلك وجه المجمع دعوة الى المجمعين الكريمين مجمع فؤاد الأول بمصر والمجمع العلمي العربي بدمشق بهذا المعنى ، والله اسأل أن يحقق الرجاء .

ولابد لي أخيرا من القول ان هذه المصطلحات التي يراها القارىء مدونة فيما يأتي هي بعض من كل ، وجزء من كثير ، سيوالي المجمع نشره في مجلته هذه تباعا ، وفي

(١) قرر في الجلسة السابعة عشرة المعقودة في ١٩٤٩/٤/٢٧ ، وفي المادة الثالثة من محضر الجلسة .

كراسات خاصة ، وقد استخرجته من محاضر جلسات المجمع ، ورأيت من باب الأمانة العلمية الاشارة الى المورد الذى أورد فيه ، والمعين الذى استقى منه • ثم رأيت الاشارة الى موضعه فى « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » ان كان له هناك موضع ومقام اتماما للفائدة ، وتعميما لقرارات المجمع • وقد رتبتها ترتيبا أبجديا ، ليسهل على المطالع الوقوف على المصطلح منها بيسر وسهولة •

جواد على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معجم المصطلحات العلمية

المحور السينى أو الاحداثى السينى Abscissa (Axis)

نظر المجمع فى هذا المصطلح المرسل اليه من مديرية السكك الحديد العامة ، وأقره على هذا الشكل • أما المديرية المذكورة ، فقد اختارت له « محور السينات » • واستعمل مجمع فؤاد الأول للغة العربية الاحداثى السينى لـ (Abscissa ، X-Co-ordinate) والمحور السينى لـ (X - axis) [1] •

درجة الحرارة المطلقة Absolute temperature

أقر استعمال « درجة الحرارة المطلقة » له كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة • وقد سبق لمجمع فؤاد الأول أن أقر استعمال هذا الاصطلاح على هذه الصورة ، غير أنه وضع معه جملة « الاحرار المطلق » بين قوسين [2] •

الصارفة (صارفة الصدمة) Absorber shock

وضعه المجمع بدلا من « مبددة الصدمة » التى وردت فى قائمة مصطلحات مديرية السكك الحديد العامة •

امتصاص Absorption

أقره المجمع فى جلسته التاسعة المنعقدة بتاريخ ٥-١-١٩٥٢ كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة • وقد استعمل « مجمع فؤاد الأول » كلمة « الامتصاص » لهذا المصطلح وذلك فى مصطلحات علم الحياة [3] •

وقدمت لجنة الكيمياء والطبيعة الكلمات : المص ـ الامتصاص ، المصاصية ـ قوة المص ، الى المجمع المذكور لـ (Absorption) ، وذلك لاقرار كلمة من هذه الكلمات فى موضوع الكيمياء [4] •

---

(١) راجع مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية (٥/٤٣ ، ٢٥٧) •
(٢) مجلة المجمع (٥/١١٢) •
(٣) مجلة المجمع (١/٨٤ و٢/١٣١ و٥/١٢٠) •
(٤) مجلة المجمع (٦/٢٦٤) •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Abutment (bridge) كرسى الجسر

رأى المجمع استعمال « كرسى الجسر » لهذا المصطلح ، وهو من التعابير التى اصطلح عليها العرب قديما ، بدلا من « ركن الجسر » الذى وضعته مديرية السكك الحديد العامة .

Abutment Point (Mech.) مرتكز

وضع المجمع لهذا المصطلح لفظ « مرتكز » بدلا من « نقطة المقاومة » الذى استعملته مديرية السكك الحديد العامة ، وهو من مصطلحات « الميكانيك » .

Acceleration تسارع

وضع المجمع هذه الكلمة بدلا من « تعجيل » التى اختارتها مديرية السكك الحديد العامة ، واستعمل مجمع فؤاد الأول « العجلة الذاتية » لـ

(Acceleration , automatic) (Automatic acceleration)

وذلك فى موضوع « الكهربا واللاسلكى »[1] .

Accessory تابع

وضع المجمع كلمة « تابع » لهذا المصطلح بدلا من « ملحق » الوارد فى قائمة مصطلحات مديرية السكك الحديد العامة .

Accident حادث

وضعه المجمع بدلا من حادثة التى وضعتها مديرية السكك الحديد العامة .

Acid Muriatic حامض الكلورديك

أقره كما ورد فى قائمة مديرية السكك الحديد العامة .

Acid Sulphuric حامض الكبريتيك

أبقى كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

Actuating (Lever) عتلة تحريك

أقر كما ورد من المديرية المذكورة .

---

(١) مجلة مجمع فؤاد الأول (٥/١٢٠) .

Adapter , Adaptor موفقة

وضع المجمع هذه الكمة بدلا من كلمة « وفيقة » التى اصطلحت عليها مديرية السكك العامة • واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة على مجمع فؤاد الأول للغة العربية تخصيص كلمة « موجه » لكلمة Adapter ، وذلك فى مصطلحات الكيمياء[1] • وأقر مجمع فؤاد استعمال « المهيئة » لـ Adapter فى موضوع « الكهربا واللاسلكى » •

Addendum مضاف

ورجح المجمع استعمال هذه الكلمة بدلا من « ملحق » التى استعملتها مديرية السكك لهذا المصطلح •

Adhesion التصاق

رأى المجمع استعمالها بدلا من كلمة « تلاصق » التى اختارتها مديرية السكك الحديد العامة •

Adhesive لاصوق

وضعه المجمع بدلا من « لاصق » الذى اختارته مديرية السكك الحديد العامة • واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة على مجمع فؤاد الأول[1] تخصيص كلمة « لصاق » لـ Adhesive •

Adjustment (Mech.) اتراص (فى « الميكانيك »)

وضع المجمع هذا اللفظ بدلا من كلمة « توقيت » التى استعملتها مديرية السكك الحديد العامة •

Adjustment تعديل

قبل كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة •

واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة فى مجمع فؤاد الأول اطلاق « التعديل ـ الضبط » على Adjustment[1] •

---

(١) راجع مجلة مجمع فؤاد الأول (٦/٢٦٥) •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

Adjustment (Accounts) تسوية « حسابية »

قبلت كما وردت من مديرية السكك الحديد العامة .

Admission (of train) ادخال القطار

قبل كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

Advance (Mech .) تقديم

قبل كذلك كما ورد من مديرية السكك الحديد .

Adze (Carpenter) قدوم (بوزن صبور)

وضعه المجمع بدلا من فأس النجار المقترح فى قائمة مصطلحات مديرية السكك العامة .

Adzing and Boring نجر وثقب

أقره كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

Aeration تهوية

قبل كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة . واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة على مجمع فؤاد الأول فى الدورة الثانية عشرة اطلاق « تهوية » على Aeration كذلك[1] .

Aerial هوائى

قبل كما ورد من المديرية المذكورة ، ووضع مجمع فؤاد الأول « الهوائى » لهذا المصطح فى موضوع « الكهربا واللاسلكى »[2] .

Aging (of Solutions) تعتيق المحاليل

أقر المجمع هذا المصطلح كما ورد فى قائمة مديرية السكك العامة .

Agitate حرك

قرر المجمع استعمال « حرك » لهذا المصطلح بدلا من « خضخض » التى اختارتها مديرية السكك العامة .

---

(١) مجلة مجمع فؤاد الأول (٦/٣٦٥) .

(٢) مجلة مجمع فؤاد الأول (٥/١٢١) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

Aggregate (eng.) خليـــط

قبل كما ورد من المديرية المذكورة •

Aileron جنيح (بتشديد الياء)

أقر هذا المصطلح كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة •

Air-Cap غطـــاء الهواء

أقر هذا المصطلح على هذا الشكل عوضا عن « غطاء هواء » الذى اقترحته مديرية السكك الحديد العامة •

Air-Copk صنبور الهواء

أقر هذا المصطلح على هذا الشكل بدلا من « صنبور هواء » الذى اقترحته مديرية السكك الحديد العامة •

Air-Silencer مسكتة هوائية

وضعها المجمع بدلا من مخرسة هوائية التى اختارتها مديرية السكك الحديد العامة•

Air-Starter مشغل هوائي

قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة •

Air-tap حنفية الهواء

قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة •

Air-Valve صمام الهواء « صمام ككتاب »

قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك العامة •

Air-Vessel وعاء الهـــواء

قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة •

Air-Duct المسهك « ممر الريح أو الهواء »

قرر المجمع استعمال هذا الاصطلاح بدلا من « مسلك هواء » الذى اختارته مديرية السكك الحديد العامة •

Air-Compressor مكبس الهواء

قرر المجمع استعمال هذا الاصطلاح عوضا عن « ضاغطة هواء » التى وضعتهـــا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مديرية سكك الحديد العامة .

تكييف الهواء Air-Conditioning

قبل كما ورد من مديرية سكك الحديد العامة .

مرشحة الهواء Air-Filter

قرر المجمع استعمال « مرشحة » بوزن مكنسة .

خرطوم الهواء Air-Hose

قرر المجمع استعماله على هذه الصورة بدلا من « خرطوم هواء » التى وردت من مديرية السكك الحديد العامة .

مشعبة الهواء Air-Manifold

قرر استعمال هذا المصطلح عوضا عن « تشكيلة هوائية » التى وضعتها مديرية السكك الحديد العامة .

أنبوب الهواء Air-Pipe

قرر استعمال أنبوب الهواء عوضا عن « أنبوب هواء » المقترح من مديرية سكك الحديد العامة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مضخة الهواء Air-Pump

قرر استعماله عوضا عن « مضخة هواء » الوارد من مديرية سكك الحديد العامة .

متسلمة الهواء Air-Receiver

قرر المجمع استعمال هذا المصطلح عوضا عن « مستقبلة الهواء » الذى اقترحته مديرية سكك الحديد العامة .

العضادة Alidade

وضعت مديرية السكك العامة لهذا المصطلح لفظة « الاستقامة » ، غير أن المجمع لاحظ أن الكلمة عربية محرفة عن « العضادة » فقرر احياءها واستعمالها بدلا من « الاستقامة » .

الالومينا Alumina

وهو ثالث أكسيد الالومنيوم ، وقد أقره المجمع كما ورد من مديرية المباحث الصناعية العامة .

Animal Charcoal الفحم الحيوانى

أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة ، واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة بمجمع فؤاد الأول على المجلس فى الدورة الثانية عشرة اطلاق « الفحم الحيوانى » على هذا المصطح كذلك[١] .

Bleaching التبليـج

« وهو قصر السكر وازالة لونه » . وضع المجمع هذا الاصطلاح بدلا من كلمة « القصر » الواردة من مديرية الصناعة العامة . واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة فى مجمع فؤاد الأول على المجمع اطلاق احدى هذه الكلمات : « قصر ، تبييض ، تحوير »[٢] .

Bone Char فحم العظـام

أقره المجمع كما ورد فى قائمة مصطلحات صناعة السكر لمديرية الصناعة العامة .

Briquette طوبيقـة

« وهو قالب قياسى من ملاط السمنت المتجمد تفحص به قوة السمنت » وضعه المجمع بدلا من كلمة « الآجرة » التى اختارتها مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت .

Brix Degree درجة بريكس

« درجة يقاس بها مجموع المواد الذائبة فى المحاليل السكرية وفى العصير » . أقرت كما وردت من مديرية الصناعة العامة ، وهى من مصطلحات صناعة السكر .

Chemical , Chemist كيميـائى

قرر المجمع استعمال هذا المصطلح ترجمة لهذين المصطلحين الانكليزيين .

Chemical Test الفحص الكيميائى

أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة . « وهو فحص تركيب السمنت الكيميائى » .

---

(١) مجلة مجمع فؤاد الأول (٦/٢٦٦) . (٢) مجلة مجمع فؤاد الأول (٦/٢٦٧) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصلصال Clay

« وهو المادة الخام الطينية فى صناعة السمنت » • وقد أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة • واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة بمجمع فؤاد الأول اطلاق كلمة: « طفل » على هذا المصطلح • « مجلة المجمع الجزء السادس سنة ١٩٥١ ص ٢٦٨ » •

كلنكر Clinker

وهو كرات السمنت بعد تكونها فى الفرن وقبل طحنها • وقد أقر كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

قوة الكبس Compressive Strength

« وهى معدل قوة ثلاثة مكعبات قياسية ، وتعبر عن قوة السمنت فى الكبس » •

وقد نظر المجمع فى هذا المصطلح فأقره كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة •

الأبرق (الكونكريت) Concrete

رأى المجمع اطلاق كلمة الأبرق على « الكونكريت » على أن توضع معها كلمة « الكونكريت » بين قوسين •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

القوام Consistency

« وهو قوام عجينة السمنت القياسية » • أقر كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

قلم Cutting

« هو قطعة من القصب تستخدم غرسته (بذرة) فى زرع القصب • »

وضعه المجمع بدلا من (عقلة) القصب الواردة من مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته •

الاثفال Defecation

« وهو ترسيب المواد الغريبة غير السكرية فى العصير » •

وضعه المجمع بدلا من « التنقية » أو « الاحثال » الواردين فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته المرسلة من مديرية الصناعة العامة • وقد اعتد المجمع الهمزة فى « أثفل » للتعدية ، وان ورد هذا الرباعى فى كتب اللغة لازما •

Expansion التمـدد

« وهو تمدد ملاط السمنت بعد انجماده » أقره المجمع كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت •

Fibre ليـف

« هو نسبة ما يبقى من القصب بعد استخلاص السكر وطرح الرطوبة » • وضعه المجمع بدلا من كلمة « نسبة الألياف » الواردة من مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته •

Final Setting التجمد النهائى

أقره كما ورد من مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت •

Fineness الـدقـة

« وهو قياس لحجم ذرات السمنت » • وضعها بدلا من « النعومة » الواردة فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

First Ratoon الراتون الأول

« هو ما نما من جذور قصب بكر بزرعه فى موسم سابق » • أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

Handbook تـذكـرة

وضعها المجمع بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام وضع مصطلح لهذه الكلمة الانكليزية •

Initial Setting التجمد البدائى

وضعه المجمع بدلا من « الانجماد الابتدائى » الوارد فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت •

Invert Sugar السكر المنقلب

« هو ما تحول من السكروس (سكر القصب) الى الكلوكوس (سكر العنب) واللفيولوس (سكر الثمر) • »

أقر المجمع هذا المصطلح كما ورد عليه فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته من مديرية الصناعة العامة .

أنبـــوب Internode

« هو ما يكون بين العقدتين فى القصب » . وضعه المجمع بدلا من « السلامية » التى اختارتها مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته .

العصـير Juice

« هو ما يستخرج من القصب بأجهزة خاصة » . أقره كما ورد فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته لمديرية الصناعة العامة .

التشبع الكلسى Lime Saturation

« وهو يعبر عن درجة تشبع السمنت بالكلس » . قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

المغنيسيا Magnesia

أقره كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخصاصية Mesh

« وتعبر عن عدد الفتحات فى العقدة من المنخل » . رأى المجمع استعمالها بدلا من « الشبكية » المقترحة فى قائمة مصطلحات السمنت .

رسالة Monograph

وضع هذا الاصطلاح بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام .

عقـــدة Node

« ويراد بها العقدة فى قصب السكر » . أقرها المجمع كما وردت عليه فى قائمة مصطحات السكر وصناعته . ووضع مجمع فؤاد الأول « العقدة » (٥/٢٧٥) .

الفحص الطبيعى Physical Test

« وهو فحص السمنت فى الشد والكبس والتمدد الخ .. » قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Portland Cement سمنت بورتلند

« وهو السمنت الاعتيادى ، وقد نسبه جوزيف اسبدن الى بورتلاند » أقره المجمع كما ورد عليه فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت لمديرية الصناعة العامة .

Procedure السياق

« وهو طريقة الفحص » . قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Purity الخلوص

« وهو نسبة السكروس فى العصير الى مجموع المواد الصلبة بمقياس بريكس » وضعه المجمع بدلا من « نقاء العصير » الواردة فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته .

Ratoon الراتون

« وهو ما نما من قصب السكر من جذور قصب المواسم السابقة » . أقره كما ورد عليه فى قائمة مصطلحات السكر وصناعته لمديرية الصناعة العامة .

Research بحث والجمع بحوث

وضعهما المجمع بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Scientist عـالم

وضعه المجمع بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام .

Second Ratoon الراتون الثانى

« هو ما نما من جذور الراتون الأول » ، أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Setting time مـدة التجمد

« وهو الوقت بين مزج ملاط السمنت والرمل وانجماده » .

وضعه المجمع بدلا من « وقت الانجماد » الوارد فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت .

Sieve منخـل

« وهو منخل تقاس به نعومة السمنت » . أقره المجمع كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة .

السيليكا Silica

« وهو ثانى أكسيد السيليكون » • أقره كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

معامل السيليكا Silica Modulus

« وهو النسبة المئوية للسيليكا مقسومة على مجموع النسبتين المئويتين للألومينا وأكسيد الحديد » • وضعه المجمع بدلا من « موديول السيليكا » الوارد فى مصطلحات صناعة السمنت •

السلورى Slurry

« وهو مزيج سائل من الخامين الكلسى والصلصالى قبل دخوله الفرن » • أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

السلامة Soundness

« وهو مقياس ثبات الحجم فى السمنت » • قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

متخصص Specialist

أقره المجمع •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السطح النوعى Specific Surface

أقر كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

السلفتة Sulphitation

« وهى معالجة العصير السكرى بثانى أكسيد الكبريت » • أقره المجمع كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة •

قوة الشد Tensile Strength

« وهى معدل قوة ست طوبقات قياسية من ملاط السمنت والرمل وتعبر عن قوة السمنت فى الشد » • أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

تحقيق نص كتاب المقابسات

لأبي حيـــان التوحيدي

هذا الكتاب من أجل كتب أبي حيان التوحيدى ، ومن أجدرها بالدراسة والتحرير ، واذ كان من منهجي فى دراسة سيرة الرجل وأدبه أن أعمد الى مؤلفاته جميعا بدراسة مستوعبة فاحصة ، اضطررت الى تحرير هذا الكتاب ضمن ما تهيأ لى تحريره من كتبه.

هذا الكتاب على جليل خطره ، وعظيم منزلته لم ينتفع به الناس ، ولم يلتفتوا الى بليغ جدواه لشيوع الخطأ فى النسخ المطبوعة ، وعدم الوقوف على نسخ مخطوطة منه .

وقد أحسست منذ بدأت دراسته فى النسخ المطبوعة بصعوبة فهم نصوصه ، وضرورة الرجوع الى ناشر الكتاب فى مصر عسى أن أجد لديه ما يغنى ، ولكنه بعد عدة جلسات تكشف لى عن حال لا يغبط صاحبها على نشر هذا الكتاب الفلسفى ، فعذرته ونعيت عليه قوله فى صدر النسخة التى نشرها : « بأنها محققة مشروحة » على حين ليس ثمة أى تحقيق ، وصرح لى أخيرا بأنه طبع الكتاب على نسخة حجرية طبعت فى الهند ، وأنه لم يزد عليها الا تراجم الأعلام فى الهامش ، والا وضع العناوين فى الصدر .

رجعت الى النسخة الهندية فاذا هى كنظيرتها التى طبعت عليها شيوع خطأ ، واستحالة تفهم ، واضطررت بعد ذلك الى استشارة فهارس المكتبات عسى أن ترشدنى الى نسخة مخطوطة للكتاب ، ولكن الفهارس التى كانت بين يدى ـ وهى الفهارس التى تحتويها دار الكتب المصرية ـ لم تذكر نسخة مأثورة من هذا الكتاب ، وظللت فى هذه الحيرة زمنا ليس بالقصير .

وفى عام ١٩٤٦ زرت المكتبة الظاهرية بدمشق فأرشدنى مديرها الفاضل الى شطر من نسخة مخطوطة للكتاب برقم ٤٨٠٣ واذ رجعت اليها ألفيتها أوراقا من نسخة مضبوطة نسخت فى القرن السادس للهجرة ، فصححت عليها ما قابلها من النسخة المطبوعة[1].

وهنا تجلى لى عظم ما داخل المطبوعة من تحريف ، وشعرت بضرورة قصوى لتحرير نصوص هذا الكتاب . ولو لم تكن المخطوطة منقوصة الوسط والأطراف

---

(١) وهى المقابسات : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ثم ٦٠ ، ٦١ ـ ٧٠ .

لتهيأ لى تصحيح الكتاب كله ، ولكنهـا ـ ويـا للأسف ـ لم تشتمل الا على قليل من المقابسات .

وتابعت البحث فى سبيل الاهتداء الى نسخة أخرى ، فعثرت عام ١٩٤٧ وفى أثناء قراءتى فى مخطوطات « تيمور » بدار الكتب المصرية بأصل المقابستين من المقابسات ضمن مجموعة تشتمل على فنون مختلفة لمؤلفين مختلفين ، وهى تحت رقم ١٧٥ مجاميع تيمور. وعلى هذا الأصل صححت المقابستين ٩١ ، ٩٢ من النسخة المطبوعة .

وفى عام ١٩٤٧ وفى أثناء بحثى فى فهارس الكتب المخطوطة بدار الكتب عثرت بمخطوط باسم « منتخب صوان الحكمة » فلفت نظرى اسم الكتاب ، ذلك أن « صوان الحكمة » كتاب « لأبى سليمان المنطقى ، أستاذ أبى حيان التوحيدى ، وقد ضاعت أصول هذا الكتاب فيما أعلم ، ولم يعرف عنه شىء لولا ما أشار اليه البيهقى من جريه فى مؤلفه « تتمة صوان الحكمة »[1] على منوال «أبى سليمان» فى تأليفه لـ « صوان الحكمة » فكان اسم الكتاب حافزا لى على قراءته .

والكلام على « منتخب صوان الحكمة » ومؤلفه ، وعصره ليس هذا محله ولكن بخصوص ما يتصل ببحثى من شأنه أقول : انه يشتمل على منتخبات مما ترجم « أبو سليمان » لحكماء اليونان فى « صوان الحكمة » وعلى تراجم أخرى لحكماء اسلاميين زادها مؤلف « منتخب صوان الحكمة » فى كتابه ، وبعض هؤلاء ممن عاصرهم كل من « أبى سليمان » و « أبى حيان » وقابسهم هذا الأخير فى جملة مقابساته .

واذ بلغت من الكتاب تراجم هؤلاء ألفيت لغة الكتاب ـ فيمـا يروى من آثار المترجمين ـ تذهب مذهب « أبى حيان » فى طريقة عرض الأفكار ، وأحسست بأن جو كتاب « المقابسات » يشيع فى جملة هذه التراجم . فأعدت النظر فى الكتاب من جديد ، وقابلت بعض ما فيه ببعض ما فى كتاب « المقابسات » فاذا هما يلتقيان بالنص والحرف على فكرة واحدة وتعبير واحد .

ومن هذا الاتفاق التام بين نصوص فى كتاب « المقابسات » ونصوص فى كتاب « منتخب صوان الحكمة » ينشأ احتمالان ، وأمر مقطوع به . فالاحتمالان هما :

أ ـ أن يكون كل من أبى حيان ومؤلف « منتخب صوان الحكمة » قد أخذ هذه النصوص من كتاب « صوان الحكمة » .

(١) راجع مقدمة « تتمة صوان الحكمة » للبيهقى .

ب ـ أن يكون مؤلف « منتخب صوان الحكمة » قد أخذ هذه النصوص من كتاب « المقابسات » .

ويضعف الاحتمال الأول أمور . منها أن المعروف عن مؤلف « صوان الحكمة » أنه فى تراجم الحكماء اليونانيين لا الاسلاميين فيما يتصل من مؤلفه بتراجم الاسلاميين لابد أن يكون من عمل مؤلف « منتخب صوان الحكمة » ، ومنها أنه ترجم فى الكتاب لأبى سليمان ، واعتمد فى هذه الترجمة على أبى حيان ـ كما صرح بذلك[1] ، وعليه فهو قد رجع فى بعض هذه التراجم الى مؤلفات أبى حيان .

ويرجح الاحتمال الثانى ـ أعنى رجوع مؤلف « منتخب الصوان » الى كتاب « المقابسات » جملة أمور .

١ ـ ان المؤلف وقف على جملة من مؤلفات أبى حيان ، واعتمد عليها فى كتابه : نقل فى كتابه مرة عن كتاب « البصائر والذخائر وذلك عند ترجمة « أرسطاليس » و « ابن العميد »[2] . وذكر مرة اسم مؤلف لأبى حيان أسمه « الهوامل والشوامل » ورسالة له فى الطبيعيات والالهيات . ذلك المؤلف وهذه الرسالة لم يرد ذكرهما فى ثبت كتب الرجل ، وانما ورد ذكرهما فى كتاب « المقابسات »[3] فقط . فالراجح أنه عرفهما عن طريق هذا الكتاب .

٢ ـ ان مؤلف « منتخب صوان الحكمة » اذ يورد رأى من يترجمه فى مسألة ما ، لا يكتفى بذكر الرأى وحده ، وانما يبدؤه ويختمه بمثل ما أتم وختم به « أبو حيان » مقابساته من قول أو سماع ، أو شكوى ، أو بيان للطريقة التى عالج بها المقابسة . وهذا يدل على أنه نقل نص ما فى « المقابسات » وبما أن مؤلف « منتخب صوان الحكمة » من رجال القرن السادس والسابع للهجرة ، فيستحيل على مثله أن يكون هو المقابس لرجال القرن الرابع .

وأما الشىء المقطوع به فهو ان النصوص التى فى « منتخب صوان الحكمة » نفس النصوص التى فى كتاب « المقابسات » واحتمال أن يكون المؤلفان قد رجعا الى أصل ثالث لا يقدم أو يؤخر فى سلامة تصحيح أحد النصين على الآخر ، وذلك هو المهم فى

(١) انظر ص ١٣٨ من الكتاب نسخة ج ٦٦٤٣ من دار الكتب المصرية .
(٢) انظر : ٢٤ من منتخب صوان الحكمة نسخة (و) رقم ٢٦٦٣ .
(٣) انظر ص ١١٥ ـ ١١٩ من النسخة المتقدمة عند الكلام على ترجمة أحمد بن مسكويه ، وقابله بما فى المقابسات : ١٤٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٢ ط الرحمانية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحرير النص الذى نحن بصدده.

والنصوص التى سأنشرها رجعت فى تصحيحها الى :ـ

١ ـ النسخة الحجرية الهندية وقد طبعت عام ١٣٠٦ هـ ورمزت لها بـ « هـ » .

٢ ـ النسخة المطبوعة بمصر وقد نشرها السندوبى عام ١٩٢٩م وقد رمزت لهـا بـ « ط م » .

٣ ـ نسخة المكتبة الظاهرية وقد رمزت لها بـ « ظ » .

٤ ـ المقابستين اللتين فى مجموعة تيمور وقد رمزت لها بـ « ت » .

٥ ـ النسختين الفوتغرافيتين من كتاب « منتخب صوان الحكمة »[١] وقد رمزت لكل منهما بـ « م » متبوعا بالرقم الذى تحمله النسخة .

٦ ـ أخبار الحكماء للقفطى ، وقد انتفعت بها فى تصحيح سطور من المقـابسة الثانية[٢] .

وسيدرك القارىء مدى الجهد الذى بذلته فى تحقيق هذه النصوص برجوعه أولا الى النسخ المطبوعة ليشهد ما فيها من اضطراب ، ثم بمقابلتها بالأصل الذى بين يديه ثانيا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقابسة الرابعة*

فى الناموس الالهى ووضعه بين الخلق

سمعت ابن مقداد[٣] يقول : « لابد فى وضع الناموس الالهى الذى (يتوخى[٤]) به افاضة الخير ، (وبث المصلحة[٥]) ، وترتيب السياسة ، وما يورث سكون البال ، ويحسم مواد الشر ، ويوطد دعـائـم السنن ، ويبعث على تشريف النفوس ، وتزيـين الأخلاق ، ويقرب الطريق[٦] الى السعادة المطلوبة ، ويواصل أسباب الحكمة ، ويشوق

---

(١) لمنتخب صوان الحكمة بمكتبة دار الكتب نسختان احداهما رقم (و) ٢٦٦٣ ، والثانية ج ٦٦٤٣ .

(٢) انظر تاريخ الحكماء ص ١٥١ ط السعادة والمقابسات : ١٣٤ ط الرحمانية

(*) صححت هذه المقابسة على كتاب « منتخب صوان الحكمة » وهى تقابل من نسخة (و) ورقة ١٠٦ ، ومن نسخة (ج) ورقة ١٥١ .

(٣) هو الحسن بن مقداد من فلاسفة القرن الرابع وقد ترجم له المصدر السابق فى الأوراق نفسها من النسختين .

(٤) فى ط م يتوجه .

(٥) تفرد بها نسختا المنتخب .

(٦) فى نسختى المنتخب : الطـريقة .

الأرواح الى طلب الحق ، وايثار العفة[١] ، ويقدم دواعى العدل[٢] والنصفة ، والمرحمة[٣] والمكرمة ، من الأخبار التى تنقسم بين ما هو صدق محض ، وبين ما هو صدق ممزوج • وتكون الألفاظ التى تدور بها ، واللغات التى ترجع[٤] اليها كثيرة الوجود ، (سهلة [٥]) سمحة عند التأويل • وانما وجب ذلك لأن الناس فى أصل جبلتهم ، وبدء خلقهم ، وأول سنخهم[٦] قد افترقوا مجتمعين ، واجتمعوا متفرقين ، واختلفوا مؤتلفين وائتلفوا مختلفين ، واحساسهم متوقدة ، وظنونهم جوالة ، وعقولهم متفاوتة ، وأذهانهم[٧] عاملة ، وآراؤهم سانحة ، وكل منهم ينفرد[٨] بمزاج وشكل ، وطباع وخلق ، ونظر وفكر ، وأصل وعرق[٩] ، واختيار والف وعادة ، وضراوة ونفرة ، واستحسان واستقباح ، وتوق ووقفة ، واقدام وجسارة ، واعتراف[١٠] وشهادة ، وبهت ومكابرة • هذا سوى أعراض كثيرة مختلفة ، لا أسماء لها عندنا خالصة ، ولا صفات متميزة •

قال : ومثل هذا كمثل رجل أصلح طعاما كثيرا ، واسعا مختلفا ، من كل لون وجنس ، ومذاق ورائحة ، ووضع ونضد[١١] ، وحرارة وبرودة ، وحلاوة وحموضة (ومرارة وحرافة[١٢]) ، ونصبه على مائدة واسعة عظيمة (لجمع ذى عدد جم)[١٣]. فمتى لم تكن المائدة ذات ألوان مختلفة ، وأطعمة مركبة متباينة فى القلة والكثرة ، والملوحة والحرافة[١٤] (والغرافة والقذمة)[١٥] لم يقبل كل انسان على ما تتفتق[١٦] به شهوته

(١) فى ط م ، ط هـ : العقد •
(٢) فى م و ، وكذا فى م ج : العقل •
(٣) فى ط م : الرحمة •
(٤) فى م و : يرجع •
(٥) لم ترد فى ط م ، ط هـ •
(٦) فى م و : سجيتهم •
(٧) فى م و ، م ج : وأذناهم •
(٨) فى ط م : منفرد •
(٩) فى ط م : وفرع •
(١٠) لم توجد فى م و ، م ج •
(١١) فى ط م : وقصد •
(١٢) ما بين القوسين من نسختى م ج ، م و •
(١٣) فى ط م : « فجمع ذوى عدد جم » • وما اثبتناه من نسختى م و ، م ج •
(١٤) فى م و : والحرارة •
(١٥) فى ط م : « ومرقة المتقدمة » وهو خطأ • يقال : قذم قذمة : كجرع جرعة فى الوزن والمعنى •
(١٦) فى ط م : يفيق •

الخاصة له ، ولم تمتد يده (الى اللون[١]) الذى تدعو اليه العين ، لأن للعين نوعا من الطلب ليس للفم ، وللنفس أيضا مثل ذلك ، أعنى النفس المغتذية[٢] . فهذا غير ما هو مطلوب للنفس الناطقة من الترتيب والتكرمة ، والايناس والمحادثة .

قال : فلما كان الناموس الالهى نصيحة عامة للكافة[٣] وجب أن يستعان عليها بكل ما يكون ردءا لها ، ورافدا معها ، وفارشا لما انطوى فيها ، وموضحا لما خفى عنها ، وداعيا باللطف اليها ، وضامنا لحسن الجزاء عليها .

وهذا قدر كالخلاصة[٤] مما وقع التفاوض به ، سقته على ما أمكن والحمد لله وحده »

المقابسة الخامسة*

فى شرف الزمان والمكان ، وتفاوت الناس فى الفضيلة

قلت لأبى بكر القومسى[٥] ـ وكان كبيرا فى الأوائل ـ : بأى معنى يكون هذا الزمان أشرف من هذا الزمان ، وهذا المكان أفضل من هذا المكان ، وهذا الانسان أشرف من هذا الانسان ؟

فقال : هذا (يسوغ باضافة[٦]) الزمان الى سعادة شائعة ، وخير[٧] غامر ، وبركة فائضة ، وخصب عام ، وشريعة مقبولة ، وخيرات مفعولة[٨] ، ومكارم مأثورة[٩] ، من جهة شكل الفلك بما تقتضيه بعض أدواره ، وكذلك المكان اذا قابله أثر من هذه الأجرام الشريفة ، والأعلام[١٠] المنيفة . فأما[١١] الزمان الذى هو رسم الفلك بحركته الخاصة

---

(١) فى ط م : اليه باللون .
(٢) فى ط م : لدكانه . وهو تحريف .
(٣) ؟
(٤) فى ط م : كالخالصة .
(*) صححت هذه المقابسة على « منتخب صوان الحكمة » نسخة م (و) : ١٠٨ ، م (ج) : ١٥٣ .
(٥) ترجم له فى المصدر السابق نفسه ، وسماه كذا : أبو بكر الحسن بن كرده القومشى بالشين .
(٦) فى ط م : يشعر بافاضة .
(٧) فى ط م : وعز غامر .
(٨) فى م و ، م ج : معقولة .
(٩) فى م و ، م ج : موثرة .
(١٠) فى ط م : والاعمال .
(١١) فى ط م : وأما .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فليس فيه جزء أشرف من جزء ، وكذلك المكان ، لأنه رديف الزمان .

ولا سبيل فى مثل هذه المسائل الى معرفة الحقائق الا بالاحاطة[١] التى هى شاملة[٢] للعالم ، غالبة عليه من محيطه الى مركزه . وأما الانسان فلا شرف له أيضا على انسان آخر من جهة حده الذى هو الحياة والنطق والموت ، لأن الحد[٣] فى كل أحد واحد ، فاذن لا شرف من هذا الوجه ، فان اعتبر بعد هذا فعل هذا ، وفعل ذاك من جهة[٤] الاختيار والايثار والاكتساب والاجتلاب ، فذاك يقف على الأشرف فالأشرف ، والأعلى فالأعلى ، بحسب ما يوجد منظوما فى نفسه ، نافعا لغيره ، واقعا موقعه الأخص به[٥] .

المقـابسة الثـامنة *

فى أن الأسباب التى هى مادة الحياة فى وزن الأسباب التى هى علة الموت

سمعت الأنطاكى أبا القاسم[٦] ـ وكان يعرف بالمجتبى ـ يقول : الأسباب التى هى مادة الحياة هى (فى[٧]) وزن الأسباب التى هى جالبة الموت[٨] .

قيل له : فلم كان الموت على هذا أولى بالانسان من الحياة ؟ فقال : لأن الموت طبيعى ، وكل طبيعى لا محيص عنه ، وانما أطلقت[٩] الكلام الأول لأنك ترى من نجا من الموت بشىء (به يخلص غيره الى الموت)[١٠] ، (وتجد من يخلص الى الحياة بشىء به يخلص غيره الى الموت)[١١] فلو استطيع حصر هذه الأبواب (لوجد[١٢]) ما به يموت من يموت فى عدد ما به يحيا من يحيا . ثم قال : وههنا موت طبيعى معترف[١٣] به ،

(١) فى ط م : بالأمانة ، وفى م و ، م ج : بالاضافة . وقد فضلت ما ترى .
(٢) كلمة « شاملة » لم توجد فى م و ، م ج .
(٣) فى م و : لأن الحياة .
(٤) فى نسخة م و : « لا من جهة » بالنفى . وهو خطأ انفردت به .
(٥) فى ط م : منه .
(*) صححت هذه المقابسة على منتخب صوان الحكمة م و : ١١٠ ، م ج : ١٥٦.
(٦) ترجم له فى المصدر السابق نفسه .
(٧) لم ترد فى ط م .
(٨) فى ط م : « جالبة للموت » .
(٩) فى م و ، م ج : « أطلقت» .
(١٠) فى م و ، م ج : « وقع به غيره فى الموت » .
(١١) ما بين القوسين لم يرد فى النسختين المطبوعتين ولكنه ورد فى م و ، م ج وبه تم المعنى .
(١٢) لم ترد فى كل النسخ . وقد زدتها ليكمل المعنى .
(١٣) فى ط م : معرف به .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى مقابله حياة طبيعية ، وهكذا أيضا ههنا موت عرضى ، وفى مواجهته حياة عرضية ، فالموت الطبيعى قد قامت (له[١]) الشهادة من الكافة . فأما الحياة الطبيعية[٢] فحياة العقل بالمعقول ، والموت العرضى الجهل الشائع فى الانسان .

وأما الحياة العرضية[٣] فحس الانسان وحركته ، بسلامة بدنه ، وسكون أخلاطه ، وقوة طبيعته ، وتصرف سائر ما هو مركب من جهته .

ثم قال : ومن فتح الله بصر[٤] عقله ، ولحظ هذه الحقائق ترقى فى درجات المعارف ، وسلاليم الفضائل ، وانتهى الى أفق الروح والراحة ، ونجا من هذه المعادن ، التى هى معادن العطب والتلف ، ومساكن الآفات والهلاك .

وتفجر[٥] فى هذا الفصل بكل كلام شريف ، وكل موعظة حسنة ، وكان من القادرين على أمثاله ، وممن قد أيده الله بتوفيقه ومعونته .

المقابسة الحادية عشرة *

فى أن الطبيعة تعمل فى تخالف الناس على المذاهب والمقالات والآراء والنحل

سمعت أبا اسحق الصابى الكاتب يقول لأبى الخطاب الصابى (ابن عمه[٦]) :

اعلم أن المذاهب والمقالات ، والنحل والآراء ، وجميع ما اختلف فيه الناس وعليه كدائرة فى العقل ، فمتى فرض فيها قول ، وجعل مبدأ لأقوام[٧] انتهى منه الى آخر ما يمكن أن يقال . فليس من قول الا وقد قيل أو يقال ، وليس من فعل الا وقد فعل أو سيفعل ، وليس من شىء يعلم[٨] الا وقد علم أو سيعلم ، وهكذا فى الظن والرأى وغير ذلك .

---

(١) فى الأصول : منه .

(٢) بعد هذه الكلمة ترك ناشر المقابسات بياضا وقال : « بياض بالأصول التى بأيدينا » . وقد راجعت مختلف النسخ التى بين يدى فلم أجد شيئا متروكا ، كما أن المعنى يستقيم بما هو موجود .

(٣) فى ط م : بالعرض .

(٤) فى ط م : بصيرة .

(٥) لم ترد فى م ج ، م و .

(*) صححت على « منتخب صوان الحكمة » م و : ١١٣ ، م ج : ١٦٠ .

(٦) لم ترد فى ط م .

(٧) فى م و ، م ج : للأقوال .

(٨) لم ترد فى ط م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومثال[١] هذا بين فى كل ما أوردته[٢] ، وذلك أنك لا تشير الى رأى أو نحلة الا أمكنك أن تظن به كل ما ظن ويظن ، وتقول كل ما قيل[٣] ويقال • وانما يضيق مجم أحدنا وينفسح مسرب[٤] الآخر لأن الخاطر يسنح مرة ولا يسنح مرة ، والقلب يتسع تارة[٥] ولا يتسع تارة ، واللسان ينطق وقتا ويمسك وقتا •

قال أبو الخطاب : هل للخواطر والألفاظ ، والآراء والمقالات نسبة الى المزاج والطينة والهواء ، والى العناصر بالجملة ؟

فقال : نعم[٦] ، لها نسبة قوية ، وعلاقة شديدة ، ورباط متين ، الى هذه الأمور التى (تنظر فيها ، أو تطيف بها ، أو تطل عليها[٧]) ولا سبيل مع ذلك الى اتفاق الناس فى حال من الأحوال وسبيل من السبل ، ولو أمكن ذلك لوجد • ألا ترى أنه لا سبيل الى أن يكون الناس كلهم طوال القدود أو قصارها[٨] ، وضخام الرؤوس أو صغارها ، وفصحاء الألسنة أو لكنها ، أو على مذهب واحد[٩] ، ومقالة[١٠] واحدة • كيف يكون هذا[١١] أو يظن هذا ، والطبيعة انما تعطى صورتها لكلّ شىء بحسب قبوله وتهيوئه[١٢] ومواتاته ؟.فليس الرند من عطية الطبيعة ، ولكن على قدر قبوله ، وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ولكن على قدره ، فاختلاف الصور انما نشأ[١٣] من جهة[١٤] اختلاف المواد، وهذا أصل لا أصل له ، وعلة لا علة لها ؛ لأنه لم يفعله فاعل على ذلك ، بل الصورة من شأنها هذا ، والمادة من شأنها ذلك • والأمر مسبب على سنن ما ترى • فعلى هذا

(١) فى ط م : وأمثال •
(٢) فى الأصول جميعها : وأردته • وقد حررتها كما ترى •
(٣) فى ط م : كما قيل •
(٤) فى ط م : مشرب •
(٥) فى م و ، م ج : « مرة » بدل « تارة » •
(٦) لم ترد فى م و ، م ج •
(٧) فى م و ، م ج : تبطن فيه ، أو تطيف به ، أو تطل عليه •
(٨) فى الأصول : أو قصورها •
(٩) فى ط م : واحد أوحد •
(١٠) فى ط م : ومقابلة •
(١١) لم ترد فى ط م •
(١٢) فى ط م : فى تهيئته •
(١٣) فى ط م : ينشأ •
(١٤) لم ترد فى ط م •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل أحد ينتحل ما شاكله[١] مزاجه ، ونبض عليه[٢] عرقه ، ونزع اليه شرطه ، وعجن به طينه ، (وجرى بعد ذلك عليه دأبه وديدنه[٣]) .

المقـابسة الثـالثة عشرة *

فى قول القائل : العلة قبل المعلول لا مدخل للزمان فيه

« قال يحى بن عدى : قول القائل : العلة قبل المعلول (لا يدخل الزمـان)[٤] فيه ، وكذلك قول النحويين : الاسم قبل الفعل لا يتضمن معنى الزمان ، وكأنه جار فى فضاء[٥] الدهر ، والفرق بين الزمان والدهر بين .

ولعله سيسر فى موضع من هذا الكتاب .

قال له البديهى : فقولنا الأب قبل الابن أين هو من الزمـان ؟ قال : من جهـة لا مدخل للزمان بينهما ، وذلك أن الغرض فيهما أن هذا علة هذا ، ومن جهة يدخل لأنه يصير مؤذنا بأن هذا كان[٦] فى الزمان قبل هذا فى الزمان .

وأما قول النحويين : ان الاسم قبل الفعل فمعقوله[٧] أن ترتيبه مقدم عليه ، والا فمتى وجد الاسم وجد الفعل ، ومتى وجد الفعل وجد الحرف ، فرتبة الوجود واحدةفى الجميع، ومراتب الاعيان[٨] مختلفة فى الجميع[٩] . ثم قال: وينبغى أن يصفو اللحظ الذى تجرد نحو الأشياء الأول ، التى هى كثيرة بالأسماء والنعوت عند الاستعمال ، وواحدة بالحقائق والذوات ، فانهذا النظر اذا صفا وتم كفىمؤنة عظيمة وحاز[١٠] أمرا عزيزا.

عبد الرزاق محيى الدين

(١) فى م و ، م ج : ما شاكه .
(٢) فى كل من م ج ، م و : اليه .
(٣) فى ط م : « وجرى بعد ذلك على دأبه وديدنه » . وفى م ج ، و : وجرى بعد ذلك دابه وديدنه » .
(*) صححت على « منتخب صوان الحكمة » م و : ١٠٦ ، م ج : ١٥٠ .
(٤) فى ط م : لا مدخل للزمان .
(٥) فى ط م : فى قضايا .
(٦) فى م و ، م ج : كائن .
(٧) فى ط م : فمعقول .
(٨) فى م و ، م ج : الايمان .
(٩) فى ط م : « فى نحو » .
(١٠) فى م و ، م ج : وكان .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

باب الكتب

مباحث عراقية

تأليف الباحث المحقق يعقوب سركيس

عدد أوراقه « ٢٠٦ » ورقات من النوع الجيد مع صور فتوغرافية لعدة من الآثار والوثائق المحررة ، طبع بمطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد سنة ١٩٤٨ •

هذا هو الجزء الأول من « مقالات » المؤلف المذكور التى كان قد نشرها فى المجلات العراقية المشهورة ولاسيما مجلة لغة العرب ، وقد قدم هذا الجزء بعدة سطور الأستاذ العلامة محمد رضا الشبيبى ، ووصف تلك المقالات باللآلى المتناثرة قد نظمها سلك • وان الواصف لا يعدو الحقيقة اذا وصف السيد يعقوب سركيس بالباحث المتثبت الجم المعلومات الكثير المراجع وخصوصا مراجع تاريخ العراق المتأخر من تركية وفارسية وافرنجية وعربية ، خطية و غير خطية •

وقد سهل فوائد الكتاب بستة فهارس حسنة ، يستطيع الباحث أن يلتقط بها الفائدة التى يريدها من غير عناء ولا بحث طويل ، ومن جملة المباحث « سعدون باشا ومشيخة آل سعدون ، وحريم دار الخلافة ، ومنارة جامع سوق الغزل ، والمدرسة المستنصرية ، والعمارة ، والكوت ، وتل هوارة ، ونظمى زاده وذووه ، ودار المسناة » •

وكنا نأمل من المؤلف أن يجيل فى هذه المقالات قلم التتبع والاستدراك أكثر مما فعل ، لأنها أصبحت كتابا من الكتب التى يستند اليها ويعتمد عليها ، فقد نقل فى ص ٩٩ من مقالة للأب لويس شيخو أن أبا المظفر يوسف بن قزغلى المعروف بسبط ابن الجوزى توفى سنة ٦٥٦ هـ ، ولم يصحح ذلك مع اجماع المؤرخين على أنه توفى سنة ٦٥٤ هـ ، وقد أيده فى (ص ١٠٢) قال : « وحسبى وفاة السبط فى سنة ٦٥٦ ، ثم أكده فى (ص ١١٦) لأنه جعل تأريخه « مرآة الزمان » المطبوع بأمريكا ممتدا الى هذه السنة • مع أنه انتهى بسنة ٦٥٤ ، فقد توفى هو فيها •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجاء فى (ص ١٠١) قوله : « فى خبر وفاة أبى المظفر ناتكين (كذا ولعلها تاتكين) أبى عبدالله الرومى الناصرى » . ثم قال ناقلا : « وله (لأبى المظفر تاتكين) نظم حسن » مع أننا ذكرنا فى كتاب الحوادث الجامعة بل المظنون أنه هو « باتكين » بالباء ثم الألف ثم التاء ، وكررنا ذلك فى الجزء التاسع من الجامع المختصر ، وأحلنا على مراجع أخرى منها شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (٢/٣٧٠) . قال فى أخبار حملات التتر على البلاد الاسلامية : « فلما لم يبق لهم بلد من بلاد العجم الا وقد دوخوه صمدوا[1] نحو اربل فى سنة أربع وثلاثين وست مئة ، وقد كانوا طرقوها مرارا وتحيفوا بعض نواحيها ، فلم يوغلوا فيها . والأمير المرتب بها يومئذ باتكين الرومى » . ثم قال : « فانى حضرت وأنا غلام بالنظامية ببغداد فى بيت عبدالقادر بن داود الواسطى المعروف بالمحب ، خازن دار الكتب وعنده فى البيت باتكين الرومى الذى ولى اربل أخيرا ... فقال باتكين » . « مج ٣ ص ٣٨٢ » . ومن ذلك يظهر أنى لم أضبط هذا العلم اعتباطا فى كتاب الحوادث المذكور وأحلت على مراجع لم يعرفها أحد من قبلى[2] ، وقد تضافرت الأدلة على أنه « باتكين » لا غير ذلك ، وأحس مفهرس كتاب المؤلف المحقق بالغفلة فأدخل تاتكين فى « الباء » وأخرجه من باب (التاء والنون) .

ونقل فى ص ١١٣ ما هذا بعضه « سنة ٦٥٣ (١٢٥٥م) ذكر ولاية ابن الجوزى أستاذ الدار ... » . وهذا الخبر يفيد أن أبا المظفر يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزى الحنبلى تولى أستاذية الدار فى سنة « ٦٥٣ » . نقل ذلك من المخطوط الذى وسمناه بالحوادث الجامعة حين طبعه ، ومن أعجب الأمور أننا فى أثناء الطبع ووصول المطبوع منه الى حوادث سنة « ٦٥٣ » التى ذكرها البحاثة يعقوب سركيس ، شعرنا بأن الحوادث لا تناسب ما حفظناه منها خاصا بهذه السنة ، وحدانا ذلك على التحقيق والتحرى ، فعلمنا أن قطعة من حوادث سنة « ٦٤٢ » نقلت بسوء التجليد الى حوادث سنة « ٦٥٣ » ولكنا

(١) هذا هو المعنى الصحيح للفعل « صمد » ومن الغلط استعماله بمعنى « ثبت » وصابر وواقف كما مسخه تراجمة البلاغات الحربية فى أيامنا فأخرجوه بغير صورته الجميلة الدالة على الحركة .

(٢) ومن المراجع التى لم اذكر « ديوان ابن المقرب العيون » المطبوع بالهند فقد ورد فيه اسم « باتكين » مرات ومن ذلك ما فى ص ٢٠٣ ونصه « وقال أيضا وكتبها الى شمس الدين باتكين أمير البصرة وقد عارضه شرف الدين المعروف بالكاتب ضامن مكوس البصرة فى حديد انحدر معه من بغداد ، يريد عليه ضريبة مقدارا يسيرا بسبب ذلك الحديد » . وذكره ابن الفوطى فى معجم الألقاب بصورة « باتكين » أيضا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أخطأنا فى التقدير بسنة واحدة فعددناها من حوادث سنة « ٦٤٣ » ـ الحوادث ص ٢٧٩ـ والحمد لله تعالى ـ على تنبهنا على هذا الأمر المهم الذى لم يفطن له غيرنا حتى العلامة البحاثة أحمد باشا تيمور صاحب المخطوطة الأم وهو هو . فابن الجوزى المذكور ولى استاذية دار الخلافة المستعصمية سنة « ٦٤٢ » لا سنة « ٦٥٣ » كما جاء فى « مباحث عراقية » الذى نحن فى سبيل التعريف به . ويؤيد ذلك حوادث ذكرها المؤرخون منهم على ابن الحسن الخزرجى فى تاريخه ، قال فى حوادث سنة «٦٤٣» : « وفيه (فى شهر رجب) توجه المستعصم بالله الى الصيد بناحية الأنبار فلما قدم بغداد كتب أستاذ الدار أبو المظفر يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزى كتابا هذه نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم المملوك العبد يوسف بن الجوزى ... » . ثم قال فى وفاة السيدة عائشة بنت المستعصم بالله رابع شوال من سنة « ٦٤٣ » أيضا « وكتب أستاذ الدار يوسف بن الجوزى تعزية الى الخليفة فيها ... »[1] .

وفى الخبرين دلالة على أنه ولى أستاذية الدار فى سنة « ٦٤٣ » أو قبلها ، ولما لم يكن أستاذ الدار فى سنة « ٦٤١ » لزم أن يكون تولاها سنة « ٦٤٢ » أو سنة « ٦٤٣ » .

وكذلك القول فى الخبر الذى يليه وهو ترتيب جمال الدين عبدالرحمن بن يوسف ابن عبدالرحمن بن الجوزى الحنبلى مدرسا لطائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية ـ ص ١١٢ـ فانه ولى التدريس فيها لما نقل والده الى الأستاذ دارية أعنى سنة « ٦٤٢ » على التحقيق ، قال الخزرجى فى حوادث سنة « ٦٤٢ » :

« وفى شهر جمادى المذكور استدعى أبو الفرج عبدالرحمن بن يوسف الجوزى الى دار الوزير وشرفه بتدريس الطائفة الحنبلية فى المدرسة المستنصرية »[2] .

وكذلك فعل المحقق الجليل فى وفاة نقيب النقباء أبى طالب الحسين بن أحمد بن المهتدى بالله ـ ص ١٤٢ ـ قال ناقلا « سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥) وفيها توفى نقيب النقباء بهاء الدين أبو طالب الحسين بن أحمد بن المهتدى بالله . كان خطيبا بجامع الخليفة ... » . فنحن قد ذكرنا هذه الوفاة فى حوادث سنة ٦٤٣ ـ ص ٣٩٢ ـ التى يجب أن تكون سنة « ٦٤٢ » يؤيد ذلك ما جاء فى كتاب ابن كثير والخزرجى .

وجاء فى ص ١٤٩ ما نصه « جاء فى مناقب بغداد أن عمر بن بيلقا (كذا) الطحان استأذن بعمارة مسجد العقبة وصليت به الجمعة فى منتصف شعبان سنة ٥٣٨ » . قال هذا

(١) أصول التأريخ والأدب (م ٢٢أ ص ١٥٨ـ٩) .
(٢) المرجع المذكور (ص ١٥٤) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليقا على ما ورد فى كتاب الحوادث فى سنة « ٦٤٠ » من ذكر جامع بهليقا .

ولم يرجع الباحث المحقق الى كتاب الجامع المختصر فى الجزء التاسع منه وقد ذكرناه آنفا ، فقد ذكر فى حوادث سنة « ٥٩٨ » وفاة « أبى زكريا يحيى بن عمر بن على ابن أحمد بن بهليقا الطحان ، وكان أحد الشهود المعدلين ، قال المؤرخ ابن الساعى مؤلف الجامع المختصر « وجامع العقبة بالجانب الغربى المعروف بجامع بهليقا أبوه بناه »[1] . وقال الأب أنستاس مارى الكرملى فى فهرست الجامع المختصر ـ ص ٣٧٧ ـ : « ومعنى بهليقا بالارمية المطمئن النفس الساكنها أو الهادئها » .

ولم يرجع الى الجزء الثامن من مرآة الزمان ، قال سبط ابن الجوزى فى حوادث سنة « ٥٦٠ » هـ : « وفيها توفى عمر بن بهليقا الطحان البغدادى الذى عمر جامع بهليقا بالجانب الغربى من بغداد بالقرية ، كان مسجدا صغيرا ... »[2] . وقال ابن الجوزى فى حوادث سنة « ٥٣٨ » : « وأذن فى اقامة الجمعة بجامع ابن بهليقا فصار أحد الجوامع المذكورة » . وفى حوادث سنة « ٥٦٠ » ذكر وفاة ابن بهليقا قال « عمر بن بهليقا الطحان عمر جامع العقبة بالجانب الغربى »[3] ... » .

فهذه كتب مطبوعة كان الباحث المحقق خليقا بأن يراجعها ، أما التواريخ المخطوطة كتاريخ ابن الدبيثى وتاريخ ابن النجار فقد ذكرت ابن بهليقا وجامعه ولكن مؤلف المباحث غير ملزم أن يطلع على المخطوطات التى ليست عنده . ومرادنا بكل ما ذكرنا أن يقول ان الاسم « بهليقا » لا بهلقا .

وجاء فى ص ١٦٢ من الكتاب مقال فى « دفين جامع الآصفية » ولم يستوف الباحث المحقق الكلام على جامع الآصفية ، ولم يذكر ما الذى كان من قبل ، وهذا الذى حمله على الشك فى موضع « مسجد الحظائر » ـ ص ١٦٧ ـ أفى شمالى المستنصرية هو أم فى جنوبها ؟ ، وقال فى تلك الصفحة « يرينا كتاب المساجد أن جامع الآصفية هو من مرافق المستنصرية لكنه لم يرو لنا المصدر ، وقال القنصل الفرنسى ريموند فى بغداد عن طراز البناءين المذكورين انهما واحد ، وكان القنصل المذكور فى بغداد أوائل القرن

(١) ج٩ ص ٩٤ ـ ٥ والعقبة هى محلة الشيخ صندل الحالية وفيها ولد ابن الرومى . كما فى وفيات الأعيان .

(٢) ج٨ ص ١٥٧ من طبعة شيكاغو و «ج٨ ص ٢٥٣» من طبعة الهند .

(٣) المنتظم «ج ١٠ ص ١٠٨ ، ٢١٢» .

التاسع عشر وحكى لنا عن جامع الآصفية قبل أن يسمى بهذا الاسم فقال « ... المولاخانه تكية للدراويش لا يفصلها من المدرسة المستنصرية الا طريق يفضى الى الجسر والظاهر أنها منها وقد اتصل به أن المولاخانه كانت جامعا لطلاب المستنصرية » . ونقل من كتاب كلشن خلفا أن محمد جلبى كاتب الديوان بنى زاوية الدراويش المولوية سنة « ١٠١٧ » هـ .

قلنا : ان تكية المولوية أى جامع الآصفية هى دار القرآن المستنصرية مع مسجد مجاور لها ، أمر ببنائها المستنصر بالله مع المدرسة المستنصرية ، فقد جاء فى الحوادث المطبوعة ـ ص ٥٣ ـ فى خبر فتح المستنصرية :

« فى جمادى الآخرة تكامل بناء المدرسة المستنصرية التى أمر بانشائها الخليفة المستنصر بالله ... فركب نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة ... وقصد دار الخلافة[١] واجتاز بها الى دجلة ونزل فى شبارة من باب البشرى[٢] مصعدا الى « الدار المستجدة »[٣] المجاورة لهذه المدرسة وصعد اليها وقبل عتبتها ودخلها وطاف بها ودعا لمالكها وكان معه أستاذ الدار مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمى وهو الذى تولى عمارتها ، ثم عاد متوجها الى داره فى الطريق التى جاء بها » . ثم قال فى شروط المدرسة ـ ص ٥٨ ـ « وشرط أن يكون فى الدار المتصلة بالمدرسة ثلاثون صبيا أيتاما يتلقون القرآن المجيد من مقرىء متقن صالح ويحفظهم معيد معه وله من الجراية والمشاهرة والتعهد ما للمشغلين بعلم الحديث » .

وقال الخزرجى فى تاريخه فى الشروط « وأن يكون فى « دار القرآن المجيد » شيخ يلقن القرآن وثلاثون صبيا أيتاما ومعيد يحفظهم التلاقين ، يكون للشيخ فى كل يوم خمسة أرطال خبزا وعرقان طبيخا ، وفى الشهر ثلاثة دنانير وللمعيد فى كل يوم أربعة أرطال خبز وعرق طبيخا وفى كل شهر دينار وعشرة قراريط ولكل صبى من المتلقنين فى كل يوم ثلاثة أرطال خبزا وعرق طبيخا وفى كل شهر ثلاثة عشر قيراطا وحبة »[٤] .

ومن المؤرخين من يخلط بين أخبار المدرسة المستنصرية ودار القرآن هذه لأسباب منها اتصال أخبارهما وتجاورهما واشتراكهما فى البانى وتاريخ البناء والافتتاح تقريبا .

---

(١) كانت دار الخلافة المذكورة فى الخبر على طول شارع المستنصر الحالى .

(٢) لعل هذا الباب شريعة نجيب باشا وعنده مخزن أوروسدى باك .

(٣) المستجد والمستجدة اصطلاح الدولة على تسمية مبانيها الحديثة تسمية عامة .

(٤) أصول التاريخ والأدب « مج ٢٢أ ص ١٢٦ » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكرها ابن الفوطى فى « معجم الألقاب » قال فى ترجمة أبى الفضل يونس بن يحيى بن عبدالله الخالدى النيلى الخطيب « استوطن بغداد وسكن بالمسجد المجاور لدار القرآن بالمستنصرية ، وكان يتردد الأصحاب اليه »[١] . توفى سنة « ٦٩٣ » هـ .

وقال فى ترجمة أبى محمد عبدالله بن عبدالغنى بن سكينة الصوفى « كان شيخا خيرا متواضعا أحد صوفية رباط جده[٢] ومعيدا بدار القرآن المجاورة للمستنصرية ، توفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وستمائة ودفن بمقبرة معروف »[٣] .

وقال فى سيرة عمر بن أحمد بن غزار البعقوبى « كان فى العدول أيام قاضى القضاة سراج الدين الهنايسى وكان شيخ دار القرآن المنسوبة الى المستنصرية »[٤] .

وفى ترجمة « مظفر الدين أبى عبدالله المبارك بن عبدالله » عتيق ابن الدامغانى ، الرومى المقرىء » : « رتب شيخا بدار القرآن بالمدرسة المستنصرية فى شعبان سنة احدى وثمانين وستمائة ، وكان شيخا كثير التلاوة حسن الأداء »[٥] .

وهذه الدار ليست « دار سنقرجا » التى فى جنوبى المدرسة المستنصرية ، وانما هى دار القرآن التى ذكرناها آنفا فى النصوص التاريخية ووصفها كتاب مساجد بغداد نقلا من تاريخ الصفدى ناقلا من تاريخ ابن الساعى — ص ٨٩ — بأنها « فى الحد الأعلى منها ، فلم ير مثلها أحد ولا لادراك وصفها أمد . ولا يزال ايوانها شاهدا بعظمتها وفخامتها وان اتخذ مخبزا قبلا ومحذاة أخيرا . ذكرنا ذلك لأن الباحث المحقق قال فى كتابه — ١٦٨ — « ويسوقنا الى الظن ان دار سنقرجا كانت فى شمالى المدرسة ما جاء فى كتاب مساجد بغداد ... أن الدار المجاورة لهذه المدرسة فى الحد الأعلى ... » . فان أحدا لم يذكر أن دار سنقرجا هى « دار القرآن » المستنصرية حتى يصح توحيد المؤلف الجليل بينهما .

والخبر الذى نقله من الحوادث المطبوعة من أخبار سنة ٦٤٦ من أنه فى غرق تلك السنة « نبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية ومن دار سنقرجا زعيم خوزستان

---

(١) « ج٤ ص ٤٦ » . من نسختنا . وراجع رسالة مؤرخ العراق — ابن الفوطى — ص ١٢ — فقد جعلت ترجمته لرجل آخر اسمه « عفيف الدين أحمد بن ميمون الحلى » .

(٢) يعنى رباط شيخ الشيوخ وكان فى موضع خان الباجهجى بسوق الكمرك ، وكان قبالة باب المدرسة النظامية .

(٣) المرجع المذكور — ص ٨٠ — .

(٤) كذلك — ص ٢٤٣ — .

(٥) كذلك « ج٥ ص ٧١ » من نسختنا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجاورة للمستنصرية ومن مسجد الحظائر المعروف بأم الناصر المجاور لهذه الدار » ، لا يفيده شيئا بعد أن علمنا من تاريخ الصفدى بالواسطة أن دار القرآن المذكورة كانت فى الحد الأعلى وأن لها تاريخا مستقلا ، وكذلك القول فى الدار التى دخل السلطان محمود غازان منها الى المستنصرية فلم تكن الا دار سنقرجا[1] ، لأن دار القرآن لم تكن مسكنا لأمثال شيخ المشايخ ولا لغيرهم ممن لم ينص عليهم شرط الواقف المستنصر بالله الخليفة العباسى .

وبذلك يستبعد جدا قول الباحث المحقق ـ ص ١٦٩ ـ « واذا ترجيحى هذا أضحى من الأكيد أو شبيه أن الدار المحكى عنها هى لسنقرجا فتكون الآصفية مسجد الحظائر المجاور لهذه الدار كما رأيناه . ولعل هذا المسجد هو جامع المستنصرية الذى ذكره كتاب الحوادث[2] » .

فقد ذكرنا جامع دار القرآن المستنصرية بل مسجدها فيما نقلنا من ترجمة يونس ابن يحيى النيلى آنفا ، ومسجد الحظائر كان مبنيا قبل دار القرآن بأكثر من « ٢٢ » سنة ، ألا ترى أن النص التاريخى الذى نقله يصفه بالمعروف بأم الناصر ، وقد نقل هو نفسه أنها كانت تعرف بزمرد خاتون وتوفيت سنة ٥٩٩ ودفنت عند معروف الكرخى ـ ص١٨٤ ـ ، فكيف يكون المسجد المبنى قبل سنة « ٥٩٩ » فى موضع الدار المبنية سنة « ٦٣١ » ؟ وكنا ذكرنا فى الجامع المختصر « ج٩ ص ٥٥ » أن مسجد الحظائر المذكور هو مسجد الخفافين الحالى بسوق الكمرك ، وهو مشرف على دجلة ، ولو أحال على ذلك المرجع لترك لنفسه مجالا للتخلى عن احتماله الأول البعيد عن الواقع كل البعد ، فلذلك لم نجد بدا من الاشارة .

وممن ذكر مسجد الحظائر أبو عبدالله ابن الدبيثى فى تأريخه ، قال فى ترجمة أبى حفص عمر بن يوسف بن محمد المقرئ المتوفى سنة «٦١١» : « وأم بالمسجد الذى أنشأته الجهة الشريفة والدة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ـ خلد الله ملكه ورضى عنها ـ بشرعة المزملات ، سنين الى حين وفاته »[3] .

---

(١) جاء فى حوادث سنة٦٩٦ من الحوادث المطبوعة أن غازان دخل المستنصرية من الدار المجاورة لها وكان يسكن بها « نظام الدين محمود شيخ المشايخ » .

(٢) ذكر فى حوادث سنة « ٦٧٢ » كما أشار اليه المؤلف فى الأصل .

(٣) نسخة باريس المرقومة « ٥٩٢٢ عربى » الورقة « ٢٠٤ » .

ومنهم محب الدين محمد بن محمود بن النجار فى تاريخه ، قال فى ترجمة المقرئ المذكور « ورتب اماما فى المسجد الذى بنته أم الخليفة الامام الناصر لدين الله بالحظائريين على شاطىء دجلة »[١] .

وقد تبين من الخبرين أن هذا المسجد بنى فى موضع الحظائريين عند مشرعة المزملات على شاطىء دجلة ، ولا تزال مئذنته من البناء الأصلى كما نبهنا عليه فى « مجلة سومر » . ولو لم يذكر ابن النجار موضعه من الحظائريين لحق لنا أن نشك فى موضعه ، فالآن قد بين الصبح لذى عينين . وتبين أيضا أن دار الأمير سنقرجا كانت بين جامع الخفافين والمستنصرية وفى أرضها فتح مدخل الكمرك القديم أعنى بابه الحديث .

وجاء فى ص ١٧٨ « فحماه منهم الشيخ ظهير الدين البخارى (؟) المدرس » . ولا حاجة الى علامة الاستفهام فقد ذكره هو نفسه قبل ورقة بصورة « ظهير الدين محمد بن عمر النوحاباذى[٢] البخارى الحنفى » – ص ١٧٥ – .

ويتخذ المؤلف الفاضل « التكذية » أى وضع « كذا » من دون حاجة اليها أحيانا كما فى ص ١٧٣ « عين عليه (كذا) مشتغلا[٣] فى علم الحديث » . والأصل صحيح فهو من « عين على فلان » مثل « قصر عليه » فهو معين عليه ومقصور عليه[٤] . وجاء فى ص ١٧٧ « القاضى بدر الدين على بن محمد بن ملاق (كذا) وفوض اليه » . فلماذا وضع كذا ؟ . وفى ص ١٤١ « وفى آخر شعبان ٦٣٥ انتهى (كذا) عمارة باب جامع القصر » . وفى ص ١٣٧ « عند الباب الحديد (كذا) من شارع الرصافة » . ولا يجوز فى العربية الا « الباب الحديد » عند الوصف . وفى ص ١٢٢ « لأن جميع العباسيين فى تلك الديار معتقلين (كذا) » وهى حال . وفى ص ١١٨ « وفيه العتبة التى كانت (كذا) يقبلها الملوك والرسل » . أراد ان الأصل « تقبلها » . وفى ص ١١٤ « الذين كانوا فى دار الصخر (كذا) ودار الشجرة » ودار الصخر من الدور المشهورة فى خطط بغداد ، ولعل الباحث الفاضل تعوزه المراجع فى تحقيقها فهو معذور .

وفى (ص ١١٤) فى حوادث سنة ٦٥٦ : « ثم عين على بعض الأمراء فدخل

(١) نسخة باريس المرقومة « ٢١٣١ » الورقة « ١٢٦ » .
(٢) كذا ورد والصواب بالجيم .
(٣) وقعت فى المطبوع من الحوادث أيضا « مشتغلا » والصحيح « مشغلا » أى راويا ومقروءا عليه وغير ذلك .
(٤) جاء هذا التعبير فى ص ١١٤ فلم يعترض عليه وسننقله بعد اسطار .

(هولاكو) بغداد ومعه جماعته » وزيادة « هولاكو » ليست صحيحة فان الأمير هو الذى دخل اذ ذاك لا هولاكو ، ويصح دخول هولاكو ولكن فى غير هذه المرة .

وجاء فى ص ٢ « وذلك دليلا عما أبرزه » والصواب « دليل على ما أبرزه » . فان الواو تثبت الابتداء والرفع ، وفى ص ٨ « ومستندة على ثقات الرواة » ، والصواب « الى ثقات » . وفى ص ٨ « وما هذه الدفينة الا جزءا » . والصحيح رفع جزء وفيه غير ذلك .

والذى ذكرناه من الأمور الطفيفة بالاضافة الى هذا الكتاب الحافل بالتحقيق والتدقيق ، الجزيل الفوائد الوافر المراجع والمنافع ، ولولا أن التنبيه واجب لاستحيينا أن نذكر ما ذكرنا لضآلته .

مصطفى جواد

العربية الغربية القـــديمة

Ancient West-Arabian, by C. Rabin, London 1951.

طبع لندن ١٩٥١م ، ص ٢٢٥ من القطع المتوسط ، فيه خوارط للقبائل واللهجات .

هذا الكتاب هو بحث فى لهجات العربية الغربية ، أى الحجاز واليمن فى القرنين السادس والسابع للميلاد ، مؤلفه « حايم رابن Chaim Rabin » المحاضر فى موضوع العبرانية قبل عهد التوراة بجامعة أكسفورد .

حملته على تأليفه هذا ، الدراسة التى قام بها فى عام ١٩٣٧ للهجات العربيـــة الشرقية ، ويقصد بها لهجات تميم وربيعة وأسد وعقيل وغنى وقيس ولهجات أخرى تابعة لهذه المجموعة ، للحصول على درجة « دكتور » . وقد كتبها متأثرا بنظرية « كارل فولرس Karl Vollers المستشرق الذى أثار ضجـة فى مؤتمـر المستشرقين الـذى انعقد فى الجزائر عام ١٩٠٥ برأيه الغريب عن نص القرآن الكريم حيث زعم أنه نزل فى الأصل بلهجة أهل الحجاز ، وهى لهجة الرسول ، ثم صقل ـ بزعمه ـ مرارا ـ ، صقله النحويون ليوافق العربية الفصحى التى هى لغة أهل البادية : لغة الشعر والأدب الرفيع !! وقد كرر هذا الرأى وأعاده المستشرق « بول كاله Paul Kahle فى محاضرة ألقاها بمدينة لندن عام ١٩٤٧ عن نص القرآن[1] .

1- Vollers, Volksprache Und Schriftschprache in alten Arabien, Strassburg 1906.

وقد أثارت هذه الدراسة فى نفس المؤلف الشوق الى دراسة لهجات أهل العربية الغربية ، وهى لهجات أهل الحجاز واليمن ، فجمعها بين دفتى هذا الكتاب . وهو يتألف من أربعة عشر فصلا تحدث فيها عن اللغويين وما صنفوه فى اللغات واللهجات ، وعن الآراء التى قيلت فى اللغة الفصحى لغة الأدب عند الجاهليين ، ثم عن لهجات أهل اليمن عامة وما أورده اللغويون من أمثلة من لهجاتهم ، وبحث بعد ذلك فى لهجة حمير ، فالأزد ، فاللهجات اليمانية الشمالية ، فلهجة هذيل ، فلهجات أهل الحجاز . وأعقبها ببحث عن الحركات ، ثم الحروف الساكنة ، ثم عن اللواحق والكواسع ، فلغة طىء .

وموضوع الكتاب فى الواقع موضوع خطير ليس من السهل البحث فيه ، والوسائل والمواد قليلة يسيرة . لذلك حاول المؤلف جمع كل ما علمه من آراء وأقوال فيه ، ليكون للقراء فكرة عامة عن الموضوع . وهو يرى تقسيم اللهجات العربية الى مجموعتين : لهجات شرقية ، ولهجات غربية ، متبعا فى ذلك التقسيم القديم الذى يرجع اللهجات الى أصلين : تميم ، وحجاز . ويرى أن لغة الشعر والنثر هى لهجة من اللهجات العربية الشرقية نبتت أصولها فى نجد ، وقد استعملت فى الحجاز وخاصة فى مكة فى الشعر والنثر ، وبهذه اللهجة نزل القرآن الكريم . أما لغة عامة الناس ، فكانت بلهجة أهل الحجاز !

وهذا التقسيم ، أو أى تقسيم آخر معروف فى الزمن الحاضر ، هو تقسيم « كيفى » لا يستند الى اسس علمية وحجج قائمة . فما سجل فى كتب اللغة عن اختلاف اللهجات نوادر ، والنادر لا يحكم عليه . وهو فى الغالب مفردات ، والمفردات لا تعطينا فكرة علمية صحيحة عن التركيب والجمل والكل . ولهذا وجب الرجوع الى النصوص المدونة قبل الاسلام ، والى دراسة لهجات القبائل الباقية ، وتحليلها بالأساليب العلمية الحديثة المتبعة فى دراسة اللغات للاستعانة بها فى الرجوع الى الماضى . أما طريقة « حايم رابن » وأمثاله ، فهى وان كانت تريد السير على المنهج الذى ذكرته ، ولكنها لا تزال بعيدة عنه كل البعد ، لذلك وجب الحذر كثيرا من التسليم بما ورد فى الكتاب من آراء ، وفيها ما يجب رفضه ونبذه ، وليس من العسير تمييزه .

جواد على

= رد عليه بعض المستشرقين مثل « نولدكه فى كتابه » :
The Noldek, (Zur Sprache des Korans) in Neue Beitrage Zur Semitisxhen Sprdchwissenschaft 1910.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

موجز تأريخ الشرق الأوسط منذ ظهور الاسلام حتى الزمن الحاضر

المؤلف جورج • اى• كيرك

A Short History of the Middle east From the Rise of Islam to Modern times

by Goeorge E. Kirk

أخرجت شركة Metuen للنشر بلندن هذا الكتاب لمؤلفه « جورج كيرك » ، وأصله محاضرات ألقاها المؤلف فى « معهد الشرق الأوسط للدراسات العربية » Middle East Centre for Arab Studies على الطلاب الانكليز الذين يرغبون فى الاشتغال فى الشرق الأوسط ويحتاجون الى تفهم روحية السكان فى هذا القسم المهم من العالم ، واتجاهاته ، وتأريخه القديم • فهى اذن محاضرات ذات صبغة عامة رسمت الخطوط الأساسية لـ « خارطة » السياسة الحاضرة فى بلاد الشرق الأدنى بتدقيق وعناية • فأما الفروع والقضايا الأخرى التى تهم المتخصصين ، فلم تتطرق اليها هذه المحاضرات ؟ لأنها وضعت لأناس ليسوا من المستشرقين ولا من العلماء المتخصصين ، وانما هم طبقة من الموظفين والسياسيين الذين ترسلهم حكومتهم الى بلاد الشرق الأوسط ، فهم أنفسهم فى حاجة الى تعرف حالة السكان الذين سيشتغلون بينهم ، والى الاطلاع على الأفكار العامة التى تسود جو السياسة فى الشرق الأوسط ، والى المعرفة الضرورية التى تنير السبيل لهم للعمل فى كل قطر من هذه الأقطار التى تدخل فى نطاق هذا المفهوم : تلك الأفكار التى تمهد لهم طريق التخصص ، وتعرف على المشكلات البلدية والقطرية فيما بعد •

وقبل أن أدخل فى نقد الكتاب ، أرى لزاما على أن أشرح المراد من Middle East فى الزمن الحاضر ، فقد تغير مفهومه منذ الحرب العالمية الأخيرة عما كان عليه قبل نشوبها ، اذ كان ساسة أوربة يقسمون القارة الآسيوية الى ثلاث مناطق : منطقة الشرق الأقصى ، أى (The far East) وتشمل فى الدرجة الأولى اليابان والصين والبلاد التى تعتمد عليها ثقافيا وجغرافيا • ومنطقة الشرق الأوسط ، أى (Middle East) ، وتشمل الهند وبرما وأفغانستان وايران • ومنطقة « الشرق الأدنى » ، أى (Near East) ، وتشمل أرضى الانبراطورية العثمانية القديمة وشبه جزيرة العرب • غير أنه لأسباب

غير واضحة حتى الآن تغير مفهوم (Middle East)منذ وقعت الحرب العالمية الأخيرة حتى الآن ، فأطلق مثلا على قيادة القوات البريطانية المرابطة في مصر « قيادة الشرق الأوسط » Middle East Command، وأطلق هذا الاصطلاح على عدة من المؤسسات البريطانية الأخرى في القاهرة مثل « مركز تموين الشرق الأوسط » . وقد أثار هذا التبديل شيئا من النقد في « البرلمان » البريطاني ، فطلب من الحكومة البريطانية أن تبين الأسباب التي دعت الى هذا التغيير ، فأجاب رئيس الوزارة البريطانية في نيسان سنة١٩٤٦ أن الحكومة قد وافقت على اطلاق مصطلح Middle East على العالم العربي والممالك المجاورة له ، وهو اصطلاح أملته التجارب العملية . ولا يزال الأمريكيون يفرقون بين (Middle East) و (Near East) .

أما مؤلف الكتاب « جورج كيرك » ، فهو من المتخصصين بعلم الآثار ، وقد اشتغل في الشرق الأوسط قبل الحرب العالمية الأخيرة ، وللخبرة التي حصل عليها وتتبعه لمجاري الفكر والاتجاهات الحديثة في الشرق الأوسط واتصاله بالزعماء البارزين اختير للعمل في دوائر الاستخبارات البريطانية في القاهرة . ولما استسلمت ايطالية نقل الى القدس ، وهناك جعل محاضرا في « معهد الكولونيل برترام توماس للشرق الأوسط للدراسات العربية » الذي يعنى بتدريس الضباط البريطانيين (من القوات المسلحة الثلاث البرية والجوية والبحرية) والموظفين البريطانيين المدنيين ، مدة سنة ، تاريخ الأقطار العربية ومدنيتها وعاداتها ولهجاتها وآداب اللغة العربية . فلذلك تهيأت للمؤلف في أثناء اشتغاله في دوائر الاستخبارات في القاهرة والقدس المحاضرات في هذا المعهد مادة سمينة ومراجع مهمة رجع اليها في تكوين كتابه وفي بناء محاضراته التي ألقاها في « المعهد الملكي للشؤون الخارجية » بلندن ، ثم ألف منها هذا الكتاب .

ان تأليف كتاب مركز موجز في تاريخ الشرق الأوسط منذ ظهور الاسلام حتى زماننا ، عمل جد عسير . ولاسيما اذا أريد أن يكون جامعا سمين السادة ، يرسم الخطوط الأساسية والاتجاهات الرئيسة التي ظهرت في مختلف نواحي الحياة في هذه العصور . ومع ذلك استطاع المؤلف أن يجتاز الموانع بسلامة ، ويصل الى هدفه في أقصر وقت ممكن مع غلطات اذا قيست بغلطات غيره كانت قليلة قلة نسبية ، ولا سيما غلطات الأقسام العصرية من الكتاب ، وهي تمثل سياسة الزمن الحاضر ، وقد حصل على خبرة عملية فيها لم تتهيأ الا لقليل من أمثاله الذين عرفوا مداخل السياسة البريطانية وزوايا شعب الدوائر الاستخبارية ، واطلعوا على الوثائق السرية التي لا يستطيع أن يقف عليها الا

موظفو تلك الأقسام .

وقد وضع المؤلف فى هذه الصفحات البالغة عدتها « ٢٨٩ » صفحة خلاصة مركزة للحياة السياسية ، والمذاهب السياسية الحديثة التى وجدت سبيلا الى أقطار الشرق الأوسط، وأهم القوى التى تقوم الآن بدور فى الميدان السياسى ، غير أنه لم يغفل مع ذلك عن النواحى الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التى لها دخل كبير فى المحافظة على التوازن السياسى فى كل قطر .

وتظهر براعة المؤلف فى ابراز فكرته بصورة سلسة مبتدئا من الفصل الخامس الخاص بالتجديد ، ونماء الفكرة القومية عند العرب من سنة ١٨٠٠م فما بعد ، فقد رسم فى هذا الفصل وفى الفصول التالية له صورا واضحة حية مفهومة لنضال الشعوب العربية من أجل حريتها وقوميتها واستقلالها ، وللتخلص من سيطرة الأتراك والأوربيين حتى سنة ١٩٤٨ م .

تحدث المؤلف فى هذه الفصول عن جهاد العرب فى سبيل استقلالهم من سنة ١٩١٨م حتى سنة ١٩٣٩م ، وهو يمثل العهد الأول من عهود هذا الجهاد . ثم تحدث فى الفصل السابع عن الحرب العالمية الأخيرة وما بعدها ، ووضع الشعوب العربية فى هذه الحرب . ثم تحدث فى الفصل الثامن عن البلاد العربية فى الوقت الحاضر أى سنة ١٩٤٨م والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تعانيها الأقطار العربية ، وخصص الفصل التاسع بروسية والشرق الأوسط . فأما الفصل العاشر ، وهو خاتمة الفصول ، فقد خصص بالدول الغربية وعلاقاتها بأقطار الشرق الأوسط فى هذا العصر . وبذل المؤلف مجهودا يقدر لافهاء القارىء التطورات التى حدثت فى الشرق الأوسط فى الحرب العالمية الأخيرة ، والتغير الذى طرأ على مختلف النواحى المادية والروحية فى البلاد العربية ، ثم رغبة السكان فى التخلص من نفوذ كلمة الاستعمار القديم . وبحث عن الجامعة العربية والآمال التى كان العرب يعقدونها عليها من حيث انها ستقوم باصلاحات كبيرة فى الأقطار العربية فى التربية والتعليم والزراعة والاقتصاد والحالة الصحية ورفع مستوى السكان . وهو يرى أن الجامعة لم تتمكن من تحقيق هذه الآمال ، ولم تنجح فى حل هذه المشكلات المعقدة التى يتذمر منها العالم العربى ، لأسباب كثيرة يرجعها فى الغالب الى عوامل تأريخية ورثها العالم العربى من العصور السابقة ، منها العقلية البدوية التى لا تزال تتحكم فى النفوس ، وان كان ذلك لا يستلزم أن يكون حملتها من

رجال الخيام والجمال .

وقد سار « جورج كيرك » على القاعدة التى وضعها المؤرخ الانكليزى الشهير « تريفليان » G. M. Trevelyan فى معالجته للبحوث التأريخية ، وهى : أن الأحوال الاجتماعية رهينة الأحوال الاقتصادية . فأما الأحوال السياسية ، فهى نتيجة الأحوال الاجتماعية . وعلى هذه القاعدة سار فى نقده وتحليله للأحوال الاجتماعية والاقتصادية فى الشرق الأوسط .

وفى ضوء هذه الفكرة استعرض المؤلف مشكلات شتى من التى يعانيها العالم العربى فى هذه الأيام ، فتكلم فى مشكلات توزيع الأرضين وحالة الفلاحين فى مصر وفى الأقطار العربية الأخرى ، والفروق التى ظهرت بين الفلاح وصاحب الأرض ، وانخفاض مستوى المعيشة عند الفلاحين ، وقلة ما يتناولونه من الوقدات « الوحدات الحرارية = الكالورى » الضرورية اللازمة لمعيشة انسان ، وما تولد عن ذلك من انخفاض النتاج ومن ظهور مشكلات ذات خطر بين أصحاب الأرضين والفلاحين الذين لا علاقة طبيعية لهم بالأرض بسبب هذه القوانين التى ورثوها من أيام الاقطاع . ثم تكلم على النفط ، وأثره فى اقتصاديات البلاد العربية ، واستغلال الشركات له ، والنزاع الانكليزى الأمريكى على امتلاك آباره وكيف أثر ذلك فى الوضع السياسى للبلاد العربية وفى تعيين الحدود ، فبينما كانت أمريكة تريد مثلا الحاق لواء الموصل بتركية متأثرة بضغط رجال شركات النفط الأمريكية ، اذ أرادت بريطانية الحاقه بالعراق رغبة منها فى استثمار نفط العراق وآباره بكمالها لا حبا للعراق . وقد كان ذلك موضع مساومة مع رجال الحكومة العراقية وضغط لهم كى يتساهلوا فى شروط الامتيازات .

وكان مما قاله فى « الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى الوقت الحاضر » أن العامل الرئيس فى فقر الطبقات القروية والمزارعين يعود الى الجور فى توزيع الأرضين فى جميع أقطار الشرق الأوسط ، ففيها يملك عدد ضئيل من الاقطاعيين أرضين شاسعة ، مع أن هنالك ألوفا بل ملايين من الناس لا يملكون غير بقاع صغيرة ، أو يشتغلون بالأجرة أو بالملزمة من كبار الاقطاعيين . وقد يمر جيل أو جيلان حتى تظهر طبقة مهذبة متعلمة تتمكن من اصلاح الفاسد وتقويم المعوج ، الا اذا حدث انقلاب اجتماعى تفرضه حوادث خارجة عن نطاق العالم العربى » .

وقد انتهى فى كتابه الى هذه النتيجة ، وهى : أن السنين التى مرت بين تنبه الوعى القومى فى البلاد العربية ، والحرب الأخيرة ، على ما صحبها من تحسن فى الحالة

الاقتصادية والاجتماعية ، كان التقدم فيها بطيئا لم يحقق كل رغائب الوطنيين ، والاكثرية من الشعب • وقد أشار الى أضرار ذلك ، والى الخطر الذى ستتعرض له مصالح الدول الغربية اذا هى ظلت صامتة تنظر الى الحالة بغير اكتراث ولا اهتمام ؛ لأن روسية السوفيتية التى تنظر الى الشرق نظرة جد واهتمام ، من حيث انه مواضع وثبة لابادة الجهاز الاقتصادى والحربى الروسيين ، ستنتهز فرصة هذه الحالة من الفوضى الاجتماعية والسياسية الضاربة فى البلاد لازعاج الدول الغربية ولحرمانها الاستفادة من هذه المنطقة بجعلها قاعدة حربية فى حرب مقبلة تخشاها •

وتحدث عن الطبقة الوسطى ومشكلاتها ، وظهور هذه الطبقة فى مصر وتركية ولبنان ، وعن حاجات الجيل المتعلم الجديد الذى أخذ يفكر تفكيرا يختلف عن تفكير أسلافه بالنسبة لفهمه لمطالب الحياة ، وعن المشكلات التى أخذت تعانيها هذه الطبقة ، ومشكلات التربية والتعليم ، والغاية من التعليم ، وتذبذب وجهات نظر المربين فى الشرق الأوسط • وتطرق الى موضوع تهيئة جيل صالح قوى بتفكيره بدلا من تهيئة طريقة من التلاميذ تعتمد أول ما تعتمد على الحافظة ، وعلى حفظ متون الكتب المدرسية لاجتياز الامتحان • وتطرق كذلك الى بحث الأحزاب السياسية ومفهوم الفكرة الحزبية ، والى الجمعيات السياسية والجمعيات والنوادى الثقافية وموضوع الجامعة العربية والمشكلات التى تعرضت لها هذه الجامعة مثل انقسامها الى معسكرين ، والعوامل الشخصية والعيالية التى يرجع اليها فى الواقع أسباب هذا الاختلاف •

وعرض للصهيونية ، فظهر بمظهر المحايد ، وأوضح فى مواضع كثيرة من مؤلفه أغاليط اليهودية وتهويلها للأمور بالنسبة لقضية فلسطين ، وبين بأسلوب مستتب رصين أن ما نشرته وما تنشره الجمعيات الصهيونية عن الأعمال الخارقة التى قامت بها فى اصلاح تربة فلسطين ، وما ادعته من تقدم صناعى وعما سيمكن احداثه فى مستقبل الزمان فى الناحيتين الصناعية والاقتصادية وعن المشروعات الكبرى التى أعلنتها فى الصحف العالمية لرفع مستوى المعيشة فى جميع الشرق الأوسط ، وايجاد خطة للاستيطان والاستقرار : كل هذه الأعمال هى مجرد ادعاءات لا تستند الى حقيقة ، ولا الى أسس دراسية علمية ؛ ولذلك لم يلاق هذا الكتاب قبولا حسنا من الصهيونيين ، وعدوه من الكتب التى تدافع عن وجهة نظر العرب من طرف خفى •

وبعد فالمؤلف رجل انكليزى ، ولا يمكن مؤلفا مهما أوتى من العلم أن يتجرد من ميله وعواطفه التى تطغى على العلم والعقل ، ومثال ذلك ما أورده فى كتابه من أن وزر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الاضطرابات التى وقعت فى الشرق من جراء قضية فلسطين انما يقع على عاتق العرب واليهود ، لا على عاتق الانكليز الذين كانوا أعطوا العرب تلك الوعود المعروفة ثم فاوضوا اليهود بشأن انشاء وطن قومى ، ثم حاروا فيما بعد فى كيفية التوفيق • وأنا لا أعتقد أن أحدا يمكنه أن يوافقه على هذا الرأى ، كما لا يمكن أن يوافقه انسان كائنا من كان فى اعطاء بريطانية أو دولة أخرى حقا فى جواز نزولها عن قطر من الأقطار ولو امتلكته بحد السيف •

هذا والكتاب بجملته جدير بالمطالعة ، وأنا أوصى بترجمته ليستطيع من لا يحسن اللغة الانكليزية قراءته ، لما جاء فيه من أمور يجهلها أكثر الناس ، وليطلع عليه من يحب الوقوف على تيارات السياسة فى الشرق الأوسط وخفاياها •

جواد على

شمسو

مسرحية شعرية بابلية

نظم الشاعر المحامى السيد خالد الشواف

طبعت بمطابع دار الكشاف ببيروت سنة ١٣٧١ ـ ١٩٥٢ ، فى ١١١ صفحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر التمثيلى باب جديد فى الأدب العربى • أول من طرقه وجعل منه فنا طريفا ، أمير الشعراء أحمد شوقى بك المتوفى سنة ١٩٣٢ رحمه الله محتذيا به مسالك شعراء أوربة فيما ينظمون فى هذا الباب • وقد أتى ـ فيما وضع من رواياته المشهورة التى مثلت على المسارح وأخرجت اخراجا « سينمائيا » ـ ببرهان جديد على طواعية اللغة العربية فيما تتدب له من الابانة عن مختلف أغراض الحياة ، وقدرتها التامة على الافصاح عن مكنونات الضمائر وخلجات القلوب وكل ما جل أو دق من المعانى والأفكار والأخيلة اذا أتيح لها الفكر المبتكر واللسان المعبر والقلم الصناع •

وجرى نفر قليل من شعراء العربية ، من بعد ، فى مصر والشام ، فى ميدان أمير الشعراء • فنظموا روايات مسرحية جيدة أصاب بعضها حظا من الذيوع والانتشار ، وأخرجت اخراجا « سينمائيا » كما أخرجت رواياته • وكان أعظم هؤلاء حظا من هذا التوفيق ، الشاعر عزيز أباظة • وكل أمر جديد ، يستعصى على الرغبات حتى يتاح له العقل المبدع فيجعله شيئا ذائعا ومطلبا سهلا ميسورا !

أما (شمسو) ، فهى أول مسرحية شعرية ينظمها شاعر عراقى من طلائع الجيل العربى الناشىء على ضفاف الرافدين ، ويذيعها فى الناس ليستدل بها على الانبعاث الأدبى الجديد فى هذا الصقع من أجزاء الوطن العربى الأكبر • ولا نحسب أن السيد خالدا الشواف حين نظم هذه المسرحية كان طامعا فى أن يكون لمسرحيته حظ من التمثيل على المسارح أو حظ الاخراج « السينمائى » ، فان هذين الأمرين لم تنفرج لهما أبواب الحياة فى العراق كما انفرجت فى مصر خاصة من بلاد العرب ، ولن يطمع مثله فى الظفر بما لا وجود له فى البلاد التى يحيا فيها • ولعل كل همه من نظمها وتأليفها أن يفرج عن نوازعه الوطنية المكبوتة بافراغها فى قصة مسرحية شعرية • ولقد صور فى هذه المسرحية فترة من عهود البابليين ازداد فيها توثب الأقوام الطامعة فى بلاد ما بين النهرين على أطراف المملكة البابلية ، وافترض الأحداث والوقائع والأسماء التى ملأت تلك الفترة افتراضا ، وهو فى واقع الأمر لم يقدم بها تأريخا شعريا لحوادث وقعت فى بابل ، وانما قدم فكرة اصطنع لها جوا بابليا ، وصورة جديدة وضعها فى اطار قديم ، أو كما قال •

ولقد أصاب الشاعر حظا جزلا من التوفيق فى تصريفه القول على ألسنة أبطال مسرحيته ، وأصاب حظا آخر من جمال الشعر جزلا أيضا • وكنا نحسبه من قبل لا يحسن الا ضربا واحدا من فنون الشعر هو الشعر السياسى الثائر ، فكشف بهذه المسرحية عن قدرة على الافتنان والتنويع مع حظ موفور من الحلاوة والعذوبة كقوله فى بعض مسرحيته على لسان فلاح يغنى أغنية الفجر :

كوخ وراء الفرات ... مستغرق فى سبات
مر به الفجر ... واستيقظ الكون
لكنه غاف ... فى حضن شاطيه
كوخ بعيد بعيد ... لم يدر عنه الوجود
كأنه سر ... يكتمه الحزن
فى مهجة خاف ... لا شىء يفشيه
كوخ بعيد هناك ... لم تدن منه خطاك
نضره الزهر ... والشط والمزن
وجوه الصافى ... شب الهوى فيه
يحيا به عاشقان ... طول الدجى يحلمان
عشتار والبدر ... شجاهما لحن

دوحة صفصاف باتت تغنيه

وقوله على لسان « شمسو » :

يا ابنة العم ! غدا يجمعنا ذلك الكوخ ، فلا نفترق
يهجع المغرب ، والحب كما هو يقظان ، ويصحو المشرق
يطلع النجم علينا حانيا ويناجينا السنا والألق
وتغنينا القمارى ضحى ويحيينا الأريج العبق
وضفاف « الشط » فى سندسها والفرات المرح المصطفق

وقوله على لسان « شمسو » أيضا يخاطب « نيرما » :

نيرما ! أنظرى عشا سنعمره بين الرياض هناك قد جثما
أرأيت مهدا فيه من زهر من كل لون ورده انتظما
طفل عليه وطفلة رقدا يستقبلان النوم ، وابتسما
الطفل يلثم أخته مرحا فتروح صارخة اذا لثما
فيضج من ضحك ونحن معا حتى يرف النوم فوقهما ..

وقد نقلنا هذه الصور من أول ما وقع عليه نظرنا عرضا ونحن نقلب أوراق المسرحية ونتصفحها ، ولم نتعمد اختيارها ، والمسرحية كلها من هذا النسج فى اشراقه وسلاسته وسلامته ، وقلما عثرنا فيها على لفظ أو تعبير تجوز الشاعر فى استعماله ، كقوله (ص ٢٦) : نجمة ذات سناء وسنا .. ولم يسمع من عربى تأنيث النجم ، وقوله (ص ٢٦ أيضا) : وجدلته النظرة الآسرة .. وانما صوابه « جدلته » من غير نون ، أى طرحته على الجدالة وهى الأرض ، وكاطلاقه « الشط » على « النهر » فى بيته المتقدم :

وضفاف الشط فى سندسها والفرات المرح المصطفق

والشط انما هو الشاطىء ليس غير . وهى هفوات يسيرة وددت لو سلم منها هذا الشعر الجميل ، ولكن من ذا الذى يبرأ من أمثالها ؟

ولعل من حق القارىء — من بعد — أن يعلم أن هذا الشاعر لا يزال فى عنفوان شبابه وازدهاره ، وأن مسرحيته هذه هى باكورة آثاره .

محمد بهجة الأثرى

عمـــدة الصرف

تأليف الأستاذ كمال ابراهيم

طبع بمطبعة النجاح ببغداد ، فى ٣١٢ صفحة ، سنة ١٩٥١ م

علم الصرف من العلوم التى نضجت واحترقت • ومعنى نضجه واحتراقه أن العلماء قد أوسعوه تمحيصا وتحريرا وأكثروا من التأليف فيه • وليس معناه أن الكلمة الأخيرة قد قيلت فيه ، وأن التأليف فيه ضرب من العبث كما يتبادر الى بعض الأفهام من ذلك •

وقد كان هذا العلم الى عهد قريب أقل علوم العربية عناية به فى هذه المعاهد الرسمية التى تعد المدرسين للمدارس الثانوية خاصة ، مع مسيس الحاجة اليه • ولعل الجيل الناشىء لا يجهل شيئا من علوم العربية أشد من جهله لهذا العلم • ولا ريب فى أن احياءه بتدريسه والتأليف فيه على نحو يقرب مقاصده البعيدة الى الأذهان ، ويعرضه عرضا جديدا يحببه الى الشداة ويريهم خطره وجزالة نفعه ـ كما صنع مؤلف هذا الكتاب ـ سيشد من أزر الدراسات العربية التى كادت تضمحل فى هذا القطر ، لقلة العناية بها ، بعد أن كان العراق مباءة العربية وفيه وضع علماء الكوفة والبصرة وبغداد أصول النحو والصرف والاشتقاق وأتوا دواوين اللغة العظيمة فصانوا بذلك الفصحى وحفظوها من الاندثار •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد ألف الأستاذ كمال ابراهيم هذا الكتاب بعد أن قام بتدريس موضوعه لطلاب فرع الآداب فى دار المعلمين العالية ببغداد ، وحرره مادة فمادة حتى سلم له من الشوائب التى يقع فيها عادة من يقتحمون التأليف اقتحاما ولا يتهيأ لهم ما تهيأ للمؤلف المذكور • وهو ثقة فى هذا العلم ، لطول عنايته به ، وممارسته له • وأنت تلمس آثار اجتهاده وتمكنه من أصوله وفروعه ، فى هذا العرض السهل الجديد الذى عرض فيه مواد كتابه ، وقد اتبع فيه طريقة تقديم كل بحث بطوائف مختلفة من الأمثلة التى تتمثل فيها قواعده الأساسية ، ثم ذكر بعدها القواعد مشيرا فى ذكر كل قاعدة الى الطائفة التى تمثلها من الأمثلة عارضا الى ذلك أمثلة أخرى أيضا خلال البحث ، وعقب كل موضوع بتمرينات عدة تشتمل على صور شتى من فصيح الكلام لتطبق عليها القواعد وعلى صور مختلفة من الألفاظ والتراكيب من حيث العرض والسؤال لشحذ الأذهان وتقوية الملكات •

وقد قرر مجلس الأساتذة تدريس هذا الكتاب فى دار المعلمين العالية ، وطبعته وزارة المعارف بنفقتها ثقة بصحته وجزالة فائدته •

محمد بهجة الأثرى

في أصول النحو

تأليف الأستاذ سعيد الأفغانى

طبع بمطبعة الجامعة السورية ، سنة ١٣٧٠ = ١٩٥١ ، وعدد صفحاته ١٩١

ضمن المؤلف المحقق كتابه هذا محاضرات أربعا صدرها بمقدمة وذيلها بخاتمة . فأشار فى « المقدمة » الى منهاج اللغة العربية فى كلية الآداب بالجامعة السورية ، وارتياحه الى ثمرات تدريسه مدى سنتين ، وما قدم بين يدى دراسته تلك من مباحث جعلها مادة هذا الكتاب وحرص فيها على أن يتزود الطلاب مادة صالحة مع مسايرة النظرة التأريخية ومراعاة مستواهم وحاجتهم . ودعا فى « الخاتمة » الى اعادة النظر فى بناء قواعد اللغة ، وتحديد الهدف منها لوضع أخصر المناهج وأوضحها وأسرعها ابلاغا ؛ وشكا ـ كما يشكو كل غيور على سلامة اللغة العربية ـ بلبلة الأوضاع واختلاط المذاهب ، وأشار الى اضاعة الجهود المبذولة فى سبيل الاصلاح اللغوى فعزا ذلك الى من وضعهم الزمن ـ على حد تعبيره ـ فى أعلى الهرم ، ووكل اليهم الخطوة الأخيرة ، فقصروا فى التنفيذ لأنهم فقدوا الوعى والاخلاص والمضاء ، وبذلك دفنت الأفكار الاصلاحية فلم يخرج شىء ما منها من حيز القوة الى حيز الفعل ، وذهبت الجهود والأموال والأعمار هباء منثورا .

أما المباحث التى تضمنها الكتاب ، فهى :

(١) الاحتجاج فى اللغة العربية : بحث فيه اللحن وتتابعه ـ العلوم التى يحتج لها ـ من يحتج بكلامه من العرب ـ ما يحتج به من الكلام ـ قواعد الاحتجاج (٦-٥٩).

(٢) القياس : تناول فيه تأريخ القياس والقيسيين ـ أثر العلوم الدينية فى القياس ـ أحكام القياس ـ موقف العصريين من القياس ـ قرارات مجمع فؤاد الأول فى التضمين والتعريب والمولد وغيرها (٦٢-١٠١) .

(٣) الاشتقاق : معناه ـ أنواعه ـ مصدره ـ أحكامه ـ موقف علماء العربية منه (١٠٤ - ١٣١) .

(٤) الخلاف : لمحة تأريخية « مدرسة البصرة ـ مدرسة الكوفة » ـ نشأة الخلاف ـ الفروق بين المذهبين ـ أثر العصبية فى الخلاف ـ كتب الخلاف ـ خلط المذهبين الكوفى والبصرى فى بغداد والشام والأندلس (١٣٤ - ١٨٣) .

وقد لم المؤلف هذه المباحث الواسعة ـ ومعظمها الى تأريخ أصول اللغة أقرب منه

الى أصول علم النحو ـ من أطرافها ، وأحسن جمعها وتلخيصها وتهذيبها ، وعرضها فى نسق مطرد جميل عرضا تحس فيه هضمه لها واستقلاله فى شرح آرائه ناقدا وموجها ـ على ما يستعين به فى مواضع كثيرة من أقوال غيره من الأوائل والأواخر ، لا على سبيل الجمع والحشد كما يصنع المتكثرون ، ولكن على سبيل التأييد لمذهبه والتمكين لرأيه • ولأحرار الفكر من علماء العرب ، آراء غاية فى الجدة وعظم النفع فى باب الاصلاح ، ولكن طغى عليها جمود الجامدين فى العصور المستعجمة ، فقتلها ، ولم تنتفع بها الأمة فى ورد ولا صدر على عظيم احتياجها الى الاستصباح بأنوارها والسير على هديها • وفى بعثها ، وربط الأفكار الحديثة الحصيفة بها على نحو ما صنع الأستاذ الأفغانى ، بعث للعبقريات العربية المطموسة ، ووفاء لتأريخ الفكر ، واحياء لمجد العرب والعربية •

ولقد أحسن المؤلف الطبع ، كما أحسن الوضع ، فلم يستدرك عليه من غلطاته فى « جدول الخطأ والصواب » الا تسعا • واستدركت عليه ، وأنا أتصفحه ولم يكن من همى تصيد الغلط أو تقصيه ، أقل من ذلك كقوله فى (ص ١٤٠ س ١) « بأخره » وصوابه « بأخرة » ، وقوله فى (ص ١٦٥ س ١٥) « ابن دستوريه » وصوابه « ابن درستويه » وهو لغوى مشهور لا يمكن أن يقع الخطأ فى اسمه الا من قبل المطبعة أو من سبق القلم ، وقوله فى (ص ١٧٨ س ١) « المتوفى » بنقطتين تشعران أنها بصيغة اسم الفاعل ، وليس بمراد قطعا فى هذا الموضع ، انما هو المتوفى بطبيعة اسم المفعول ، والله تعالى هو الذى يتوفى الأنفس فهى متوفاة لا متوفية ، وليس مثل هذا بخاف على المؤلف المحقق •

وروى المؤلف الفاضل فى (ص ١٧٧) هذين البيتين نقلا عن بغية الوعاة للسيوطى (ص ١٧٣) ، وهما مما تمثل به ثعلب حين هجاه المبرد :

يشتمنى عبد بنى مسمع ... فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له ... من ذا يعض الكلب ان عضا ؟

وقد تغاير فى البيت الأول العطف فكان المعطوف (فصنت) ماضيا ، والمعطوف عليه (يشتمنى) مضارعا والذى وقر فى حافظتى من رواية هذا الشعر ، هو :

شاتمنى عبد بنى مسمع ... فصنت عنه النفس والعرضا

ويقال : « شاتمه فشتمه يشتمه ، أى غلبه بالشتم » كما نص على ذلك الزبيدى فى مستدركاته فى تاج العروس ، وهو مقصود ثعلب هنا لا شك ، وبه تتحد صيغة المعطوف والمعطوف عليه على ما تقتضيه أصول النحو •

واستعمل فى (ص ٢٨ س ٢) « نقص » بمعنى « أعوز » حين قال : « اذ كانت

خطتهم ينقصها الاحكام فى المنهج » . واستعمال ذاك مكان هذا شائع فى كتابات أهل العصر ، غير أنه لا تعين نصوص اللغة على قبوله .

وقال فى (ص ٧٤) : « ونحن نتعرف الى منهجه فى القياس من كتابه (الخصائص) الذى يدور على الغوص على أسرار اللغة الشاملة » وأرى أن الحرف (الى) بعد الفعل (نتعرف) زائد ؛ لأنه يقال : « تعرف ما عند فلان » أى تطلبه حتى عرفه ، نعم ، يقال : « تعرف الى فلان » لكن بمعنى آخر ، أى جعله يعرفه ، وأحسب أن الأول هو المراد هنا .

ثم قال وهو تمام الجملة المتقدمة : « ويطرد القياس ما استطاع الى ذلك سبيلا » ، وضبط الفعل (يطرد) « بضم الياء وتسكين الطاء وكسر الراء » وعداه ، وكذلك فعل فى مكان آخر ، فى (ص ١٣٠) حين قال : « لابد من اعادة النظر فى باب الاشتقاق، والوقوف على استعداد اللغة العربية فيه ... فنطرد من قواعده ما كان غير مطرد ، ونكمل المواد الناقصة فى المعاجم » فعدى (نطرد) وأراد « نجعله مطردا » وضبطه بضم النون وتسكين الطاء ، كما ضبط (مطرد) بالضم فالسكون . ولم يعرف ذلك من استعمالات أطرد الرباعى فى اللغة ، كما أنه لم يرد المؤلف ولا واحدا من معانيها فى هذين المؤضعين . قالوا : أطرده اذا أمر بطرده وابعاده ، وقالوا : أطرده اذا صيره طريدا ، وقالوا : أطرد السابق صاحبه قال له ان سبقتنى فلك على كذا وان سبقتك فلى عليك كذا . ولم يرد من هذا الفعل أطرده بمعنى جعله مطردا أى مستقيما . والمراد هنا انما هو الاطراد ، والاطراد «افتعال» لازم لا متعد ، ومنه القياس المطرد (بضم الميم وتشديد الطاء وكسر الراء) وهو القياس المستقيم على وجهته لا شذوذ فيه . قال علماء اللغة : اطرد الشىء : تبع بعضه بعضا وجرى، واطرد الأمر استقام ، واطرد الكلام تتابع ، واطرد الماء تتابع سيلانه ، وقال قيس بن الخطيم : « أتعرف رسما كاطراد المذاهب ؟ » ، واستعمال الفعل كله ـ كما ترى ـ على اللزوم لا التعدية .

وقد أطلت فى الاحتجاج لذلك ، على سبيل بيان الرأى ودليله ، والمؤلف الفاضل من أوثق من نعرف فى بلاد الشام من المعنيين بالعربية وأحرصهم على التثبت وأشدهم رغبة فى النقد والاستدلال ، فعسى أن يكشف لنا عن وجه الرأى فى هذا الضبط والاستعمال . وأنا لو أصبت مثل ذلك فى كلام من لا يؤبه لعلمه ، لما وجد عندى غير الاطراح والاهمال .

وبعد ، فانى أهنىء صديقى الكريم على اطراد جهاده العلمى وتتابع تآليفه القيمة فى اللغة والأدب والتاريخ ، وهو أهل للتهنئة والتقدير والاعجاب .

محمد بهجة الأثرى

تطور الزراعة في الشرق الأوسط

من منشورات الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، تأليف الدكتور كين ، وترجمة السيد أمين نظيف مدير الزراعة فى وزارة الزراعة السورية ، واشراف الأمير مصطفى الشهابى وزير سورية المفوض فى مصر

بلغ عدد صفحات هذا السفر القيم الذى التزمت مكتبة النهضة المصرية طبعه ونشره ٢٤٩ صفحة من القطع الكبير ، وهو مطبوع طبعا أنيقا على ورق صقيل يليق بقيمة الكتاب . ويتألف من ستة فصول وملحقين وخارطتين زراعيتين مفصلتين للشرق الأوسط وتبيان الأقطار التى كانت موضع اهتمام مركز تموين الشرق الأوسط فى الحرب العالمية الأخيرة .

يشمل الفصل الأول منه نظرة فى زراعة بلدان الشرق الأوسط : قبرس ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، وشرق الأردن ، والعراق ، وايران ، ومصر ، والسودان ، وإريتريا ، والحبشة ، ومحمية عدن ، وطرابلس ، وبرقة (لوبيا) .

والفصل الثانى فى عقبات الاصلاح الزراعى : العوامل الاجتماعية ، النظام الاقطاعى ، العوامل الفنية ، الصناعة والزراعة .

والفصل الثالث فى أساليب رفع المستوى الزراعى : اتباع أنظمة جديدة ، نقابة الغرس السودانية والجزيرة فى السودان ، كاتب القاش فى السودان ، المؤسسات الزراعية اليهودية فى فلسطين ، زراعة الموالح (أى الحوامض) فى فلسطين ، الزراعة الفردية فى فلسطين ، أملاك اللطيفية فى العراق ، زراعة النخل فى العراق ، توسع ايطالية الزراعى فى طرابلس وبرقة ، الجمعيات التعاونية فى قبرس ، دروس تستفاد من التطورات الواسعة ، تحسين النظام الحاضر ، تنمية الشعور بالتبعة فى طبقة الملاكين ، غرس حب الاصلاح فى الفلاحين المزارعين والمالكين ، التعليم الريفى ، قادة الريف .

والفصل الرابع فى المسائل العلمية والفنية : الأتربة ـ تركيبها وتصنيفها ، مادة التراب العضوية ، حرق التراب ، حراثة الأرض ، رطوبة التراب ، جرف الأتربة ، تغذى النبات ونموه ، تأثير القطانى فى غلة الحنطة التالية ، تجويد النبات ، انتاج البذور ، أمراض النبات ، والحشرات المضرة ، الماشية والعلف .

والفصل الخامس فى تزويد المزارعين المعلومات الزراعية والنصائح ، وتحقيق هذا الغرض ، القضايا ومختلف البلاد ، الاحصاءات الزراعية والدراسات ، الاسقاء ، المصالح

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البيطرية ، القضايا الخاصة فى كل قطر : قبرس ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، وشرق الأردن ، والعراق ، وايران ، ومصر ، والسودان ، وأريتريا ، والحبشة ، ومحمية عدن ، وطرابلس الغرب ، وبرقة .

والفصل السادس فى الاستنتاجات وموجز الوصايا .

والملحق الأول ـ مذكرة أعدها المكتب الانبراطورى لعلم التربة . والملحق الثانى ـ موجز مراحل الأسفار .

ان كتابا يؤلفه الدكتور كين الاختصاصى الانكليزى بالتجارب الزراعية ، ويترجمه السيد أمين نظيف مدير الزراعة فى وزارة الزراعة السورية ، ويشرف على ترجمته وتصحيحه العلامة الشهير الأمير مصطفى الشهابى ، وتنشره الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، جدير بالتقدير وأهل للصدارة بين الكتب المفيدة .

الاستقلال الاقتصادى هو الدعامة الكبرى التى يرتكز عليها الاستقلال السياسى ، فلا تستطيع أمة من الأمم أن تحافظ على كيانها السياسى اذا لم يكن لها كيان اقتصادى ، ولنا فى موارد البلاد العربية ، وخاصة نفطها الذى يتسرب القسم الأكبر منه الى الدول الأجنبية التى تهدد استقلالنا بأساليب شتى ، عبرة لمن اعتبر .

الأستاذ كين من كبار علماء الزراعة البريطانيين ، انتدب فى الحرب الماضية لدراسة القضايا الزراعية فى أقطار الشرق الأوسط دراسة مجملة شاملة ، فقام بهذه المهمة الصعبة ، ووضع تقريرا عن أهم تلك القضايا فى كتابه الذى نحن بصدد نقده ، وأوضح الطرائق التى يرى أن تتبع فى معالجتها ، وهذا التقرير جزء من دراسة شاملة قامت بها بعثة استشارية علمية فى نطاق خطط مرسومة ، وكان الغرض من تأليف هذه البعثة :

(١) فحص القضايا العلمية الرئيسية فى الشرق الأوسط دون التعرض للامور السياسية (٢) فحص الوسائل العلمية والفنية (وفى جملتها الموظفون والوسائل المختلفة ، سواء فى ذلك وسائل البحث ووسائل التعليم) (٣) تقديم توصيات تتعلق باصلاح الوسائل العلمية والفنية .

والصقع الذى هو موضوع التقرير يتألف من أربعة عشر قطرا ، يقطنها غالبا سبعون مليونا من البشر ، وهو يمتد من قبرس شمالا الى السودان جنوبا .

ومما جاء فى الفصل الأول عن العراق : « ولا يستغل من الأرضين الزراعية الا ربعها تقريبا ، ويقع نصف هذه المساحة المستغلة فى القسم الشمالى من القطر ، وهذا

القسم صغير اذا قيس بسائر أراضى العراق » .

وفى الفصل الثانى ـ عقبات الاصلاح الزراعى ـ وصف لعلة من عللنا الاجتماعية العامة أعنى النظام الاقطاعى . وتصور الفقرة الآتية هذه العلة بعض التصوير : « فقد اتضح عام ١٩٣٣م فى مصر أن نسبة المالكين الذين يملك الواحد منهم ما معدله خمسون ايكرا (الايكر يساوى ٤٠٤٦ مترا مربعا) حسب لا تقل عن ثلثى هؤلاء المالكين غير أن ٣٩ فى المئة من الأراضى الزراعية لا يملكها الا ٦ر٠ فى المئة من مجموع المالكين الذين تزيد ملكية كل منهم على معدل خمسين ايكرا وقد نتج عن هذا الوضع فى الشرق الأوسط كله أن هذه الطبقة من صغار الملاك هى اليوم واقعة فى قبضة المرابين » (ص ٣٨) .

ومما جاء فى الكتاب المذكور عن زراعة النخل فى العراق : « وتلبث النخلة زمن معدله ٢٠ ـ ٣٠ سنة ، وتقطع عندما تصبح مطعمة ، أى تطول سائر النخل ويسرع ادراك حملها ، وعندئذ يحل محلها أشجار جديدة نمت من الفسائل . وتبلغ مساحة الحوائش ، أى بساتين النخل ، فى شط العرب ٣٥٠ ميلا مربعا ، ويبلغ عدد أشجارها نحو ستة ملايين نخلة ، وجنى النخلة المتوسط قنطار انكليزى واحد ، أى ٥٠ كيلوغراما و٨٠ بالمئة من الكيلوغرام » (ص ٧٠) .

ومن الاقتراحات التى اقترحها المؤلف للاصلاح الزراعى فى الشرق الأوسط : أن تقدم شركة ذات نفع عام جزءا من رأس المال اللازم له ، وهذه الشركة تؤلف هى والحكومة والمزارعون مؤسسة ثلاثية للتطور الزراعى . ولهذا الاقتراح أربع مميزات : (١) كون الشركة تتبع فى أعمالها سياسة طويلة المدى تستغرق مدة العقد (٢) كونه يكون فى وسع الشركة بموجب عقدها تدريب السكان الأهلين من أبناء البلاد على الوظائف الفنية والادارية (٣) كون هذه الطريقة صالحة لتحضير القبائل نصف الرحل الذين زاولوا من قبل شيئا بسيطا من الفلاحة (٤) كون هذا الاقتراح يسهل حل المشكلة الكثيرة الصعوبة المتعلقة بازالة الشيوع فى الأرض وتثبيت تملك الزراع لأرض معلومة (ص ٨١ ـ ٨٣) .

وقد وضع المؤلف أربع قواعد تثقيفية للاصلاح الزراعى : (١) تنمية الشعور بالتبعة فى أكبر عدد من الملاكين ، تجاه الأرض وتجاه الكادحين فيها (ب) غرس حب الاصلاح فى الفلاحين العاملين بالمزارعة وفى الفلاحين المالكين للأرض ، سواء فى ذلك ما يعود بالنفع العام عليهم أو على أسرهم (ج) ايجاد طريقة صالحة لتعليم أولاد الريف على أن تهيئهم هذه الطريقة للعيش فى بيئة ريفية (د) تدريب معلمين لمدارس الريف (ص ٨٧–٨٨) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن المشكلات الزراعية الجديرة بالذكر عن العراق ما يأتى :

« وفى العراق مساحات واسعة من الأراضى التى يمكن استغلالها ، وليس فيه عدد كبير من السكان العاملين فى الأرض ، ولذلك نرى فيه مجالا عظيما لتوسيع زراعة الحقول باتباع المبادىء التعاونية التى سبق ذكرها (فى الفصل الثالث ١ و٢) • وفى الجزء الشمالى من العراق قضية أخرى لها مغزى خاص ، وهى تتعلق بتربية الحيوانات الأهلية ، فتجارة حيوانات الاصدار فى العراق لها من الشأن ما يسوغ تأسيس قسم لتربية الماشية ، ولا سيما وان مصلحة البيطرة قد توسعت فيه توسعا حسنا •

وما نوصى به اعادة النظر فى السياسة المتبعة فى مزارع الحكومة فتخفض مساحاتها حتى تصبح موافقة لأن تستعمل محطات للتجارب الزراعية • وتحتاج مصلحة الزراعة الى اصلاح فى مستوى موظفيها من الوجهتين العلمية والارشادية » (ص ١٧٩ ـ ١٨٠)•

وجاء فى الفصل السادس ـ الاستنتاجات وموجز الوصايا : « الفلاح سجين بين جدران النظام الزراعى الذى ألفه ، فعدد الفلاحين يزداد سنة بعد سنة ولكن تلك الجدر تبقى ثابتة فى مكانها » (ص ٢٢٢) •

ومن يتصفح فصول الكتاب فصلا فصلا ، ير فى كل صفحة منه علما غزيرا وآراء سديدة وفوائد لا تقدر ، وأينما جلت فيه تجد الغرر وتلتقط الدرر •

ومما زاد الكتاب قيمة ، الحلة القشيبة التى أضفاها عليه مصحح الترجمة العلامة المدقق الأمير مصطفى الشهابى صاحب المؤلفات المعروفة والمقالات القيمة فى المصطلحات العلمية العربية التى يغوص فى بحارها ويستخرج منها اللآلىء ، وقد خدم اللغة العربية خدمات تذكر فتشكر •

فالكتاب ثروة كبيرة للمكتبة العربية ، وعقد ثمين يزين جيدها ، فجدير بكل مثقف أن يطالع هذا الكتاب النفيس • وقد أوجزنا ذكر محتوياته ، ويكفى من القلادة ما أحاط بالجيد •

ونستميح الأستاذ المفضال بابداء الملاحظات الآتية : فضل استعمال السقى على الارواء ، والارواء منتشرة فى مصر والعراق وهى أكثر شيوعا من السقى •

اننا لا نوافق المترجم المفضال على ترجمة الألفاظ الآتية : الحمات ومفردها حمة ترجمة للفظة Virus اذ لم نجد لها أصلا فى المعجمات العربية لأن « الفيرس » كائنات بين الحيوانات والنباتات تسبب أمراضا فى الانسان والحيوان والنبات ، ولا يزال

كنهها مجهولا ، والأفضل أن تعرب كما هى ، ولا تضيق اللغة العربية بالألفاظ الأجنبية التى تدخل عليها بعد أن أخذت منها تلك اللغات مئات الألفاظ ، فاللغة التى لا تأخذ ولا تعطى لغة ميتة ، وليس فى المصادر التى رجعنا اليها ما يسوغ ترجمة « فيرس » بحسة •

كذلك لا نوافق على ترجمة Lignin بخشبين و Cellulose بخليوس • ولو سرنا على هذا النمط فى تراجمنا لخرجنا على الأوضاع العربية وشططنا فيها ، ونفضل تعريب هاتين اللفظتين تعريبا ، ويطول بنا المقام اذا أردنا تسويغ رأينا بهذا الصدد ، وقد نحا مجمع فؤاد الأول للغة العربية منحى التعريب فى أمثال هذه الألفاظ •

ولا تتفق مع المصحح فى ترجمة Genetic Principles باصلاح النسل التى تقابلها لفظة Eugenics و Genetics بالانكليزية و Genetique بالافرنسية فرع من علوم الأحياء يبحث عن الوراثة والتغاير Heredity & Variation فيكون معنى Genetic Principles المبادىء الوراثية ، لا اصلاح النسل • واصلاح النسل هو تطبيق علم الوراثة ولكل منهما مفهوم علمى خاص يختلف اختلافا بينا عن الآخر كما لا يخفى على الأمير (راجع ص ١٣٤) •

ووردت فى الكتاب أغلاط مطبعية لم ينبه عليها فى التصويبات ولم نستقص الألفاظ كلها، بل أوردنا نماذج منها للتنبيه عليها ص ٢٥ Trifolium alescandrinum وصوابها Trifolium alxandrinum • ص ٨١ كزاعة وصوابها كزراعة • ص ٨٨ لتليعم وصوابها لتعليم •

ووجدنا فى الأصل الانكليزى صورا جميلة فى آخر الكتاب تضيف الى فوائده الكثيرة ، والترجمة العربية خلو منها • وقد عثرنا على نسخة الكتاب الأصلية فى وقت متأخر فقابلنا جزءا منها بالترجمة العربية فوجدناه صحيحا كل الصحة •

اننا نشكر الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية على هديتها الثمينة ، ونثنى ثناء عاطرا على المؤلف والمترجم والمصحح جزاهم الله عن العلم والفضل خير الجزاء •

شريف عسيران

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

النجـــاد العربيـــة

Arabian Highlands

هذا الكتاب من أحدث ما أخرجته المطابع من مؤلفات فلبى ، طبع فى سنة ١٩٥٢م فى مطابع Vail - Ballou بمدينة نيويورك بنفقة معهد الشرق الأوسط The Middle East Institute بواشنطن ، وأشرفت مطابع جامعة كورنل على طبعه • وهو فى ٧٠٨ صفحات ، عدا الملحقات والفهارس التى تبلغ ٦٣ صفحة • وقد ألحقت بالكتاب « خارطة » دقيقة كبيرة بمقياس $\frac{1}{1.000.000}$ ضمنت أسماء المواضع والقبائل التى وردت فى الكتاب، وجملة خوارط صغيرة أخرى ومخططات وصور تتعلق بالفصول •

والكتاب وصف وملاحظات لرحلات قام بها المؤلف الرحالة فى سنة ١٩٣٢ و١٩٣٦ و١٩٣٧ فى النجاد العربية والأماكن التى مر بها : مثل وادى بيشة وخرمة ورنية ونجاد عسير ووادى تثليث وحبونة وصبيا وجيزان وتهامة وغير ذلك مما يطول ذكره ، وقد عرض فى أثناء وصف رحلته للنواحى الاقتصادية والسياسية والتأريخية والاجتماعية والدينية لتلك الأماكن ، فكشف عن نواحى مجهولة عند العالم العربى والغربى عن جزيرة العرب • والجزيرة مجهولة لدى أبنائها جهلا يكاد يكون تاما • والى المؤلفات الانكليزية والالمانية والفرنسية والطليانية يلجأ الباحثون العرب فى تعرف أحوال بلادهم ويا للأسف !

وقد انصرف المؤلف فى الأيام الأخيرة الى الاهتمام بالدراسات التأريخية لجزيرة العرب ، فقام برحلات خاصة فى الحجاز لدراسة الكتاب ، واتصل بكبار علماء العربيات من المستشرقين لترجمتها ومعالجتها ، واستقدم اليه المستشرق رايكمنس العالم البلجيكى واستصحبه الى ديار ثمود لقراءة نصوص جاهلية فيها •

وتجد فى كتابه هذا بحثا تأريخيا قيما عن كعبة نجران والأخدود وتعذيب النصارى فى اليمن ، كما تجد فيه اشارات تأريخية لها علاقة بالمواضع التى مر بها • وقد سبق أن تحدثت عن كتابه القيم « سناد الاسلام » فى المجلد الأول من هذه المجلة •

وهذا الكتاب هو ـ فى رأيى ـ من خيرة ما ألفه فلبى من كتب ، جمع بين فن الرحلات والعلم والتدقيق وقوة الملاحظة • ترى فيه حياة الملوك والأمراء ، وحياة البدو وفقراء المملكة وتفكير البدوى ومعيشة الأعراب • انه كتاب أدب وعلم مؤلف سلخ ما ينيف على ربع قرن من عمره فى الجزيرة • وهو كلما تقدمت به الأيام ، زادته

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكمة ودراية وعلما .

واذا جاز لى مؤاخذة المؤلف على هفوة وقعت في الكتاب ، فهفوته أنه لم يكتب الأعلام على وفق الطريقة التى وضعها المستشرقون فى تدوين الحروف العربية بالحروف اللاطينية ، ولم يتقيد بضبطها كما ينطقها أبناء الجزيرة . وتلك مسألة مهمة ولاسيما للباحثين العرب الذين يتوقون الى معرفة مواضع بلادهم وتحول ظروف ذات طبيعة قاهرة دون ذهابهم الى جزيرتهم . والكتاب كتاب علمى ومرجع وحيد يرجع اليه ، ولضبط الأعلام أهمية كبيرة فيه ، وعصمة لمن يأخذ منه من الوقوع فى الخطأ والزلل .

جواد على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء وآراء

ذكريات أدبيـــة

أذكر من شؤون حداثتي وعنايتي بحفظ الشعر والتقاط فرائده أن أديبا من أدباء طرابلس الشام كان مشهورا بحسن الحديث ومطارحة أخبار الأدب • وكان يتعاطى من نظم الشعر وروايته ما كان فيه نكتة أو دعابة • وكانت له فوق ذلك مشاركة في الأدبيات التركية وأخبار رجالها • والمرء اذا حذق شيئا من الأدب التركي قلما تفوته طرائف من الأدب الفارسي ، وحفظ طائفة من أخبار شعرائه •

كان هذا الصديق يوما يقارن بين الآداب الثلاثة : العربية والتركية والفارسية ، وخصائص كل منها من حيث المعاني الشعرية المبتكـرة • فوجدتـه يميل الى أن شعراء الفرس يفوقون غيرهم في ابتكار المعاني ، وانتهاز النكت ، وصوغ الخيال بأخصر أسلوب، وأجمل مثال • من ذلك أبيات لبعض شعرائهم يتذكرها الصديق معنى ، ولا يتذكرها لفظا • يقول فيها الشاعر الفارسي : ان الطبيعة حينما تثور بأنوائها وعواصفها وزلازل بركاناتها انما تكون غيرى من جمال محبوبي وحسن جهارته وروعة طلعته ، وغضبى أن لا يكون لديها في ما أبدعته من صنوف الكائنات ما يحاكيه حسنا وجمالا • وفي آخر الأمر فكرت في أن تخلق كائنا سماويا يكون أجمل من محبوبي ، فخلقت دائرة من نور في ذيل الأفق ، فكانت هلالا دقيقا ، ثم كونت دائرة أخرى أضافتها الى الدائرة الأولى وعلى موازاتها • وهكذا كل ليلة كانت تتوالى الأهلة وتتوازى الدوائر حتى اكتملت بعد أربع عشرة ليلة قرصا واحدا ، هو البدر ، وحسبت الطبيعة أنها بذلك وصلت الى غرضها من خلق ما تريد • لكنها حينما قابلت هذا بذاك وقارنت بين وجه محبوبي وصفحة البدر ـ رأت بين المخلوقين فرقا بينا ، فغضبت وسخطت ، وعمدت الى البدر فنقضته هلالا هلالا ، وعملت على تخريبه دائرة دائرة ، حتى صارت به الى المحاق • ثم عادت سيرتها الأولى فخلقت دوائر النور واحدة واحدة ، وكونتها بدرا ، وقارنت وواجهت ، فرأت البون بينهما ما زال بينا • فغضبت وعادت الى التحطيم والتهديم ، ثـم الى الخلق والابداع ، لكن لا هـى

بالناجحة فى عملها ، ولا بالقادرة على خلق مخلوق مثل محبوبى .

وكنت كلما اجتمعت بالأديب الطرابلسى أسأله عما اذا كان ظفر بين أوراقه بنص الأبيات الفارسية ، فيقول انه لم يجدها . وقد وقع لى ما يشبه ذلك مع الوجيه العراقى الكبير (السيد فخرى الجميل) فانه كان أسمعنى بدمشق شعرا عراقيا شعبى اللهجة ، ومضمونه : أن امرأة كانت تمشى على شاطىء دجلة ، وهى تحمل طفلها الوحيد ، فخانتها رجلها وسقط الطفل فى النهر ، فجرى التيار به ، وأسرعت أمه تهرول على الشاطىء وراءه ولهى فاقدة الرشد تعول وتستغيث فى طلب النجدة وانقاذ الطفل ، واتفق من شؤم طالعها أن كان الشاطىء جرفا ، فكان ينهار تحت قدميها ، ويتساقط مدرا فى النهر ، فتقع وتقوم ، وتجرى وتصرخ وتستغيث ، حتى غاب ابنها فى اللجج ، ثم لم ير له أثر . فكيف كان وجد الأم وحزنها على وحيدها ؟ يقول الشاعر العراقى الشعبى فى أبياته : وهكذا كان وجدى بمحبوبتى ، وحزنى على فراقها . وقد خانتنى الحظ أيضا فلم أستمل الأبيات من الصديق لحين سماعها منه ، وكان كلما زار دمشق واجتمعت به أسأله عنها فيعتذر بنسيانها . ورأيت أخيرا أن أضمن هذا المعنى العراقى البديع بيتين من الشعر فقلت :

وان بقلبى يوم حم فراقها
كجن سيوف الهند أو لذعة الجمر

فما وجدت وجدى ولا أم واحد
على الجرف تجرى والفرات به يجرى

وقد عنيت بأم الواحد المرأة ذات الولد الواحد . والوجد هنا بمعنى الحزن والوله ، يقال : وجد به وجدا اذا أحبه ، وكذا اذا حزن عليه . كأن أصله أن يشعر المرء بوجود عاطفة ميل أو عاصفة ألم فى نفسه ، فسميا كلاهما وجدا . والجرف : الجانب الذى أكله الماء من ضفة النهر ، فهو يتهافت تحت الأقدام من وقت الى آخر . وهو (أى الجرف) بضمتين ، ويجوز تسكينه . ومثله فى ذلك كل ما كان على وزن (فعل) بضمتين ، فانه يجوز فيه التسكين لضرورة الشعر ، وقيل مطلقا .

أما هذا التعبير ، وهو قول العرب « فما وجد وجدى أحد » أو « وجدت به وجد كذا بكذا » حين ارادة وصف المبالغة فى الحزن أو الحب ، فتعبير صحيح ، كثير الدوران على أفواه شعراء العرب ، من ذلك قول هدبة بن الخشرم من شعراء الدولة الأموية :

فما وجدت وجدى بها أم واحد
ولا وجد حبى بابن أم كلاب

وحبى (بضم الحاء المهملة وتشديد الباء مقصورا) هى ابنة الأسود ، خطبها ابن عتاب الشاعر الطائى ، فرفضت خطبته ، وتزوجت بابن أم كلاب ، فجعل هدبة يعرض بها ويهجو زوجها وقومه .

والوجد المتعدى بالباء يكون تارة بمعنى الحب ، وتارة بمعنى الحزن كما مر . وقد لاحظت أن الوجد فى كلامهم كثيرا ما يراد به الحب الشديد المقترن باشفاق وحزن شديد ، كما يفهم من قصة (عزة) صاحبة (كثير) ، فقد دخلت يوما عليه وهى متنكرة ، وقالت له : أتنشدنى أشد بيت قلته فى عزة ، فأنشدها قوله فيها :

وجدت بها وجد المضل قلوصه
بسكة والركبان غاد ورائح

فقالت له (عزة) : لم تصنع شيئا ، فان الذى أضل قلوصه لا يلبث أن يهدأ وجده أو يزول ، عندما يجد قلوصا ، أو ناقة يركبها . فأطرق (كثير) قليلا ، ثم رفع رأسه اليها وقال :

وجدت بها ما لم يجد ذو حرارة
يمارس جمسات الركى النوازح

(ذوحرارة) عطشان (يمارس) يعالج ندل الماء من جمسات الركايا أى مجتمع مائها القليل ، أو البعيد القعر . فقالت له (عزة) : لم تصنع شيئا أيضا ، فان هذا العطشان الذى يتلهف على الماء قد يجد حوله من السابلة من يسقيه ، فيزول وجده ووله . فأطرق ، ثم قال :

وجدت بها ما لم تجد أم واحد
بواحدها : تطوى عليه الصفائح

فضحكت ثم قالت : ان كان ولابد فهذا . تعنى أن قوله الأخير أفضل تعبير يدل على شدة الحزن من حيث أن الأم اذا رأت وحيدها ووارى فى التراب ، وسويت عليه الصفائح ، لا يمكن أن يزول حزنها أو ينتهى ، فهى ثكلى حزينة الى الأبد . وهكذا وله كثير بعزة .

فالوجد فى هذه الأبيات الثلاثة كما ترى هو وصف للحب ، لأن (عزة) انما سألت (كثيرا) أن يخبرها بمبلغ حبه لها . فكان يصف لها حبا يصحبه حزن شديد : حب الذى أضل ركوبته لهذه الركوبة مع حزنه على ضياعها ، وحب الصادى العطشان للماء مع حزنه على عدم الوصول اليه ، وحب أم الولد لواحدها مع حزنها على موته .

فالوجد اذن حب يقترن به حزن غالبا . والعاشق المفرط فى الحب قلما يسلم من الغم والحزن : يحزن لصدود المحبوب ، أو توقع تجنبه ، أو بعده عنه فى نحو سفر ، أو اصغائه للواشى ، أو مرضه والاشفاق من قلة العناية بتمريضه ومداواته . وناهيكم ما كان من صاحب ليلى وحزنه عليها ، مذ بلغه مرضها فى العراق ، وتمنيه أن يكون طبيبهـا المداوى .

عبد القادر المغربى

قصيدة لعبد الغفار الأخرس

عثرت على قصيدة ، للشاعر عبدالغفار الأخرس الموصلى ثم البغدادى ، خلا منها ديوانه المطبوع ، يذكر فيها النباتات والأزهار التى ترى فى الربيع حوالى الموصل ، فأحببت نشرها مع ايضاح ما لزم ايضاحه ، وبيان الأسماء العلمية للنباتات المذكورة فى القصيدة .

القصيدة

١ سر بالهنا للديـر والغـزلانى متنزها بالزهـر والريحـان
٢ واشمم عبير الأقحوان مبادرا لعراره والشيح والعقبـان
٣ أو ما ترى كيف العروس محجبا من لطمه لشقائق النعمـان ؟
٤ وعيون بيبون قـد ابيضت على وصل الحبيب وأعلنت بلسان
٥ أو ما ترى الترياك يصبغ رأسه بطرا وتيها فى رضا النسوان ؟
٦ فكأنه عبد يريك كلاهـه بسواده لتخـافه بأمـان
٧ واخجلة الكصيب والكموب والـ كثيره من صولة العربـان
٨ أما الفتى الكصيب فهو شجاعهم فى شوكة الأجناد والجـولان
٩ فتراهم قطعوا معـاصم كفـه لكنه قد شاكهم بسنـان
١٠ والحاج كبى قد تراه مفـاخرا فى حجه بأباطـح الايـوان
١١ لكنه قد غـاص قعـر ريـاضه خوف الرقيب وصولة الصبيـان
١٢ فلذا تراهم اشحذوا محفارهم حنقا عليه ليظفروا بعيـان
١٣ وكذلك الطلق تسمع زعقـه اذ قام يرقص مع قدود حسان
١٤ فيناطح الصبيان وسط جباههم لا يخشى من ملك ولا سلطـان
١٥ والحندقوقى قد أتت تختال فى صفر الثياب وتـزدرى بقيـان

١٦ فيفوح نشر الطيب من أردانها ويفوق منظرها بحسن معان
١٧ واللاعبه لما بدت أغصانها فكأنها زفت الى الأختان
١٨ ثم الحليان الذى يسمو على شهد وقد طعمه ببيان
١٩ قد زين الأزهار فى اخضراره متجليا بمنمنم التيجان
٢٠ ثم اقطف الحميض والنفل الذى قد ضاع عاطره بكل مكان
٢١ ثم الغريونه التى تحلو على كل الزهور وتجتنى بأوان
٢٢ قد حفها الخزيم من أرجائها والكرط والمنثور مع صيوان
٢٣ وكذلك السميسمه فى عطرها كرت وجالت فى حمى الميدان
٢٤ كسرت مناقر لكلك الأشجار فى لفتاتها وتشوفت لغان
٢٥ لا تنس لى الصفير فى لفتاته رشأ يفكك عقدة الصلبان
٢٦ من حسنه حطوه فوق رؤوسهم تاجا يكلل من عقود جمان

الشرح

(١) الدير : هو دير مار ايليا فى جنوب الموصل ، عنده عين ماء معدنية ، وهو أحد متنزهات الموصل . الغزلانى : يعنى مرقد محمد الغزلانى والأراضى التى حوله ، وهو فى أسفل التل الذى عليه معسكر الغزلانى الحالى ، وكان المرقد خارج الموصل بعيدا عنها ، والآن قد اتصلت قربه العمارات . الريحان : اسمه العلمى Ocimum basilicum ، وبالفرنسية basilic وهو أنواع .

(٢) الأقحوان chrysanthemun parthenium ، وسمى أيضا parthenium matricarie ، وبالافرنسية matricaire و chrysantheme matricaire grande و camomille ويسمى عندنا بالموصل « بيبون الشام » . العرار astericus graveolens الشيح : artemisia herba alba ، وبالافرنسية يقال لأنواعه armoise ، هو كثير فى الجزيرة . العقبان : كذا وردت فى الأصل المنقول عنه ، وما العقبان الا جمع عقاب ولا محل لذكرها بين الأزهار . وان قرأنا الكلمة بالياء ، أى عقيان ، فهو الذهب الخالص ، ولعل الشاعر أراد به أزهارا صفرا دون أن يعين أجناسها وأنواعها .

(٣) كف العروس : نبات يظهر له فى أطرافه غلف وردية اللون ، أظنه الـ Anastatica hierochuntica . ووجدت فى كتاب ذكرا لنبات سماه « أصابع

العروس » وقال : انه الـ Lotus palaestinus ، ولا أعلم أهو كف العروس المعروف عند الموصليين أم غيره ؟ شقائق النعمان: Anemona coronaria ، وبالفرنسية anemone .

(٤) البيون : اسم كردى مستعمل فى الموصل للبابونج ، ويقال بابونق وبابونك أيضا كما فى بغداد • Matricaria aurea • بالفرنسية camomille matricaire ، وهو ليس عين anthemis nobilis المختار استعماله فى الطب ، بل ضرب منه برى •

(٥) التريك : أراد النبات المعروف بالموصل بطريك العبد (بضم الطاء وتشديد الراء وفتحها وتسكين الياء وكاف فارسية) وهو نبات ذو بصلة صغيرة ينبت له عسلوج من وسطه يزهر زهرا أسود مستديرا حافا به ، شبه بقلنسوة عبد فقيل للنبات طريق بامالة الراء ، والأصل فيه طراق • جاء فى التاج فى مستدرك /طرق/ : « وطراق بيضة الرأس طبقات بعضها فوق بعض » • وعلى هذا يصدق قول الشاعر : « فكأنه عبد يريك كلاهه » • لم أقف على الاسم العلمى لهذا النبات •

(٧) الكعيب : بكاف فارسية ، والأصل قعيب بصيغة التصغير • هى عساليج الكعوب تقشر وتؤكل طرية ، فيها عذوبة • الكعوب : (بفتح الكاف وتشديد العين) فى سورية وغيرها عكوب بتقديم العين • اسمه العلمى gundelia de Tournfortii وبالفرنسية gundelia de Tournefort و gundelia hacob ويقال له حرشف برى Artichaut sauvage • الكنيرة : فصيحها قنابرى (بضم القاف وتشديد النون وكسر الباء وفتح الراء بعدها ألف مقصورة) Lepidium draba • بالفرنسية Erannson dravier .

(١٠) الحاج كبى أو « حشكبى » بباء فارسية : اسم محرف من السريانى الدارج فى بعض قرى الموصل (السورث) فهم يسمونه (شكابا) بكسر الشين وتشديد الكاف وباء فارسية • ويعرف بالموصل فى الغالب (بجوز البرية) • ذكره ابن البيطار باسمه البربرى (آأكثار) ، وسماه صاحب كتاب ما لا يسع الطبيب جهله (بجوز أرقم) • وقال ابن البيطار : ان عرب برقة تسميه (تلغوطة) • أصل هذا النبات عجرة تستخرجها الصبيان بالمحافر وتأكلها ، طعمها كطعم الشاهبلوط • اسم النبات العلمى Bunium bulbocastanum الايوان : يقصد ايوان على الجدوم (القدوم) محل مرتفع على حافة « تل الغزلانى » مشرف على الأرض المنبسطة بين التل وبين النهر والمعروفة بـ « حاوى الغزلانى » • كان على الجدوم أحد ولاة الموصل قديما قد أنشأ عليه ايوانا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يخرج اليه للنزهة أيام الربيع •

(١٣) الطقيق : Leontice leontopetalum • نبات ثمره محافظ بقدر السعدة منتفخة ، فى جوفها هواء محبوس • يتسلى الصبيان بصك جباههم بهذه المحافظ فتنشق متفرقعة • جذر النبات عجرة تبلغ حجما كبيرا تشبه بكف الأسد • يسمى فلاحو قرى السريان هذا الجذر (عرطنيثا) ، ويسمى فى تلعفر وفى بعض قرى التركمان بالـ (درمان) ، يغسلون به الصوف فينقيه جيدا • والطقيق كثير الوجود فى برية الموصل• كان الانكليز فى الحرب الكبرى الثانية قد شغلوا عمالا كثيرين فى حفر خنادق حوالى بلدة الموصل ، فظهر بالحفر كثير جدا من العرطنيثا ، فصار الفقراء من نساء ورجال يجمعونه ويبيعونه الناس لغسل الصوف والثياب الصوفية ، فكانت سوقه رائجة ؛ لأن الصابون ندر وجوده فى الأسواق • فكنا نرى أكواما منه أمام البائعين • وكان جهلة العوام يسمونه « جوز البرية » ظنا منهم أن جوز البرية (الحاج كبى) اذا كبر كون العرطنيثا • وهذا خطأ ، فان هذا نبات ، وذاك نبات آخر •

(١٥) الحندقوقى : Melilotus وبالفرنسية melilot .

(١٧) اللاعبة : Euphorbia esula • نبات سام له ورق أرقط شبيه بالحيات • يندر استعماله غذاء ، وذلك بأن يسلق ويسكب ماؤه أولا ثم يطبخ مع سماق وأشياء أخرى ويؤكل • وطبيخه يلين البطن •

(١٨) الحليان : سماه لكلرك مترجم كتاب ابن البيطار الى الفرنسية Bulbe comestible، وهو نبات جذره عقدة بقدر البندقة الكبيرة عليها غشاء أسود ، لبها أبيض، فيه حلاوة تأكله الصبيان •

(٢٠) حميض : (بضم الحاء وتشديد الميم وفتحها واسكان الياء) عشب صغير فى أوراقه حموضة ، تأكلها الصبيان • أظنه المسمى علميا Oxalis acetosella وبالفرنسية oxalide و alleluia ، وبعضهم يسميه surelle و pain de coucou وبالانكليزية Vood sorrel ، وبالتركية « كوجك قوزى قولاغى » ولست على ثقة من ذلك • النفل : Trifolium • ترعاه المواشى•

(٢١) الفريونة : (بضم الفاء وفتح الراء واسكان الياء وضم الواو وتشديد وفتح النون) اسمها العلمى Tulipa montana ، وبالفرنسية Tulipe sauvage . لبصلة هذا النبات قشر أحمر داخله ألياف كأنها فروة • يستخرج الصبيان هذه البصلة ويأكلونها لعذوبتها • وهى تكون عادة غائرة فى الأرض •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٤) الخزيم : (بضم الخاء وتشديد الزاى وفتحها واسكان الياء) أجهل اسمه العلمى • الكرط : فصيحه القرط ويسمى البرسيم Trifolium alexandrinum وبالفرنسية Irefle d'Alexandrie • المثور : Mathiola • الصيوان: أراد به المسمى فى الموصل (صيوان الباشا) وهو المديد ويسمى اللبلاب والتفلاف Convolvulus وبالفرنسية Liseron des champs • منه نوع يسمى Iponoed

(٢٣) السيسبة : Lallemantia iberica من الفصيلة الشفوية •

(٢٤) منقار الكلك (اللقلق) : ويسمى (البخترى) بفتح الباء والخاء واسكان التاء وكسر الراء بعدها ياء ، وفى بعض البلاد (ابرة العجوز) ، وبالكردية (درزى لوكه) • اسمه العلمى Erodium Cicutarium و Alfilaria وبالفرنسية Erodion وبالانكليزية Strork's bill

(٢٥) الصفير : نبات له زهر أصفر يكثر فى الزروع ، لا فائدة فيه • قد ينسج الصبيان منه فى الربيع تيجانا يضعونها على رؤوسهم عابثين •

داوود الجلبى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليق على نسبة هذه المنظومة الى الشاعر الأخرس

لابد فى عزو كل أثر أدبى أو علمى الى صاحبه من دليل قاطع يثبته له ، وينفى شبهة حمله عليه : كأن يكون بخطه ومنصوصا على نسبته اليه ، أو يكون قد أثره عنه راو من الرواة الثقات المعدلين مشافهة أو نقلا من خطه ، أو يكون مرويا عنه فى كتاب موثوق بأمانة مؤلفه وصدقه •

وليس فى مقدمة الدكتور داوود الجلبى لهذه المنظومة شىء من هذه الأشياء الثلاثة يصحح نسبتها الى السيد عبدالغفار الأخرس شاعر العراق الذائع الصيت فى القرن الثالث عشر الهجرى •

وأنا أمنع نسبة هذه المنظومة اليه ؛ لأنها ليست من جنس شعره ، ولا هى من مذهبه فى الصياغة والرقة والانسجام ، بل هى لا تشبه حتى مخشلبه على ما سأزيد هذا توضيحا •

وأنفى أن يكون الدكتور قد وجدها بخط الأخرس ، الا أن يكون الخط الذى كتبت به المنظومة قد زعم له أن الأخرس كاتبه ، ولكن ذلك يستلزم التثبت والوثوق

من صحة هذا العزو بمعارضته بمثله من خط الأخرس الثابت أنه له ، ولا أدرى أفعل الدكتور ذلك أم لم يفعله ؟ فانه لم يتعرض لذكره لا اثباتا ولا نفيا . ولدى أثارة من خط الأخرس ، وهى رسالة كتب بها الى بعض القضاة وختمها بخاتمة ، ومن السهل جدا أن يعارض ذلك الخط بخطها الذى لا شك فى أنه هو خط الأخرس نفسه ، فيصحح حينئذ له ، أو ينفى عنه .

وأنفى أيضا أن يكون الدكتور قد أخذها عن الشاعر الأخرس مشافهة ، لأنه لم يعاصره ، ومن المؤكد قطعا أنه ولد بعد وفاته بعقد من السنين فى أكبر تقدير . وقد توفى الأخرس سنة ١٢٩١هـ[1] كما ذكر ذلك أستاذنا العلامة الامام السيد محمود شكرى الألوسى رحمه الله فى « المسك الأذفر » (ص ١٢٠) ، ومضى على موته الى الآن ٨١ عاما ، واذن فلا سبيل الى القول بأن الدكتور قد أخذ هذه المنظومة عنه مشافهة .

واذ انتفى عنه هذا وذاك ، لم يبق الا أن نقول ان الدكتور انما يروى هذه المنظومة عن راو زعم له نسبتها الى الأخرس فوثق به ، أو هو قد نقلها من مجموعة من هذه المجاميع الخطية أصابها فيها منسوبة اليه ، فاطمأن اليها ورواها عنها ونسى أن يعزوها اليها ويسميها . وأحد هذين الاحتمالين هو الشىء الطبيعى فى مثل هذه الحال . ولكننى أتهم الراوى والمجموعة جميعا ، ولا أراهما صادقين فى حمل هذه المنظومة على الأخرس . وقد عللت من قبل منعى نسبتها اليه بأنها ليست من جنس شعره ، والناحية الفنية وحدها هى التى تفصل فى المسألة وتعين نسبة القصيدة الى صاحبها بلا جدال . وهى سهلة ميسورة ، فللأخرس ديوان كبير مشهور متداول بأيدى الناس ، وهو يشتمل على أكثر من عشرة آلاف بيت فى الوصف والغزل والمدح والرثاء والهجاء والمجون ، لم يتخيرها هو مما نظمه ، وانما جمعت بعد وفاته ، جمعها أحمد عزة باشا العمرى مما « أحرزه وحفظه من موجوده ، وتتبعه من مفقوده » . ومن السهل جدا على من يشاء ، أن يعارض هذه المنظومة بما فى هذا الديوان من قصائد ، وما فيه من مخشلب وفرائد ، ليلتمس الجهة الفنية الجامعة بينهما ، ويتعرف مدى ما بينهما من انسجام والتحام ، أو تنافر وخصام ، وأن زعيم له بأنه لن يجد بينهما وبين أية قصيدة كانت من قصائد الأخرس الا جهة التنافر والخصام على أشد ما يكون التنافر والخصام بين جهتين متناقضتين أشد التناقض .

وأنا أختصر له الطريق ، وأتولى عنه مقابلة هذه المنظومة بمثلها من شعر الأخرس

---

(١) ووهم جامع ديوانه وناشره ، الشاعر الأديب أحمد عزة باشا العمرى ، فجعل وفاته فى سنة ١٢٩٠ هـ . وفى ديوان الأخرس نفسه ما يقوم حجة عليه .

فى وصف الربيع والروض ، ولا أعدوها الى أشعاره الأخرى ، ليرى بالتقابل فى الموضوع الواحد : أنى يكون وجه الشبه بينها وبينه ؟

وبحسبى الآن هذه المقطوعة أرويها من شعر الأخرس ، قال :

فرش الربيع لنا خمائل سندس خضر تفوح ببرنده وعراره
شكرا لآثار الغمام بروضه فله اليد البيضاء فى آثاره
روض محاسن أرضه كسمائه وشروق بهجة ليله كنهاره
فاشرب على النغمات من أطياره فكأنها النغمات من أوتاره
تتراقص الأغصان من طرب به ما بين شدو حمامه وهزاره
لا تنكروا ميل الغصون ، فانما هذى الغصون شربن من أنهاره !

أفمن يفرى طبعه الشعرى هذا الفرى ، ويبدع هذا الوشى العبقرى ، ويقول :

لا تنكروا ميل الغصون ، فانما هذى الغصون شربن من أنهاره

يسف به الطبع فيقول :

سر بانها للدير والغزلانى متنزها بالزهر والريحان ؟

أو يقول :

أو ما ترى التريك يصنع رأسه بطرا وتيها فى رياض النسوان ؟

او يقول :

واخجلة الكعيب والكعوب والـ كثيره من صولة العربان ؟

أو يقول :

والحاج كبى قد تراه مفاخرا فى حجه بأباظح الايوان ؟

أو يقول :

وكذلك العلتيق تسمع زعقه اذ قام يرقص مع قدود حسان ؟

أو ما شئت من هذه الأبيات الستة والعشرين من غير اختيار لدونها ، فما فيها غير الدون .

ولا يحتج علينا بأن هذه الأبيات جائز أن تكون مما نظمه الأخرس فى أوائل عهده بالنظم ، ثم استحصد بيانه ، وعلا فى سلم الشعر درجة بعد درجة حتى بلغ الذروة ، وصار ينظم مثل الرائية التى أوردنا بعض أبياتها .

ذلك أننا ننفى عن الشاعر « الشاعر » أن تكون أوليته كأولية صاحب « النونية الغزلانية » ذات الكعيب والتريك والطقيق والحاج كبى . فمن شب وهو لا يقول الا

مثلها ، يستحيل عليه أن يرتقى الى مثل طبقة الأخرس ؛ لأن الطبع الشعرى مفقود فيها ، وكل لفظ فيها لا يدل الا على فسولة الطبع وبلادة الحس وموت الشعور .

وقد تعودنا أن نرى النوابغ مجيدين مذ يتفجر ينبوع الشعر على ألسنتهم فى صغرهم ، ثم لا يزدادون فى الكبر الا حكمة التجارب وسعة الحيلة الفنية ، أما الطبع الشعرى فهو فى الكبر كما هو فى الصغر . وليتأمل من شاء أولية طرفة والنابغة وحسان وأبى نواس وأبى تمام والبحترى والرضى والسلامى والمتنبى والمعرى وشوقى وغيرهم ، فهل يجد الطبع الشعرى فى قصائدهم التى قالوها فى الكبر مختلفا عنه فى قصائدهم التى قالوها فى الصغر ؟ وشوقى أقرب هؤلاء الينا عهدا ، فهل كان الطبع الشعرى فى سوائره التى نظمها فى علو سنه ، هو غيره فيما تفجر على لسانه من سوائره فى شبابه من أمثال :

خدعوها بقولهم : « حسناء » والغوانى يغرهن الثناء ؟

ولا ريب فى أن الأخرس كان على جانب كبير من أصالة الطبع الشعرى ، فليس من الجائز عليه أنه كان فى أوليته ينظم مثل هذه المنظومة ... فان من يبدأ حياته الأدبية بمثلها يعجز كل العجز عن السمو الى الأفق الذى حلق فيه الأخرس .

ثم ، كيف يمكن أن تضاف هذه المنظومة اليه ، وهذا ديوانه الضخم بين أيدينا ليس فيه بيت واحد يحاكيها أو تحاكيه فى النفس والطبيعة الشعرية والأسلوب والمعنى والخيال ؟ مع أن ديوانه ليس مما تخيره الشاعر نفسه من شعره ، فتنفى ضعيفه وأسقط رديئه ، بل هو مما جمع بعد وفاته جمعا وقصد فيه الى حشر كل ما له من شعر ظفر به فى ديوان ، فكان فيه القوى والضعيف ، ولكنه مع ذلك ليس فى ضعيفه ما يجانس شيئا من هذه المنظومة بحال من الأحوال .

وبعد ، فلعل بعض القارئين لا يرى الموضوع يستحق كل هذه العناية فى الاحتجاج لنفى هذه المنظومة عن الأخرس . ولكن ما عسى أن نصنع غير هذا فى شأن من شؤون التحقيق ، ومناهج البحث العلمى تفرض التعمق والاستدلال والاستقصاء ، وتنكر ارسال الرأى من غير براهينه ؟

واذ لم يظفر ديوان الأخرس ، من نشر هذه المنظومة ، بشىء جديد يضاف اليه ، فقد ظفر التحقيق اللغوى ، من شروح الدكتور الجلبى ، بفوائد جليلة نشكرها له ونطلب منها المزيد .

محمد بهجة الأثرى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاثة اقتراحات في قواعد اللغة العربية

(الاقتراح الأول : الأسماء الستة معربة بالحركات لا بالحروف)

ان الأسماء المفردة المعربة التي اعتبرها علماء قواعد اللغة العربية ، معربة بالحروف، أي أن الحروف فيها تنوب عن الحركات في غيرها ، هي الأسماء الستة ، ولأجل هذه الأسماء ولأجل المثنى وجمع المذكر السالم ، وضع العلماء فصلين للأسماء المعربة ، وهما : فصل الأسماء المعربة بالحركات ، وفصل الأسماء المعربة بالحروف ، كما جعلوا فصلين لعلامات الاعراب في الأسماء وهما : فصل علامات الاعراب الأصلية ، وفصل علامات الاعراب الفرعية ، وبذلك كثرت الدساتير في باب الاعراب ، وزادت مشقة الطلاب والمعلمين في الوقت الذي أجاز الأقدمون أن نقول : « ان الأسماء المفردة المعربة تعرب كلها بالحركات » ترى ان الحركات تعتور الباء في : « جاء أبوك ، رأيت أباك ، سلمت على أبيك » مثلما تعتور الباء مثلا في « هذا كتابك ، خذ كتابك ، ماذا في كتابك »، وليس هناك من فرق سوى أن الحركات في « أبوك ، أباك ، أبيك » طويلة مشبعة ، وفي « كتابك » قصيرة ومقطوعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذن : لم لا نقول : ان جميع الأسماء المفردة المعربة تعرب بالحركات دون استثناء ، وأن الألف والواو والياء في « أبك ، أبوك ، أبيك » تولدت من تمديد الصوت أي من اشباع الحركات ، وأن أهل اللغة هكذا نطقوا بهذه الأسماء في محادثاتهم ؟ ان تولد حروف العلة هذه من تمديد الصوت بالحركات أمر لا مفر منه ، والشواهد على ذلك كثيرة في الشعر ، لأن الشعر والغناء توأمان ، وكل غناء هو تمديد الصوت بالحركات ، وكل تمديد يولد حرف علة و ... ولم لا نقول بذلك في النثر في هذه الأسماء ؟ أليس لفظ « أبوك » أوقع في السمع وأجمل في الأداء من كلمة « أبك » التي لا مجال لتمديد الصوت فيها ، فلا تصلح للصوت الموسيقي الذي لابد منه ؟ وأما في « فو » وفي « ذو » فلا مجال للاستغناء عن الحرف الثاني ، فكيف نعتبره اعرابا ؟ فهذه الأحرف أوجدتها ضرورة لا تشبه ضرورة الحركات ، فلم نقول انها أحرف اعراب لنخلق فصلا طويلا في باب الاعراب الذي لا يوجد الا في اللغة العربية ؟

دفع اعتراض قرأت في بعض الكتب اعتراضا على ما سبق ، مفاده : اذا اعتبر الباء في أبوك مثلا موضع اعراب ، وجب علينا أن نقول بوجود الاعراب في حشو

الكلمة ، وهذا مخالف للمبدأ العام ، وهو : أن الاعراب هو تغير فى آخر الكلمات الخ .

نقول لهذا المعترض : ان الواو فى « أبوك » ليس لام الكلمة ، فان « أبا » مثل « يد » و « دم » لا تعود لام الكلمة فى حالة الاعراب ؛ لأننا اذا اعتبرنا الواو فى « أبوك » لام الكلمة تصبح حرفا أصيلا ، فلا يبقى هناك أى مجال لاعتبارها حرف اعراب ؛ لأن الاعراب عرض طارىء لا يكون من جوهر الكلمة مثل الحركات . ثم اننا اذا اعتبرنا الواو هذه لام الكلمة ، وجب علينا أن نقول بنقل الحركة من الواو الى الباء فى « جاء أبوك » ، وأن نقول بقلب الواو ألفا فى « أباك » ، وأن نقول بالنقل والقلب فى آن واحد فى « أبيك » ، وكل ذلك تكلف لا ينبغى أن نتحمله فى عصر الايجاز والتسهيل . اذن فالأولى أن نعتبر هذه الأسماء مؤلفة من حرفين أو من حرف واحد ، وأن هذه الأحرف « الواو والألف والباء » نتجت من اشباع الحركات ؛ لأن القوم قالوا فى محادثاتهم « هذا أبوك » بصوت موسيقى عذب لين ، ولم يقولوا « هذا أبك » بصوت مقطوع مخنوق لا يخلو من لبس .

النصب فى الاستثناء اننا اذا استثنينا هذه الأسماء من هذا الدستور الكلى ، وهو : أن الأسماء المفردة المعربة تعرب كلها بالحركات الظاهرة كلها أو بعضها ، أو بالحركات المقدرة كلها أو بعضها » ، وقلنا : انها تعرب بالأحرف ، أى أن الأحرف فيها تنوب عن الحركات فى غيرها ، يجب علينا أن نعلم وأن نعلم الطلاب حالا القيود والشروط الآتية ليتم العلم التفصيلى نوعا ما باعراب هذه الأسماء .

القيود والشروط ١ – يقصد بـ « ذو » ما كان بمعنى « صاحب » ، لأن « ذو » بمعنى « الذى » اسم مبنى ، ولكن – ذو – معرب ، وهو لا ينفك عن الاضافة الخ .

٢ – « فو » لغة فى « فم » ، والأول أصل والثانى فرع ؛ لأن أصل الكلمة هو « فوه » فحذفت الهاء وأبدلت الواو ميما ، واذا حذفت الميم عادت الواو ، فتعرب « فو » بالأحرف وتعرب « فم » بالحركات الخ .

٣ – ان الأكثر فى « هن » اذا أضيف أن يقال « هنه » لا « هنوه » ، وبذلك تكون الأسماء المعربة بالأحرف المستثناة من القاعدة الكلية خمسة لا ستة الخ .

٤ – ورد فى كلام العرب : « هذا أبه وأخه وحمها » ، وذلك قليل جدا ، ومما ورد فى ذلك هذا البيت الشهير :

بابه اقتدى عدى فى الكرم ومن يشابه « أبه » فما ظلم

٥ ـ ورد فى كلام العرب : « هذا أباه ، رأيت أباه ، سلمت على أباه » عوضا عن « أبوه ، أباه ، أبيه » وعندئذ يمكن أن يكون « أباه » مثل « عصاه » معربا بالحركات المقدرة ، وهذا قليل جدا ، ومن ذلك ما ورد من الشعر :

يا ليت عيناهـــا لنا وفاهـــا بثمن يرضى به أباهـا
ان أبـــاهـــا وأبـــا أباهـا قد بلغا فى المجد غايتاها

٦ ـ يشترط فى اعراب هذه الأسماء بالحروف أن تكون مكبرة ، لأنهـــا عند التصغير تعرب بالحركات الظاهرة مثل « أبى •• أبيا •• أبى » الخ •

٧ ـ يشترط فى اعرابها بالأحرف ان تكون مفردة ؛ لأنها عند التثنية والجمع تدخل فى قاعدة اعرابهما الخ •

٨ ـ يشترط فى اعرابها بالأحرف أن تكون مضافة ، فانها اذا انقطعت عن الاضافة تعرب بالحركات الظاهرة ، مثل « أب ، أبا ، أب » •

٩ ـ يشترط فى اعرابها بالأحرف أن تكون الاضافة الى غير ياء المتكلم ، والا فانها تعرب بالحركات المقدرة على ما قبل الياء ، شأن سائر الأسماء المفردة المضافة الى ياء المتكلم الخ ••

نعم ، اننا لا نستغنى عن معرفة هذه القيود والشروط فى حالة اعتبار هذه الأسماء معربة بالحركات ، غير أننا نستغنى عن تكليف الطلاب معرفة تفاصيلها بادىء بدء ، كما أن فيها بعض القيود لا نحتاج الى التعرض له مهما طال بنا البحث والتدقيق •

عود على بدء ان خير الدساتير ما كان عاما شاملا خاليا من شرط واستثناء ، فلذا أرى من الأفضل والأسهل أن نقول : « ان الأسماء المفردة المعربة تعرب كلها بالحركات الظاهرة أو المقدرة » وبذلك نخلص من فصل الأسماء الستة ، ومن شروط اعرابها بالأحرف ، ونخلص من فصل علامات الاعراب الفرعية فى الأسماء ، أو الاعراب بالحروف •

* * *

(الاقتراح الثانى : يعرب المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الملحقة بهما بالحركات)
(المقدرة لا بالحروف)

يكاد المطلع أن يضيع الطريقة المثلى ، بل انها ضائعة ، حينما يطلع على اختلاف القدماء فى اعراب المثنى وجمع المذكر السالم ، فأقوالهم مختلفة متضاربة • غير أن ما يليق بالبحث من أقوالهم الواردة فى ذلك هو قولان ، أحدهما : أن الألف والواو

والياء فى التثنية وفى الجمع هى الاعراب نفسه ، أى أن هذه الأحرف بمنزلة الرفع والنصب والجر فى آخر الأسماء المعربة المفردة . فاذا قيل « جاء طالبان » و « جاء المعلمون » فان الألف والواو عوضان عن الرفع فى آخر « طالب ومعلم » فى قولنا « جاء طالب ومعلم » ، وهذا القول هو المعمول به اليوم .

وثانيهما : أن هذه الأحرف « الألف والواو والياء » ليست اعرابا ، ولكنها أحرف اعراب مثل الباء فى طالب ، والألف فى الفتى ، والياء فى القاضى الخ .

« أعتقد بأن أصحاب هذا القول يقصدون أن الاعراب مقدر على هذه الأحرف مثل تقديره على الألف والياء فى كلمتى « الفتى والقاضى » . قلت : أعتقد ؟ لأنى لم أقرأ تصريحا بذلك فى الكتب التى طالعتها » .

ان الخلاف بين القولين واضح : فان اعراب المثنى والجمع يعتبر لفظيا ظاهرا على القول الأول ، ويعتبر الاعراب مقدرا على القول الثانى .

القول الثانى أصح وأسهل قبل أن أذكر تفنيد القول الأول ، أقول : اذا لم يكن هناك أى مسوغ لترجيح القول الثانى على الأول ، أى لترجيح اعتبار الاعراب بالحركات على اعتبار العلامات نفسها أحرف اعراب ، فان مراعاة التسهيل والايجاز بتقليل الدساتير العلمية هى وحدها كافية لرجحان القول الثانى ، اذ يصبح لدينا دستور واحد فى اعراب الأسماء ، وهو : « الأسماء كلها تعرب بالحركات الظاهرة أو المقدرة الخ » .

تفنيد القول الأول ما أدرى لماذا تغلب الأخذ منذ عهد بعيد الى يومنا هذا بالرأى الأول ، وهو : أن الألف والواو والياء فى المثنى وفى الجمع هى الاعراب برغم ان هذا الرأى ظاهر البطلان ، وأن فيه تحكما لا نظير له فى قواعد اللغة العربية ، بل ان القول بأن المثنى والجمع مبنيان لهو خير من جعل هذه الأحرف اعرابا ؟ لأن البناء أقل كلفة فى التفهيم ، وآمن من توجه اعتراضات لا تدفع ، فلعل الأوضاع السياسية والاجتماعية لهؤلاء العلماء أثرت فى تغلب هذا الرأى مثل تغلب رأى الكسائى على رأى سيبويه فى مسألة « الزنبور » ، وكم من مسائل علمية ودينية تغلبت على ضدها فى أوضاع خاصة .

لقد فند العلماء القول باعتبار هذه الأحرف اعرابا من جهات عديدة ، أهمها أن الاعراب عرض طارىء ، يبقى مع زواله جوهر الكلمة دون أن يتغير معناها . وهذا

شيء واضح ، فاننا سواء قرأنا « طالب » برفع أو بسكون فى « جاء طالب » ، فان معنى الكلمة لا يتغير ، وليس الأمر كذلك مع الألف والياء والواو فى المثنى وفى الجمع ، فان حذفها يغير المعنى المراد ، وهو الدلالة على أكثر من واحد . اذن فان اعتبار هذه الأحرف اعرابا لا ينجو من النقد الذى لا يدفع ، وان الاستدلال بأن هذه الأحرف تتغير كتغير الحركات فاعتبرت عوضا عنها لهو استدلال باطل ؛ لأن أبناء اللغة الذين تكلموا بها قبل وضع القواعد أوجدوا للمثنى صورتين ، وللجمع الذى سمى فيما بعد جمعا سالما للمذكر أوجدوا صورتين أيضا ، كما نطقوا بعدة صور من مادة واحدة للجموع التى سماها العلماء جمع تكسير مثل نوق ، وأنيق ، وأيانق ، ونيق ، وأنواق ، و... فى جمع ناقة . وليس الفرق بين الصورتين فى الجمع السالم وبين صور متعددة فى غيره عن قصد سوى أن القوم استعملوا الكلمات كما تقتضيه محادثاتهم فى النثر وفى النظم .

فاستعمل العرب القدماء فى لغتهم التى نسميها اليوم لغة الكتابة أو اللغة الفصيحة صورتين للمثنى وصورتين للجمع ، بينما العرب اليوم لا يستعملون فى لغتهم التى نسميها اللغة العربية العامية سوى صورة واحدة للمثنى وللجمع ، وهى صورة زيادة الياء والنون على المفرد ، فيقول الناس : جوا المعلمين ، شفت المعلمين ، رحت وياهم المعلمين ، جوا طالبين ، شفت طالبين الخ » . ثم انه لو كان هذا التغيير بمنزلة الحركات لما قال المعترضون بوجوب هذا التغيير بين حالتى النصب والجر ، اذن ليس التغيير فى المثنى والجمع الا من قبيل التغيير الذى يحدث فى بعض الأسماء المبنية بحسب التراكيب المختلفة .

وقد سبق منا أن اعتبار هذه الأحرف علامات لمعنى خاص ، أى أنها فى حكم أحرف المعانى ، أمر لا مناص منه بحسب الوضع اللغوى ، واعتبارها اعرابا أيضا تحكم لا نظير له فى اللغة وضرورة يمكن التخلص منها .

النتيجة اذن لابد من الأخذ بالقول الثانى ، فنقول : ان المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الملحقة بهما تعرب بالحركات المقدرة على آخرها أى على علامات المثنى والجمع من الألف والواو والياء ، اذ لا يمكن ان نعتبر النون آخر الكلمة لأنها ليست ثابتة لسقوطها فى الاضافة ، فلا مفر من اعتبار الألف والياء والواو آخر الكلمة ووضع الاعراب المقدر عليه .

واذا عملنا وفق اقتراحى الأول والثانى تطرد عندنا القاعدة الآتية فى اعراب الأسماء ، وهى : « الأسماء المعربة تعرب كلها بالحركات الظاهرة أو المقدرة على آخرها ،

وما أقوى الدستور اذا كان مطردا ، وبذلك تتخلص من فصول فى باب الاعراب الذى هو أصعب الأبواب فى قواعد اللغة .

(الاقتراح الثالث : لا حاجة الى تابع يسمى عطف بيان)

لقد ورد فى كتب قواعد اللغة العربية : « كل ما صلح أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدلا مطابقا » ، وقرأت فى بعض الكتب : « ومن النحاة من لم يثبت عطف البيان ، بل جعل كل عطف بيان بدلا مطابقا » ولم أقرأ تفصيلا لبيان وجهة نظر هذا النحوى . وعلى رغم ورود هذين التصريحين لم أجد من يصرح بما يلى : « لا حاجة الى تابع يدعى عطف بيان » ، بل وجدت كتبا حديثة التأليف فى قواعد اللغة العربية ، وقد أثبتت هذا التابع جريا على نظام المؤلفات القديمة فى هذا الباب .

انا لست من الأساتذة ، ولا من أبناء هذه اللغة ، غير أنى بحكم مهنتى : التعليم فى المدارس الابتدائية ، ثم بدافع التوسع طالعت كتبا محدودة فى قواعد اللغة العربية ، وبعد الدرس والتفكير ، تبين لى أنه فى الامكان أن نستغنى بالبدل المطابق أو « بدل الكل من الكل » ـ كما يسمونه ـ عن عطف البيان ، فنعتبر التوابع أربعة لا خمسة ، وعندئذ ينجو الطلاب والمعلمون من تخيير طالما تسمع به حينما يعربون مثل : جاء أبو هند على ، فيقولون : « على » بدل أو عطف بيان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم وضع عطف البيان؟ لقد أورد بعض المؤلفين أربعة أمثلة من التراكيب العربية بعضها واردة ، وبعضها مفروضة ، وقالوا : انها تستثنى من قاعدة « كل ما جاز أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدلا مطابقا » فادعوا بأن التابع فى هذه الأمثلة يتحتم عليه أن يعتبر عطف بيان لا بدلا مطابقا ، وانى أعتقد أن هذا الادعاء تحكم محض ، وان فى الامكان تأويلها والاستغناء عن عطف البيان كما يتبين فيما يلى :

المثال الأول قالوا : لقد ورد فى كلام العرب مثل « يا غلام بشرا » بنصب «بشر» ، ومتى قيل : يا غلام بشرا ، ويا رجل خالدا ، يجب اعتبار الاسم المنصوب عطف بيان لا بدلا مطابقا . وحجتهم فى ذلك أن بشرا مثلا لو اعتبر بدلا لوجبت القراءة « يا غلام بشر » بناء بشر على الضم ؟ لأن البدل هو التابع المقصود بالنداء دون المبدل منه ، وبشر ـ وهو علم مفرد ـ اذا صار منادى يبنى على الضم شأن المنادى المفرد المعرفة الخ .

ان هذا الاعتبار على ثبوت التحكم فيه لا يسهل تفهيمه للطلاب اذا سهل فهمه على المعلم ، ثم انه اذا ثبت بالتواتر أن العرب القدماء قالوا « يا غلام بشرا » و « يا غلام يعمرا »

كما ورد فى ألفية ابن مالك ، فلم لا نقول اليوم : ان بشرا ليس تابعا للمنادى ولكنه منصوب بفعل محذوف ، وهو « أعنى » وما ضارعه ؟ وهذا كثير جدا فى اللغة العربية ، ثم لماذا يعتبر المبدل منه فى حكم العدم دون سائر المتبوعات ليوجد ذلك محاذير هنا وفى الامثلة الآتية ؟ اذن يصح لنا أن نقول : ان بشرا فى « يا غلام بشرا » ليس تابعا ، واذا جعلناه تابعا نعتبره بدلا مطابقا تابعا لمحل المنادى .

المثال الثانى قالوا : اذا قيل جاء الناصر الرجل خالد يجب اعتبار « خالد » عطف بيان لا بدلا مطابقا ، لئلا يلزم اضافة الوصف المحلى بأل الى اسم خال من أل ، أى انهم لم يجيزوا جاء الناصر خالد . ولو فرض الكلام على البدلية ، لكان جاء الناصر الرجل خالد فى حكم جاء الناصر خالد ، وهذا ما لا يجوز فى عرفهم ، ولذا جعلوا « بشر » فى هذا البيت القديم :

أنا ابن التارك البكرى بشر عليه الطير ترقبه وقوعا

عطف بيان ، ولم يجيزوا جعله بدلا مطابقا لئلا تضاف كلمة « التارك » المحلاة بأل الى بشر وهو خال من أل ، ولو أن « أنا ابن التارك بشر » جميل فى المعنى جدا !

ان التحكم فى هذا المثل أشد من التحكم فى سابقه ، لأن النحاة أجازوا اضافة الوصف المحلى بأل الى اسم خال من أل اذا كان الوصف مثنى أو جمعا ، فلم لا يجيزون اضافة الوصف نفسه اذا كان مفردا ؟ واذا يستدلون على جواز اضافة الوصف المثنى والجمع بقول الشاعر :

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين اذا لم ألقهما دمى

وبقول الشاعر :

العارفو الحق للمبدل به والمستقلو كثير ما وهبوا

فليحملوا المفرد على المثنى والجمع قياسا ان لم يكن واردا ، أو فيستدلوا على جواز اضافة الوصف المفرد بالبيت السابق : « أنا ابن التارك البكرى بشر الخ » بأن يعتبروا ـ بشر ـ بدلا ليكون الكلام فى حكم الاضافة ـ اذا صح قولهم ـ المبدل منه فى حكم العدم!

وان لم يقبلوا لا هذا ولا ذاك ، فليرجعوا الى قول نحاة أجازوا اضافة الوصف المحلى بأل الى الأسماء المعرفة كافة ، سواء كان الوصف مفردا أو مثنى أو جمعا ، فأجازوا « جاء الناصر خالد ، وجاء الناصر هذا ، وجاء الناصر الرجل ، وجاء الناصران ، وجاء الناصرون ، وجاء الناصرو الذى رأيته ، و ... » اذن : لا يبقى أى مانع فى جعل بشر

فى ذلك البيت بدلا مطابقا ، مستغنيا عن عطف البيان !.

المثال الثالث قالوا : اذا قيل « يا محمد المهدى » ، وجب أن يكون ـ المهدى ـ وهو معرف بأل عطف بيان للمنادى لا بدلا مطابقا ؛ لأنه لو كان بدلا لزم دخول حرف النداء على المعرف بأل وذلك ممنوع ـ فى عرفهم ـ فلا يقال يا الرجل ، ويا الغلام و ...

لم لا نقول هنا ان الوارد من كلام العرب القدماء لهو حجة على الدساتير ، وأن الأصل فى الكلام عدم الحذف ؟ فقد ورد فى كلام العرب :

فيا الغلامان اللذان فـرا ... اياكما أن تكسبا لى شرا

فديتك يا التى تيمـت قلبـى ... وأنت بخيلة بالوصـل عنـى

فلم لا يجوز « يا الرجل » على حد « يا الغلامان » ، ولم نقول : ان الكلام هنا على حذف المنادى بتقدير ـ أيها ـ دون ضرورة ؟ واذا تم لنا ذلك نقول « المهدى » فى قولنا « يا محمد المهدى » بدل مطابق ، فليصبح الكلام فى حكم « يا المهدى » اذا قبلنا بالتحكم المشهور ، وهو أن المبدل منه فى حكم العدم . ولم نقبل هذا التحكم ولا نستغنى عن عطف البيان ، ولدينا مسوغ قوى وهو التسهيل والايجاز ؟

المثال الرابع قالوا : اذا قيل « الدار سافر على ساكنها » ، يجب اعتبار « ساكنها » عطف بيان لا بدلا مطابقا ، لأن البيان والمبدل منه يغنى كل واحد منهما عن الآخر ، وهنا اذا جاز أن نقول « الدار سافر ساكنها » بالاستغناء عن المبدل منه ، لا يجوز أن نقول « الدار سافر على » بالاستغناء عن البدل ، اذ تخلو جملة الخبر عن الضمير الرابطها بالمبتدأ !!

ومثل هذا المثال « جاء الذى كتب على أخوه » ، « جاء غلام سافر بشر سيده » ، « جاء خالد سافر على خاله » . لم لا نقول : ان هذه الجمل فرضية ، وقواعد اللغة لا تبنى على المفروضات بل تعتمد على الوارد المروى من كلام أصحاب اللغة ، وتستمد دساتيرها من كلامهم المسموع فقط ؟ ثم ان البدل فى الأمثلة المذكورة يستغنى عن المبدل منه ، لأنه المحتوى على الضمير الرابط ، ولنفرض عدم استغناء المبدل منه عن البدل فى هذه الأمثلة الفرضية نادرا ، وما أكثر النوادر فى اللغات !

عود على بدء بناء على ما تقدم نستطيع أن نقول : لا حاجة بعد اليوم الى تابع يدعى عطف بيان ، فلا ينبغى ذكره فى المؤلفات ، لأننا فى عصر السرعة والتسهيل . فكلما قلت الدساتير ، قرب القصد وسهل المرام .

محمد على الكردى

المجلة لقد اتسع هذا النحو العربي قديما لمذاهب علماء الكوفة والبصرة ، ولآراء البغداديين والأندلسيين ، ولم يضق ذرعا باجتهاد باحث من الباحثين في مختلف العصور .

وقد استجدت في هذه السنين الأخيرة محاولات عدة لتجديد النحو وتيسير قواعد الاعراب ، بدأها كتاب احياء النحو متأثرا ببعض آراء ابن جني وأبي عثمان المازني وابن مضاء القرطبي مؤلف « الرد على النحاة » ، وتلاه تقرير لجنة « تيسير قواعد اللغة العربية » بوزارة المعارف المصرية ، ثم أبحاث كثيرة نشرت في الصحف تناقش مسالك النحاة في تبويب النحو ومصطلحاته وعلله ، وتبغي التخفيف من هذه المباحث المتشعبة ومن وجوه الاعراب وتعليلاته وخاصة فيما يقدم منها للطلاب في المدارس الابتدائية والثانوية . ثم تبنت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية الموضوع ، فاسترأت العلماء في وجوه الاصلاح الذي يرونه ، حتى انتهت الى ما أقره مندوبو الدول العربية من مناهج النحو وقواعد الاملاء العربي الجديد في « المؤتمر الثقافي العربي الأول » الذي عقدته في بيت مري بلبنان في خريف سنة ١٩٤٧م . ولابد أن تظهر آثار هذه النتيجة في مؤتنف الأيام القريبة .

وهذه الاقتراحات الثلاثة التي حرص كاتبها على نشرها ، انما تمثل بعض أطوار الرأي الذي أشرنا اليه في تيسير قواعد النحو ، ونحن اذ ننشرها له نرجو أن يكون فيها شيء جديد غير مسبوق اليه فيما كتبه الباحثون في هذا الباب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خلاصة عن أعمال المجمع العلمي العراقي

لخصنا في المجلد الأول أهم الأعمال التي قام بها المجمع وأولاها عنايته منذ بدء تكوينه الى سنة ١٩٥٠م ، ونورد الآن ملخصا آخر لما أنجزه من بعد .

كانت موازنة المجمع السنوية في كل من السنتين الخاليتين ٨٫٠٠٠ دينار ، ولكن الضرورات الملجئة استلزمت اضافة ٢٫٠٠٠ دينار الى موازنة السنة الماضية على سبيل المناقلة من فصول موازنة وزارة المعارف لتسوية حساباته ، وانه لمبلغ يسير جدا في جانب حاجات المجمع ومطالبه في حركة البعث العلمي وما ينبغي لها من اتساع النطاق والامتداد والشمول . ولئن فات المجمع ـ بسبب قلة موازنته ـ أن يحقق كل هذه الحاجات والمطالب التي يصبو الى تحقيقها ، لقد استطاع ـ مع ذلك ـ أن يحقق جانبا منها غير قليل الشأن على ما سترى في هذه الخلاصة .

المطبعة لما تكون المجمع ، كان من أوائل مقرراته أن يقتني مطبعة حديثة راقية تطبع كتبه ومجلته ، فعهد بذلك الى لجنة فرعية ألفها من أعضائه ، واستقر الرأى – بعد درس الموضوع – على مفاوضة احدى الشركات التجارية فى شراء المطبعة فورا ، ولكنه لم يكد يشرع فى المفاوضة حتى فوجىء بخفض موازنته من ٢٥٫٠٠٠ دينار الى ١٠٫٠٠٠ دينار ، فعدل عن عزمه ريثما تتبدل الحال ، وعهد بطبع كتبه ومجلته الى المطابع المحلية بوساطة مطبعة الحكومة على سبيل « المناقصة » ! فعانى من اضطراره الى اتباع هذه الطريقة فى الطبع متاعب شديدة ، ووقع من تسويف المطابع وابطائها فى انجاز كتبه فيما خشيه وأراد الهرب منه منذ أول تكونه . ولما ازدادت هذه الحال تأزما ، قدم الأستاذ محمد بهجة الأثرى اقتراحا يتضمن حلا وسطا للمسألة ، وهو أن يقتني المجمع حروفا خاصة به ينضدها فى داره ويبعث بها الى المطابع لتطبعها له تيسيرا لانجاز أعماله ، فوافق على اقتراحه ، وكتب الى وزارة المالية يطلب موافقتها على ذلك ، فلم توافق ، فعاد الى الكتابة اليها بقيام الدواعى التى تقضى بهذا الاجراء الاضطرارى مرة ثانية وثالثة ، وطال الأخذ والرد حتى ظفر المجمع بعد زمن طويل بموافقة وزارة المالية ، فابتيعت الحروف من بغداد والقاهرة ، ولكن من موازنة المجمع الضئيلة . وقد كان للأزمة المالية المستحكمة يومئذ أثرها البعيد فى هذا الذى نذكره من الممانعة والمطال ، حتى اذا آنس المجمع فى أثناء ذلك انفراج الأزمة ، أخذ يطلب بمطبعة خاصة به لما يعانى من تسويف المطابع المحلية وتأخيرها لظهور آثاره وأعماله كالذى حدث من طبع المجلد الأول والثانى من المجلة فى أكثر من مطبعة وما نشأ عن ذلك من تأخير صدورها عن أوقاتها المقررة ، وكالذى تعرض له كتاب الخريدة وغيره من الكتب التى أودعها الى المطابع ، وما برح يؤكد حاجته الشديدة الى مطبعة خاصة به حتى ظفر بعد عناء طويل بالموافقة على ابتياع مطبعة مستعملة من لندن ولكن من موازنته أيضا . وطالت مراجعته لمطبعة الحكومة والشركات فى هذا الشأن حتى تمكن من الحصول على مطلبه .

واستدعى اقتناء المطبعة انشاء بناية خاصة بها ، وهى مسألة ترتبط مباشرة بمسألة الأرض التى يطالب المجمع بتمليكه اياها ، ومسألة الأرض قصة طويلة ضافية الذيول صاحبت تأسيس المجمع ومرت بأطوار كثيرة من الاعطاء والمنع استغرقت سنوات عدة لم يكف فيها عن المطالبة بها حتى وعد بأرض فى « الوزيرية » ، ولم يلبث حين اقتنى المطبعة أن وجد السبيل الى تعيين هذه الأرض كى يتسنى له انشاء بناية المطبعة فيها ، فعينت له ،

فعجل وأنشأ فيها هذه البناية من موازنته السنوية أيضا ، ونحمد الله تعالى على أن تكللت سلسلة هذه المتاعب المضنية منذ سنة ١٩٤٨م بنجاح المجمع اليوم فى اقتناء مطبعة مستعملة وتشييد بناية لها • والمؤمل أن يثين وقت الشروع فى الانتفاع بها قريبا ان شاء الله •

أعماله العلمية فى سلسلة هذه المتاعب المضنية التى تستبد بالطاقة وتستنفد الصبر ، دأب المجمع على أعماله العلمية فواصل محاضراته التى ذكرنا قسما مهما منها فى المجلد الأول وشاركه فيها نفر من المستشرقين زاروا هذه البلاد وأموا المجمع خاصة لتعرف أعماله ومثافنة رجاله • ووضع ـ على سبيل التعاون مع دوائر الحكومة ـ كثيرا من المصطلحات العلمية والفنية ، وما زال دائبا على وضعها فى معظم جلساته ، وفى هذا المجلد طرف منها وسيواصل نشر ما أنجزه منها فى الأجزاء الآتية • ونشر طائفة من المؤلفات القيمة التى تملكها وقرر طبعها بنفقته • وساعد عددا من الأدباء على نشر ما رغبوا فى نشره من آثارهم أو آثار غيرهم بما بذله من المال • وشجع حركة التأليف والترجمة بتخصيص الجوائز السنوية للمطبوعات وللمؤلفات والمترجمات • ولم يفته أن يقف الجماهير على مبدعات العلم والمخترعات فى عالم الصناعة ، فعرض عليها أكثر من مئة شريط سينمائى حفلت بعجائب العلوم وغرائب الفنون والصناعات • ويسرت الشعبة الفنية فيه للعلماء والباحثين ما يفتقرون اليه من المخطوطات والوثائق والنصوص بتصويرها لهم بثمن زهيد ووقت قصير جدا • وسهلت خزانة كتبه جميع وسائل البحث والتنقيب الممكنة لمن يشاء من الناس ، وقد حفلت بأمهات الكتب ونوادر المؤلفات التى صورها عن المخطوطات النادرة فى أشهر خزائن الكتب فى الشرق والغرب ، ولا يزال دائبا على اقتناء المطبوعات الجديدة ـ عدا ما يهدى اليه منه ـ وعلى تصوير المخطوطات النادرة بقدر ما تمكنه موازنته الضيقة •

وقد عقد الى الآن زهاء مئة وعشرين جلسة مجمعية ، وأكثر من ٤٠٠ جلسة عقدتها لجانه الفرعية من غير أن يتقاضى الأعضاء شيئا عن جلسات اللجان •

وهذا ثبت محاضراته وكتبه ومساعداته وما قرر نشره :

المحاضرات ذكرنا فى المجلد الأول قسما مهما من محاضرات المجمع ، ونذكر فيما يأتى المحاضرات الباقية ، وهى :

(١) نشوء الوجدان وتكامل الانسان ـ للدكتور ناجى الأصيل ، فى ١١/١١/١٩٥٠ •

(٢ ، ٣ ، ٤) المرأة والرجل ـ ثلاث محاضرات للدكتور شريف عسيران ، فى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩٥١/٢/١٠ و٣/٣/١٩٥١ و٢١/٤/١٩٥١ .

(٥) نتاج حفريات نمرود (باللغة الانكليزية) ـ للأستاذ سلون، في ٥/٥/١٩٥١.

(٦) القانون المدني العراقي ـ للأستاذ منير القاضي ، في ١/١٢/١٩٥١ .

(٧) الشاعر الفيلسوف محمد اقبال (باللغة الانكليزية) ـ للدكتور أختر امام ، في ١٥/١٢/١٩٥١ .

(٨) خطط البصرة ـ للأستاذ ماسنيون ، في ١٧/١٢/١٩٥١ .

(٩) الرياضيات قبل عهد اليونان ـ للأستاذ محيي الدين يوسف ، في ١٢/١/١٩٥٢.

(١٠) الثقافة النسوية القديمة في العراق ـ للدكتور مصطفى جواد ، في ١/٣/١٩٥٢ .

(١١) خطورة موقفنا الفاصل في تأريخ العالم من الوجهة الروحية (باللغة الانكليزية) ـ للأستاذ ايلسون ، في ٣١/١٠/١٩٥٢ .

(١٢ ، ١٣) المدرسة النظامية ببغداد وتحقيق موضعها ـ محاضرتان للدكتور مصطفى جواد ، في ٦/١٢/١٩٥٢ و٣/١/١٩٥٣ .

الكتب والآثار ونشر في هذه المدة الوجيزة من الكتب والآثار التي طبعها بنفقته :

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول) .

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثاني) .

(٣) تأريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الأول) للدكتور جواد علي .

(٤) تأريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الثاني) للدكتور جواد علي .

(٥) كتاب النغم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم ـ تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري .

(٦) المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد للحافظ ابن الدبيثي ـ انتقاء الامام الذهبي، تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

(٧) مقدمة للرياضيات ـ تأليف وايت هيد ، وترجمة الأستاذ محيي الدين يوسف .

(٨) موجز الدورة الدموية في الكلية ـ تلخيص الدكتور هاشم الوتري .

(٩) صورة الأرض ـ للشريف الادريسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ، وهي أول خارطة عالمية وضعها المسلمون ، وقد جمعها وألف بين أجزائها المتفرقة في كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي » المستشرق الألماني كونراد ملر ونشرها مكتوبة بالحروف اللاتينية ، ونقلها الى العربية الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي وحققا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعلام المدن بالرجوع الى خمس نسخ مصورة من كتاب نزهة المشتاق المذكور والى طائفة من كتب العرب في الجغرافيا ، وامتاز تحقيقهما بما استدركه على المستشرق الألماني من الغلطات الكثيرة ، وكتب أسماء المدن الأستاذ محمد بهجة الأثري بخطه ، وطبعت الخارطة بتسعة ألوان بمطبعة المساحة ببغداد فجاءت تحفة نادرة منقطعة النظير .

(١٠) خارطة بغداد الأثرية ـ وضع الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة والسيد أحمد حامد الصراف .

وتتبعها كتب على وشك الظهور ، وهي :

(١١) خريدة القصر وجريدة أهل العصر ـ (القسم الخاص بالعراق) ـ تأليف العماد الأصبهاني الكاتب من كتاب صلاح الدين الأيوبي ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جميل سعيد ، مع شروح وتعليقات مستفيضة للأول .

(١٢) ابن الفوطي ـ للأستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي .

(١٣) الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ـ للسيد ناصر النقشبندي .

وكتب أخرى معدة للطبع ، وهي :

(١٤) نزهة الأرواح وروضة الأفراح في أخبار الحكماء اليونانيين والاسلاميين ـ تأليف الفيلسوف الاشراقي شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري معارضا بثماني نسخ .

(١٥) تأريخ الموصل (الجزء الثاني) ـ تأليف الشيخ أبي زكريا الأزدي ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري .

(١٦) الخطاط البغدادي علي بن هلال المعروف بابن البواب ـ تأليف الدكتور سهيل أوزن وير من أساتذة الطب بجامعة استانبول ، وترجمة الأستاذ محمد بهجة الأثري والأستاذ عزيز سامي .

(١٧) مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ـ تأليف ابن الفوطي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

(١٨) منازع الفكر الحديث ـ تأليف الفيلسوف الانكليزي سي . آي . أم جود ، وترجمة الأستاذ المرحوم عباس فضلي مدير التسوية العام ، ومراجعة الدكتور عبدالعزيز البسام والأستاذ أميل ضومط .

(١٩) معجم الرياضيات ـ تأليف جمعة من كبار الاختصاصيين الاميركيين ، وترجمة الأساتذة : محيي الدين يوسف ، ومحمد بهجة الأثري ، ومصطفى جواد ، وعبدالجبار عبدالله ، وجلسي سدرة ، وسعدي الديوني .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٠) أرض الخلافة ـ تأليف لسترنج ، وترجمة السيد بشير فرنسيس والسيد كوركيس عواد .

ومنح مؤلفي الكتب الآتية مساعدات مالية لطبعها ، وهي :

(٢١) اليزيدية ـ تأليف السيد صديق الدملوجي ، طبع في الموصل .

(٢٢) أنت الوراثة ـ تأليف أفرام شاينفلد ، وترجمة السيد بشير اللوس .

(٢٣) المدخل الى الفلسفة الحديثة ـ تأليف سي. آي. أم جود ، وترجمة السيد كريم متى .

(٢٤) الديارات ـ للشابشتي ، تحقيق السيد كوركيس عواد .

(٢٥) الشرر ـ ديوان للشاعر السيد أحمد الصافي النجفي ، طبع في بيروت .

(٢٦) شرفنامه ـ تأليف الأمير البدليسي ، وترجمة السيد جميل بندي الروزبياني (تحت الطبع) .

الجوائز ـ أشرنا في المجلد الأول الى اهتمام المجمع بتشجيع التأليف والترجمة والنشر في العراق ، وارصاده مبلغا من موازنته يمنح جوائز لمن يتفوقون في المباريات السنوية التي يعلنها ويعين موضوعاتها . وذكرنا الجوائز التي منحها في سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ . ونذكر الآن أنه قد مضى على سنته تلك فأرصد لسنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ست مئة دينار قسمها هكذا : ١٥٠ دينارا لمن يؤلف أحسن كتاب في « وسائل اصلاح اللغة العربية العامية وتقريبها من الفصحى » ، و٢٠٠ دينار للفائز الأول و١٠٠ دينار للفائز الثاني في نقل أحسن كتاب من لغة غربية الى اللغة العربية ، و١٥٠ دينارا لأحسن كتاب مطبوع في سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ، وشرط لذلك شروطا أذاعها في بيانه الرسمي بالاذاعة اللاسلكية ونشرها في الصحف المحلية وفي المجلد الأول من مجلته (ص ٣٩٢). ولكن الانتاج الذي قدم لمباريات هذا العام كان أقل شأنا من انتاج العام الماضي كمية وكيفية، ولم يؤلف أحد ما في موضوع « وسائل اصلاح اللغة العربية العامية وتقريبها من الفصحى ». وراعى المجمع وهو يمنح جوائز هذا العام ما راعاه في السنة الماضية من التزام جانب التشجيع في منح جوائزه لئلا يقف في بدء حياته موقف المتشدد تجاه المشتغلين بالبحث والترجمة ، فمنح التأليف المطبوع ١٥٠ دينارا وكانت نصيب كتاب « التطبيقات الشرعية » للسيد محمد أحمد العمر ، ومنح الترجمة منحة الجائزة الثانية وقدرها ١٠٠ دينار وكانت نصيب كتاب « الأرض والفقر » تأليف الآنسة دورين وارنر وترجمة السيد حسن أحمد السلمان .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأرصد لجوائز سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ خمس مئة دينار قسمها هكذا : للمؤلفات المطبوعة ٢٥٠ دينارا وللترجمة ٢٥٠ دينارا ، فمنح منها ١٥٠ دينارا لكتاب « أميركا كما عرفتها » تأليف السيد أمين المميز . و١٠٠ دينار لكتاب « ثورة الخيام » تأليف السيد عبدالحق فاضل . و١٠٠ دينار لكتاب « رحلة ريج فى العراق » ترجمة صاحب المعالى السيد بهاء الدين نورى . ومما تجدر بنا الاشارة اليه أن الفائزين الثلاثة فى هذا العام هم من رجال وزارة الخارجية العراقية كما أن مجموع الانتاج الذى قدم للسباراة كان أفضل مما قدم فى العام الماضى وأوفر عددا .

المصطلحات العلمية بذل المجمع مجهودا كبيرا فى وضع المصطلحات ، وكتب الى جميع دوائر الحكومة لتوافيه بما عندها من مصطلحات علمية وفنية باللغات الأجنبية تحتاج الى ما يقابلها من فصيح اللغة العربية ، وفى التقرير الذى نشر فى هذا المجلد (٣١١-٣١٥) عن مساعيه فى هذا الشأن غنى عن الاعادة والتكرار .

م ، ب ، ا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعضاء المجمع العلمى العراقي

فى سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م

الأعضاء العاملون

الأستاذ منير القاضى (الرئيس)	بغداد
الدكتور شريف عسيران (نائب الرئيس الأول)	»
الأستاذ محمد بهجة الأثرى (نائب الرئيس الثانى)	»
الدكتور جواد على (« السكرتير »)	»
الدكتور ناجى الأصيل	»
الدكتور هاشم الوترى	»
الأستاذ محيى الدين يوسف	»
الأستاذ شيث نعمان	»
الدكتور أحمد نسيم سوسة	»
الدكتور مصطفى جواد	»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأعضاء الفخريون

الأستاذ طه الهاشمى	بغداد
الدكتور محمد فاضل الجمالى	»
الدكتور متى عقراوى	»
الأستاذ يعقوب سركيس	»

الأعضاء المراسلون

الدكتور داوود الجلبى	الموصل
الخورى سليمان الصائغ	»
الأستاذ محمد كرد على	دمشق

الأستاذ عبدالقادر المغربى	دمشق
الأستاذ فارس الخورى	»
الأستاذ خليل مردم بك	»
الدكتور قسطنطين زريق	بيروت
السيد جميل بيهم	»
الأستاذ أحمد لطفى السيد	القاهرة
الدكتور طه حسين	»
الدكتور أحمد أمين	»
الدكتور منصور فهمى	»
الدكتور عبدالوهاب عزام	»
الأستاذ عباس محمود العقاد	»
الأستاذ محمد الخضر حسين	»
الأستاذ أحمد العوامرى	»
الأستاذ ساطع الحصرى	»
الأستاذ حسن حسنى عبدالوهاب	تونس
الأستاذ ظفر الله خان	كراجى
الأستاذ مكرمين خليل	الأستانة
الأستاذ على أصغر حكمة	طهران
الأستاذ مولانا أبو الكلام آزاد	دهلى
الأستاذ جب	لندن
الأستاذ ألفريد كيوم	»
الأستاذ لويز ماسنيون	باريس
الأستاذ وليم مارسيه	»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فجع المجمع فى العام الماضى بعضوين من أعضائه المراسلين ، فكانت فجيعته بهما عظيمة ، وهما : الدكتور على مصطفى مشرفة باشا فى القاهرة ، والشيخ محمد السماوى فى النجف - رحمهما الله .